المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
شعبة الثقافة الإسلامية



الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين

دراسة تحليلية

رسالة مقدّمة لنيل درجة "الماجستير" في الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب

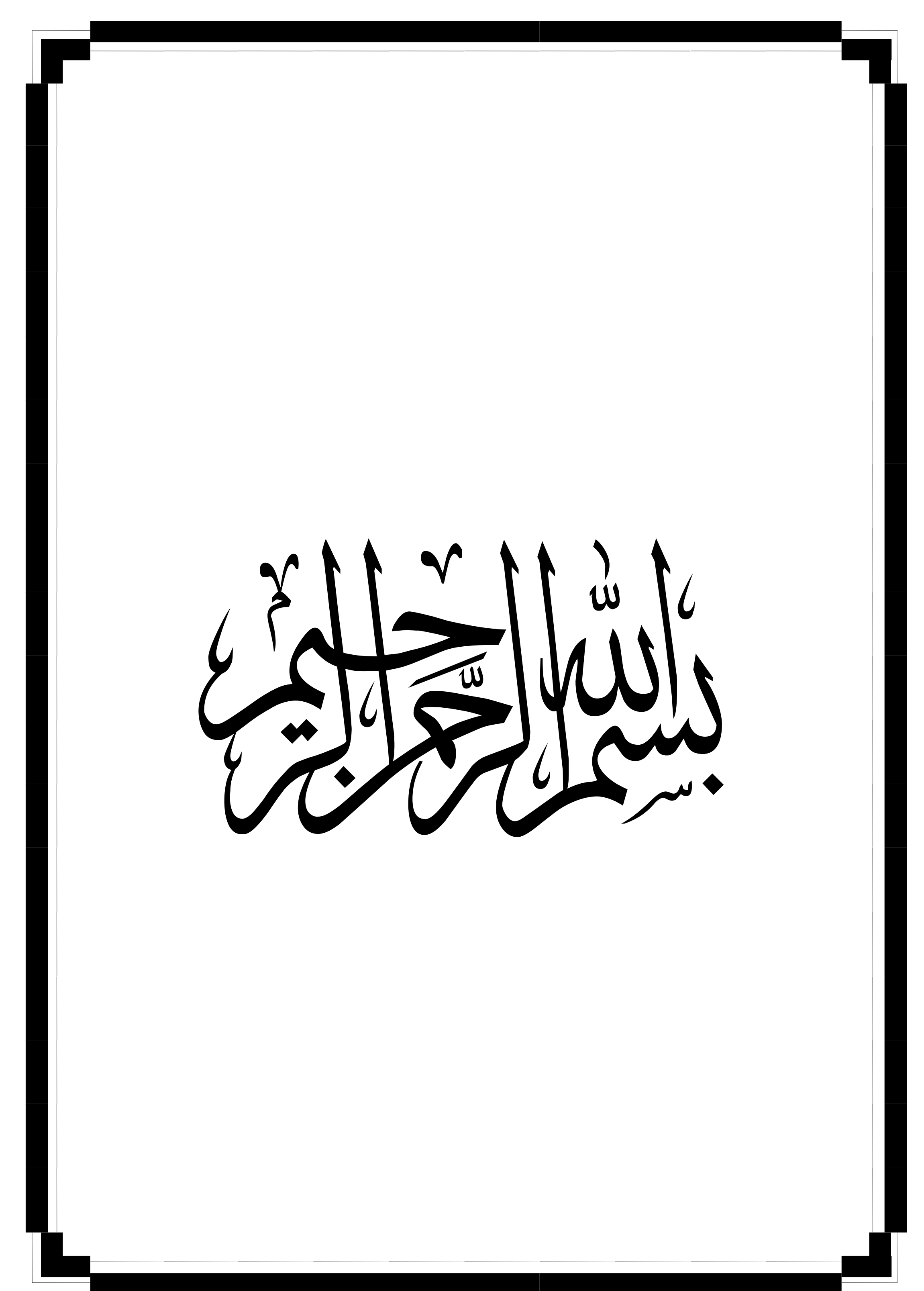
سعد بن محسن بن سالم القرشي

الرقم الجامعي: ٤٣١٨٨١١٨

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

خالد بن عبد الله القرشي

١٤٣٥هـ-١٤٣٦هـ.


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخّص الرِّسالة

عنوان الرسالة : الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، دراسة تحليلية .

اسم الباحث : سعد بن محسن بن سالم القرشي .

الدرجة العلمية : ماجستير ، في الثقافة الإسلامية .

موضوع الرسالة : الواقع الثقافي في عصر الخلفاء دراسة تحليلية .

فكرة الموضوع : إعطاء صورة شاملة عن روافد الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، ومصادره ، ومجالاته، وآثاره ، وتحدياته ، والاستفادة من ذلك في واقعنا الثقافي المعاصر .

هدف الرسالة : إبراز معالم الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين العلمية ، والدعوية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وذلك لبعث روح الاقتداء ، وحسن التأسي بعصر النبوة والخلفاء الراشدين لتصل الأمة الإسلامية إلى منصب الريادة والقيادة .

فصول الرسالة : يتكون البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة . فالمقدمة تشمل بيان أهمية الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهجه ، والتمهيد يشتمل على التعريف بمصطلحات الرسالة .

وأما الفصل الأول فهو عن : روافد الثقافة الإسلامية في العصر الراشدي .

والفصل الثاني عن : مجالات الثقافة الإسلامية وآثارها في العصر الراشدي .

والفصل الثالث عن : المؤثرات الإيجابية والسلبية في الواقع الثقافي للعصر الراشدي .

والفصل الرابع عن : تحديات الواقع الثقافي في العصر الراشدي ، وسبل مواجهتها .

والفصل الخامس عن : سبل الاستفادة من هذه الدراسة علميًا وعمليًا .

والخاتمة ، وفيها النتائج ، والتوصيات . وكان من النتائج :

١ ـ أن دراسة عصر الخلفاء الراشدين يصل بين حاضر الأمة وماضيها المشرق ، فيبعث الحياة في النفوس ، ويحثها على الجدِّ والعمل ، ويشعرها بالفخر والاعتزاز .

٢ ـ أن حسن الاقتداء بالعصر النبوي والراشدي يضع الأمة موضع القيادة والزعامة بين سائر الأمم والشعوب .

وأما التوصيات فمنها :

١ ـ وجوب الاهتمام بعلم الثقافة الإسلامية ، لأنه يبحث في الأحداث والمستجدات والدراسات والتحديات المعاصرة ، ويؤصلها تأصيلاً شرعيًا .

٢ ـ يجب الاهتمام بالروايات التاريخية المتعلقة بالعصر النبوي والراشدي وإخضاعها لشروط وضوابط المحدثين ، وذلك لاستخلاص تاريخ الأمة ، وعنوان مجدها .

٣ ـ وجوب محبة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والرفع من قدرهم ، والذب عنهم ، والإمساك والتغاضي عن أخطائهم ، لأنهم سلف هذه الأمة ورجال تاريخها المجيد .

الباحث :	**المشرف :**	**عميد الكلية :**
سعد بن محسن القرشى	فضيلة الدكتور : خالد القرشى	فضيلة الدكتور : محمد السرحانى

Abstract

Title: cultural reality in the era of the Caliphs, analytical study.

Researcher Name: Saad bin Mohsen bin Salim al-Qurashi.

Degree: MA in Islamic culture.

Subject: cultural reality in the era of the caliphs analytical study.

Thread idea: to give a comprehensive picture of the tributaries of the cultural reality in the era of the Caliphs, and its sources, and its scope, and its effects, and its challenges, and take advantage of it in contemporary cultural reality.

The goal of the letter: to highlight the features of the cultural reality in the era of the Caliphs scientific, and advocacy, and social, economic, political, and sent it to emulate the spirit, good incorporation of prophecy and the era of the Caliphs to reach the Islamic nation to the position of leadership and leadership.

Classes message: The research consists of an introduction, smoothing, and five chapters, and a conclusion. The introduction includes a statement importance of the subject, and the research plan, method, and boot includes a definition in terms of the message.

The first chapter is about: the tributaries of the Islamic culture in the era Rashidi.

The second chapter: the areas of Islamic culture and its effects on age-Rashidi.

And for the third quarter: the positive and negative effects in the cultural reality of the era Rashidi.

And for the fourth quarter: the challenges of the cultural reality of the era Rashidi, and ways to address them.

The fifth chapter about: how to take advantage of this study is scientifically and practically.

And conclusion, and the results, and recommendations. The results:

1 to study the era of the Caliphs up between the nation's present and its past Orient, also cause life in the soul, and urges them to seriously and work, and made her feel proud.

2 that Hassan emulate the Prophet's era and Rashidi puts the nation's position of leadership and leadership among all nations and peoples.

The recommendations include the following:

1 and attention must be with the knowledge of Islamic culture, because it is looking into the events and developments, studies and contemporary challenges, and Aasalha Islamic legal.

2 must be given to the historical novels concerning the Prophet's era and Rashidi and subject to the conditions and controls modernists, so as to draw the nation's history, and the address of its glory.

3 must be loving companions, God bless them and lifting of their fate, and defending them, and constipation and overlooked their mistakes, because they ancestor of this nation and the men of its glorious history.

Researcher :	**Supervisor :**	**Dean of the Faculty :**
Saad bin Mohsen al-Qurashi	Dr. Khalid Al-Qurashi	Dr. Mohammed Sarhani



المُقدِّمة

المُقَدِّمة

إن الحمد لله ؛ نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون ﴾ (١) ، ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) ، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

أمَّا بعد :

فإن أحسن الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة (٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢) .

(٢) سورة النِّساء ، الآية (١) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٧٠، ٧١) .

(٤) هذه خطبة الحاجة الَّتي كان رَسُول الله ﷺ يعلمها أصحابه ، وقد أخرج حديثها أبو داود في سننه ، كتاب : النِّكاح ، باب خطبة النِّكاح ، رقم الحديث (٢١١٨) ، المكتبة العصرية ـ بيروت . وصحح هذا الحديث الشَّيخ الألباني في صحيح أبي داود ، ٦/ ٣٤٤ ، مؤسسة غراس ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

في حياة كل أمة مفاهيم أساسية ، تحرص عليها ، وتعمل على ترسيخها ، وتعميق إدراكها في شؤونها الفكرية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغير ذلك من أمور الحياة ، وتبذل لذلك كل الوسائل والأساليب المتنوعة للحفاظ عليها ، وانتشارها (١) .

وهذه المفاهيم ، وما ينبثق عنها ، يطلق عليها الواقع الثقافي للأمة والَّذي يهتم به أهل الفكر ، والقادة والعلماء لنشره ، ونقله من حيز النَّظر المجرد إلى الواقع البشري الحي ، ليكون مصدر فكر الأمة ، وشعورهم ، وطابع سلوكهم ، وسمة حياتهم العلميَّة والعملية (٢) .

وإن دراسة الواقع الثقافي لعصر الخلفاء الراشدين يُظهر للأمة الإِسلاميَّة المعنى الحقيقي لثقافتها الَّتي مصدرها القرآن الكريم ، والسُّنَّة النَّبويَّة المطهرة ، وإجماع الأمة ، والَّتي كان لها التأثير القويم في العصر النبوي ، وعصر الخلفاء الراشدين على الحياة الدعوية ، والعلمية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية .

لقد بذل الخلفاء الراشدون والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ واسع جهدهم ، وجهادهم ، وعطائهم للحفاظ على عقيدة الإسلام ومبادئه ، ونظمه من الضياع ، والاندثار ، والتبعية للآخر ، حتَّى أصبح عصرهم معلمًا من معالم التأسي والقدوة للأجيال الإِسلاميَّة .

ولأجل ذلك أحببت أن يكون **موضوع رسالتي** في مرحلة الماجستير عن : **(الواقع**

---

(١) لمحات في الثقافة الإِسلاميَّة ، ص١١ ، عمر الخطيب ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة الخامسة عشرة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م . بتصرف .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ص١١ .

الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، دراسة تحليلية) . **للأسباب الآتية :**

١ ـ حاجة الأمة الإِسلاميَّة في وقتنا الحاضر للوعي الثقافي ، والحفاظ على الإسلام ، والدفاع عنه بكل وسيلة وطريقة ، وخاصة وهي تعيش أزمة العثور على ذاتها وسط طوفان الأفكار ، والمذاهب المعاصرة ، ممَّا أفقدها قوتها وقدرتها الَّتي تمكنها من العيش مع الأقوياء من الأمم الأخرى .

٢ ـ المشاركة في بيان الحق والدفاع عن الأمة الإِسلاميَّة وعن ثقافتها ، وقيمها ، وخاصة والأمة الإِسلاميَّة تعيش على مفترق طرق شتى ، تتربص بها قوى الشر لتحاول تقويض رسالتها ، وطي رايتها ، وطمس عقيدتها وسلب هويتها ، وزعزعة قيمها ومقوماتها ، وتشويه أصولها وروافدها ، وخلخلة فكرها ، وتهديد مقدساتها ، وديارها .

٣ ـ إبراز جانب من سنة الله تعالى في استحالة الموافقة بين الحق والباطل ، وذلك من خلال الكشف عن تحديات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين الداخلية والخارجية ، ومعرفة الطرق والوسائل الَّتي واجه بها الخلفاء الراشدون تلك التحديات .

مع أهميَّة الاستفادة علميًا وعمليًا من تلك الطرق والوسائل في وقتنا الحاضر ، لصد التحديات الفكرية الَّتي يُرَّوج لها في العالم الإسلامي بهدف التغريب والذوبان في الثقافات الغربيَّة .

٤ ـ حاجة الإنسان إلى معرفة النظم الدعوية والعلمية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية .

وهذه الحاجة لا تتحقق بالمعرفة التنظيرية فقط ، بل لا بُدَّ من السلوك العملي التطبيقي الَّذي

يتضح من خلال الدِّراسة التفصيلية التحليلية لعصر النبوة والخلفاء الراشدين ، ذلك العصر الَّذي التقى فيه الواقع مع المثال .

لكل ما سبق تأتي **أهمية الموضوع** :

فالواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين هو امتداد لعصر النبوة المطهر ، وهو العصر الَّذي كانت فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والَّذي وصفه النَّبيّ ﷺ بالراشد ، وأمر بالاقتداء بسنة الخلفاء الراشدين ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضّوا عليها بالنواجذ** »[1] .

فعصر النبوة والخلفاء الراشدين هو العصر الَّذي يُقاس به كل مجتهد ، وإمام ، ومجتمع ، ويوزن بميزانه ، وهو اللبنة الأولى ، والمرتكز الأساس في توجيه الأمة علميًا ، وعمليًا ، واجتماعيًا ، واقتصاديًا ، وسياسيًا .

فكان لزامًا دراسته ومعرفة روافده ومجالاته ، وتحدياته ، وآثاره الإيجابية على الأمة الإسلامية والأمم الأخرى .

ولقد رأيت أن يكون **حدود البحث** كالتالي :

الحد الزماني :

من استلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مقاليد الخلافة بعد انتقال النَّبيّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى في

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الإيمان ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، حديث رقم (٤٢) . وصححه الشَّيخ الألباني في الجامع الصَّغير وزيادته ، ص٢٣٢ .

الثَّاني عشر من ربيع الأَوَّل ، من السنة الحادية عشرة للهجرة ، إلى مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في السَّابع عشر من رمضان من سنة أربعين للهجرة [١] .

الحد المكاني :

ويشمل غالب المدن والأمصار الَّتي كانت تحت سلطة دولة الخلافة الراشدة .

الدراسات السَّابقة :

لم أقف في هذا الموضوع على رسالة علميَّة تأصيلية على حد بحثي واطلاعي .

إلاَّ أن هناك كتاب : عصر الخلافة الراشدة تأليف الدّكتور : أكرم ضياء العمري الَّذي أفدت منه كثيرًا في بعض المواضع من هذه الرِّسالة ، وهو كتاب جدير بالعناية والاستفادة .

تساؤلات البحث :

إلى أي مدى يمكن الاستفادة من دراسة الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ؟

وما المقصود بالروافد ؟ والمجالات ، والتأثيرات ؟ وما هي تحديات الثقافة الإِسلاميَّة في عصر الخلفاء الراشدين ؟ وكيف واجه الخلفاء الراشدون تحديات الواقع الثقافي ؟ وكيف استطاعوا ايجاد دولة إسلاميَّة عادلة متقدمة في جميع مجالات الحياة ؟.

---

(١) انظر : الإصابة في تمييز الصَّحابة ، ٤/ ٤٦٨ ، ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

العقبات والصعوبات الَّتي واجهت الباحث :

ومن أهم العقبات والصعوبات التي واجهت الباحث : اتساعُ الموضوعِ بسبب اتساعِ الحد الزمانيِّ والذي يشملُ تعاقبَ أربعةِ خلفاءَ خلالِ ثلاثينَ عامًا تقريبًا ، والذي ضم الكثير من المتغيراتِ ، والظروفِ ، والقضايا ، والتحديات ، مما جعلَ النفسَ تُراوِدُني على قَصْرِ دراسة الواقع الثقافي على خليفة واحد فقط من الخلفاء الأربعة ، ولكن بعد مشاورةِ شيخي المشرف حفظه الله أشار عليّ بالاستمرارِ ودراسةِ الواقع الثقافي لجميع الخلفاءِ الراشدين الأربعة ، وذلك حرصًا على التقيُدِ بخطة المشروع ، وأشار عليّ بدمج مفهوم الواقع الثقافي للخلفاء الراشدين الأربعةَ في سياقٍ واحدٍ لتتضح معالُمُهُ من خلالِ التحليلِ والمقارنةِ ومعرفةِ الفروقاتِ بين العصور الأربعةِ فيما يتعلق بشئون الحكم والإدارة والتربية والدعوة والتعليم ، ومع مراعاة الاقتصار على دراسة أهم القضايا ، والمؤثراتِ ، والمجالاتِ ، والتحدياتِ الثقافية وسُبُلِ الاستفادةِ منها علميًا وعمليًا ، إلاَّ أنَّ الموضوع ازداد اتساعًا لكثرة أحداثه ، وقضاياهُ ، ومتعلقاتهِ ، فاجتهدت وحاولت لمَّ شتاتهِ ، واختصار مطالبهِ ، وانتقاءَ أهم فوائدهِ وفرائدهِ ليخرج بهذه الصورة ، والله المستعان .

منهج البحث :

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي ، والَّذي من خلاله استقرأت المراجع الأصليَّة ، والحديثة المتوفرة لدي ، والَّتي اهتمت بعصر الخلفاء الراشدين تاريخيًا وثقافيًا .

وكذلك اعتمد البحث على المنهج الوصفي للواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، مع التحليل ، والتعليل ، والإيضاح ، والاعتماد على مناهج علميَّة أخرى عند الحاجة لذلك .

وفيما يتعلق بكتابة البحث وتوثيقه :

١ ـ عزوت الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها .

٢ ـ خرَّجت الأحاديث النَّبويَّة عند أوَّل ذكر لها ، فإن روى الحديث الإمام البخاري أومسلم اكتفيت بذلك ، مع ذكر عنوان الكتاب ، والباب ، ورقم الحديث ، وإذا كان الحديث لم يخرجاه قمت بتخريجه والحكم على إسناده بالرجوع إلى كتب العلماء القدماء والمعاصرين .

٣ ـ عزوت آثار الصَّحابة للمصادر الأصليَّة قدر ما تيسر لي ذلك .

٤ ـ ترجمت للأعلام الَّذين ذكروا في البحث بشكل موجز ، وأغفلت بعضهم لعدم الحاجة إلى ترجمتهم .

٥ ـ اتبعت في حالة النقل عن المصدر بالنَّصِّ الإحالة على المرجع بذكر ؛ اسمه ، والجزء ، والصفحة ، وفي حالة النقل بالمعنى ، أو التّصرّف في النَّصّ ، أذكر ذلك مسبوقًا بكلمة : انظر .

٦ ـ ذكر المعلومات المتعلقة بالمصدر ، وهي : اسم المصدر ، والجزء ، والصفحة ، واسم المؤلف ، ودار النشر ، وسنة الطبع إن وُجد ، وذلك عند أول وروده في الرسالة .

٧ ـ في بعض المطالب أُمهد بذكر الواقع الثقافي في عصر النبوة ، وذلك لبيان ما وصل إليه الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، ولا غرابة في ذلك ، فعصر الخلفاء الراشدين امتداد لعصر النبوة المطهرة .

٨ ـ عرَّفت ببعض المصطلحات الواردة في البحث لغةً واصطلاحًا من المصادر المتخصصة في ذلك إن وُجِدت .

٩ـ ذكرت في الحاشية بعض الفوائد والمسائل المتعلقة بالبحث مع إحالتها إلى مظانها .

١٠ ـ اعتنيت بصحة البحث وسلامته من النَّاحية اللغوية والإملائية والنحوية بقدر استطاعتي .

١١ ـ وضعت الفهارس اللازمة للبحث .

خطة البحث :

يتكون البحث من خطته الإجمالية ، من مقدِّمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

ـ **المقدّمة** : وفيها :

۞ أسباب اختيار البحث ، وأهميته .

۞ حدود البحث .

۞ الدراسات السَّابقة .

۞ تساؤلات البحث .

۞ العقبات والصعوبات الَّتي واجهت الباحث .

۞ منهج البحث .

۞ الخطة الإجمالية للبحث .

ـ **التمهيد** : ويشتمل على :

أ : التَّعريف بمصطلحات عنوان الرسالة .

ب : التَّعريف بعصر الخلفاء الراشدين .

ـ **الفصل الأول** : روافد الثقافة الإِسلاميَّة ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الروافد وعلاقتها بالمصادر ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف روافد الثقافة الإِسلاميَّة .

المطلب الثاني : علاقة الروافد بمصادر الثقافة الإِسلاميَّة .

المبحث الثاني : الروافد التعليمية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : القراءة والكتابة .

المطلب الثاني : التلقي والرواية .

المطلب الثالث : المدينة منارة العلم والفتوى .

المبحث الثالث : الروافد الدعوية والإعلامية ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : دور المسجد دعويًا وإعلاميًا في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الثاني : الحوارت والمناظرات العلميَّة في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الثالث : التميز العلمي والعملي والفكري .

المطلب الرابع : قوة الفصاحة والبيان .

المطلب الخامس : البعثات الدعوية الإعلامية .

المبحث الرابع : الروافد الاجتماعية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأسرة المسلمة وتربية الأجيال .

المطلب الثاني : الأمن الفكري العقدي .

المطلب الثالث : تحقيق الأمن في سلوك الأفراد والجماعات .

ـ **الفصل الثّاني :** مجالات الواقع الثقافي وآثارها في عصر الخلفاء الراشدين ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المجال الدعوي .

المطلب الثاني : المجال الاقتصادي .

المطلب الثالث : المجال السياسي .

المبحث الثّاني : آثار مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : آثار مجالات الواقع الثقافي داخليًا .

المطلب الثاني : آثار مجالات الواقع الثقافي خارجيًا .

ـ **الفصل الثّالث :** الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين بين المؤثرات الإيجابية والسلبية ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين والمؤثرات الإيجابية ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : التَّعريف بالمؤثرات وبأقسامها .

المطلب الرابع: الأزمات الاقتصاديّة وسبل معالجتها في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الخامس: اتساع الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة وسبل حمايتها .

المبحث الثّاني : التحديات الخارجية وسبل مواجهتها في عصر الخلفاء الراشدين، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تقوية هيبة الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة عند الأمم الأخرى .

المطلب الثاني: الحرص على مواصلة الجهاد في سبيل الله .

المطلب الثالث: إنشاء الثغور ، وحمايتها ، وجعلها قاعدة عسكرية لنشر الحضارة الإسلامية .

المطلب الرابع: تحقيق العدل في البلاد المفتوحة .

- **الفصل الخامس :** كيفية الاستفادة من هذه الدِّراسة في العصر الحاضر ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : سبل الاستفادة من الدِّراسة علميًا ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: الحفاظ على مصادر الشَّريعة .

المطلب الثاني: النظم الإسلامية وعلاقتها بالشريعة .

المطلب الثالث: اقتضاء العلم العمل .

المطلب الرابع: أهميَّة النقد البناء .

المبحث الثّاني : سبل الاستفادة من الدِّراسة عمليًا ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الحاجة للتربية .

المطلب الثاني : أهميَّة الحسبة .

المطلب الثالث : الإدارة الناجحة .

المطلب الرابع : تسهيل التواصل بين الأمة وولاة أمرها .

الخاتمة : وفيها عرض لأهم النتائج والتوصيات .

الفهارس :

1. **فهرس الآيات القرآنية الكريمة .**
2. **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .**
3. **فهرس الآثار .**
4. **فهرس الأشعار .**
5. **فهرس الكلمات الغريبة .**
6. **فهرس الأعلام .**
7. **فهرس المصطلحات .**
8. **فهرس الأماكن .**
9. **فهرس المصادر والمراجع .**
10. **فهرس الموضوعات .**

وبعد : فإني أحمد الله جلَّ وعلا على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث ، فله الحمد وله الشكر في الأولى وفي الآخرة ، وأسأله أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه العظيم ، إنَّه جواد كريم .

هذا وحسبي أني قد بذلت ما في وسعي ، فإن أحسنت فهذا الَّذي أبغي وأحمد الله على ذلك ، وإن كانت الثَّانية فإنَّها مني ومن تقصيري ، وأستغفر الله من ذلك .

وأخيرًا : فإِنَّه يسعدني أن أشكر لأهل الفضل والإحسان فضلهم بعد شكر الله تعالى ، والثناء عليه .امتثالاً لقول الرسول ﷺ : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »[1] ، وأخص بالشكر والداي الكريمين على حسن تربيتهما ، وكريم عنايتهما ، وتشجيعهما ، ودعائهما ، ثمَّ لزوجتي الكريمة وأبنائي الأعزاء الَّذين كانوا ولا زالوا نعم المعين على الدِّراسة والبحث .

كما أشكر شيخي وأستاذي فضيلة الدّكتور : خالد بن عبد الله القرشي ، الَّذي أشرف على هذا البحث ، والَّذي أفدت من علمه وتوجيهاته واستدراكاته ، والَّذي شَرُفْتُ بالدراسة على يديه في المرحلة الجامعية ، والدراسات العليا ، وكان ذلك من توفيق الله لي ، وقد كان وما زال نعم الشَّيخ الَّذي تمثلت فيه شخصية الوالد الرحيم ، والأخ المعين ، والصديق الناصح ، فجزاه الله خيرًا على جهوده المتواصلة ، وبارك في علمه وعمله وعمره ، وأصلح ذريته ، وجعله من سعداء الدنيا والآخرة .

---

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري ، حديث رقم (٢١٨) ، ١/ ٥٧ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، حديث رقم (٤٨١١) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد ، ١/ ٩٩ .

والشكر موصول للجنة المناقشة فضيلة الأستاذ الدكتور : محمد بن عبد المولى جمعة ، وفضيلة الأستاذ الدكتور : عبد الواسع بن محمد غالب ، اللذين تكرما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة والإفادة من علمهما ، فجزاهما الله كل خير .

والشكر موصول لمدير جامعة أم القرى ، ولعميد الدراسات العليا ، ولعميد كلية الدعوة وأصول الدين ، ووكلائه ، ولرئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ، على ما يبذلونه لطلبة العلم من تيسير أمورهم ، وتذليل العقبات التي تواجههم .

كما أشكر كل من أسهم في إنجاز البحث برأي ، أو دعوة ، أو كتاب ، أو مشورة ، أو تصويب ، أو تصحيح ، أو نسخ وطباعة .

سائلاً الله ﷻ أن يجزل لهم المثوبة ، وأن يجعلها في ميزان حسناتهم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

❀❀❀

التمهيد

ويشتمل على :

أ : التَّعريف بمصطلحات عنوان الرِّسالة .

ب : التَّعريف بعصر الخلفاء الراشدين .

أ ـ التَّعريف بمصطلحات عنوان الرِّسالة

وهو (الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، دراسة تحليلية)

تعريف كلمة ((الواقع)) :

أصلها من كلمة ((وقع)) الَّتي تدل على سقوط شيء ، يقال : وقع الشيء وقوعًا فهو واقع [١] .

والوقائع : مناقع الماء المتفرقة ، كأن الماء وقع فيها ، يقال : مواقع الغيث : مساقطه [٢] ، ووقائع العرب : أيَّام حروبهم [٣] ، والأمر الواقع : الأمر الواقع قطعًا بلا ريب [٤] ، وواقع : أي كائن حقًا [٥] ، والواقعية : التَّصوير الأمين لمظاهر الطبيعة والحياة كما هي ، وكذلك عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات [٦] .

والمعنى المقصود من كلمة (الواقع) : هو إعطاء صورة حقيقية للحياة السائدة بجميع مجالاتها الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية والعلمية في عصر الخلفاء الراشدين .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللُّغة ، ٦/ ١٣٣ ، أحمد بن فارس ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ٦/ ١٣٤ .

(٣) انظر : لسان العرب ، ٨/ ٤٠٣ ، محمَّد بن منظور ، دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الثالثة .

(٤) انظر : معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة ، ٣/ ٢٤٨٢ ، د. أحمد مختار ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(٥) انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، ٢/ ٢٩٣ ، عياض السبتي ، دار التراث .

(٦) انظر : المعجم الوسيط ، ٢/ ١٠٥١ ، مجموعة من الباحثين في مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة ، نشر دار الدعوة .

تعريف كلمة (الثقافي) :

الثقافة في اللُّغة : ترجع دلالة الثقافة في اللُّغة إلى الحَذَق ، والفهم ، وسرعة التعلم ، والظفر ، والأخذ ، والتسوية ، والملاعبة بالسيف والرمح .

قال ابن منظور : ((ثَقِف الشيء ثَقْفًا وثِقَافًا وثُقُوفَة : حذقه ، ورجل ثَقْف وثَقِف وثَقُف : حاذق فهِم ، ويقال : ثَقِف الشيءَ ، وهو سرعة التعلم ، وثِقِف الرجلَ : ظفَر به ، وثقِفنا الرَّجل بموضع فلان : أي أخذناه ، وتَثقيف الرِّمَاح : تسويتُها)) [١] .

ويقال : ثاقفه مثاقفةً : لاعبه بالسلاح ، وفلان من أهل المثاقفة وهو مثاقف : حسن الثِقافة بالسيف [٢] .

تعريف الثقافة اصطلاحًا : لم يتفق الَّذين كتبوا في موضوع الثقافة بمعناها العام أو عند إضافتها للأمة الإِسلاميَّة على تعريف محدد جامع واضح قاطع للجدل ، وذلك بسبب المدارس الفكرية الَّتي ينتمون إليها [٣] .

ولكن يمكن تعريف الثقافة بتعريفين مختارين جامعين ، وهما :

أولاً : تعريف الثقافة بمعناها العام ، وهي :

---

(١) لسان العرب ، ٩/ ١٩ .

(٢) انظر : أساس البلاغة ، ١/ ١١٠ ، لأبي القاسم الزَّمخشريّ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

(٣) انظر : أساسيات الثقافة الإِسلاميَّة ، ص١٦ ، د. عبد الغني الكبيسي ، مكتبة الفلاح ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

((مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية والقيم والمعتقدات الَّتي تُمَيِّز مجتمعًا أو فئة ما)) [١] .

ثانيًا : تعريف الثقافة عند إضافتها للأمة الإِسلاميَّة ، وهي :

((علم دراسة التصورات الكليَّة ، والمستجدات ، والتحديات المتعلقة بالأمة الإِسلاميَّة والمسلمين ، بمنهجية شمولية مترابطة)) [٢] .

تعريف كلمة (عصر) :

في اللُّغة : العَصْر ، والعِصْر ، والعُصُر .

والجمع : أعصُرُ ، وأعْصار ، وعُصْرٌ ، وعُصورٌ [٣] .

وكلمة العصر تطلق على عدة معانٍ ، ومنها :

أولاً : الدهر والزمان ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [٤] .

وتطلق على كلمة العصران وهما اللَّيل والنهار ، والغداة والعشي .

والعصر : هو وقت العشي إلى احمرار الشمس ، وصلاة العصر مضافة إلى ذلك الوقت ، وبه

---

(١) المرجع السَّابق ، ص١٦ .

(٢) ثقافة المسلم وتحديات العصر ، ص٢٣ ، د.راشد شهوان وآخرون ، دار المنهاج ، الأردن ـ عمان ، الطبعة السابعة ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م .

(٣) انظر : لسان العرب ، ٤/ ٥٧٥ . ومعجم مقاييس اللُّغة ، ٤/ ٣٤٠ .

(٤) سورة العصر ، الآية (١ ،٢) .

سُمِّيت [١] .

ثانيًا : ضغط الشيء حتَّى يتصلب ، تقول : عصرت العنب ، ويقال للسحاب الممتلي بالمطر : المعصرات ، ويقال للفتاة معصر : إذا بلغت وأدركت [٢] .

ثالثًا : التعلق بالشيء والالتجاء إليه ، يقال : اعتصر بالمكان أو بفلان إذا التجأ إليه [٣] .

تعريف العصر اصطلاحًا : هو الفترة الزمنية الَّتي عاش فيها الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ من بعد موت النَّبيِّ ﷺ من السَّنَة الحادية عشرة إلى سنة أربعين للهجرة النَّبويَّة [٤] على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام .

تعريف كلمة (الخلفاء) :

لغة : جمع خليفة ، وهو الَّذي يُستخلف ممَّن قَبْلَهُ [٥] .

اصطلاحا : هو من ولي الخلافة بإجماع النَّاس عليه ورضاهم به ، فهو أمير المؤمنين ، ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة دون مبايعته [٦] .

والمقصود هنا : معرفة الخلفاء الأربعة الَّذين خلفوا النَّبيّ ﷺ بعد موته في سُدَّة الحكم

---

(١) انظر : لسان العرب ، ٤/ ٥٧٥ ، ومعجم مقاييس اللُّغة ، ٤/ ٣٤٠ .

(٢) المرجعان السابقان ، ٤/ ٥٧٥ . و ٤/ ٣٤٠ .

(٣) معجم مقاييس اللُّغة ، ٤/ ٣٤٠ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ، ٥/ ٢٧٥ ، ابن كثير ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٥) انظر : لسان العرب ، ٩/ ٨٣ .

(٦) انظر : أصول السُّنَّة ، ص٤٢ ، أحمد بن حنبل ، دار المنار ـ السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

والتعليم والدعوة والجهاد .

وهم : أبو بكر الصديق ، ثمَّ عمر بن الخطاب ، ثمَّ عثمان بن عفان ، ثمَّ علي بن أبي طالب .

وهم أفضل الصحابة ، وهم يُرتَّبونَ في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة (١) .

تعريف كلمة (الراشدين) :

الرُّشْد ، والرَّشَد ، والرَّشاد : نقيض الغي ، يقال : رَشَدَ الإنسان بالفتح ، فهو رشيد وراشد (٢) .

والراشد : اسم فاعل من رَشَد يَرْشُد رُشْدًا وهو الَّذي يصيب وجه الأمر والطريق (٣) .

والرُشْد : ((حسن التّصرّف في الأمر حسًّا ، أو معنى ، أو دينًا ، أو دنيا)) (٤) .

والمقصود بالراشدين هنا : هم الَّذي قال عنهم النَّبيُّ ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ...** » (٥) ، وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن

---

(١) انظر : منهاج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة والعمل ، ص٣٧ ، الشَّيخ محمَّد العثيمين ، دار الشَّريعة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(٢) انظر : لسان العرب ، ٣/ ١٧٥ .

(٣) انظر : المرجع السَّابق ، ٣/ ١٧٥ .

(٤) التوفيق على مهمات التعاريف ، ص٣٦٥ ، محمَّد المناوي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

(٥) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (١٧٢٧٤) ، ٤/ ١٢٦ ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م . وصححه الشَّيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، ١/ ٥٨ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .

عفان ، وعلي بن أبي طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ووصفُ الراشد عامٌ في كل إمام وحاكم سار سيرة الخلفاء الراشدين الأربعة [(١)] .

تعريف كلمة (دراسة) :

أصلها من فعل : دَرَسَ الشيء والرسم دُرُوسًا ، أي : عفا وذهب .

ويقال : دَرَسَتْهُ الريحُ تدرُسُه دَرْسًا ، أي : محته .

ويقال : دَرَسَ الكتاب يدْرُسُهُ دَرْسًا ودِراسةً ، كأنه عانده حتَّى انقاد لحفظه ، وذلـله بكثرة القراءة حتَّى خفَّ حفظه ، ومنه : درسْتُ ، ويقال : درسْتُ السورة ، أي : حفظتها ، ودَرَسْتُ الصَّعْبَ حتَّى رُضْتُهُ [(٢)] .

والمقصود : دراسة الفترة الزمنية الَّتي عاش فيها الخلفاء الراشدون الأربعة من ناحية التأثير الثقافي على الحياة الاجتماعيَّة ، والاقتصادية ، والسياسية ، والدعوية ، والعلمية .

تعريف كلمة (تحليلية) :

أصلها من فعل حَلَّ ، والحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل ، وأصلها فتح الشيء [(٣)] ، يقال : حَلَلْتُ العُقْدَةَ أَحُلُها حلاً [(٤)] ، ويقال : حَلَّ الشيء : فَكَّهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاحْلُلْ

(١) انظر : النِّهاية في غريب الحديث والأثر ، ٢/ ٢٢٥ ، لأبي السعادات بن الأثير ، المكتبة العلميَّة ـ بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

(٢) انظر : لسان العرب ، ٦/ ٧٩ .

(٣) انظر : مقاييس اللُّغة ، ٢/ ٢٠ .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٢/ ٢٠ .

عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ [١] ، ويقال : تحلل الشيء : تفسخت أجزاؤه وانفصلت عناصره بعضها عن بعض [٢] .

وحَلَّلَ ، يُحَلِّلُ ، تحليلاً فهو مُحَلَّلْ ، يقال : حَلَّلَ الناقد القصيدة تحليلاً دقيقًا ، ويقال : حَلَّلَ المشكلة : أي أمعن في بحثها والتدقيق فيها [٣] ، والمقصود : تحليل المواقف ، والأحداث ، والأساليب الدعوية ، والتربوية لبيان الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين ، وأَنَّهُ ما زال اللبنة الأولى ، والمرتكز الأساس للأمة الإِسلاميَّة في التربية ، والتوجيه ، والإرشاد ، والحفاظ على الدِّين .

ـ خلاصة تعاريف الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدي :

أنه دراسة دقيقة معتمدة على أصح المعلومات ، وأدق البيانات ، والإحصاءات لكل جوانب الحياة العلمية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والوقوف على مصادر الثقافة ومجالاتها ، وتأثير الخلفاء الراشدين في ذلك ، والاستفادة من ذلك فيما يتعلق بقضايا الأمة الإسلامية في وقتنا الحاضر .

❁❁❁

---

(١) سورة طه ، الآية رقم (٢٧) .

(٢) انظر : معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة ، ١/ ٥٤٩ .

(٣) انظر : المرجع السَّابق ، ١/ ٥٤٩ .

ب ـ التَّعريف بعصر الخلفاء الراشدين

عصر الخلفاء الراشدين هو : الفترة الزمنية الَّتي جاءت بعد انتقال النَّبيّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، في الثَّاني عشر من ربيع الأَوَّل ، من السنة الحادية عشرة للهجرة [(١)] ، والَّتي تقلد فيها تكاليف الخلافة الخلفاء الأربعة : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين ، والَّتي استمرت خلافتهم حتَّى مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السَّابع عشر من رمضان ، من سنة أربعين للهجرة [(٢)] .

فكانت مدة خلافتهم ؛ تسع وعشرون سنة ، وستة أشهر ، وخمسة أيَّام ، وإذا أُضيفت لها خلافة الحسن بن علي [(٣)] رضي الله عنه ، من مقتل أبيه ، إلى تنازله لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، في الخامس والعشرين من ربيع الأَوَّل ، من السنة الحادية والأربعين للهجرة ، وبذلك تكون مدة خلافتهم ثلاثين سنة بالتمام [(٤)] .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٥/ ٢٧٥ .

(٢) انظر : الإصابة ، ٤/ ٤٦٨ .

(٣) هو الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، سبط رَسُول الله ﷺ وريحانته ، أمير المؤمنين ، وهو الَّذي قال فيه النَّبيُّ ﷺ في الحديث الَّذي رواه البخاري : ((إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) وقد تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ حقنًا لدماء المسلمين ، وجمعًا لكلمتهم في السَّنَة الحادية والأربعين للهجرة . انظر : الإصابة ، ٢/ ٦٠ . والبداية والنهاية ، ٦/ ٢٤٦ .

(٤) انظر : مجلة البيان ، العدد (١٥) ، ص٧٦ ، مقال د. محمَّد بن صامل السلمي ، بعنوان : معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين .

وهي المدة الَّتي أخبر بها النَّبيُّ ﷺ عن خلافة النبوة الَّتي تأتي بعده ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثمَّ يُؤتي الله الملك ، أو ملكه من يشاء** » (١) ، وقد علَّق ابن كثير ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث فقال : ((وإنما كَمَلَتِ الثلاثون بخلافة الحسن ابن علي ، فإنَّه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأَوَّل ، من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رَسُول الله ﷺ ، ... ، وهذا من دلائل النبوة ، صلوات الله وسلامه عليه ، وسلم تسليمًا)) (٢) .

فعصر الخلفاء الراشدين ((هو العصر الَّذي تم فيه اللقاء بين المثال والواقع ، فترجم مثاليات الإسلام إلى واقع ، وارتفع بالواقع البشري إلى درجة المثال)) (٣) .

وكان هذا العصر عصر تأسيس لكيان أمة ، وتوطيد لدعائم دين وشريعة ومُلْكٍ .

وهو العصر الَّذي أوصى النَّبيُّ ﷺ بالاقتداء فيه بسنة الخلفاء الأربعة ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ** » (٤) فما سنَّه الخلفاء الراشدون ، أو أحدهم للأمة ، فهو حجة لا يجوز العدول

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السُّنَّة ، باب في الخلفاء ، رقم الحديث (٤٦٤٦) . وقد صححه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير وزيادته ، ١/ ٦١٩ .

(٢) البداية والنهاية ، ٨/ ١٧ .

(٣) واقعنا المعاصر ، ص١٥ ، الشَّيخ محمَّد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

(٤) سبق تخريجه ، ص٢٦ .

عنها [١] .

وهو خير العصور على الإطلاق ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **خير النَّاس قرني ، ثمَّ الَّذين يلونهم ، ثمَّ الَّذين يلونهم ...** » [٢] .

وهو العصر الَّذي يعتبر فيه إجماع الصَّحابة ﷺ حجة لانضباطه ، قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((فأهل السنَّة متفقون على أن إجماع الصَّحابة حجة ، ومتنازعون في إجماع من بعدهم)) [٣] ، وقال أيضًا : ((الإجماع الَّذي ينضبط : هو ما كان عليه السَّلف الصَّالح وعلى رأسهم الصَّحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ إذ بعدهم كثر الاختلاف ، وانتشرت الأمة)) [٤] .

وهو العصر الَّذي يوصف بالراشد ، والَّذي كانت فيه الخلافة على منهاج النبوة ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثمَّ يرفعُها إذا شاء أن يرفعها ، ثمَّ تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثمَّ يرفعها إذا**

---

(١) انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ٢/ ١٧٣ ، محمَّد بن القيِّم ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ـ المشهور بصحيح البخاري ـ ، كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدّنيا ، حديث رقم (٦٤٢٩) ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والقدرية ، ٢/ ٦٠١ ، تقي الدِّين بن تَيْمِيَّة ، الناشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٤) مجموع الفتاوى ، ٣/ ١٥٧ ، ابن تَيْمِيَّة ، الناشر مجمع الملك فهد ، في ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

شاء الله أن يرفعها ، ثمَّ تكون مُلكًا عاضًا ... » (١) .

وهو العصر الَّذي يعتبر امتداداً لعصر النبوة ، لاتصاف خلفائه بصفات تميزوا بها في سلوكهم الذاتي ، وفي إدارتهم لشؤون الأمة ، وفي رعايتهم لدينهم ، وعقيدتهم ، وحفاظهم على النهج الَّذي جاء به النَّبيُّ ﷺ من الدعوة والجهاد وإقامة العدل ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، ممَّا ميزه عن سائر العصور الإِسلاميَّة (٢) .

فكان العصر الراشدي مع عصر النبوة معلمًا بارزًا ونموذجًا مكتملاً ، تسعى الأمة الإِسلاميَّة وكل مصلح إلى محاولة الوصول إلى ذلك المستوى السامق الرفيع ، ويجعل كل داعية نصب عينيه ، فيحاول في دعوته رفع الأمة إلى مستوى ذلك العصر أو قريبًا منه ، ويجعله معلمًا من معالم التأسي والقدوة للأجيال الإِسلاميَّة ، ومن ثمَّ صار كل مصلح وكل حاكم عادل ، وكل إمام مجتهد يُقاس بهذا العصر ويوزن بميزانه ، حتَّى لَقَّب كثير من العلماء الخليفة الأموي : عمر بن عبد العزيز ، خامس الخلفاء الراشدين ، ونسبوه إليهم ، وذلك لأَنَّهُ سار بسيرتهم ، وسلك طريقهم ، وأعاد في خلافته رغم قصرها معالم نهجهم ، وأحيا طريقتهم في الحكم والإدارة وسياسة الرعية (٣) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ٤/ ٢٧٣ . وقد صححه الشَّيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة ، ١/ ٣٤ ، مكتبة المعارف ـ الرياض .

(٢) انظر : مجلة البيان ، العدد (١٥) ، ص٧٦ ، مقال د. محمَّد بن صامل السلمي ، بعنوان : معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين .

(٣) مجلة البيان ، العدد (١٥) ، ص٧٦ ، مقال د. محمَّد بن صامل السلمي ، بعنوان : معالم من تاريخ الخلفاء ←

وهو العصر الَّذي تنافس فيه أفراد مجتمعه على اختلاف طبقاته رجالاً ونساءً ، شبابًا وشيوخًا على طلب العلم والتعليم .

وهو العصر الَّذي رُتبت فيه الأنظمة الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية ، ورُتبت فيه دائرة القضاء ، والشرط ، والسجون ، والَّذي ساد فيه العدل والشورى ، والَّذي تفانى فيه المجتمع لنشر دين الإسلام ، فاتسعت فيه الفتوحات الإِسلاميَّة الَّتي قضت على دولة فارس المتجبرة ، وألحقت الهزائم الكثيرة بدولة الروم ، فكانت دولة الإسلام في عصر الخلافة الراشدة قويةً مرهوبة الجانب .

لقد كان عصر الخلفاء الراشدين بحق وما زال مفخرة الأمة الإِسلاميَّة ، وإن تاريخه المجيد يبعث الحياة في النّفوس لتعود إلى إيمانها بربها ، واستقامتها على دينها ، وتوسطها وخيريتها بين الأمم [1] قال الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ﴾ [2] .

❁❁❁

الراشدين .

(١) انظر : التَّاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، الخلفاء الراشدون ، ص٨ ، د. عبد العزيز الحميدي ، دار الدعوة ـ الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

الفصل الأوَّل

روافد الثقافة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الراشدين

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : تعريف الروافد ، وعلاقتها بالمصادر .

المبحث الثاني : الروافد التعليمية .

المبحث الثالث : الروافد الإعلامية والدعوية .

المبحث الرابع : الروافد الاجتماعية .

المبحث الأوَّل

تعريف الروافد، وعلاقتها بالمصادر

وفيه مطلبان

المطلـــــب الأول: تعريف الروافد لغة واصطلاحًا.

المطلـب الثـــاني: علاقة الروافد بمصادر الثقافة الإِسلاميَّة.

المطلب الأوّل

تعريف روافد الثقافة الإسلاميَّة

ورد لفظ الروافد في اللُّغة بمعنى :

رفده ، وأرفده : أعانه ، وترادفوا : أعان بعضهم بعضًا (١) .

والإرفاد : الإعطاء والإعانة ، والمرافدة : المعاونة ، والترافد : التعاون ، والاسترفاد : الاستعانة (٢) .

والروافد : خشب السقف ، لأَنَّهُ يُرْفَدُ بها السقف (٣) .

والرفادة : هو شي كانت قريش تترافد به في الجاهليَّة ، أي : تتعاون فيخرج كل إنسان بقدر طاقته ، فيجمعون مالاً عظيًما ، فيشترون به الطَّعام والزبيب ، ويطعمون النَّاس ويسقونهم أيَّام موسم الحج (٤) .

فالروافد تعني الأسس المعينة للوصول إلى هدف محدد .

---

(١) انظر : لسان العرب ، ٣/ ١٨١ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ٣/ ١٨١ .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللُّغة ، ٢/ ٤٢١ .

(٤) انظر : النِّهاية في غريب الحديث والأثر ، ٢/ ٢٤٢ .

تعريف الروافد فى الاصطلاح :

هي الأسس التي تعين الباحث ، وتعطيه صورة كاملة عن الواقع الثقافي للمرحلة أو الفترة التي يريد دراستها وبحثها .



المطلب الثاني

علاقة الروافد بمصادر الثقافة الإسلاميَّة

إن المفهوم الثقافي لجميع شؤون الحياة ، يختلف فيه البشر بحسب معتقداتهم .

فالمفهوم الثقافي عند أصحاب العقائد المنحرفة ، وكثير من الفلاسفة يتسم بالغموض ، والتعقيد ، والفرضيات ، والتخمين ، والأساطير ، والأوهام ، ومجانبة الصِّدق .

لأَنَّهُ منبعث من نظرة بشرية محدودة لا تستوعب ذاتها فضلاً عن أن تستوعب غيرها .

ولهذا فالمفهوم الثقافي عندهم لا يرتكز على الحقائق الثابتة ، ولا يقوم على قواعد يقينية جازمة ، ولا ينبثق من مصادر صحيحة .

ولهذا كانت النتيجة ؛ تسفيه العقل ، وهدم القيِّم ، والاستهانة بكرامة الإنسان (١) .

أمَّا المفهوم الثقافي لجميع شؤون الحياة في الإسلام فهو مفهوم صحيح سليم شامل كامل صالح لكل زمان ومكان ؛ لأَنَّهُ منبعث من عقيدة ربانية شاملة ، متسمة بالوضوح والصدق ، واليقين ، وموافقة الفطرة .

ولذلك فهو يتمثل في حياة البشر نظامًا ، وخلقًا ، وجهادًا ، وحكمًا وقيادةً صالحة (٢) .

---

(١) انظر : لمحات في الثقافة الإِسلاميَّة ، من ص٥٣ ـ ص٥٤ .

(٢) انظر : لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص٥٥ .

فالثقافة الإِسلاميَّة بمصادرها الثابتة من القرآن الكريم الَّذي هو عماد الأمة ومنهجها [١] ، والسُّنَّة النَّبويَّة المأثورة الصَّحيحة من أقول النَّبيِّ ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلُقية والخِلْقية [٢] .

والسيرة النَّبويَّة الصَّحيحة الَّتي اشتملت على صفحات مشرقة من أعمال النَّبيِّ ﷺ ومغازيه وسيرته الشاملة في كل مناحي الحياة ، والتاريخ الإسلامي الَّذي سطره سلف هذه الأمة من الصَّحابة والتابعين ومن بعدهم .

والفقه المتعلق بالاستنباطات الشَّرعيَّة للأحكام العملية حتَّى مع تجدد مطالب الحياة وتنوعها [٣] .

واللغة العربيَّة هي أداة نشر الثقافة الإِسلاميَّة ، واللسان الناطق باسمها [٤] .

كل هذه المصادر الثابتة والأصيلة للثقافة الإِسلاميَّة تحتاج إلى أسس معينة لتحقيق الهدف ، والوصول إلى الغاية المثلى .

---

(١) انظر : الأصول الفكرية للثقافة الإِسلاميَّة ، ١/ ٩٧ ، د. محمود الخالدي ، دار الفكر ـ عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) انظر : الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، ص١٥ ، محمَّد أبو شهبة ، دار الفكر العربي .

(٣) انظر : حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ١/ ٨ ، عبد الرَّحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .

(٤) انظر : أضواء على الثقافة الإِسلاميَّة ، ص٦١ ، د. نادية العمري ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م . وانظر : الثقافة الإِسلاميَّة والتحديات المعاصرة ، ص٢٩ ، د. إيمان سعد الدِّين ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

فالروافد على تنوعها الاجتماعيَّة ، والإعلامية ، والدعوية ، والتعليمية مرجعها ومنبعها الأصيل هو مصادر الثقافة الإِسلاميَّة والَّتي في مقدمتها القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهرة .

فالروافد تتعاضد وتتعاون مع المصادر لتكوين وحدة مترابطة متناسقة ، لتتلائم مع فطرة الإنسان وحاجاته الروحية والعقلية والجسدية (١) ليتحقق الانسجام بين الفكر والوجدان من جهة ، وشؤون الحياة وأوضاعها من جهة أخرى (٢) ، فيتكون عند الإنسان النظرة الصَّحيحة المتزنة الشاملة للكون والإنسان والحياة ، الَّتي يكون من ثمارها العمل الصَّالح البناء المؤثر في المجتمعات جيلاً بعد جيل ، والَّذي يكون سبيلاً للوصول إلى الغاية الَّتي خُلِق من أجلها الإنسان وهي عبادة الله تعالى ، ليفوز بالجنة والدار الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين ﴾ (٣) .

❁❁❁

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص٣٥٢ ، الشَّيخ : محمَّد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) انظر : لمحات في الثقافة الإِسلاميَّة ، ص٥٦ .

(٣) سورة القصص ، الآية (٨٣) .

المبحث الثاني

الروافد التعليمية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: القراءة والكتابة .

المطلب الثاني: التلقي والرواية .

المطلب الثالث: المدينة منارة العلم والفتوى .

المطلب الأوَّل

القراءة والكتابة

قبل الهجرة النَّبويَّة كان عدد الَّذين يعرفون القراءة والكتابة قليلًا في المدينة المنورة ، فقد نُقل عن الواقدي قوله : ((كان الكتَّاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً)) [1] ، ومع ذلك فقد وجد جماعة من أهل يثرب يعرفون الكتابة فضلاً عن القراءة [2] .

قال البلاذري : ((جاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وهم : سعد بن عبادة بن دليم ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ـ كان يكتب العربيَّة والعبرانية ـ ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير ...)) [3] .

وبعد الهجرة النَّبويَّة زاد عدد الَّذين يقرؤون ويكتبون من المهاجرين والأنصار ، حتَّى إن كتَّاب النَّبيِّ ﷺ بلغوا اثنين وأربعين أو نحو ذلك ، كتبوا له عدة أمور منها : الوحي ، والصدقات ، والمداينات ، والمواثيق ، والصلح ، وغير ذلك [4] .

ولا يُستغرب إذا قيل : إن مستوى العرب الثقافي كان رفيعًا مع قلة الَّذين يقرؤون ويكتبون

---

(١) فتوح البلدان ، ص٤٥٥ .

(٢) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأوَّل والثَّاني للهجرة ، ص٤٧ .

(٣) فتوح البلدان ، ص٤٥٥ .

(٤) انظر : التربية العربيَّة الإِسلاميَّة المؤسسات والممارسات ، ص٦٢ ، د.أكرم ضياء العمري ، مؤسسة آل البيت .

فيهم ، بل كان ذلك أدعى إلى الحفظ في الصدور وحدَّة الفكر واعتماد السليقة ، فلا بدَّ من التمييز بين ((الثقافة)) و ((تعلم الكتابة)) ، فالعلم والتقاليد يمكن نقلها من جيل إلى آخر عن طريق التواصل بين الأجيال حتَّى في المجتمعات الأمية ، وقد قام العرب بنقل التراث الثقافي في المجتمع العربي قبل الإسلام ، وكانت الأسمار في مجلس القبيلة الَّذي يحضره الشعراء ، والنسابون ، والإخباريون ، وكذلك ما تقوم به الأسواق الأدبية ، والَّتي تجتمع القبائل تتناشد الأشعار ، وتزهو بأخبار الكرم والشجاعة والمروءة ، كان ذلك كله من أهم وسائل نقل التراث والتلاقح الثقافي واللغوي الَّذي مهد فيما بعد لفهم القرآن الكريم [١] .

ولقد كان تعلم القرآن الكريم وتعليمه سببًا قويًا في الاهتمام بالقراءة والكتابة والعلم ، فعلى إثر بيعة العقبة الأولى والَّتي بايع فيها جماعة من الأوس والخزرج رَسُول الله ﷺ بعث معهم النَّبيُّ ﷺ مصعب بن عمير ﷺ ليعلمهم قراءة القرآن ممَّا وسع ذلك حركة القراءة [٢] .

قال ابن هشام عن مهمة مصعب ﷺ : ((وبعث رَسُول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدِّين ، فكان يسمى (المقرئ) في المدينة)) [٣] .

وقام بواجب تعليم القراءة لأهل المدينة أيضًا عبد الله بن أم كلثوم الَّذي جاء إلى المدينة بعد

(١) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص٤٨ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٤٨ .

(٣) السيرة النَّبويَّة ، ١/ ٤٣١ ، لابن هشام .

مصعب ((فجعلا يقرئان النَّاس القرآن)) [١] .

ثمَّ بادر النَّبيُّ ﷺ بعد هجرته للمدينة المنورة وأمر بعض المتعلمين من المسلمين بتعليم الآخرين ، وأمر بعض الأسرى ببدر بتعليم شباب الأنصار الكتابة مقابل مفاداتهم ، وأرسل المعلمين وسط الأخطار إلى البوادي للدعوة ولتعليم النَّاس القرآن وتفقيههم الدِّين [٢] .

وكان عبادة بن الصامت ﵁ ممَّن علَّم أهل الصفة في المسجد النبوي ، وكان يقول : ((علمت ناسًا من أهل الصفة الكتابة والقرآن)) [٣] .

وذكر عبادة ﵁ أن جماعة من الصَّحابة شاركوا في تعليم وفود القبائل العربيَّة الوافدة إلى المدينة ، ومن كان يهاجر إليها .

قال عبادة ﵁ : ((كان رَسُول الله ﷺ يُشْغَلُ ، فإذا قدم الرَّجل مهاجرًا على رَسُول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا نُعلمه القرآن)) [٤] .

وكذلك كان من روافد التَّعليم في المسجد النبوي للقراءة أبي بن كعب الَّذي علَّم وفد غامد القرآن [٥] .

---

(١) الطبقات ، ١/ ١٨١ ، لابن سعد .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٣/ ٣٩٧ .

(٣) انظر : التربية العربيَّة الإسلاميَّة المؤسسات والممارسات ، ص٦٤ .

(٤) تاريخ دمشق ، ١٠/ ٢٣٧ .

(٥) انظر : طبقات ابن سعد ، ١/ ٢٦٠ .

ـ وهكذا كان الاهتمام بالقرآن والكتابة في العهد النبوي الَّذي كان سببًا في تكوين قاعدة واسعة من المتعلمين في العهد الراشدي ممَّا جعل الخلفاء الراشدين يهتمون بتعليم الصِّبيان في الكتاتيب القراءة والكتابة ، وكان الفاروق عمر ﷺ يحث على تعليم الصِّبيان الكتابة والقراءة ، ويدل على ذلك قصة الأعرابي الَّذي أرسله الخليفة عمر ﷺ إلى الكتّاب فقال :

فخطُّوا لي أبا جادٍ وقالوا ۞ تعلم سَعْفَصًا وقُرَيِّشات

وما أنا والكتابةَ والتهجِّي ۞ وما حظُّ البَنينَ من البناتِ (١)

وهذا يعني أَنَّهم يتعلمون الحروف على الطَّريقة الأبجدية كتابة وقراءة ، وذلك أمر طبيعي لكي يحفظوا القرآن (٢) .

ـ ولقد زاد الاهتمام بالقراءة والكتابة مع اتساع الفتوحات الإِسلاميَّة ، فكانت المدن المفتوحة عامرة بالكتاتيب وحلق العلم .

۞۞۞

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، ٧/ ٤٠٢ ، محمَّد الزَّبيدي ، دار الهداية .

(٢) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص٧٠ .

المطلب الثاني

التلقي والرواية

لقد اهتم الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بتلقي القرآن مشافهة من النَّبيِّ ﷺ ، وتعليمه للناس ، وذلك من خلال ما يتلى عليهم من آيات القرآن العظيم ، كقول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُون ﴾ [١] ، وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ [٢] ، وكذلك من خلال الواقع التربوي النبوي بالترغيب في تعلم القرآن وتعليمه، والترهيب من نسيانه والغفلة عنه . كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » [٣] ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلاَّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** » [٤] ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **بئس ما لأحدهم**

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٤٩) .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٢٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، رقم الحديث (٥٠٢٧) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم الحديث (٢٦٩٩) .

أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل نسي واستذكروا القرآن ، فإنَّه أشد تفصيًا [١] من صدور الرِّجال من النعم [٢] » [٣] .

كل هذه النّصوص وغيرها كانت حافزًا في تعلم القرآن وحفظه وروايته وتعليمه .

بل إن هذا الاهتمام العظيم من الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ للقرآن الكريم شمل أيضًا السُّنَّة المطهرة .

وذلك لأن الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عرفوا أن أقوال النَّبيِّ ﷺ وأفعاله جزء من الدِّين الَّذي يدينون به لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [٤] ، وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا ﴾ [٥] .

بالإضافة إلى أن النَّبيَّ ﷺ كان يحوطهم بتوجيهاته ، ويحثهم على الاهتمام بالسنة المطهرة وحفظها وتبليغها .

فكان يقول لهم عليه الصَّلاة والسَّلام : « **نضّر الله امرءاً سمع منا حديثًا فحفظه حتَّى**

---

(١) معنى تفصيًا : أي أشد خروجًا . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ٣/ ٤٥٢ .

(٢) النَّعَمْ واحد من الأنعام ، وهي المال الراعية ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل . مختار الصحاح ، ص٣١٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ، رقم الحديث (٥٠٣٢) .

(٤) سورة الحشر ، الآية (٧) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .

يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » [١] .

وكان يحذرهم عليه الصَّلاة والسَّلام من الغلط في التحمل والأداء بقوله : « **من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النَّار** » [٢] .

وكان ينبههم ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، أَنَّهم سيحتاجون إلى السُّنَّة حيث تتتابهم أمور لن يجدوا حلها صريحًا في كتاب الله العزيز ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري ممَّا أَمَرْتُ به أو نَهَيْتُ عنه فيقول : لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه** » [٣] ، وقد زاد من اهتمام الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالسنة المطهرة نزول كثير من الآيات القرآنية المشتملة على بعض الأحكام ، والَّتي لا يمكن معرفة تفاصيلها وكيفياتها كالصَّلاة ، والحج ، ومقادير الزَّكاة ، إِلاَّ بالرجوع إلى السُّنَّة المطهرة .

فكانت السُّنَّة مفصلة وشارحة لمجمل الآيات ، وموضحة لمبهمها ، ومخصصة لعمومها ، ومقيدة لمطلقها [٤] ، كقول الله تعالى في الوصية : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [٥] ، فقد

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ، رقم الحديث (٣٦٦٠) . وصححه الشَّيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، ١/ ٧٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النَّبيِّ ﷺ ، رقم الحديث (١٠٧) .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب السُّنَّة ، باب في لزوم السُّنَّة ، رقم الحديث (٤٦٠٥) .
وحسنه الترمذي في سننه ، ٤/ ٣٣٤ ، وصححه الشَّيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، ١/ ٥٧.

(٤) انظر : توثيق السُّنَّة في القرن الثَّاني الهجري أسسه واتجاهاته ، ص٢٤ ، رفعت فوزي ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى .

(٥) سورة النِّساء ، الآية (١١) .

قيدتها سنة النَّبيِّ ﷺ بالثلث ولا تكون لوارث [١] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد وردت في السُّنَّة المطهرة أحكامًا لم تذكر في القرآن الكريم ، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، وتحريم أكل كل ذي ناب من السباع ، وجواز أكل الضب والضبع ، وغير ذلك من الأحكام [٢] .

كل هذه الأمور الَّتي سبقت كانت رصيدًا علميًا للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في معرفة أهميَّة السُّنَّة المطهرة ، وحافزًا قويًا للاهتمام بها وحفظها وصيانتها وروايتها ونشرها ووضع الضَّوابط في التحمل والرواية .

ولذلك فقد حرصوا على حضور مجلس النَّبيِّ ﷺ لسماع الأحاديث ، حتَّى مع انشغالهم فإنَّهم يتناوبون لحضور مجلسه ، ويبلغ الشَّاهد منهم الغائب ، كما كان عمر بن الخطاب وجاره من الأنصار ـ رضي الله عنهما ـ يتناوبان في النزول لمجلس النَّبيِّ ﷺ [٣] ، وكان لا يمل أحدهم أن يسمع الحديث من الرَّسول ﷺ أكثر من مرة [٤] ، وكان بعضهم يلزم رَسُول الله ﷺ حتَّى لا يفوته شيء كثير من السُّنَّة المطهرة كأبي هريرة رضي الله عنه الَّذي قال النَّاس فيه : أكثر أبو هريرة من رواية الحديث ، فكان يقول : إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رَسُول الله ﷺ

---

(١) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء ... حديث رقم (٢٧٤٢) .

(٢) انظر : إعلام الموقعين ، ٢/ ٢١٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ، رقم الحديث (٨٩) .

(٤) انظر : توثيق السُّنَّة في القرن الثَّاني الهجري ، ص٢٧ .

بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون [١] .

ولشدة اهتمامهم بأخذ السُّنَّة وروايتها فقد وضعوا بعض **الضَّوابط المهمَّة للحفاظ على السُّنَّة** لإيصالها صحيحة للأجيال من بعدهم ، ومن هذه الضَّوابط :

١ ـ التثبت من الراوي والمروي ، والأخذ من الضابطين والحافظين ، ولهذا كانوا يشددون على من يروي الأحاديث الَّتي لم يسمعها بعضهم من رَسُول الله ﷺ ، يقول البراء بن عازب ﷺ [٢] : ((ما كل الحديث سمعناه من رَسُول الله ﷺ ، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل ، وأصحاب رَسُول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رَسُول الله ﷺ فيسمعونه من أقرانهم ، ومن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه)) [٣] .

وقصة أبي سعيد الخدري مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ في الاستئذان تدل على ذلك [٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم ، رقم الحديث (١١٨) .

(٢) هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي ، له ولأبيه صحبة ، رده النَّبيُّ ﷺ في غزوة بدر لصغر سنه ، ولكنه شهد مع النَّبيِّ ﷺ خمس عشر غزوة ، وهو الَّذي افتتح الري ، ومات في إمارة مصعب بن عمير سنة اثنتين وسبعين . الإصابة ، ١/ ٤١١ .

(٣) معرفة علوم الحديث ، ص١٤ ، لأبي عبد الله الحاكم ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

(٤) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التَّسليم والاستئذان ثلاثًا ، رقم الحديث (٦٢٤٥)

ـ وليس معنى هذا التشدد ، وذلك التمحيص ، أَنَّهم كانوا يكذبون ناقل الحديث إليهم ، فلم يثبت أن أحدًا من الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ رمى أخاه بالكذب على رَسُول الله ﷺ ، وإنما كانوا يخشون الخطأ في نقل الحديث [١].

ولهذا فقد نفى بعضهم الكذب عنه وعن إخوانه من الصَّحابة ، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه : ولكن النَّاس لم يكونوا يكذبون يومئذٍ ، فيحدث الشَّاهد الغائب ، وفي رواية : لم نكن نكذب [٢] .

ويقول أنس رضي الله عنه : ((ولكن كان يحدث بعضنا بعضًا ولا يتهم بعضنا بعضًا)) [٣] .

وتقول عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ : ((ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رَسُول الله ﷺ من الكذب)) [٤] .

٢ ـ الإقلال من الرِّواية كراهية أن يشتغل النَّاس برواية الحديث وينصرفوا عن تلاوة القرآن ، وخشية الوقوع في الخطأ والتحريف في السُّنَّة [٥] استنادًا لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام :

---

(١) انظر : توثيق السُّنَّة في القرن الثَّاني الهجري ، ص٣٠ .

(٢) انظر : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، ص٢٣٥ ، أبو محمَّد الرامهرمزي ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، ١/ ١١٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ٦/ ١٥٢ . وقال عنه شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشَّيخين ـ في تعليقه على مسند الإمام أحمد ـ مؤسسة قرطبة.

(٥) انظر : كتابة السُّنَّة النَّبويَّة في عهد النَّبيّ ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السُّنَّة النَّبويَّة ، ص٢٥ ، أحمد بن عمر هاشم ، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

« كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع »[١] .

٣ ـ الاهتمام بسماع الأحاديث مباشرة من حاملها ، لأنَّهُم كانوا يعتبرون السماع أعلى درجات الصحَّة ، ولهذا فقد اهتموا بالرحلة في طلب الحديث ، فرحل جابر بن عبد الله [٢] مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس [٣] في الشَّام من أجل حديث واحد ، قال جابر لعبد الله بن أُنيس عندما وصل الشَّام : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رَسُول الله ﷺ ، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه [٤] .

والأدلة كثيرة على حرص الصَّحابة وكبار التَّابعين على الرحلة في طلب الحديث وتحمله وروايته [٥] .

٤ ـ الحرص على المراجعة والمذاكرة وإتقان الحفظ ، قال علي رضي الله عنه : ((تزاوروا ، وأكثروا ذكر الحديث ، فإنكم إن لم تفعلوا يندرس الحديث)) [٦] .

ـ وهكذا كان للاهتمام بتلقي الحديث وروايته أثر على الحركة العلميَّة والفكرية في العصر

---

(١) صحيح مسلم ، مقدِّمة الإمام مسلم ، باب النَّهي عن الحديث بكل ما سمع ، ١/ ١٠ .

(٢) هو جابر بن عبد الله الأنصاري ، الصحابي المشهور . الإصابة ، ١/ ٥٤٥ .

(٣) هو عبد الله بن أُنيس ـ بضم الهمزة ـ الجهني ، حليف الأنصار . الإصابة ، ٤/ ١٣ .

(٤) الأدب المفرد ، ص٥٣٩ . وقد حسَّنه الشَّيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد ، ص٣٧١ .

(٥) انظر بتوسع : الرحلة في طلب الحديث ، ص٧١ ، الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ .

(٦) معرفة علوم الحديث ، للحاكم ، ص١٤١ .

الراشدي ، وما بعده من العصور .

وكان من نتائج ذلك اتساع دائرة العلم والمعرفة والاهتمام بالحديث رواية ودراية ، وإنشاء الكتاتيب والمدارس ، وحلق العلم ، واتساع الرحلة في طلب الحديث .



المطلب الثالث

المدينة منارة العلم والفتوى

أولا : الموقع :

تقع المدينة في إقليم الحجاز من جزيرة العرب ، وهي عبارة عن واحة تقع في منخفض مستوٍ من الأرض تحيط بها حرتان من الشرق والغرب .

ولقد امتازت المدينة بموقعها الهام على طريق التِّجارة المتجه إلى الشَّام واليمن ، وتمتاز المدينة بكثرة الأودية ، والآبار ، والعيون ، ممَّا جعلها تتفوق على مكة وغيرها في المجال الزراعي [(١)] .

وإن كانت مكة تتفوق عليها بتوسط موقعها بين الشَّام واليمن ، والَّذي جعل منها مركزًا تجاريًا هامًا ، بالإضافة إلى وحدة السكان في مكة ، ووجود البيت الحرام بها ، وتنافس النَّاس لخدمته وخدمة زواره ، ممَّا جعل مكة أقدر من المدينة على التفوق التِّجاري ، والثقافي ، وأظهر في التنظيم الإداري [(٢)] .

---

(١) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأَوَّل والثَّاني الهجري ، ص١٣ .

(٢) انظر مكة والمدينة في عهد الجاهليَّة وعهد الرَّسول ﷺ ، ص٢٥ ، د. أحمد شريف ، دار الفكر العربي .

ثانيا: الحالة الاجتماعية:

كان يسكن المدينة قبيلتا الأوس والخزرج العربيتان [١] ، وشرذمة من قبائل اليهود ، وهم قبيلة : قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، والَّتي يبلغ عدد رجال هذه القبائل اليهودية أكثر من ألفي رجل [٢] .

كان اليهود وقبيلتا الأوس والخزرج يتجاوران مجاورة المترقب الحذر ، وكان العامل الاقتصادي هو المتحكم في العلاقات بين قبيلتي الأوس والخزرج من جهة ، واليهود من جهة أخرى ، ممَّا أدى ذلك إلى النزاع الاقتصادي بينهم الَّذي نتج عنه تغلب العرب على اليهود ، وانتقال السلطة إلى أيديهم [٣] .

ولم تسلم قبيلتا الأوس والخزرج من التنازع فيما بينهما على الرياسة واحتلال مركز الصدارة في المدينة ، فقد تملك الأوس أفضل الأراضي الزراعية ، وأصبح الوضع الاقتصادي في مصلحتهم ، ولذلك لم يقبل الخزرج أن تكون للأوس هذه المنزلة [٤] .

فكان العامل الاقتصادي هو المتحكم في توجيه العلاقات العامَّة بين السكان في المدينة ، حتَّى إن لُحمة الدم لم تستطع أن تتغلب على الدوافع الاقتصاديّة الَّتي كانت كثيرًا ما تثير النزاع

(١) الَّذي يرجع نسبهما إلى قبيلة الأزد اليمنية . انظر : نسب عدنان وقحطان ، ص٢١ ، محمَّد المبرد ، نشر مطبعة لجنة التأليف والتَّرجمة ، الهند ، عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م .

(٢) انظر : السيرة النَّبويَّة ، ١/ ٥١٣ ، لابن هشام .

(٣) انظر : مكة والمدينة في عهد الجاهليَّة وعهد الرَّسول ﷺ ، ص٢٧٠ .

(٤) انظر المرجع السَّابق ، ص٢٧٩ ، ٢٨١ .

فيما بينهم .

بالإضافة إلى تعرض المدينة من حين لآخر إلى غارات القبائل البدوية لنهب خيراتها ، فكان أهل المدينة يصدونها بقوة السِّلاح [١] .

وهكذا كانت المدينة تغلي بالخلافات وتضارب المصالح والأهواء في الداخل والخارج .

وكان من نتائج الخلافات والنزاعات الداخلية بين الأوس والخزرج مقتلة يوم بعاث [٢] التي أصابت الفريقين بأضرار كثيرة من القتل ، وهلاك الأموال ، وتمزيق الوحدة ، ممَّا جعل كثيرًا من الزعماء وذوي النفوذ من الأوس والخزرج التفكير في المسالمة والمصالحة ، والميل إلى الاتحاد والتقارب ، ونبذ الفرقة ، ودحر الفتنة والعدوان ، حتَّى أَنَّهم أرادوا أن يملكوا عليهم جميعًا ملكًا من الخزرج [٣] .

فكان يوم بعاث إرهاصًا لقبول الأوس والخزرج دعوة النَّبيِّ ﷺ ، قالت عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ : ((كان يوم بعاث يومًا قدَّمه الله لرسوله ﷺ ، فقَدِم رَسُول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم ، وقُتِّلت سرواتهم [٤] ، وجرحوا ، فقدَّمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام)) [٥] .

---

(١) انظر : مكة والمدينة في عهد الجاهليَّة ، ص٣٨٤ .

(٢) بُعاث : هو موضع بالمدينة ، وقع فيه المقتلة العظيمة بين الأوس والخزرج . انظر : السيرة النَّبويَّة ، ٢/ ١٧٥ ، لابن كثير .

(٣) انظر : مكة والمدينة في عهد الجاهليَّة ، ص٢٨٦ .

(٤) سرواتهم أي : أشرافهم . انظر : لسان العرب ، ١٤/ ٣٨٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب الأنصار ، رقم الحديث (٣٧٧٧) .

بل كان وجود اليهود في المدينة وبشارتهم بقرب زمان بعثة نبي ، وأنهم سوف يؤمنون به ويقتلون الأوس والخزرج قتل عاد وإرم [(١)] .

كان كل ذلك إرهاصًا لأيمان الأوس والخزرج بالنَّبيِّ ﷺ ، وحماية دعوته [(٢)] .

ولقد كان من نتائج إيمانهم بالنَّبيِّ ﷺ اتحادهم ، وتقاربهم ، واجتماعهم ، ونبذ الفرقة ودحر الفتنة وإيقاف الحروب التي كانت بينهم .

ولقد تحلى الأوس والخزرج بالقوة والسِّلاح ، وشدة البأس والجَلَدِ في الحروب [(٣)] .

وقد اكتسبوا ذلك من خلال النزاعات والحروب الَّتي خاضوها فيما بينهم ، ومن خلال الدفاع عن المدينة من غارات الأعراب والَّتي أكسبتهم البصر بالحروب ، والشجاعة في خوضها [(٤)] .

وقد اشتهر بين سكان جزيرة العرب أن المدينة دار منعة ، وأهلها أهل حلقة وبأس .

ولذلك لم تبال الأوس والخزرج عند مبايعتهم للنبي ﷺ ، وحماية دعوته ممَّا أشفقت منه قبائل العرب من عداوة قريش ومواليها ، بل لم تبال بالعلاقات الاجتماعيَّة الوثيقة الَّتي كانت تربطها بأهل مكة ، والَّتي تجاوزت الآباء والأمهات إلى أبنائهم وأحفادهم ، وهي علاقات

---

(١) انظر : صحيح السيرة النَّبويَّة ، ص٥٧ ، الشَّيخ الألباني ، المكتبة الإِسلاميَّة ـ الأردن ، الطبعة الأولى .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٧ .

(٣) انظر : مكة والمدينة في عهد الجاهليَّة وعهد الرَّسول ﷺ ، ص٢٨٥ .

(٤) انظر المرجع السَّابق ، ص٢٨٦ .

مصاهرة ، وأحلاف ، وجوار ، وصداقات ومشاورات في بعض القضايا الخلافية بين الأوس والخزرج للإصلاح والحكم فيها (١) .

وهذا ما جعل العبَّاس ﷺ يستوثق من الأنصار على حماية النَّبيِّ ﷺ في بيعة العقبة الثَّانية (٢) .

فكان موقف الأوس والخزرج موقف الشجاع الثابت على دينه ، المدافع عن نبيه ودعوته بالأموال والأرواح ، فكان ذلك قوة وشرفًا لهم في الدّنيا والآخرة .

مكانة المدينة في العصر النبوي

لقد تغير حال المدينة بعد هجرة النَّبيِّ ﷺ إليها .

فأصبحت مدينة رَسُول الله ﷺ ، وحصنه الحصين ، وقاعدة انطلاق دعوته إلى العالمين .

قال أنس بن مالك ﷺ : ((لما كان اليوم الَّذي دخل فيه رَسُول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ...)) (٣) .

---

(١) انظر : العلاقات الاجتماعيَّة بين مكة والمدينة منذ ما قبل الإسلام حتَّى فتح مكة ، ص٢٩٠ ، إلهام البابطين ، من مجلة جامعة الملك سعود ، نشر في ٢١/ ١/ ١٤٢٦هـ .

(٢) السيرة النَّبويَّة ، ١/ ٤٤١ ، لابن هشام .

(٣) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب فضل النَّبيِّ ﷺ ، رقم الحديث (٣٦١٨) . وقال عنه الترمذي : هذا حديث غريب صحيح . وصححه الشَّيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، ٣/ ١٦٨١ .

فعندما استقر النَّبيّ ﷺ بالمدينة قام ببعض الأعمال الإدارية ، والسياسية، والاجتماعية ، والاقتصادية ، لتكوين المجتمع المدني الجديد ولمّ شمله ، وتأسيس الدَّولة الإِسلاميَّة وعاصمتها المدينة الَّتي خصها النَّبيُّ ﷺ ببعض الفضائل والأسماء تمييزًا لها ورفعًا لشأنها .

ومن أهم هذه الفضائل والأسماء :

أولاً : أهم الأسماء الَّتي سُميت بها المدينة :

لقد ورد في كتب التَّاريخ والفضائل أسماء كثيرة للمدينة بعضها ثبت في الصَّحيح ، وبعضها ضعيف [(١)] ، وبعضها عُرِفَ قبل الإسلام .

وقد أورد هذه الأسماء واستقصاها : علي السمهودي [(٢)] ، وقال : ((إن كثرة الأسماء تدل على شرف المُسمَّى ، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة)) [(٣)] .

والَّذي يهمنا هنا ذكر أشهر الأسماء لمدينة الرَّسول ﷺ ، ومن أشهر هذه الأسماء :

١ ـ يثرب : وقد عُرِف هذا الاسم واشتهر قبل الإسلام ، وفي الإسلام ورد النَّهي عن تسميتها بهذا الاسم ، فقد روى أبو هريرة ﷺ قال : قال رَسُول الله ﷺ : « **أُمرت بقرية تأكل**

---

(١) انظر : الأحاديث الواردة في فضائل المدينة ، ص٣٠١ ، د. صالح الرفاعي ، دار الخضير .

(٢) هو علي بن عبد الله الشَّافعيّ ، مؤرخ المدينة ، ولد في سمهود بصعيد مصر ، واستوطن بالمدينة ، ومات بها سنة ٨٧٣هـ . انظر : الإعلام ، ٤/ ٣٠٧ ، للزركلي .

(٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ١/ ١٣ .

القِرَى ، يقولون يثرب ، وهي المدينة ، تنفي النَّاس كما ينفي الكير خبث الحديد » [١] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ((وسبب هذه الكراهة لأن يثرب إمَّا من التثريب الَّذي هو التوبيخ والملامة ، أو الثَّرْب وهو الفساد ، وكلاهما مستقبح ، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح)) [٢] .

٢ ـ طابة وطيبة : **عن جابر بن سمرة ﷺ قال : سمعت رَسُول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى سمى المدينة طابة »** [٣] .

ومن حديث زيد بن ثابت ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال : **« إنها طيبة تنفي الذنوب ، كما تنفي النَّار خبث الفضة »** [٤] .

ـ وتسمية المدينة بطابة وطيبة دال على فضلها لأنَّهَا إمَّا من الطيب وهو الرائحة الحسنة ، وإما من طيب العيش بها ، أو لحلول الطَّيِّب ﷺ بها ، أو لغير ذلك من الأقوال الَّتي ذكرها العلماء في

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ، رقم الحديث (١٨٧١) .

(٢) فتح الباري ، ٤/ ٨٧ ، لابن حجر العسقلاني . وورد في مسند الإمام أحمد ، ٤/ ٢٨٥ ، من حديث البراء بن عازب أن النَّبيَّ ﷺ قال : ((من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ﷻ ، هي طابة هي طابة)) . وقد وثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد ، ٣/ ٣٠٠ ، وأشار إليه ابن حجر في كتابه القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد ، ١/ ٤٠ ، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ . وضعفه الشَّيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ١٠/ ١٢١ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها ، رقم الحديث (١٣٨٥) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ، رقم الحديث (٤٠٥٠) .

هذا المعنى [١] .

٣ـ المدينة : إذا أطلق هذا الاسم فهو علم على اسم مدينة الرَّسول ﷺ ولا يستعمل فيها إلاَّ معرفة [٢] .

قال ابن منظور : ((المدينة : اسم مدينة سيدنا رَسُول الله ﷺ ، خاصة غلبت عليها تفخيمًا لها)) [٣] .

وسبب تسميتها بهذا الاسم ، لأن النَّبيّ ﷺ سكنها ، وله دانت الأمم ولأمته [٤] .

وقد سماها الله تعالى بهذا الاسم في كتابه العزيز ، وسماها النَّبيُّ ﷺ في سنته المطهرة ، ويدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ الله ﴾ [٥] ، وقول الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ [٦] ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها** » [٧] ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو**

---

(١) انظر وفاء الوفاء للسمهودي ، ١/ ٢٠ ، والأحاديث الواردة في فضائل المدينة للرفاعي ، ص٣٠٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٢٦ .

(٣) لسان العرب ، ١٣/ ٤٠٢ .

(٤) انظر : وفاء الوفاء ، ١/ ٢٦ .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١٢٠) .

(٦) سورة المنافقون ، الآية (٨) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الإيمان يأرز إلى المدينة ، رقم الحديث (١٨٧٦) .

أشد » [١] ، وغيرها من الآيات والأحاديث .

ب ـ بعض فضائل المدينة :

ورد في فضائل المدينة أحاديث كثيرة أبرزت أهميتها وفضلها وجعلت النَّاس يحرصون ويتوافدون لسكناها .

ومن أهم هذه الفضائل :

١ ـ تحريم المدينة ، والدعاء لها بالبركة وإثم من أحدث فيها أو آوى محدثًا : قال رَسُول الله ﷺ : « **إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرَّمتُ المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السَّلام لمكة** » [٢] .

وسُئل أنس ﷺ أَحرَّم رَسُول الله ﷺ المدينة ؟ قال : نعم ، ما بين كذا إلى كذا ، **لا يقطع** شجرها ، من أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين [٣] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة** » [٤] .

٢ ـ حماية المدينة من الدجال والطاعون : قال رَسُول الله ﷺ : « **على أنقاب المدينة**

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مقدم النَّبيّ ﷺ وأصحابه المدينة ، رقم الحديث (٣٩٢٦) .

(٢) المرجع السابق ، كتاب البيوع ، باب بركة صاع النَّبيّ ﷺ ومده ، رقم الحديث (٢١٢٩) .

(٣) المرجع السابق ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، باب إثم من آوى محدثًا ، رقم الحديث (٧٣٠٦) .

(٤) المرجع السابق ، كتاب الحج ، باب المدينة تنفي الخبث ، رقم الحديث (١٨٨٥) .

ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال »[(١)] .

٣ ـ فضل سكناها والموت فيها ، وأنَّها تنفي خبثها : قال رَسُول الله ﷺ : « يأتي على النَّاس زمان يدعو الرَّجل ابن عمه وقريبه : هَلُمَّ إلى الرخاء ، هَلُمَّ إلى الرخاء ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، والَّذي نفسي بيده ، لا يخرج منهم أحدٌ رغبةً عنها إلاَّ أخْلَفَ الله فيها خيرًا منه ، ألا إن المدينة كالكير ، تُخْرِجُ الخبيث ، لا تقوم السَّاعة حتَّى تنفي المدينة شرارها ، كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد »[(٢)] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلاَّ كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة »[(٣)] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشفع لمن مات بها »[(٤)] .

٤ ـ الدعاء على من ظلم أهلها أو أراد أهلها بسوء : قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء ـ يعني المدينة ـ أذابه الله كما يذوب الملح في الماء »[(٥)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب لا يدخل الدجال المدينة ، رقم الحديث (١٨٨٠).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها ، رقم الحديث (١٣٨١) .

(٣) المرجع السابق ، كتاب الحج ، باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم الحديث (١٣٧٧) .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ٢/ ٧٤ ، حديث (٥٤٣٧) . وصححه الشَّيخ الألباني في الجامع الصَّغير وزيادته ، ٢/ ١٠٤٠ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب من أراد بالمدينة بسوء ، رقم الحديث (١٣٨٦) .

٥ ـ الأحاديث الواردة في فضل الصَّلاة في المسجد النبوي : قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام » [١] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » [٢] .

٦ ـ أروز الإيمان إلى المدينة : قال رَسُول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » [٣] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » [٤] .

الحياة العلميَّة في المدينة ونتائجها

أولاً : الحياة العلميَّة في العصر النبوي :

لقد أسس النَّبيُّ ﷺ الحياة العلميَّة في المدينة وأرسى معالمها ، ونوَّع وسائلها التربوية والتعليمية ، وحثَّ النَّاس على التعلم والتعليم والعمل ، وكان أوَّل عمل قام به النَّبيُّ ﷺ عند وصوله للمدينة هو بناء المسجد الَّذي جعله مكانًا للعبادة ، ومنطلقًا للجهاد ، وجامعة لتعليم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب فضل الصَّلاة في مسجد مكة والمدينة ، رقم الحديث (١١٩٠) .

(٢) المرجع السابق ، كتاب الجمعة ، باب فضل ما بين القبر والمنبر ، رقم الحديث (١١٩٥) .

(٣) المرجع السابق ، كتاب الحج ، باب الإيمان يأرز إلى المدينة ، رقم الحديث (١٨٧٦) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، رقم الحديث (١٤٦) .

القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة ، والأحكام والآداب [(١)] .

وقد ورد في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة كثير من الآيات والأحاديث الَّتي تحث على العلم ، وتبين مكانته ، وثواب تعلمه ، كقول الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَق ﴾ [(٢)] ، وكانت هذه أوَّل آية نزلت من القرآن الكريم .

وقول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾ [(٣)] .

وقول الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ الله الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [(٤)] .

ومن السُّنَّة قول النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ : « **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة** » [(٥)] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين** » [(٦)] .

وغير ذلك من الآيات والأحاديث في فضل العلم والحث على تعلمه .

لقد كان النَّبيُّ ﷺ رائد التَّعليم الأَوَّل في المدينة .

---

(١) انظر : التَّعليم في المدينة المنورة ، ص٩٧ ، ناجي الأنصاري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

(٢) سورة العلق ، الآية (١) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٩) .

(٤) سورة المجادلة ، الآية (١١) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم الحديث (٢٦٩٩) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرًا ... رقم الحديث (٧١) .

وكانت الحياة العلميَّة في المدينة في العصر النبوي تدور في فلك القرآن الكريم ، فكان النَّبيُّ ﷺ يتلقاه من الوحي ، ويبلغه الصَّحابة فيتعاهدونه بالحفظ والكتابة ، ثمَّ إنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يبين لهم أحكامه ويفسر لهم ما يحتاجون إلى فهمه ، ويقرؤونه عليه [١] .

وكان النَّبيُّ ﷺ يقوم بتربية الصَّحابة وإعدادهم للتعليم والتدريس والدعوة ، وقيادة الأمة الإِسلاميَّة ، وتحمل المسؤولية ، فكان عليه الصَّلاة والسَّلام منذ اللحظات الأولى يُشْرِكُ الصَّحابة معه في المسؤولية وفي تحملها ، وفي اتخاذ القرارات الهامة في اللحظات التاريخية الحاسمة في حياة الأمة ، وذلك عن طريق الشورى والتعليم والدعوة ليكتسبوا الخبرة والمعرفة والدراية لمواجهة المشاكل الَّتي تطرأ على الدَّولة الإِسلاميَّة ، ولتحمل المسؤوليات الاجتهادية بعد وفاته عليه الصَّلاة والسَّلام [٢] .

ولذلك كان النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام يحث الصَّحابة على تعليم بعضهم بعضًا ، وتعليم من يأتي إلى المدينة وافدًا معلنًا إسلامه ، وكان يكلفهم ببعض الأعمال الدعوية والعلمية مثلما أرسل معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن وإلى مكة [٣] ، ومثلما أرسل أبا عبيدة بن الجراح لأهل نجران [٤] .

---

(١) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأَوَّل والثَّاني ، ص٤٨ .

(٢) انظر : فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ومناهجهم الاجتهادية ، ص١٥ ، د.حميدان الحميدان ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد الخامس ، ١٤١١هـ .

(٣) انظر : الإصابة ، ٤/ ٣٠٥ .

(٤) انظر : الطبقات الكبرى ، ٣/ ٣١٤ ، لابن سعد .

فكان النشاط التعليمي مشاركة بين النَّبيِّ ﷺ وأصحابه الكرام ، فكان بعضهم يمارس الفتيا والاجتهاد بأمر من النَّبيِّ ﷺ وعلى مرأى منه ومسمع [١] .

روي عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ((أنَّه سُئل : من كان يفتي في زمن رَسُول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما)) [٢] .

وروي أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا كانوا يفتون على عهد رَسُول الله ﷺ [٣] .

وكان لأهل الصفة دور في هذا النشاط التعليمي ، فكان جماعة منهم يقرؤون القرآن ويتدارسونه بالليل ويتعلمونه ويعلمونه .

وممن اشتهر بذلك عبد الله بن مسعود ، وسالمٌ مولى أبي حذيفة ، وعقبة بن عامر الجهني ، وغيرهم [٤] .

وقد أطلق على من يحفظون القرآن ويتدارسونه بالقراء [٥] .

وكان لبعض الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أيضًا مشاركة في هذا النشاط التعليمي الَّذي كان يعقد في المسجد النبوي كعبد الله بن رواحة الأنصاري ﷺ الَّذي كان يدعو بعض الصَّحابة

---

(١) انظر فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ، ص١٦ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ، ٢/ ٢٥٤ ، لابن سعد .

(٣) انظر : المرجع السَّابق ، ٢/ ٢٥٥ .

(٤) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأَوَّل والثَّاني ، ص٤٩ .

(٥) انظر : المرجع السَّابق ، ص٤٩ .

ليعقد مجالس ليتذاكر فيها معهم الإيمان بالله وأمور الإسلام [١] .

وعبادة بن الصامت ، وأبي بن كعب الَّذي علَّم وفد غامد القرآن عندما وفدوا على النَّبيِّ ﷺ لإعلان إسلامهم [٢] .

هؤلاء هم بعض صحابة رَسُول الله ﷺ الَّذين نهلوا من علم النَّبيِّ ﷺ وتربوا على حمل المسؤولية في حياته عليه الصَّلاة والسَّلام .

والذين عرفهم النَّبيُّ ﷺ معرفة كاملةً عارفًا بقدرات كل واحد منهم وما يتميز به عن الآخرين ، لاسيما أولئك الَّذين عاصروا الدعوة من أوَّل عهدها [٣] قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح** » [٤] .

لقد اعتنى النَّبيُّ ﷺ بالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عناية فائقة ورباهم تربية ربانية ، وأعدهم إعدادًا رفيعًا علميًا وعمليًا ، ليهيئهم لما بعد انقطاع الوحي للقيام بحمل المسؤولية

---

(١) انظر : تهذيب الأسماء واللغات ، ١/ ٢٦٥ .

(٢) انظر : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رَسُول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، ١/ ٦٢٠ ، ٦٢١ ، سليمان الحميري ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

(٣) انظر : فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ، ص١٧ .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب مناقب معاذ بن جبل ، حديث (٣٧٩٠) . وصححه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير ، ١/ ٢١٦ .

ومواصلة الدعوة والمحافظة على الدِّين ، فكان الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هم الجيل الَّذي خلف النَّبيِّ ﷺ في الدعوة والعلم والجهاد .

فمكنوا لدينهم بأرواحهم وتضحياتهم ، وحافظوا على كتاب ربهم وسنة نبيهم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بتدوينها وواجهوا المصاعب والمستجدات بالمنهج الَّذي ورثوه من نبيهم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ففتحوا المغلق ، وحلَّوا المشكل ، وأوضحوا الخفي ، واستنبطوا الأحكام ، وأصلوا الأصول ، رضي الله عنهم ، وأرضاهم أجمعين (١) .

ثانيًا : الحياة العلميَّة في المدينة في عصر الخلفاء الراشدين :

لقد أصبحت المدينة في عصر الخلفاء الراشدين من أهم مراكز الحياة العلميَّة لأنَّهَا دار السُّنَّة ، والافتاء ، ومنطلق الدعوة والجهاد ، ومجمع الصَّحابة (٢) ، وخصوصًا ذوي السبق منهم في الإسلام الَّذين استبقاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حوله ، حرصًا عليهم ، ورغبة في أن يكونوا عونًا له على مهماته في سياسة الأمة ، واستعانة بعلمهم ، واعتمادًا على إخلاصهم ، واسترشادًا بآرائهم ومشورتهم .

وقد بقي علم هؤلاء الصَّحابة بالمدينة حين خروج بعضهم بعد عمر ﷺ إلى الأمصار للدعوة والتعليم (٣) .

---

(١) انظر : المسائل الَّتي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة ، ص٣٧ ، د. محمَّد المدني ، دار البحوث والدراسات الإِسلاميَّة وإحياء التراث ، الإمارات ـ الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) انظر : التربية العربيَّة الإِسلاميَّة ، المؤسسات والممارسات ، ص٨٣ .

(٣) انظر : عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين ، ص٤٨ ، د. أحمد نور سيف ، نشر دار ←

ولهذا فقد حبى الله المدينة في العهد الراشدي كثرةً من الفقهاء والمفتين من الصَّحابة ، والمكثرين من رواية الحديث ممَّا كان له أثر في بناء صرح الفقه المدني .

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رَسُول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفسًا ما بين رجل وامرأة ، وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله ابن عبّاس ، وعبد الله بن عمر ، وقال أبو محمَّد بن حزم : ويمكن أن يُجمع من فتوى كل واحدٍ منهم سفر ضخم)) [(١)] .

ولقد تفاوت الصَّحابة ﷺ في الإفتاء ، فمنهم المقل ومنهم المتوسط والمستكثر .

والقلة والتوسط والكثرة في الفتيا ليست متعلقة بالمقدرة العلميَّة .

لأن ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ ذكر ممَّن هم من كبار علماء الصَّحابة كأبي بكر ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ـ من المتوسطين في الفتوى [(٢)] ، ولعل السَّبب في قلة الفتاوى المأثورة عنهما وفاتهما المبكرة [(٣)] .

البحوث للدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

(١) إعلام الموقعين ، ١/ ١٠ .

(٢) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ١٠ . وكذلك ذكر هذا التقسيم ابن حزم في أصول الأحكام ، ٥/ ٩٢ ، دار الأوقاف ـ بيروت .

(٣) انظر : فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ، ص٢٠ .

وهذا يعني أن ذكر بعض علماء الصَّحابة في المقلين أو المتوسطين في الفتيا لا يعني بأي حال من الأحوال أن قدرتهم العلميَّة أقل من المكثرين ، كُلُّ ما هنالك أن هناك ظروفًا معينة حالت بينهم وبين الإكثار من الفتاوى ، ومع هذا فإن كبار التَّابعين الَّذين عاصروا الصَّحابة وأخذوا عنهم قد عرفوا تفاوت القدرات بينهم (١) .

فهذا مسروق بن الأجدع يقول : ((لقد جالست أصحاب محمَّد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ (٢) ، فالإخاذ يروي الرَّجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ يروي المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، فوجدت عبد الله (٣) من ذلك الإخاذ)) (٤) .

وهذا يدل على أن الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بشكل عام لم يكونوا على قدرٍ متساوٍ من العلم ، فالقدرات العقلية مختلفة ، ولم يتهيأ لكلٍ منهم الظروف الموضوعية للتحصيل العلمي ، فمنهم من كان يطيل الإقامة مع النَّبيِّ ﷺ ، ومنهم من كان مشغولاً بأمور أخرى مثل الجهاد والسعي للمعاش (٥) .

ولم يكن الصَّحابة ﷺ كلهم أهل فتيا ، ولم يتصدر جميعهم حلق العلم ، وإنما كان ذلك

---

(١) انظر : فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ، ص٢٠ .

(٢) الإخاذ : بالكسر هو شيء كالغدير ، أي مجتمع الماء ، وجمعه أُخُذٌ . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ١/ ٢٨ .

(٣) والمقصود هو : عبد الله بن مسعود ﷺ . انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ١٣ .

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى ، ص١٦١ ، لأبي بكر البيهقي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت .

(٥) انظر : فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ، ص٢٠ .

مختصًا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النَّبيِّ ﷺ [١] .

وكذلك رواية الحديث فإن الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتفاوتون في رواية الأحاديث النَّبويَّة كثرة وقلة ، فالمكثرون من الرِّواية من روى ألف حديث فأكثر ، كما قاله الإمام أحمد ونقله ابن كثير وغيره [٢] .

فكان بعض الصَّحابة يروي الآلاف من الأحاديث ، وبعضهم يروي حديثًا واحدًا ، وبعضهم لم يرو شيئًا أصلاً [٣] .

وسبب ذلك [٤] :

١ ـ اختلاف درجات الحفظ عند الصَّحابة رضي الله عنهم .

٢ ـ تفاوتهم في مقدار ما تحملوه عن النَّبيِّ ﷺ بحسب تفاوتهم في مقدار ما صحبوه من أيامهم وملازمتهم الطويلة للنبيِّ ﷺ .

---

(١) انظر : الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها ، ص١١٣ ، عبد الرَّحمن الدخيل ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، جائزة نايف العلميَّة .

(٢) انظر : فتح المغيث ، ٤/ ١٠٢ ، شمس الدِّين محمَّد السخاوي ، مكتبة السُّنَّة ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(٣) انظر : صحابة رَسُول الله ﷺ في الكتاب والسُّنَّة ، ص١٣٥ ، عيادة الكبيسي ، دار القلم ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ص١٣٥ .

٣ ـ تحرُّج بعض الصَّحابة ﷺ من الإكثار من الرِّواية خشية الوعيد من الزِّيادة والنقصان .

٤ ـ قصر أعمار بعضهم .

وغير ذلك من الأسباب والموانع .

والمهم من ذلك كله أن الحياة العلميَّة في المدينة كانت في عصر الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ تسير وفق المنهج الَّذي أسسه النَّبيُّ ﷺ ، والَّذي كان مصدره القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهرة ، والإجماع ، والقياس .

وقد كانت عناية الخلفاء الراشدين والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تبلغ منتهاها بالوسائل الَّتي استعان بها النَّبيُّ ﷺ بل وقد **أضافوا إليها بعض الوسائل المهمَّة الَّتي تزيد من نشاط الحياة العلميَّة وتميزها في التربية والتعليم ،** ومن هذه الوسائل المهمَّة :

١ ـ الاهتمام بالمسجد النبوي ، والحرص على استمرارية جعله مقرًا للتعليم والدعوة من خلال الدروس والجلسات العلميَّة .

ففي العصر الراشدي زاد عدد الحلقات الَّتي كانت تُعقد في المسجد النبوي ، وتنوعت أغراضها العلميَّة ، وكان لها سمات وآداب جليلة [(١)] ، وممَّا يدل على كثرتها ما روي عن جندب ابن عبد الله البجلي قال : ((أتيت المدينة ابتغاء العلم ، فدخلت مسجد رَسُول الله ﷺ ، فإذا النَّاس فيه حلق يتحدثون ، فَجَعَلْتُ أمضي الـحِلَقَ ، حتَّى أتيت حَلْقَة فيها رجل .. فجلست إليه فتحدث بما قضي له ثمَّ قام ، فسألت عنه بعدما قام ، قالوا : هذا سيد المسلمين أُبي بن

(١) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأَوَّل والثَّاني ، ص٥٥ .

كعب)) [١] .

وكان لعبد الله بن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ حلقة تتناول أكثر من علم . قال عطاء : ما رأيت مجلسًا أكرم من مجلس ابن عبّاس ، أكثر فقهًا وأعظم جفنة منه ، إن أصحاب القرآن يسألونه ، وعنده أصحاب الشعر يسألونه ، وعنده أصحاب النحو يسألونه ، كلهم يصدر في واد واسع [٢] .

وكان لأبي هريرة ﷺ حلقة يوم الجمعة عند منبر النَّبيِّ ﷺ للتحديث عن النَّبيِّ ﷺ [٣] .

وكان لجابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ حلقة في المسجد النبوي يؤخد عنه العلم [٤] .

والجدير بالذكر أَنَّه كان هناك أماكن أخرى ضمن إطار المسجد النبوي كانت تشهد نشاطًا فكريًا وعلميًا كالصُفَّة الَّتي تقع في مؤخرة المسجد النبوي ، ورحبة البطيحاء والَّتي بناها عمر بن الخطاب ﷺ [٥] .

روي عن مالك بن أنس : ((أَنَّه بلغه أن عمر بن الخطاب ﷺ بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء ، وقال : من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرًا ، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه

---

(١) الطبقات الكبرى ، ٣/ ٣٨٠ ، لابن سعد .

(٢) المعرفة والتاريخ ، ١/ ٥١٢ ، ليعقوب الفسوي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٣) مستدرك الحاكم ، ١/ ١٩٠ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

(٤) انظر : الإصابة ، ١/ ٥٤٦ .

(٥) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص٥٧ .

الرحبة)) [١] .

٢ ـ بيوت العلماء :

لقد أصبحت بيوت كثيرة في المدينة ملتقى للطلبة والمدرسين ، ومركزًا علميًا هامًا لقراءة القرآن وتعليمه على الرغم من انتشار المساجد [٢] .

ومن هذه البيوت بيت مخرمة بن نوفل [٣] الَّذي كان يشتهر بدار القراء [٤] ، ودار عبد الله ابن مسعود ، وكانت تسمى أيضًا بدار القراء ، وكان يهتم فيها بدراسة القرآن وحفظه واقرائه [٥] ، ودار سعد بن معاذ الأنصاري [٦] .

٣ـ الكتاتيب :

تعد الكتاتيب من مراكز الحياة العلميَّة المهمَّة في المدينة ، ويبدو أن أوَّل من اتخذ الكتاتيب أماكن لتعليم الصِّبيان في المدينة هو الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وذلك بسبب الظروف

---

(١) موطأ الإمام مالك ، ٢/ ٢٤٤ .

(٢) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص٧١ .

(٣) هو مخرمة بن نوفل بن أهيب الزُّهريّ ، هو والد المسور بن مخرمة الصحابي المشهور ، مات سنة خمس وخمسين للهجرة ، انظر : الإصابة ، ٦/ ٤١ .

(٤) الطبقات ، ٤/ ١٥٥ ، لابن سعد .

(٥) وفاء الوفاء ، ٢/ ٩٢ .

(٦) الطبقات ، ٣/ ٣٢١ ، لابن سعد .

الجديدة للدولة الإِسلاميَّة الراشدة [١] ، فقد كانوا قبل ولاية عمر إنما يقرئ الرَّجل منهم ابنته أو أخاه الصَّغير ، فلما كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم ، وأهل البوادي ، وكثر الولدان ، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ، ونصب الرِّجال لتعليم الصِّبيان وتأديبهم وجعل لهم رزقًا من بيت المال [٢] .

وكان المنهج العلمي الَّذي يُعمل به في الكتاتيب تعليم الأطفال العلوم الأساسية الَّتي تتناسب مع مستوى إدراكهم ، وكان المحور الَّذي يدور عليه التَّعليم في الكتاتيب هو القرآن الكريم ، ويكون تعليمهم إياه عن طريق التلقين ، وعن طريق الكتابة .

وكان يُعلَّم الطفل أيضًا السيرة النَّبويَّة والحروف والكتابة [٣] .

٤ ـ طرق تلقي العلم :

لقد اقتدى المجتمع الراشدي بالمجتمع النبوي في طرق تلقي العلم والمتمثلة في السماع ، والعرض ، والمذاكرة ، والسؤال ، وكان الاعتماد على المحاضرات الشفهية وهو الأسلوب الَّذي اعتمده الرَّسول ﷺ في توضيح معالم الدِّين ونشر الإسلام [٤] .

لقد كان الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ شديدي الحرص على التعلم ، قال أبو نضرة

---

(١) الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص٦١ .

(٢) التراتيب الإدارية ، ٢/ ٢٠٠ .

(٣) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص٦٩ . والتربية العربيَّة الإِسلاميَّة المؤسسات والممارسات ، ص٦٨ .

(٤) انظر : التربية العربيَّة الإِسلاميَّة المؤسسات والممارسات ، ص٧٤ .

العبدي [١] : ((كان أصحاب رَسُول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرؤوا سورة)) [٢] .

وكان أبو سعيد الخدري ﷺ يوصي بالمذاكرة لتثبيت العلم ويقول : ((تحدثوا ، فإن الحديث يذكر بعضه بعضًا)) [٣] .

وجاء أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ بعد العشاء فقال له عمر ﷺ : ما جاء بك ؟ قال : جئت أتحدث إليك ، قال : هذه السَّاعة ؟ قال : إنَّه فقه ، فجلس عمر ، فتحدثا طويلاً [٤] .

وكان علي ﷺ يحث على السؤال العلمي بقوله : ألا رجل يسأل فينتفع وينفع جُلساءَه [٥] .

٥ ـ الاهتمام بالسند ومقاومة الوضع في الحديث :

تعد المدينة أوثق الأمصار الإِسلاميَّة في رواية الحديث النبوي ، حتَّى رحل إليها العلماء للتوثق من الرِّواية [٦] ، فهذا أبو العالية الرياحي [٧] يقول : ((كنا نسمع الرِّواية بالبصرة عن

---

(١) هو المنذر بن مالك ، الإمام المحدث الثقة ، من كبار التَّابعين ، وهو من كبار علماء البصرة . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٤/ ٥٢٩ .

(٢) الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع ، ٢/ ٦٨ .

(٣) مجمع الزوائد ، ١/ ١٦١ .

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ١٠/ ٢٥٣ .

(٥) المرجع السَّابق ، ١٠/ ٣٠٢ .

(٦) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص١٢٤ .

(٧) هو : رُضَيْعُ بن مهران الرياحي ، الإمام المقرئ ، الحافظ المُفسِّر ، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، وسمع من ←

أصحاب رَسُول الله ﷺ ، فما رضينا حتَّى رحلنا إليهم فسمعناها من أفواههم)) (١) .

ولقد بذل علماء المدينة جهودًا واسعة لمقاومة الوضع والحفاظ على سنة الرَّسول ﷺ ، ومن ذلك :

أ ـ الالتزام بالإسناد بعد وقوع الفتنة ومقتل عثمان ﷺ ، حتَّى أصبحت المدينة أوثق الأمصار في التزام الإسناد وتحريهم في نقل الرِّواية (٢) .

ب ـ التثبت من الحديث والدقة والأمانة في روايته ، وقبول خبر الواحد والاحتجاج به ، إلاَّ إذا دعت الحاجة إلى طلب راوٍ آخر أو استحلافه (٣) .

فقد ورد أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ طلب شهودًا على حديث رواه أحد الصَّحابة في الاستئذان (٤) .

وكان علي ﷺ في بعض الأحيان من باب الاحتياط يستحلف من يحدث عن رَسُول الله ﷺ (٥) .

كثير من الصَّحابة وحفظ القرآن ، مات سنة ست ومئة للهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٤/ ٢٠٧ .

(١) التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ١/ ٥٦ ، لابن عبد البر .

(٢) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص١٢٥ .

(٣) انظر : السُّنَّة ومكانتها في التَّشريع الإسلامي ، ص٧٢ ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ـ دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التَّسليم والاستئذان ، حديث رقم (٦٢٤٥) .

(٥) انظر بحوث في تاريخ السُّنَّة المشرفة ، ص٨٤ ، د. أكرم ضياء العمري ، نشر بساط ـ بيروت ، الطبعة الرابعة .

وكان ابن سيرين ـ أحد كبار التَّابعين ـ يقول : ((إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم)) [١] .

ـ فلم يكن الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ يتهمون الصحابة ، ولكنهم كانوا يخشون جرأة الناس على التحديث عن النبي ﷺ دون توثق وتدقيق ، ولذلك شددوا في قبول الرواية [٢] .

ج ـ الرحلة في طلب الحديث : لقد أصبحت المدينة محط أنظار المسلمين من طلبة الحديث وعلمائه ، ولذلك فقد كانت تستقبل الكثير من العلماء وطلاب العلم للتوثق من الحديث [٣] .

ولشدة حرص أهل المدينة من الصَّحابة والتابعين فقد رحل بعضهم للتثبت من الحديث كأبي أيوب الأنصاري رحل إلى عقبة بن عامر بمصر [٤] ورحل جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ إلى الشَّام شهرًا من أجل حديث [٥] .

وكل هذا يدل على مكانة أهل المدينة الرائدة وتميزهم في رواية الحديث .

---

(١) صحيح مسلم ، ١/ ١٤ ، المقدمة ، باب في الإسناد من الدِّين .

(٢) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص٨٤ .

(٣) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة ، ص١٢٩ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ١/ ٣٩٢ .

(٥) المرجع السَّابق ، ١/ ٣٨٩ .

نتائج الحياة العلميَّة الَّتي قامت في المدينة في عصر الخلفاء الراشدين

كل الأعمال والجهود العظيمة الَّتي قام بها الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في سبيل الدعوة والتعليم والحفاظ على الدِّين ، كان من نتائجها ما يأتي :

أولاً : تربية جيل ، وإعداد صفوة من العلماء والدعاة والفقهاء من صغار الصَّحابة والتابعين الَّذين كان لهم دور في حفظ جهد الأمة من الضياع والانحراف .

وقد كان للتابعين دور بارز وجهد مشكور بعد عصر الصَّحابة في حمل لواء الدعوة ، وتربية المجتمعات على الدِّين والأخلاق [١] .

وكان من أبرزهم الَّذين تتلمذوا على الصَّحابة في المدينة الفقهاء السبعة [٢] ، الَّذين عاشوا ما بين سنة (١٥هـ) وسنة (١٠٦هـ) ، حيث كانوا للعلوم الإِسلاميَّة بمثابة الجسر الكبير الَّذي ربط بين عصر كبار الصَّحابة وعصر التَّابعين [٣] .

كعبد الله بن مسعود ﷺ الَّذي خرج للعراق لتفقيه أهلها بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، والَّتي أصبحت فيما بعد من أكثر المراكز العلميَّة نشاطًا بعد المدينة ، وخاصةً بعد

---

(١) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى ، ص٥٠٨ .

(٢) الفقهاء السبعة هم : القاسم بن محمَّد ، عبيد الله بن عبد الله ، أبو بكر بن عبد الرَّحمن ابن الحارث ، سليمان بن يسار ، عروة بن الزُّبير ، سعيد بن المسيب ، خارجة بن زيد بن ثابت . انظر : فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الإمام مالك ، ص١٨ ، عبد الله الرسيني ، رسالة علميَّة ـ جامعة أم القرى ـ مكة .

(٣) انظر : فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الإمام مالك ، ص٢٦ .

انتقال الخلافة إليها في عهد علي رضي الله عنه [١] .

ومدرسة الشَّام الَّتي أثراها علميًا الصَّحابة الأجلاء معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ [٢] .

وكان لابن عبّاس مجلس في البيت الحرام بمكة المكرمة يُعلم أهلها التَّفسير والحديث ويفتيهم [٣] .

وفتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر ، وكان معه ابنه عبد الله الَّذي كان من المكثرين للرواية ، وقد كان له أثر كبير في تعليم أهل مصر [٤] .

وكان لهذه المدارس أثر كبير في تعليم النَّاس وتربيتهم على معالم الدِّين وأخلاقه .

ثانيًا : ظهور فضل علم أهل المدينة على بقية الأمصار الأخرى ، لأن أهل المدينة في القرون المفضلة كانوا يتأسون بأثر رَسُول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار ، ولم يكن بالمدينة في هذه القرون بدعة ظاهرة ، ولا خرج منها بدعة في أصول الدِّين كما في سائر الأمصار [٥] .

ولهذا فقد كان قول أهل المدينة ((أصح أقوال أهل الأمصار رواية ورأيًا ، وأَنَّهُ تارة يكون

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ، ٢٠/ ٣١١ ، لابن تَيْمِيَّة . والسياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٥١٨ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ٢٠/ ٣١١ .

(٣) انظر السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٥١٨ .

(٤) انظر : صحابة رَسُول الله في الكتاب والسُّنَّة ، ص١٢٨ . وفقه الفقهاء السبعة ، ص١٧ .

(٥) انظر : عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين ، ص٧٢ .

حجة قاطعة ، وتارة حجة قوية ، وتارة مرجحًا للدليل ، إذ ليست هذه الخاصية لشيء من أمصار المسلمين)) [(١)] ، ((فعمل أهل المدينة الَّذي يجري مجرى النقل حجة باتفاق المسلمين)) [(٢)] [(٣)] .

فمفهوم عمل أهل المدينة أو إجماعهم ظهر في وقت مبكر ، وتتمثل قضاياه في أقضية عمر ابن الخطاب ﷺ ، وتتبعه للسنن ، واعتماده على مشاورة الصَّحابة ، الَّذين كانوا متوافرين بالمدينة ، وفي أقضية عثمان ﷺ بعده ، وجاء التابعون فأخذوا تلك القضايا مع ما انضاف إليها من آثار الصَّحابة ، وأقضية الأئمَّة ، وكان العمل يتمثل فيما اشتهر من تلك القضايا وعرف مأخذًا لأهل المدينة [(٤)] .

ولهذا فإن سائر أمصار المسلمين كأهل الشَّام ومصر وأهل الكوفة والبصرة كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لا يعُدُّون أنفسهم أكفاءَهم في العلم ، وكانوا يعظمون عمل أهل المدينة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/ ٣١١ ، لابن تَيْمِيَّة .

(٢) المرجع السَّابق ، ٢٠/ ٣٠٦ .

(٣) ذكر ابن القيِّم : ((أن عمل أهل المدينة نازع فيه الجمهور ، وقالوا : عمل أهل المدينة كعمل غيرهم من أهل الأمصار ، فمتى كانت السُّنَّة معهم فهم أهل العمل المتَّبع ، وإذا اختلف علماء المسلمين لم يكن عمل بعضهم حجة على بعض ، وإنما الحجة اتباع السُّنَّة ، ولا تترك السُّنَّة لكون عمل بعض المسلمين على خلافها ، لأن السُّنَّة معيار العمل ، وليس العمل معيارًا على السُّنَّة ، ولم تضمن لنا العصمة قط في عمل مصر من الأمصار دون سائرها ، والجدران والمساكن والبقاع لا تأثير لها في ترجيح الأقوال ، وإنما التأثير لأهلها وسكانها)) . إعلام الموقعين ، ٢/ ٢٧٤ . بتصرف يسير .

(٤) انظر : عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين ، ص٨٠ .

إِلاَّ أن أهل الكوفة بعد حصول الفتنة ومقتل عثمان رضي الله عنه ادَّعوا مكافأة أهل المدينة في العلم بسبب خروج الخلافة من المدينة واستقرار علي رضي الله عنه بالكوفة ، ولكن مافيه الكلام من مسائل الفروع والأصول قد استقر في خلافة عمر رضي الله عنه (١) .

وهكذا كانت الحياة العلميَّة في المدينة في عصر الخلفاء الراشدين زاخرةً بالعلم والتعليم والدعوة .

فرضي الله عن صحابة رَسُول الله ﷺ الَّذين كان لهم الدور البارز والجهد المشكور ، والعمل المتقبل عند الله تعالى .



(١) انظر : مجموع الفتاوى ، ٢٠/ ٣١٤ ، لابن تَيْمِيَّة .

المبحث الثالث

الروافد الدعوية والإعلامية

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: دور المسجد دعويًا وإعلاميًا في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الثاني: الحوارات والمناظرات العلميَّة في عصر الخلفاء الراشدين.

المطلب الثالث: التميز العلمي والعملي والفكري .

المطلب الرابع: قوة الفصاحة والبيان .

المطلب الخامس: البعثات الدعوية الإعلامية .

المطلب الأوَّل

دور المسجد دعويًا وإعلاميًا في عصر الخلفاء الراشدين

لقد كان للمسجد مكانة عظيمة في المجتمع الراشدي ، وذلك بسبب الدور البارز الَّذي كان يقوم به في العصر النبوي ، والَّذي امتدَّ في العصر الراشدي .

فلقد كان المسجد المكان الَّذي تقام فيه الصَّلوات الخمس ، وصلاة الجمعة ، وهو مأوى الغريب ، ونُزُل الضيف ، ومجلس الضعفاء ، وهو مقر القيادة ، وعقد الألوية وتسيير الجيوش ، وهو دار القضاء ، ودارٌ للحكم ، واستقبال الوفود ، ومجلس للشورى في القضايا الَّتي تخص شؤون الأمة الإِسلاميَّة ، وكذلك كان ملتقى اجتماعيًا للتواصل والترابط بين أفراد الأمة (١) .

لقد كان المسجد وسيلة إعلامية يتعرف المسلم عبر قنواته كالأذان ، والخطب ، والمواعظ ، والدروس ، والملتقيات العلميَّة على أمور دينه ودنياه .

وإذا طرأ أمر مهم سياسيًا أو عسكريًا أو اجتماعيًا ، واحتيج إلى جمع النَّاس لسماعه ، فإن الوسيلة المتعارف عليها في المجتمع الراشدي هي النداء بالصلاة جامعة ، وهي ذات الوسيلة

---

(١) انظر : المسجد النبوي عبر التَّاريخ ، ص١١-١٢ ، د.محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

الَّتي كان متعارف عليها في العهد النبوي .

ويدلُّ على ذلك قصة معاوية بن خديج [١] الَّذي أرسله عمرو بن العاص ﷺ ليبشر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بفتح الإسكندرية ، وعندما بُشر الفاروق عمر بالفتح خرج للمسجد وقال للمؤذن : أذن في النَّاس بالصلاة جامعة ، فاجتمع النَّاس ، ثمَّ قال لمعاوية بن خديج : قم فأخبر أصحابك ، فقمت فأخبرتهم [٢] .

بل كان المسجد وسيلة من وسائل توطيد الحكم في المدن المفتوحة في الثغور ، كما صنع عمر ابن الخطاب ﷺ عندما أمر بإقامة قواعد عسكرية على الحدود في البلدان المفتوحة لرد أي عدوان خارجي ، وكان يتوسط هذه القواعد المساجد الَّتي هي بمثابة مراكز تجمع الجنود وتلقيهم للدعوة والتعليم .

لقد كان في طليعة المدن المفتوحة مدينتا البصرة والكوفة في مجاورة الدَّولة الفارسية ، ومدينة الفسطاط بمصر ، وثغور أخرى بسواحل الشَّام لرد هجمات الروم [٣] .

وأيضًا ما قام به معاوية بن أبي سفيان ﷺ بأمر عثمان ﷺ ببناء مسجد وقاعدة عسكرية بجزيرة قبرص ، وذلك بعد خيانتهم لشروط الصلح [٤] .

---

(١) معاوية بن خديج التجيبي ، كان عامل معاوية على مصر . انظر : معجم الصَّحابة ، ٥/ ٣٨٦ ، للبغوي ، دار البيان ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص١٠٥ ، عبد الرَّحمن المصري ، مكتبة الثقافة الدينية ، عام ١٤١٥هـ .

(٣) انظر : فصل الخطاب في سير عمر بن الخطاب ، ص٤٨٧ .

(٤) انظر : معاوية بن أبي سفيان ، شخصيته وعصره ، ص٥٨ ، د.علي الصلابي ، دار الأندلس، مصر، الطبعة ←

بل كان المسجد وسيلة إعلامية مرأيةً لكل من مرَّ بالمدن الإِسلاميَّة وشاهد المساجد المقامة فيها عرف أن هذه مدنٌ تحت الحكم الإسلامي ، إضافة إلى مشاهدته لتوافد النَّاس للمساجد زرافات ووحدانا ، وحرصهم على الدِّين وإقامة العبادة ، عرف من خلال هذه المشاهدات أن لهذه الأمة هدفًا ورسالة .

كل هذه الوسائل الإعلامية الَّتي قام بها المسجد تدل على أهميته ودوره الإعلامي في العهد النبوي ، والَّذي امتدَّ بصورة واسعة في العهد الراشدي .

ـ أمَّا دور المسجد في مجال الدعوة فلقد كان من أعظم روافد الدعوة والتعليم والتأثير في الحياة الفكرية والثقافية منذ تأسيسه في عهد الرَّسول ﷺ ، فلقد كان ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يباشر التَّعليم بنفسه عملاً بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [(١)] .

ولقد كان الصَّحابة ينهلون من علمه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في المسجد النبوي ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ... قَالَ : « **فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** » قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : « **إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** » [(٢)] .

الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(١) سورة الجمعة ، الآية (٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديث، رقم الحديث ٥٩

لقد كان المسجد في العهد النبوي يحتضن الصَّحابة لتأسيسهم علميًا ودعويًا للقيام بواجب الدعوة والتعليم والجهاد في أصقاع الدّنيا .

ولقد قاموا بهذا الواجب خير قيام ـ رضوان الله عليهم ـ ، وكان لبعضهم مشاركة فاعلة في الحركة العلميَّة والدعوية والثقافية الَّتي كانت تدور في المسجد النبوي في عهد النبوة ، والَّتي امتدت مشاركاتهم ورياداتهم دعويًا وعلميًا وثقافيًا في العهد الراشدي ، وكان من المُبرَّزين أُبيُّ بن كعب، وعبادة بن الصامت الأنصاري ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي هريرة ﷺ أجمعين [(١)] .

وزاد اهتمامهم بالعلم والدعوة بعد عهد النَّبيِّ ﷺ وكان المسجد النبوي يزخر بحلقات العلم الَّتي تنوعت أغراضها العلميَّة [(٢)] والَّتي كان لها دور بارز في تأسيس طلاب العلم علميًا ودعويًا لإرسالهم للمدن المفتوحة للتعليم والدعوة .

روى جندب بن عبد الله البجلي قال : أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رَسُول الله ﷺ فإذا النَّاس فيه حلق يتحدثون ، فجعلت أمضي الحلق، حتَّى أتيت حلقة ... قال : فجلست إليه ، فتحدث بما قضي له ثمَّ قام ، فسألت عنه بعدما قام ، قالوا : هذا سيد المسلمين أُبيُّ بن كعب ... [(٣)] .

---

(١) انظر : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأَوَّل والثَّاني للهجرة ، ص٥٤ ،٥٥ ، د.عدنان الفراجي، الدَّار العربيَّة للموسوعات ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ، ٣/ ٣٨٠ ، لابن سعد .

((وقد وصف عطاء بن أبي رباح مجلس عبد الله بن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ فقال : ما رأيت مجلسًا أكرم من مجلس ابن عبّاس ، أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع)) [(١)] .

العناية بالمساجد في العصر الراشدي :

لقد اعتنى الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ بالمساجد لمكانتها العظيمة في نفوسهم ولدورها البارز الَّذي تقوم به علميًا ودعويًا وإعلاميًا .

وقد اشتمل اهتمامهم بالمساجد على الأمور الآتية :

١ ـ الاهتمام ببنائها :

فقد عُمِّرت المساجد في الأمصار الجديدة في خلافة عمر ﷺ فاختط سعد بن أبي وقاص المسجد الجامع بالكوفة ، واختط عتبة بن غزوان [(٢)] المسجد الجامع بالبصرة ، واختط عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط ، فكانت هذه المساجد الكبيرة محل صلاة المسلمين وتعارفهم وتدارسهم العلم وتلقيهم أوامر الخليفة والولاة [(٣)].

كما كان الولاة يبنون المساجد في ولاياتهم وينفقون عليها من بيت مال الولاية ، كما حدث عند بناء مسجد الرحمة بالإسكندرية ، وإن كان الولاة لم يقوموا بتأسيس جميع المساجد فإن لهم

---

(١) الإصابة ، ١/ ٥٦ ، لابن حجر .

(٢) عتبة بن غزوان المازني ، من السابقين الأولين ، هاجر للحبشة ، وشهد بدرًا وما بعدها ، وولاه عمر في الفتوح . انظر الإصابة ، ٤/ ٣٦٣ .

(٣) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٤٨ .

دورًا في إنشاء المساجد الرئيسية في معظم البلدان التابعة لولاياتهم وخصوصًا الجوامع منها [١] .

٢ ـ الاهتمام بتوسعتها والإنفاق عليها :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بالمسجد النبوي والمسجد الحرام لمكانتهما الدِّينيَّة ، وتأثيرهما العلمي والدعوي ، وقد حرص الخلفاء الراشدون من خلال اهتمامهم بالمساجد وتوسعتها عدم الوقوع في مخالفة شرعيّة أو جعل شيء فيها يشغل النَّاس عن المقصد الأساس من بنائها وهو إقامة العبادة .

فقد روى أبو سعيد الخدري ، قال : كان سقف المسجد من جريد النخل ، وأمر عمر ببناء المسجد ، وقال : أكنَّ النَّاس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر ، فتفتن النَّاس [٢] .

وروى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن مسجد النَّبيِّ ﷺ كانت سواريه على عهد رَسُول الله ﷺ من جذوع النخل أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثمَّ إنَّها نُخِرَتْ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل [٣] .

ولم يتسنّ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه توسعة المسجد النبوي لانشغاله بحروب الردة وتأسيس الدَّولة ، ولكن في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه عندما كثر النَّاس وضاق بهم المسجد قام عمر رضي الله عنه

---

(١) انظر : تيسير الكريم المنان في سيرة ابن عفان ، ص١٤٥، ٢٨٣ ، د.علي الصلابي ، دار الفجر للتراث ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصَّلاة ، باب بنيان المسجد ، صدر الباب ، ١/ ٩٦ .

(٣) انظر : دلائل النبوة ، ٢/ ٥٤١ ، للبيهقي .

بتوسعة المسجد وعمارته سنة سبع عشرة من الهجرة .

روى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن المسجد كان في عهد رَسُول الله ﷺ مبنيًا باللبن والجريد ، قال مجاهد : وعمده من خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رَسُول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا (١) ، فكانت الزِّيادة من جهة القبلة نحو عشرة أذرع ـ أي خمسة أمتار ـ ، ومن جهة الشمال ثلاثين ذراعًا ـ أي خمسة عشر مترًا ـ ، ومن جهة المغرب عشرين ذراعًا ـ أي عشرة أمتار ـ ولم يزد من جهة المشرق شيئًا (٢) ، وعمل رحبة خارج المسجد عُرفت بالبطيحاء ، روى ابن شبة عن سالم بن عبد الله أن عمر اتخذ مكانًا إلى جانب المسجد يقال له البطيحاء ، وقال : من أراد أن يلغط (٣) أو يرفع صوتًا أو ينشد شعرًا فليخرج إليه (٤) .

أراد عمر رضي الله عنه بذلك أن يجنب المسجد اللغط ورفع الأصوات ، وتناشد الشعر إلى غير ذلك ممَّا رآه عمر رضي الله عنه يقلل من هيبة المسجد في نفوس النَّاس (٥) بل إنه رضي الله عنه لما سمع رجلاً يرفع صوته

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصَّلاة ، باب في بناء المساجد ، رقم الحديث ٤٥١ .
وصححه الألباني في صحيح أبي داود ، ٢/ ٣٥٠ .

(٢) تاريخ المسجد النبوي الشريف ، ص٤٣، ٤٤ ، محمَّد إلياس ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م . والمسجد النبوي عبر التَّاريخ ، ص٦٣ .

(٣) أن يلغط : أي من كان يريد أن يتكلم بكلام فيه جلبة واختلاط ولا يتبين .
انظر : شرح الزرقاني على الموطأ ، ١/ ٦٠٣ .

(٤) الموطأ ، ٢/ ٢٤٤ ، للإمام مالك بن أنس ، رقم الحديث ٦٠٢ .

(٥) انظر : المسجد النبوي عبر التَّاريخ ، ص٨٤ .

أرسل إليه ، وقال : من أنت ؟ فقال : من أهل الطائف ، فتوعده ، فقال : لو كنت من أهل البلد لنكلت بك ، إن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات [(١)] .

((وفي عهد عثمان ﷺ قام بتوسعة المسجد النبوي وعمارته في سنة تسع وعشرين من الهجرة ، وكانت الزِّيادة من جهة القبلة والشمال والمغرب ، وكان سبب ذلك ضيق المسجد وشكوى النَّاس وتفتت الجذوع الَّتي كانت تحمل السقف ، ورغبته ﷺ في عظيم الأجر)) [(٢)] .

روى عبيد الله الخولاني [(٣)] أَنَّه سمع عثمان بن عفان ﷺ يقول عند قول النَّاس فيه حين بنى مسجد رَسُول الله ﷺ : إنكم أكثرتم ، وإني سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول : « **من بنى مسجدًا** » قال بكير : حسبت أَنَّه قال : يبتغي وجه الله ، « **بنى الله له مثله في الجنة** » [(٤)] .

وقد بناه بالحجارة المنقوشة والجص [(٥)] ، وغطى سقفه بخشب الساج [(٦)]، وجعل عمده من حجارة منقورة حشوها عمد الحديد والرصاص .

---

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ٢/ ٨٠ ، علي السمهودي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

(٢) المسجد النبوي عبر التَّاريخ ، ص٩١ .

(٣) هو عبيد الله بن الأسود ، ويقال : ابن الأسد الخولاني ، ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ ، ثقة . تقريب التهذيب ، ١/ ٣٦٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصَّلاة ، باب من بنى مسجدًا ، رقم الحديث ٤٥٠ .

(٥) الجص : هو الجبس من مواد البناء . المعجم الوسيط ، ١/ ١٠٥ .

(٦) الساج : ضرب من الشجر يعظم جدًا ويذهب طولاً وعرضًا وله ورق كبير ، المعجم الوسيط ، ١/ ٤٦٠ .

روى البغوي في شرح السُّنَّة : ((وكان المسجد على عهد رَسُول الله ﷺ مبنيًا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنيانه في عهد رَسُول الله ﷺ باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبًا ، ثمَّ غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج)) [(١)] .

---

(١) شرح السُّنَّة ، ٢/ ٣٤٩ ، لأبي محمد البغوي .

اعترض بعض المسلمين على عثمان ؓ عندما زاد في بنائه للمسجد النبوي ، وجعل فيه الحجارة المنقوشة وغيَّر من هيئته الَّتي كان عليها في عهد الرَّسول ﷺ .

روى مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ، باب فضل بناء المساجد ، رقم الحديث ٥٣٣ ، أن عثمان بن عفان ؓ أراد بناء المسجد ، فكره النَّاس ذلك ، فأحبوا أن يدعه على هيئته ، فقال : سمعت رَسُول الله ﷺ يقول : من بنى مسجدًا لله بنى الله له بيتًا في الجنة .

وروى البخاري في صحيحه ، كتاب الصَّلاة ، باب من بنى مسجدًا ، رقم الحديث (٤٥٠) ، حديث عبيد الله الخولاني أَنَّه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول النَّاس فيه حين بنى مسجد الرَّسول ﷺ : إنكم أكثرتم ، وإني سمعت النَّبيّ ﷺ يقول : ((من بنى مسجدًا)) قال بكير : حسبت أَنَّه قال : يبتغي به وجه الله ، ((بنى الله له مثله في الجنة)) .

نقل ابن حجر عن ابن بطال - رحمهما الله - في كتابه فتح الباري ١/ ٥٤٠ ، قوله : ((وهذا يدل على أن السُّنَّة بنيان المسجد القصد ، وترك الغلو في تحسينه ، فقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عمَّا كان عليه ، وإنما احتاج إلى تجديده لأن جريد النخل كان قد نُخر في أيامه ، ثمَّ كان عثمان والمال في زمانه أكثر ، فحسنه بما لا يقتضي الزخرفة ، ومع ذلك فقد أنكر بعض الصَّحابة عليه)) .

ولقد بيّن عثمان ؓ لمن أنكر عليه ذلك أَنَّه لم يفعل ذلك إلاَّ طلبًا للآخرة ، ورجاء الثواب ، فقد أراد ؓ أن يحسن في المسجد على قدر الدّنيا ، ليحسن الله له بيته في الجنة على قدر الآخرة ، وهو بهذا معذور ؓ . انظر :
←

وقد باشر عمل البناء بنفسه ﷺ ، قال عبد الرَّحمن بن سفينه : رأيت القصة تحمل إلى عثمان وهو يبني مسجد رَسُول الله ﷺ من بطن نخل ، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتَّى تأتي الصَّلاة فيصلي بهم ، وربما نام ثمَّ رجع ، وربما نام في المسجد [١] .

ـ ولقد استشهد عثمان ﷺ إثر بناء المسجد وتوسعته ، وقد بناه بناءً متقنًا ، ولما تولى الخلافة علي ﷺ لم يكن هناك ما يقتضي إعادة البناء أو التَّوسعة [٢] .

ـ توسعة الحرم المكي :

كان من أبرز الأعمال الَّتي قام بها الخليفتان الراشدان ؛ عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ هو توسعة الحرم المكي .

فقد قام عمر بن الخطاب ﷺ بشراء بعض الدور المجاورة للحرم ، وأمر بهدمها وإدخالها ضمن حرم المسجد .

وكذلك قام عثمان ﷺ بشراء بعض الدور ووسَّع الحرم المكي .

ـ ويظهر اهتمام الخلفاء الراشدين بالحرم المكي من نواح كثيرة أبرزها ؛ أنَّها كانت قبلة المسلمين ، وهي ملتقى الأمراء والولاة بالخليفة في موسم الحج ، فدور مكة دور ريادي في العهد

المسجد النبوي عبر التَّاريخ ، ص١٠٠ .

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار المصطفى ، ٢/ ٨٣ . والمسجد النبوي عبر التَّاريخ ص٩٨ .

(٢) انظر : تاريخ المسجد النبوي الشريف ، ص٤٦ .

الراشدي وما زالت [١] .

ولم يقتصر الاهتمام بالحرمين فقط بل تعدى هذا الاهتمام بجميع المساجد فكان الولاة ينفقون عليها من بيت المال ، وكان عثمان ﷺ أوَّل من أعطى المؤذنين من بيت المال [٢] .

قال الإمام الشَّافعيّ : قد رزق المؤذنين إمام الهدى عثمان بن عفان ﷺ [٣] .

وكان عمر بن الخطاب يهتم بفرش المسجد بالحصباء ، وإن كان هناك رواية ضعيفة تدل على أَنَّه فرشه الحصير ، وكان يهتم بتجمير المسجد النبوي ، وأصبح الاهتمام بالمساجد سنة في العهد الراشدي وسنة لمن بعدهم [٤] .

❁❁❁

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٦٨ . وفصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٢٨٧ .

(٢) انظر : مصنف عبد الرزاق ، ١/ ٤٨٣ ، كتاب الصَّلاة ، باب البغي في الأذان .

(٣) انظر : معرفة السنن والآثار ، ٢/ ٢٧١ ، أحمد البيهقي ، دار الوفاء ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

(٤) انظر : المسجد النبوي عبر التَّاريخ ، ص٨٣ .

المطلب الثاني

الحوارات والمناظرات العلميَّة في عصر الخلفاء الراشدين

تعريف الحوار في اللغة :

ورد ذكر الحوار في اللغة بمعنى : حاور ، يحاور ، محاورة ، وحوارًا ، أي جاوبه وبادله الكلام ، وتأتي بمعنى جادله ، وراوغه واحتال عليه [1] .

تعريف الحوار في الاصطلاح :

هو كلام المتحاورين اللذين يحاور كل واحد منهما الآخر أي يراجعهُ القول [2] .

تعريف المناظرة :

لغة : من النظير ، أو من النَّظر بالبصيرة [3] .

اصطلاحًا : هي النَّظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب [4] .

والمناظرة تعني المجادلة ، وهي مقابلة الحجة بالحجة لإظهار الحق [5] .

---

(١) معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة ، ١/ ٥٧٨ .

(٢) إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، ١/ ١٦٨ ، محمَّد الطائي ، نشر جامعة أم القرى - مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

(٣) التَّعريفات ، ص٢٣١ ، للجرجاني ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٥) انظر : أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسُّنَّة ، ص١١ ، د.حمد العثمان ، مكتبة ابن القيِّم ، الطبعة الأولى ، ←

إن الاختلاف بين النَّاس في شؤون دينهم ودنياهم أمر قديم ، ويبقى هذا الاختلاف بينهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(١١٨)إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

لقد حظي كثير من أفراد المجتمع الراشدي على تربية فريدة من النَّبيِّ ﷺ ، كان لها أثرًا مهمًا في تحقيق الأخوة الصادقة ، والسمع والطاعة لولاة الأمر ، والصدع بكلمة الحق والالتزام به .

كل هذه المعالم التربوية النَّبويَّة أدت دورًا بارزًا في إنجاح الحوارات والمناظرات الَّتي حصلت بين أفراد المجتمع الراشدي الَّذي كان يتحلى بالمعرفة الواعية بأصول وآداب الحوار والمناظرة والمرجعية التامة للكتاب والسُّنَّة عند الاختلاف تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا ﴾ (٣) ، وكان العلماء من الصَّحابة والتابعين يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة ، وربما اختلف قولهم في المسألة العلميَّة والعملية مع بقاء الأُلفة والصحبة وأخوة الدِّين (٤) .

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٠م .

(١) سورة هود ، الآية (١١٨، ١١٩) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥١) .

(٣) سورة النِّساء ، الآية (٥٩) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة ، ٢٤/ ١٧٢ .

وقد أضفى هذا على الحوارات والمناظرات صفة العلم والمعرفة وتحري الحق وبيانه ، فكانت بسبب ذلك رافدًا مهمًا من روافد الثقافة في العصر الراشدي .

ولقد تعددت أنواع الحوارات في العصر الراشدي ، فكان منها حوارات عقدية ، وفقهية ، ودعوية ، وحوارات سياسية واقتصادية واجتماعية .

وكل نوع من هذه الحوارات كان له دور في إثراء المعرفة العلميَّة والعملية .

وهذه بعض الأمثلة المهمَّة على أنواع الحوارات والمناظرات الَّتي وقعت في العصر الراشدي :

أولاً : أمثلة على أنواع الحوارات :

١ ـ الحوارات في العقيدة :

أ / حوار عمر بن الخطاب لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ في مانعي الزَّكاة :

قال أبو هريرة ﷺ : لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ عُمَرُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى الله » . فقال : وَالله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عقالاً [١] كَانُوا يُؤَدُّونه إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى منعه . قَالَ عُمَرُ : فَوَالله

---

(١) العقال : هو الحبل الَّذي تربط به الإبل . انظر فتح الباري لابن حجر ، ٣/ ٣١٦ ، وقيل : عناقًا وهو أصح ، والعناق : هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة . لسان العرب ، ١٠/ ٢٧٥ .

مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ الله قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ (١) .

ب / حوار عمر بن الخطاب ﷺ لأبي عبيدة في القدر :

عَنْ عَبْدِالله بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْف لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ ؛ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ : إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ . فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ! ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله.... فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . قَالَ : فَحَمِدَ الله عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ (٢) .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ((إن أبا عبيدة أشار أولاً بالرجوع ثمَّ غلب عليه مقام التوكل لَّما رأى أكثر المهاجرين والأنصار جنحوا إليه ، فرجع عن رأي الرجوع وناظر عمر في ذلك ، فاستظهر عليه عمر بالحجة فتبعه ، ثمَّ جاء عبد الرَّحمن بن عوف بالنَّصِّ فارتفع الإشكال)) (٣) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والاقتداء بسنة رَسُول الله ﷺ ، رقم الحديث (٧٢٨٤) .

(٢) المرجع السابق ، كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطب ، رقم الحديث (٥٧٢٩) .

(٣) فتح الباري ، ١٠/ ١٨٧ ، لابن حجر .

٢ ـ الحوارات الفقهيَّة :

لقد كانت الحوارات الفقهيَّة في العصر الراشدي كثيرة جدًا ممَّا تمخض عنها كثيرٌ من الفوائد والقواعد الفقهيَّة الَّتي استفاد منها المجتمع الراشدي ، والأمة الإِسلاميَّة في وقتنا الحاضر ، وكان من أهم هذه الحوارات الفقهيَّة :

أ / الحوار الَّذي دار بين أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ﷺ ، في جمع القرآن بعد أن كثر القتل بالقراء في معركة اليمامة ، وكان الرأي الرشيد من هذه المحاورة جمع القرآن وسلامته من الضياع والتحريف (١) .

ب / الحوار الَّذي دار بين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وعبد الرَّحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ حول إتمام أمير المؤمنين عثمان الصَّلاة في منى في حج عام ٢٩ للهجرة ، بسبب خوفه من افتتان بعض الأعراب في صلاتهم ، واعتقاد أن الصَّلاة الرباعية ركعتان ، مع أن السُّنَّة في أيَّام الحج في منى قصر الرباعية ، وقد عُمِلَ بذلك في عهد النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، وصدرًا من خلافة عثمان ﷺ أجمعين (٢) .

وكان الموقف الصائب من عبد الرَّحمن بن عوف بعد حواره لأمير المؤمنين عثمان ﷺ أن لقي عبد الله بن مسعود ﷺ وأخبره الخبر فقال ابن مسعود : الخلاف شر ، واجتمع رأيهما على إتمام

---

(١) انظر : صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ...، رقم الحديث (٤٦٧٩) .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٦٨ .

الصَّلاة أربعًا موافقة للخليفة وخروجًا من الخلاف في المسائل الاجتهادية ، وحرصًا على الاجتماع والوحدة [١] .

وهناك حوارات فقهية أخرى كثيرة كحوار أمير المؤمنين علي ﷺ مع أهل نجران عندما جاؤوا إليه وقالوا : شفاعتك بلسانك ، وكتابك بيدك ، أخرجنا عُمُر من أرضنا ، فردها إلينا . قال : ويلكم إن عمر كان رشيد الأمر فلا أغير شيئًا صنعه عمر [٢] .

وكان سبب إجلاء عمر ﷺ لنصارى نجران مع أن النَّبيَّ ﷺ كتب لهم كتابًا بعدم إجلائهم ، أن عددهم زاد وبلغ السبعون ألفًا ، وكان عمر ﷺ يخافهم أن يميلوا على المسلمين فتحاسدوا بينهم ؛ فأتوا عمر فقالوا : أجلنا ، فاغتنمها عمر فأجلاهم ، فندموا فأتوه فقالوا : أقلنا ، فأبى أن يقيلهم ، فلمّا كان في ولاية علي ﷺ أتوه وحاوروه لإرجاعهم فقال علي ﷺ : إن عمر كان رشيد الأمر [٣] .

وكان علي ﷺ يتبع قضايا عمر بن الخطاب وأحكامه [٤] ، وخاصة أن عمر ﷺ عندما أجلى

---

(١) انظر : سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب الصَّلاة بمنى ، حديث رقم (١٩٦٠) .
وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة ، ١/ ١٤١ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب آداب القاضي ، باب من اجتهد من الحكام ثمَّ تغير اجتهاده أو اجتهاد غيره فيما يسوغ فيه الاجتهاد ، رقم الحديث (٢٠٨٧٤) ، ١٠/ ١٢٠.
فائدة : هذا الحديث تكلم عنه الشَّيخ الألباني في ضعيف أبي داود ، ٢/ ٤٤٢ ، وقال : رجاله ثقات ، لكنه منقطع لأن سالمًا لم يسمع من علي .

(٣) انظر : نيل الأوطار ، ٨/ ٦٦ ، محمَّد الشوكاني ، نشر دار الحديث ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

(٤) انظر : جامع العلوم والحكم ، ص٢٦٥ ، لابن رجب الحنبلي ، نشر دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

أهل نجران كان يستند على الحديث الَّذي سمعه من النَّبيِّ ﷺ في آخر حياته أَنَّه قال : « **لأخرجن اليهود والنَّصارى من جزيرة العرب حتَّى لا أدع إلاَّ مسلمًا** »[١] ، وقد أَصَّلَ الفقهاء ـ رحمهم الله ـ من محاورة وفد نجران لعلي ﷺ أن القاضي لا ينقض حكم غيره إذا رُفِعَ إليه ، إلاَّ ما خالف نص كتاب أو سنة أو إجماع [٢] .

٣ ـ الحوارات الدعوية :

أ/ محاورة أبي بكر الصديق ﷺ مع بعض المرتدين وإرجاعهم للإسلام :

فقد حاور قيس بن يغوث المرادي [٣] وعمرو بن معديكرب [٤] ، فقد كانا من فرسان العرب وشجعانهم ، فحرص الصديق ﷺ أن يستنقذهما ويرجعهما للإسلام ، فقال لعمرو : أمَّا تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور ؟ لو نصرت هذا الدِّين لرفعك الله ، فقال عمرو : لا جرم لأفعلن ولن أعود ، فأطلقه الصديق وحسن إسلامه هو وقيس بن يغوث ، وأصبح لهما بلاء عظيمًا في الفتوحات [٥] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إخراج اليهود والنَّصارى من جزيرة العرب ، رقم الحديث (١٧٦٧) .

(٢) انظر : المغني ، ١٤/ ٣٤ ، لابن قدامة .

(٣) هو قيس بن المكشوح المرادي ، يكنى أبا شداد ، واختلف في صحبته ، وقيل إنه ممَّن أعان على قتل الأسود العنسي ، وكان فارسًا شجاعًا ، وهو ابن أخت عمرو بن معديكرب . قتل بصفين مع علي ﷺ وكان يومئذٍ صاحب راية بجيلة . انظر : الإصابة ، ٥/ ٤٠٤ .

(٤) عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، يكنى أبا ثور ، قدم على النَّبيِّ ﷺ في وفد زبيد فأسلم سنة تسع ، وشهد عامة الفتوح بالعراق ، وكان فارسًا شجاعًا ، قتل في معركة القادسية . انظر : الاستيعاب ، ٣/ ١٢٠١ .

(٥) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٢٩ .

ب / الحوار الَّذي دار بين الجارود بن المعلى ﷺ وبين قومه عندما ارتدوا بعد موت النَّبيِّ ﷺ فقالوا : لو كان محمدٌ نبيًا لما مات ، فكان له دور بارز في محاورتهم وإرجاعهم إلى الإسلام بتوفيق من الله تعالى ، فقد خطب في قومه الَّذين يسكنون البحرين وقال لهم : يا معشر عبد القيس إني سائلكم عن أمر فأخبروني إن علمتوه ، ولا تجيبوني إن لم تعلموه ، فقالوا : سل ، قال : أتعلمون أَنَّه كان لله أنبياء قبل محمَّد ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونه أم ترونه ؟ قالوا : نعلمه ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال : فإن محمَّد ﷺ مات كما ماتوا ، وإني أشهد أن لا إله إِلاَّ الله وأن محمدًا رَسُول الله ، فقالوا : ونحن أيضًا نشهد أن لا إله إِلاَّ الله وأن محمَّدًا رَسُول الله ، وأنت أفضلنا وسيدنا ، وثبتوا على إسلامهم [١] .

ج / الحوار الَّذي دار بين خالد بن الوليد وجَرَجَه أحد الأمراء والقواد من الروم على ساحة معركة اليرموك ، حيث إن جَرَجَه الرومي خرج من الصف واستدعى خالد بن الوليد ، فجاء إليه حتَّى اختلفت أعناق فرسيهما وقال : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، وسأله عدة أسئلة منها : سبب تسميته بسيف الله المسلول ، وإلى ما يدعون إليه ، ومن أجابكم دخل في الإسلام ما له من الأجر ، وكان خالد بن الوليد ﷺ يجيبه ويحاوره محاورة الداعية الرحيم بالمدعو لعل الله أن يشرح صدره للإسلام وينقذه من الكفر ، وقد أجاد خالد بن الوليد ﷺ بتوفيق من الله تعالى وشرح الله صدر جَرَجَه للإسلام ، وطلب من خالد بن الوليد أن يعلمه الإسلام [٢] .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٦٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٧/ ١٦ .

٤ ـ الحوارات السِّياسيّة :

لقد كان للحوارات السِّياسيّة تأثيرٌ واضحٌ في إيضاح الحق واتخاذ القرارات المصيرية السِّياسيّة لدولة الخلافة الراشدة سواء كانت هذه الحوارات داخلية بين أهل الحل والعقد من المجتمع الراشدي في أمور الخلافة، أو بعث الجيوش وفتح المدن ، أو لدرءِ الفتن الداخلية بين المسلمين ، أو حوارات خارجية كانت مع ملوك وقواد الأمم الكافرة ، والَّتي أسفرت عن كثير من الفوائد الدعوية والسياسية كدخول كثير من النَّاس في الإسلام ، وإزالة كثير من العوائق والحجج الَّتي كانت تعيق الشّعوب الكافرة عن معرفة حقيقة الإسلام وصحة منهجه ، بل كان لها دور في تثبيت دعائم وهيبة الدَّولة الراشدة في البلدان المفتوحة ، وإليك بعض الأمثلة على هذه الحوارات :

أولاً : الحوارات الداخلية :

أ/ حول البيعة والخلافة :

كالحوار الَّذي دار بين أبي بكر الصديق والفاروق عمر وبعض الصَّحابة في سقيفة بني ساعدة حول ترشيح الخليفة ، والَّذي ظهر من خلال هذا الحوار حرص الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على وحدة الصف وبعد نظرهم ووعيهم الثقافي العميق لمعنى الأخوة وتقدير المسؤولية [(١)] .

وكذلك الحوار الَّذي دار بين علي بن أبي طالب ﷺ وابنه الحسن حول البيعة بالخلافة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول النَّبيِّ ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً .. رقم الحديث (٣٦٦٨) .

لعلي ﷺ ، قال الحسن ﷺ : لقد نهيتك فعصيتني تُقْتَلُ غدًا بمضيعة لا ناصر لك ، فقال علي ﷺ : إنك لا تزال تحن عليَّ حنين الجارية ، وما الَّذي نهيتني عنه فعصيتك ؟ ، فقال الحسن : ألم آمرك أن لا تبايع النَّاس بعد مقتل عثمان حتَّى يبعث إليك أهل كل مصر بيعتهم ؟ فقال علي ﷺ : أمَّا مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر [(١)] .

يعني أن يشارك أهل المدينة أحد من الأمصار في اختيار الخليفة .

ب / حول بعث الجيوش وفتح المدن :

ـ كالحوار الَّذي دار بين الصَّحابة حول إنفاذ جيش أسامة ﷺ المتجه للشمال ، والَّذي كان من نتيجته ثبات أبي بكر الصديق ﷺ في إنفاذ جيش أسامة الَّذي عقده الرَّسول ﷺ وردع الطامعين من الأعراب والفرس والروم من الهجوم على الدَّولة الراشدة [(٢)] .

ـ والحوار الَّذي دار بين عمر بن الخطاب ﷺ والأحنف بن قيس [(٣)] حول منع الفاروق ﷺ المسلمين من الانسياح في بلاد الفرس والاكتفاء على ما في أيديهم ، فقال الأحنف بن قيس لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم ، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٢٦١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٥/ ٣٣٣ .

(٣) هو الضحاك بن قيس السعدي التميمي ، يكنى أبا بحر ، أدرك النَّبيّ ﷺ ولم يره ، كان من الحلماء والدهاة والحكماء ، ومن كبار التَّابعين ، مات سنة سبع وستين في امارة مصعب بن عمير . انظر : الاستيعاب ، ١/ ١٤٤ .

دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتَّى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئًا بعد شيء إِلاَّ بانبعاثهم ، وأن ملكهم هو الَّذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتَّى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتَّى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ، فقال : صدقتني والله ، وشرحت لي الأمر عن حقه ، ... ، فسمح لهم عمر بن الخطاب ﷺ بالانسياح في بلاد فارس (١) .

ولم تقتصر الحوارات على المشافهة فقط بل كانت هناك حوارات كتابية كالحوار الكتابي بين معاوية وأمير المؤمنين عمر الفاروق ، فقد استأذنه في ركوب البحر لفتح قبرص ، ولكن الفاروق طلب من عمرو بن العاص وصف البحر وراكبه ، فكتب إليه عمرو بن العاص : إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغير ، إن ركن خَرَق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قِلَّةً ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا برق . فلمّا قرأه عمر كتب إلى معاوية : لا والَّذي بعث محمدًا بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا .

ولما كان عهد عثمان ﷺ عاود معاوية يستأذن عثمان ليركب البحر وما زال بعثمان ﷺ حتَّى أذن له بشرط أن تركب معه زوجته البحر ، وأن يخير النَّاس ولا يجبرهم على ركوبه ، وقد استعمل على البحر عبد الله بن قيس (٢) ، فغزا خمسين غزاةً من بين شاتية وصائفةٍ في البحر ، ولم

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٨٩ .

(٢) هو عبد الله بن قيس الكندي ، كان معاوية ﷺ يرسله في غزو البحر ، فغزا خمسين غزوة ما بين صائفة وشاتية ، ولم ينكب فيها ، ولم يفرق معه أحد ، إلى أن قتل سنة ثلاث أو أربع وخمسين . الإصابة ، ٥/ ٧٤ .

يغرق فيه أحد [(١)] .

ج / حول درء الفتنة الداخلية بين المسلمين :

فقد حاور القعقاع بن عمرو التميمي بأمر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أم المؤمنين عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ وطلحة والزبير في سبب حضورهما إلى البصرة ، وأَنَّهُ كان للإصلاح بين النَّاس وقد تحاور الطرفان واتفقا جميعًا على أن هذه فتنة دواؤها التسكين والتأني ، وأَنَّهُ لا بُدَّ من الاقتصاص من قتلة عثمان ﷺ ، فإذا انتهت الخلافات ، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين علي ﷺ تفرغ لقتلة عثمان ﷺ [(٢)] .

ثانيًا : الحوارات الخارجية مع ملوك وقواد الأمم الكافرة :

كالحوار الكتابي الَّذي دار بين عمرو بن العاص ﷺ وأرطبون الروم في فتح القدس في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، فعندما أشتدَّ الحصار على أرطبون الروم في القدس كتب إلى عمرو بن العاص يقول له : إنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين ، فارجع ولا تُغرِه ـ أي لا تغري عمر بن الخطاب ـ فتلقى ما لقي الَّذين قبلك من الهزيمة ، فكتب إليه عمرو بن العاص كتابًا يقول فيه إنَّه صاحب فتح هذه البلاد ، وأرسل الكتاب مع رسول يعرف الكلام الرومي ، وأمره أن ينقل إليه رد الأرطبون ، فضحك الأرطبون عندما قرأ ، وقال الوزراء للأرطبون : من أين علمت أَنَّه ليس بصاحبها ؟

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٦١ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٢٦٥ .

قال : صاحبها رجل اسمه : عمر ، فرجع الرسول إلى عمرو وأخبره بالخبر .

فكتب عمرًا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : أني أعالج حربًا كؤودًا وبلادًا ادخرت لك ، فرأيك ، فنادى عمر بن الخطاب بالناس وسار لفتح القدس ، وقد صالحه أهل القدس على الجزية وفتحوها له في السَنَةِ السادسة عشرة للهجرة (١) .

٥ ـ الحوارات الاقتصادية :

كالحوار الَّذي دار بين الفاروق عمر بن الخطاب وبعض الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ حول تقسيم السوادين على المجاهدين ، وقد أشار إليه معاذ بن جبل ﷺ بعدم التَّقسيم وقال له : إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ثمَّ يبيدون فيصير ذلك إلى الرَّجل الواحد أو المرأة ، ثمَّ يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسدًا وهم لا يجدون شيئًا فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم (٢) .

وقد خالفه بعض الصَّحابة وحاوروه وراجعوه في التَّقسيم ولكن الفاروق عمر ﷺ اختار عدم التَّقسيم ، بعد استشارة عشرة من كبار الأنصار وموافقتهم له في الرأي (٣) .

٦ ـ الحوارات الاجتماعية :

كالحوار الَّذي دار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وحفصة أم المؤمنين ـ رَضِي الله عَنْهَا

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٦٠٦ . البداية والنهاية ، ٧/ ٦٤ .

(٢) انظر : الأموال ، ص٧٤ ، للقاسم بن سلام .

(٣) انظر : الخراج ، ص٣٦ ، لأبي يُوسف .

ـ عندما قالت : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله ﷻ من الرزق وأكثر من الخير . قال : إني سأخصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رَسُول الله ﷺ يلقى من شدة العيش ؟ ، فما زال يُذكرها حتَّى أبكاها ، فقال لها : إن قلت لك ذاك إني والله لئن استطعت لأشاركنهما بمثل عيشهما الشَّديد لعلي أُدرك معهما عيشهما الرَّخيَّ [1] .

ثانيًا : أمثلة على المناظرات :

لقد كان للمناظرات الَّتي حصلت في العهد الراشدي أثرًا في بيان الحق ، وإزالة الشبهات ، ورجوع الضال وإذعانه للحق ، وكشف حقيقة الخصم ، وسقوط حجته .

وكان من أبرز هذه المناظرات الَّتي حصلت في العهد الراشدي مناظرة أمير المؤمنين عثمان ﷺ للبغاة السبئيين [2] وكانت هذه المناظرة في المسجد وقد حضرها جمع من الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقد أجاب عثمان ﷺ عن شبهة وأقوال البغاة واحدة واحدة ، وأقام الدَّليل وأسقط حججهم ، وقرر الصَّحابة بصحة أدلته وأفعاله ، وهم يقولون : اللهم نعم .

وقد ظهر من خلال هذه المناظرة أن البغاة لا يريدون حقًا ليتبعوه وإنما أرادوا إسقاط هيبة

---

(١) انظر : الزهد ، ص١٠٣ ، للإمام أحمد ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٢) السبئية : هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، الَّذي غلا في علي ﷺ ، وادعى أن عليًا كان نبيًا ثمَّ زعم أنَّه إله ، وقد أمر علي ﷺ بإحراقهم ، وهم أوَّل فرقة قالت بالرجعة ، وبتناسخ الجزء الإلهي في الأئمَّة بعد علي ﷺ . انظر: مقالات الإسلاميين ، ١/ ١١ ، لأبي الحسن علي الأشعري ، المكتبة العصريَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م . والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، ص٢٢٣ ، عبد القاهر الاسفراييني ، دار الأوقاف ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٧٧م .

الخليفة وإلزامه بأخطاء لم يفعلها لتنحيته عن الخلافة أو قتله وإثارة الفتنة (١) .

أمَّا مناظرة ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ للخوارج في خلافة علي ﷺ، وقد نقموا عليه ثلاثًا :

١ ـ أَنَّه جعل الحكم للرجال في دين الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ ﴾ (٢) .

٢ ـ أن عليًا قاتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين فقد حُرِّمت عليه دماؤهم .

٣ ـ محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

ثمَّ إن ابن عبّاس حبر هذه الأمة ، وترجمان القرآن بعد أن سمع منهم ما ينقمون على علي ﷺ اشترط عليهم أَنَّه إذا أجاب على ما ينقمون به على أمير المؤمنين بالقرآن والسُّنَّة المطهرة أن يرجعوا إلى الحق ، فوافقوا على ذلك.

وقد أجاب على أقوالهم وفندها وردها بالقرآن والسُّنَّة ، فرجع منهم ألفان ، وقيل أربعة آلاف ، وقيل عشرون ألف ، وبقي منهم أربعة آلاف قتلوا (٣) .

❁❁❁

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٣٤٦ .

(٢) سورة الأنعام ، (٥٧) .

(٣) انظر تفاصيل هذه المناظرة في البداية والنهاية ، ٧/ ٣١٢ . ومنهاج السُّنَّة النَّبويَّة ، ٨/ ٥٣٣ ، لابن تَيْمِيَّة .

المطلب الثَّالث

التميز العلمي والعملي والفكري

لقد منَّ الله على هذه الأمة بهذا الدِّين القويم ، وببعثة الرسول الأمين ـ عليه أفضل الصَّلاة والتسليم ـ ، الَّذي أخرجهم من ظلمات الجهل والكفر ، وضيق الدّنيا وانحطاط ملذاتها ، إلى نور الإسلام وسمو أهدافه ، وتميز الفكر بالعلم والعمل .

ولقد ظهر هذا التميز في تصورات وأفكار الصَّحابة الَّذين نالوا قسطًا كبيرًا من التربية النَّبويَّة على يدي خير البشرية ـ عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ـ ، ممَّا جعلهم هداةً للمجتمع الراشدي ، ورافدًا ثقافيًا للتميز الفكري والعلمي والعملي .

وكان في مقدمتهم الخلفاء الراشدون الأربعة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

لقد استوعب الخلفاء الراشدون والصحابة المهديون مفهوم التميز في كون هذه الأمة ليست كباقي الأمم ، فلا بُدَّ أن تتميز في علمها ، وعملها، وفكرها ، تحقيقًا لقول الله عز وجل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ﴾ [(١)] ، وكذلك من حرص النَّبيِّ ﷺ في مخالفة اليهود والنَّصارى وأهل الكفر في الفكر والاعتقاد

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

والعلم والعمل والعبادة [١] .

ولقد كان لكل هذه العوامل أثرًا واضحًا في بناء الشَّخصيَّة المسلمة وتميزها في العصر الراشدي ، ومما تميز بها المجتمع الراشدي :

١ ـ التميز في وضوح الهدف :

ـ قام خالد بن الوليد ﷺ في النَّاس خطيبًا في معركة الولجة [٢] ، فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب ، وقال : ألا ترون ما هاهنا من الأطعمات ؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله أن نقاتل على هذا الريف حتَّى نكون أولى به [٣] .

فالهدف إذًا طلب الآخرة ونشر الإسلام .

ـ وعندما قدم المثنى بن حارثة [٤] من المدائن للمدينة ليبشر أبا بكر الصديق ﷺ بخبر أهل

---

(١) قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((فهذا يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل على أنَّه خالفهم في عامة أمورهم حتَّى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئًا إلاَّ خالفنا فيه)) .

انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ١/ ٢١٥ ، لابن تَيْمِيَّة ، دار عالم الكتب ، الطبعة السَّابعة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

(٢) الولجة : موضع بأرض العراق ، قريبًا من القادسية ، وهي الَّتي حدث فيها معركة الولجة بين خالد بن الوليد ﷺ والفرس ، وقد هزمهم شر هزيمة . انظر : معجم البلدان ، ٥/ ٣٨٣ ، ياقوت الحموي . والبداية والنهاية ، ٦/ ٣٨٠ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٨٠ .

(٤) المثنَّى بن حارثة بن سلمة الشيباني ، له صحبة ، وقد بعثه أبو بكر الصديق ﷺ في صدر خلافته إلى فتح العراق ، وكان شهمًا شجاعًا ، أبلى في حروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد. مات سنة أربع عشرة قبل القادسية .

فارس وهزيمتهم في بعض المواطن ، ويستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت توبته وندمه من أهل الردة المستطيع للغزو ، فوجد أبا بكر الصديق ﷺ على فراش المرض ، فسمع من المثنى واستبشر وقال : عليّ بعمر بن الخطاب ، فجاء ، فقال : اسمع يا عمر ، ما أقول لك ، ثمَّ اعمل به ، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتَّى تندُب النَّاس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى اللَّيل فلا تصبحن حتَّى تندب النَّاس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبةٌ وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم (١) .

فهدف نشر الإسلام واضح ، والسعي والتخطيط لتحقيقه واجب حتَّى وإن كان على فراش الموت .

٢ ـ التميز في البيعة واختيار الخليفة :

لقد توفي النَّبيُّ ﷺ ولم يستخلف بعده أحدًا بنص صريح ، ولكنه عليه الصَّلاة والسَّلام وجَّه الأمة قولاً وعملاً إلى أن أبا بكر الصديق أولى بالخلافة من بعده ، كتقديمه للصلاة بالناس (٢) ، وحفظ مكانته وبيان فضله ومحبته له (٣).

ـ وعندما مات ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كانت الأمة مقرة بفضل الصديق ﷺ وأسبقيته ،

انظر : الإصابة ، ٥/ ٥٦٨ .

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٤١٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب حد المريض أن يشهد الجماعة ، رقم الحديث (٦٦٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول النَّبيِّ ﷺ : ((لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً ، ولكن أخي وصاحبي)) ، رقم الحديث (٣٦٥٦) .

ولذلك تميزت في اختيار الصديق خليفة للمسلمين ولم يحصل خلاف في أحقيته وأولويته بالخلافة عند اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة [(١)] .

ـ وعند موت الصديق ﷺ قام بترشيح الفاروق عمر بن الخطاب للخلافة لكونه أقوى وأقدر وأفضل من يحمل المسؤولية بعده .

وقد أجمع الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بعد مشورتهم على استخلافه [(٢)] .

ـ وعند موت الفاروق عمر ﷺ ابتكر طريقة جديدة في الاستخلاف ، وقد تميز الفاروق عمر ﷺ بترتيب طريقة الشورى ، وتحديد الأشخاص المرشحين ، وكيفية البيعة وضوابطها .

فقد جعل الشورى في ستة نفر من صحابة رَسُول الله ﷺ وكلهم بدريون وصالحون لتولي الخلافة ، وهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرَّحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ﷺ أجمعين .

وأمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبد الله بن عمر يحضرهم مشيرًا فقط وليس له من الأمر شيء .

ويصلي بالناس أثناء التشاور : صهيب الرومي [(٣)] ، وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة

---

(١) المرجع السابق ، كتاب المناقب ، باب قول النَّبيِّ ﷺ : : ((لو كنت متخذًا خليلاً)) ، رقم الحديث (٣٦٦٨) . و انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٠٥ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٤٣٣ .

(٣) صهيب بن سنان النمري ، يعرف بالرومي لأَنَّهُ أقام في الروم مدة ، وهو من أهل الجزيرة ، سُبي من قرية نينوى ، من أعمال الموصل ، كان من كبار السابقين البدريين ، كان موصوفًا بالكرم والسماحة ، مات بالمدينة ←

الأنصاري أن يرقبا سير الانتخابات ، وحدد الفاروق عمر ﷺ مدة المشاورة بثلاثة أيَّام ، وقال لهم : إن رضي ثلاثة رجال منهم ، وثلاثة رجال منهم ، فحكِّموا عبد الله بن عمر فأي الفريقين حكم له ، فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الَّذين فيهم عبد الرَّحمن بن عوف ، ووصفه فقال عنه : ونعم ذو الرأي عبد الرَّحمن بن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه .

وقد تم التشاور بين الصَّحابة الستة وبين النَّاس ، وقد تميز عبد الرحمن بن عوف بإدارة عملية الشورى وتنازله عن الخلافة لجمع الكلمة واختيار الخليفة بعد مشورة النَّاس ، وقد قام بمشاورة النَّاس ، بل كان يشاور كل من يلقاه في المدينة من كبار الصَّحابة وأمراء الأجناد ، بل وشملت مشاورته النِّساء في خدورهن ، والصبيان والعبيد ، وكانت نتيجة مشاورته أنَّ معظم النَّاس كانوا يشيرون بعثمان بن عفان ﷺ [(١)] .

وقد تم ترشيح عثمان بن عفان ﷺ وكان أوَّل من بايعه عبد الرحمن بن عوف ، ثم علي بن أبي طالب ﷺ [(٢)] ، والَّذي كان هو وعثمان بن عفان كفرسي رهان في الترشيح بالخلافة .

سنة ثمان وثلاثين . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢/ ١٧ .

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٢٧ .

(٢) انظر : التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ، ص٢٧ ، لأبي عبد الله محمَّد الأندلسي ، نشر دار الثقافة ـ الدوحة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

٣ـ التميز في بدء التَّاريخ بالهجرة :

عن ميمون بن مهران قال : رُفِع إلى عمر صك محله شعبان فقال : أي شعبان ؟ الَّذي يجيء ، أو الَّذي مضى ، أو الَّذي هو آت ؟

ثمَّ قال لأصحاب النَّبيِّ ﷺ : ضعوا للناس شيئًا يعرفونه من التَّاريخ . فقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم ، فقالوا : إن الروم يطول تاريخهم ويكتبون من ذي القرنين ، فقال : اكتبوا على تاريخ فارس ، فقال : إن فارس كلما قام ملك طرح من كان قبله . فأجمع رأيهم على أن الهجرة كانت عشر سنين ، فكتبوا التَّاريخ من هجرة النَّبيِّ ﷺ [١] .

وروى الحاكم في مستدركه أن سعيد بن المسيب قال : جمع عمر النَّاس فسألهم من أي يوم يكتب التَّاريخ ؟ فقال علي بن أبي طالب : من يوم هاجر رَسُول الله ﷺ وترك أرض الشِّرك ؛ ففعله عمر رضي الله عنه [٢] .

وقد أورد ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري روايات أخرى في ابتداء التَّاريخ بشهر المحرم ، ثمَّ قال : ((فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الَّذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم)) [٣] .

---

(١) انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ١٠/ ٣١٣ .

(٢) مستدرك الحاكم ، كتاب الهجرة ، رقم الحديث (٤٢٨٧) ، وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الذَّهَبيّ ، ٣/ ١٥ .

(٣) فتح الباري ، ٧/ ٢٦٩ ، لابن حجر.

وذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ مناسبة الابتداء بالمحرم مع أنَّ الهجرة كانت في ربيع الأَوَّل ، فقال : ((وقد أبدى بعضهم للبداءة بالهجرة مناسبة فقال : كانت القضايا الَّتي اتفقت له ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ويمكن أن يؤرخ بها أربعة : مولده ، ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، فرجح عندهم جعلها من الهجرة لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين السَنَة ، وأمَّا وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما تُوُقِّعَ بذكره من الأسف عليه ، فانحصر في الهجرة ، وإنما أخروه من ربيع الأَوَّل إلى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم ، إذِ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مُقدِّمة الهجرة ، فكان أَوَّل هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم ، فناسب أن يُجعل مبتدأً ، وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم)) [١].

وبهذا التميز الإداري في عهد الفاروق عمر ﷺ تظهر وحدة العقيدة بوجود دين واحد ، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق ، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد ، وهكذا أحدث عمر ﷺ وحدة سياسية بكل ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة العربيَّة [٢] .

٤ ـ التميز في شعارات الجهاد ومكافئاته :

أ / التميز في شعارات القواد وكتائب الجيش :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بشعارات الجهاد في سبيل الله تعالى ، والَّتي تميزت بارتباطها

(١) المرجع السابق ، ٧/ ٢٦٨ .

(٢) انظر : جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص٩٠ ، د. محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

الثقافي الدِّينيِّ ، واقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ وبشعاراته الَّتي كان يتخذها في غزواته وسراياه .

فقد كان شعار المسلمين في العهد النبوي في غزوة بدر وغزوة خيبر ((يا منصور أمت أمت)) [١] وهذا الشعار قد اتخذه أسامة بن زيد عند خروجه بجيشه في عهد الصديق ـ رضي الله عنهما ـ [٢] .

وكان شعار المسلمين في حروب الردة بقيادة خالد بن الوليد ﷺ ((يا محمداه)) [٣] ، وفي معركة اليمامة كان شعارهم ((يا أصحاب سورة البقرة)) [٤].

وكان شعار أهل العراق في موقعة صفين ((يا الله يا أحد يا صمد، يا رب محمَّد ، يا رحمن يا رحيم)) ، وشعار أهل الشَّام ((نحن عباد الله حقًا حقًا ، يا لثارات عثمان)) [٥] .

وكان المسلمون في العصر الراشدي يتخذون شعارات أخرى مثل : ((الصبر الصبر ، ويا أنصار الله ، ويا حزب الله ، والفتح الفتح ، ويا نصر الله أنزل)) [٦] .

وكان من فوائد هذه الشعارات تمييز المسلمين عن الكافرين ، ومعرفة بعضهم من بعض ،

---

(١) البداية والنهاية ، ٤/ ٢٢١ . والطبقات الكبرى ، ٢/ ١٠ ، لابن سعد .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ، ٢/ ١٤٧ ، لابن سعد .

(٣) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٩٣ .

(٤) انظر : فتوح البلدان ، ١/ ٩٥ .

(٥) انظر : وقعة صفين، ص٣٣٢ ، نصر بن مزاحم المنقري ، نشر المؤسسة الدِّينيَّة الحديثة ، الطبعة الثَّانية، ١٣٨٢هـ .

(٦) انظر : فتوح الشَّام ، ١/ ٢٠١ ، محمد الواقدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

واستدلال القائد على جنوده ، ووسيلة إعلامية في الاجهاز على العدو ، وأيضًا وسيلة دعوية وتذكيرية بإخلاص الجهاد لله تعالى ، وتوحيده ، والارتباط بكتابه ، وأن النصر بيد الله تعالى وحده .

ب / التميز في وسم خيل الجهاد :

الوسم هو : العلامة على الإبل والخيل بالكي [(١)] .

وقد كان الوسم معروفًا عند العرب ، وقد فعله النَّبيُّ ﷺ ، قال أنس بن مالك ﷺ : ((غدوت إلى رَسُول الله ﷺ بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه ، فوافيته وفي يده الميسم [(٢)] يسم إبل الصدقة)) [(٣)].

وقد كان الخلفاء الراشدون يسمون إبل الصدقة ، والجزية [(٤)] ، وكان الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يسم خيل الجهاد والَّتي أعدها في بلاد الشَّام بكامل معداتها للجهاد ، فقد كان يسم على فخذ كل حصان ميسمًا مكتوب عليه : ((جُيِّش في سبيل الله)) [(٥)] .

وهذه العبارة لها دلالة مشتقة من الواقع الثقافي الدِّينيّ في العصر الراشدي ولها أيضًا فائدة إعلامية .

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٥/ ١٨٦ ، لابن الأثير .

(٢) الميسم : هي الحديدة الَّتي يُكوى بها . النهاية في غريب الحديث ، ٥/ ١٨٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزَّكاة ، باب وسم الإمام إبل الصدقة بيده ، رقم الحديث (١٥٠٢) .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ، ٧/ ٣٥ ، كتاب قسم الصدقات ، باب ميسم الصدقة .

(٥) انظر : فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٢٠٩ .

قال ابن بطال : (إن للإمام أن يتخذ ميسمًا لخيله ولخيل السبيل ، ليميز بعضها عن بعض ، وليس للناس أن يتخذوا مثل خاتمه وميسمه ، لينفرد السلطان بعلامة لا يُشارك فيها) [١] .

ج / التميز بمكافئات المجاهدين :

عندما انتصر المسلمون في معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكافأة لمن انتهى إليه البلاء في حرب العراق ، فلقد أرسل أربعة أسياف ، وأربعة أفراس لسعد بن أبي وقاص وأمره أن يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء [٢] .

❁❁❁

---

(١) شرح صحيح البخاري ، ٣/ ٥٥٩ ، لابن بطال ، مكتبة الرشد ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٤٤ .

المطلب الرَّابع

قوة الفصاحة والبيان

الفصاحة في اللُّغة هي : عبارة عن الإبانة والظهور .

وهي في المفرد : خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس .

في الكلام : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها [١] .

والبيان : هو المنطق الفصيح المعرب عمَّا في الضمير [٢] .

والبيان هو : الفصاحة [٣] ، وهو يشمل الشعر والخطابة والمواعظ، فكلام العرب نوعان : منظوم ومنثور .

وقد اتفق النَّاس على أن المنثور في كلامهم أكثر من الموزون .

وقد قيل : ما تكلمت به العرب جيد المنثور أكثر ممَّا تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ

---

(١) انظر : التَّعريفات ، ص١٦٧ ، لعلي الجرجاني .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، ص١٤٨ .

(٣) انظر : الصحاح تاج اللُّغة ، وصحاح العربيَّة للفارابي ، ٥/ ٢٠٨٢ ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره [١] .

وقد تميز العصر الراشدي بالفصاحة والبيان والاهتمام بالخطابة والشعر، وهذا الاهتمام ليس وليد عصرهم ، بل كان العرب يهتمون بالخطابة والشعر من واقع فطرتهم وعروبتهم ، وإليك توضيح ذلك :

أولاً : الخطابة :

تعريف الخطابة : الخطابة هي الخطبة ، وهي عند العرب : الكلام المنثور المسجع[٢].

وهي قياس مركب من مقدمات مقبولة ، أو مظنونة [٣] ، غايتها التأثير والاقناع [٤] .

اصطلاحًا :الخطابة فن مشافهة الجمهور للتأثير عليهم واستمالتهم [٥] .

---

(١) انظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ١٩ ،٢٠ ، الحسن القيرواني ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م .

(٢) انظر : لسان العرب ، ١/ ٣٦١ .

(٣) انظر : التَّعريفات ، ص٩٩ .

(٤) انظر : منهج في إعداد خطبة الجمعة ، ص٧ ، د.صالح بن حميد ، وزارة الشئون الإِسلاميَّة والأوقاف ، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، ١٤١٩هـ .

(٥) انظر : تدريب الدعاة على الأساليب البيانية ، ص٣٥٨ ، د.عبد الرب آل نواب ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة بالمدينة المنورة ، الطبعة ١٤٢٥هـ .

اهتمام العرب بالخطابة :

((لما كان جُلُّ العرب في جاهليتهم قبائل متبديه ، لا يربطها قانون عام، ولا تضبطها حكومة منظمة ، ومن شأن المعيشة البدوية شن الغارات لأوهى الأسباب ، والمدافعة بالنفس عن الروح والعرض والمال ، والمباهاة بقوة العصبية وشرف الخصال ، وللقول في ذلك أثر لا يقل عن الصول ، كانت الخطابة لهم ضرورية ، وفيهم فطرية)) [١] .

وكان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر .

وقد اختصت الخطابة بأشراف النَّاس بخلاف الشعر الَّذي أُبتذل بعد ذلك بسبب تعاطي السفهاء له والعامة ، وتلوثه بالتكسب به والتعرض للمحارم[٢] .

((وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال ، والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين ، وفي المناظرات ، والوصايا ، وغير ذلك)) [٣] .

الخطابة في العصر النبوي والعصر الراشدي :

لقد كانت الخطابة في صدر الإسلام منبرًا إعلاميًا ، وتعليميًا لأفراد المجتمع النبوي والراشدي .

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ٢/ ١٧ ، أحمد الهاشمي ، نشر مؤسسة المعارف ـ بيروت .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٢/ ١٧ . والبيان والتبيين ، ١/ ١٠ ، للجاحظ .

(٣) المرجع السابق ، ٢/ ١٧ .

((ولقد كان يسوس هذا المنبر الإعلامي إمام الفصحاء وسيد البلغاء عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ، الَّذي وضع ضوابطه ، وأسس قواعده ، وصبغ عباراته بأدبيات هذا الدِّين وأهدافه السامية .

فبلَّغ الرِّسالة ، وأدى الأمانة ، وخاطب النَّاس ، وخطب فيهم ، وأسمعهم أفضل الكلام وأبلغه ، فما سمعوا كلامًا بعد كلام الله تعالى قط أعم نفعًا ، ولا أصدق لفظًا من خطابه ﷺ الَّذي قَلَّت حروفه ، وكثرت معانيه ، وجَلَّ عن الصناعة ، وتنزه عن التكلف .

وحوى جوانب الدلالات الإعلامية ، وراعى توقيت الزَّمان وأحوال المخاطبين ، وخاطبهم بلغة مفهومة ، واضحة الدلالة قوية الحجة ، بمنطق الأخوة ، وذلك ليصل إلى التأثير في الأفكار عن طريق مبدأ الإقناع .

واستخدم أسلوب التكرار ليحث الرأي العام على المضامين المهمَّة لما يصلحهم في دينهم ودنياهم .

لقد اجتمع في كلامه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ الحلاوة والمهابة لأَنَّهُ لم ينطق عن الهوى إن هو إِلاَّ وحي يوحى)) [١] .

ولقد تأثر أفراد المجتمع الراشدي خلفاء وعلماء ووعاظ بهذا الأسلوب الخطابي الَّذي يلامس المشاعر ، ويؤثر في الأفكار حتَّى أصبحت خُطَب بعضهم ، ووعظهم من عيون الخطابة

---

(١) الجوانب الإعلامية في خطب الرَّسول ﷺ ، ص٧ وما بعدها ، سعيد بن علي ثابت ، نشر وزارة الشؤون الإِسلاميَّة والأوقاف ، السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

والوعظ في كتب التَّاريخ والخطابة ، والَّتي تتابعت الأجيال على قرائتها وسماعها والاستفادة من عَذْبِ أسلوبها وتنسيق أفكارها ، وجلالة مضامينها .

ـ الطابع العام للخطابة في العهد الراشدي [(١)]:

١ ـ الالتزام بالطابع الدِّينيّ من دعوة إلى الإسلام ، ودفاع عنه ، وبيان للعقائد ، كوجود الله ووحدانيته وقدرته ، وبالإيمان بالغيبيات ، والالتزام بحدود الشَّرع الحنيف .

٢ ـ اختيار خطب ذات أهداف إنسانية عامة ، وغايات كريمة سامية ، من تحرير النّفوس والعقول والأرواح من قيود الشِّرك والضلال ، والمعاصي ، وإخراجها إلى نور الإسلام ، وتثبيتها على الطاعة والرجوع إلى الإسلام ، وحثها إلى خوض غمار المعارك والحروب بكل شجاعة طلبًا للنصر أو الشَّهادة .

٣ ـ اتساع مجال الخطابة الاجتماعيَّة ، فأصبحت تُطرق فيها مواضيع في جميع نواحي الحياة العامَّة من تعليم وآداب وفيما فيه نفع لمجتمع يتحضر ليقود الدّنيا بأسرها .

٤ ـ اتساع دائرة الخطابة ، والخروج بها إلى مجال التعبير عن الأغراض السامية ، والفكر الراقي في الكون وقيامه ، والوجود ونظامه ، والمجتمع وعوامل بقائها وارتقائها ، وما يجب أن يقوم عليه من أسباب ، ويسوده من آداب .

(١) انظر : الخطابة الإِسلاميَّة ، ص٣٢ ، عبد العاطي محمَّد ، نشر المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .

ـ من خطب العصر الراشدي :

١ ـ خطبة أبي بكر الصديق ﷺ عندما تولى الخلافة قال :

((أيها النَّاس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصِّدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتَّى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتَّى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاَّ خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلاَّ عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، ...)) (١) .

ـ تعتبر هذه الخطبة من عيون الخطب الإسلاميَّة على إيجازها .

٢ ـ خطبة عمر بن الخطاب ﷺ :

سيَّر الفاروق عمر ﷺ جيشًا بقيادة سعد بن أبي وقاص ﷺ للعراق وقام خطيبًا فيهم ، وقال :

((إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول ليحيي به القلوب فإن القلوب ميتة في صدورها حتَّى يحيها الله ، من علم شيئًا فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهَيْن واللَّيْن ، وأمَّا التباشير فالرحمة ، .. واكتف بما يكفيك من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء ...)) (٢) .

---

(١) البداية والنهاية ، وصححه ابن كثير ، ٥/ ٢٦٩ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٤٨٥ .

٣ـ خطبة عثمان ﷺ :

وهي آخر خطبة خطبها ﷺ : بعد أسابيع من الحصار فقال : ((إن الله ﷻ إنما أعطاكم الدّنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكم الدّنيا لتركنوا إليها ، وإن الدّنيا تفنى ، والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية ، وآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدّنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ... ثمَّ قال : يا أهل المدينة إني أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي ...)) [١] .

٤ ـ خطبة علي ﷺ :

خطب أمير المؤمنين علي ﷺ على منبر الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

((أيها النَّاس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأمَّا اتباع الهوى فيصد عن الحق ، ألا إن الدّنيا قد ولت مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل)) [٢] .

٥ ـ خطبة طليحة الأسدي في قومه :

خطب طليحة الأسدي في قومه في معركة القادسية فقال :

((يا عشيرتاه إن المنوّه باسمه الموثوق به ، وإن هذا لو علم أن أحدًا أحق بإغاثة هؤلاء

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٢٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ٧/ ٣٤٢ .

منكم استغاثهم ، ابتدئوهم الشدة ، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة فإنما سُميتم أسدًا لتفعلوا فعله ، شُدوا ولا تصدوا ، وكرُّوا ولا تفرُّوا ... شدوا عليهم باسم الله)) [١] .

كل هذه الخطب والمواعظ الَّتي صدع بها الخلفاء الراشدون والقواد والأبطال وغيرها كثير ممَّا تضيق بذكرها هذه الوريقات ، كان لها الأثر الكبير على أفراد المجتمع الراشدي في العلم والثبات على الدِّين ، والدعوة والجهاد ، والشجاعة والإقدام ، والزهد في الدّنيا ، وطلب الآخرة .

ثانيًا : الشعر :

ـ تعريف الشعر :

الشعر لغة : واحد الأشعار ، وهو في الأصل اسم للعلم الدقيق ، وصار في التعارف اسمًا للموزون المقفى من الكلام [٢] .

وسمي الشاعر شاعرًا لفطنته ودقة معرفته [٣] .

ولأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استظراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني ، أو نقص ممَّا أطاله سواه من

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٣٨ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص٤٥٦ ، للراغب الأصفهاني ، دار القلم ـ دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٤٥٦ .

الألفاظ ، كان اسم الشاعر عليه مجازًا لا حقيقة ، ولم يكن له إِلاَّ فضل الوزن [١] .

اهتمام العرب بالشعر :

لقد كان الشعر عند العرب أداة الثقافة ، ووسيلة المعرفة [٢] ، وهو صفة قديمة لهم ، ولا يمكن تحديد بدء ظهوره [٣] .

ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إِلاَّ الأبيات يقولها الرَّجل في حاجته ، وإنما قُصِّدَتْ القصائد ، وطول الشعر على عهد المطلب ، أو هاشم بن عبد مناف [٤].

ولقد اهتم العرب بالشعر ، حتَّى إنه كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النِّساء يلعبن بالمزاهير [٥] كما يصنعن في الأعراس ، وتتباشر الرجال والولدان لأَنَّهُ حماية لأعراضهم ، وذبٌ عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة لذكرهم، وكانوا لا يهنئون إِلاَّ بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس

---

(١) انظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ١١٦ .

(٢) انظر : عمر نظرة عصرية جديدة ، ص١٢٢ ، مجموعة من طلاب العلم ، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٨٨م .

(٣) انظر : الشعر في ضوء الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص١٥٠ ، محمَّد الأهدل ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

(٤) انظر : المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها ، ٢/ ٤٠٢ ، عبد الرَّحمن السيوطي ، دار الكتب العلميَّة - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

(٥) المزاهير : جمع مزهر ، وهو العود الَّذي يُضرب به في الغناء . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ٤/ ٣٢٥ .

تُنتج [١] .

وكان الشعر في الجاهليَّة عند العرب ديوان علمهم ، ومنتهى حكمتهم، به يأخذون ، وإليه يصيرون ، قال عمر بن الخطاب ﷺ : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه [٢] .

الاهتمام بالشعر في العصر النبوي:

عندما جاء عصر النبوة أظهر النَّبيُّ العربي ﷺ إعجابه بالشعر كما يعجب به أصحاب الذوق السليم ، أُعجب بشعر النابغة الجعدي [٣] ، وبلغ من استحسانه لقصيدة ((بانت سعاد)) أن صفح عن كعب وأعطاه بردته [٤] ، واستمع إلى الخنساء واستزادها ممَّا تقول [٥] ، وتأثر تأثرًا

---

(١) انظر : المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها ، ٢/ ٤٠١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٢/ ٤٠١ .

(٣) النابغة الجعدي هو : الشاعر المشهور المعمر ، اسمه : قيس بن عبد الله ، مع أنَّه اختلف في اسمه ، وقد أنشد النَّبيَّ ﷺ :

لا خير في حلم إذا لم يكن له ۞ بوادر تحمي صفوه أن يكدَرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ۞ حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رَسُول الله ﷺ : ((لا يفضض الله فاك)) . فكانت أسنانه كالبرد المنهل ، ما انفضت له سن ولا انفلتت .

انظر : الإصابة لابن حجر ، ٦/٣٠٨-٣١١ . وهذا الحديث ضعفه ابن الجوزي في فيض القدير ، ٣/ ٥٥٤ ، لعبد الرؤوف المناوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م . والهيثمي في مجمع الزوائد ، ٨/ ١٢٦ .

(٤) لأن كعب بن زهير قال شعرًا أغضب النَّبيَّ ﷺ فأهدر دمه ، فقدم على النَّبيِّ ﷺ مسلمًا وأنشده قصيدة : ((بانت سعاد)) فعفى عنه النَّبيُّ ﷺ . انظر : دلائل النبوة للبيهقي ، ٥/ ٢٠٩ .

(٥) انظر : السيرة الحلبية لعلي الحلبي ، ٢/ ٩٤ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٧هـ .

رقيقًا لشعر قتيلة بنت النضر [١] ، وهو الَّذي دعا حسان بن ثابت ليجيب وفد تميم [٢] ، وهو الَّذي قال : « **إن من الشعر لحكمة** » [٣] [٤] .

---

(١) قتيلة بنت النضر القرشية ، قتل رَسُول الله ﷺ أباها يوم بدر صبرًا ، فأرسلت إلى النَّبيِّ ﷺ قصيدة وفيها :

يـــا راكبًـــا إن الأثيـــل مظنـــة ۞ نـم صـبح خامسـة وأنـت الموفـق

إلى أن قالت :

مـا كـان ضـرك لـو مننـت وربمـا ۞ مـن الفتـى وهـو المغيـظ المحنـق

فقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ : ((لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه)) .

انظر : الإصابة ، ٨/ ٢٨٥ .

وقد ذكر ابن الملقن ـ رحمه الله ـ عن بعض أهل العلم أن هذا القول لم يثبت بإسناد صحيح ، وأن شعر قتيلة مغمور ومصنوع .

غاية مأمول الراغب في معرفة أحاديث ابن الحاجب في الحديث الرَّابع والأربعين بعد المائة ، مخطوط ص٣٩٩ .

ـ فائدة : وعلى افتراض صحة الحديث فإِنَّه لا يفهم منه أَنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام ندم على فعله ، فإِنَّه لا يفعل إِلاَّ حقًا ، وإنما المقصود من قوله أَنَّه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها .

انظر : الاستيعاب ، ٤/ ١٩٠٤ . وسبل الهدى والرشاد ، ٤/ ٨٧ .

(٢) وقال الأقرع بن حابس وهو من وفد تميم بعد سماعه قصيدة حسان بن ثابت : لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا . انظر : السيرة النَّبويَّة لابن كثير ، ٤/ ٨٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز ، رقم الحديث (٦١٤٥) .

(٤) انظر بتوسع : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع الهجري، ص٤٣ ، طه أحمد إبراهيم ، مكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

وهو الَّذي قال للشريد بن سويد [١] : « **هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت** [٢] **شيء ؟** » قال : نعم ، قال : « **هيه** » ، فأنشده بيتًا ، فقال : « **هيه** » ، ثمَّ أنشده بيتًا ، فقال : « **هيه** » ، حتَّى أنشده مائة بيت [٣].

وأذِن عليه الصَّلاة والسَّلام لحسان بن ثابت عندما استأذنه في هجاء المشركين ، فقال رَسُول الله ﷺ : « **كيف بنسبي ؟** » ، فقال حسان : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين [٤] .

وهذا يدل على جواز الشعر بل استحبابه إذا كان هادفًا إلى صالح الإسلام وتدعيم الدعوة الإِسلاميَّة ورفع صرحها ونقض مباني الشِّرك وعبادة الأوثان [٥] .

وقد استمر الرَّسول ﷺ يوجه الشعراء إلى أن يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإِسلاميَّة ، والقيم الجديدة ونبذ كثير من مفاهيم ونظم الشعر الجاهلي .

وهذا ما دعا بعض الكتاب إلى المقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر في صدر الإسلام ،

---

(١) الشريد بن سويد ، الثقفي ، يقال أنَّه حضرمي ، له صحبة ، وله أحاديث . انظر : الإصابة ، ٣/ ٢٧٥ .

(٢) هو أمية بن عبد الله بن ربيعة الثقفي ، كان يتعبد في الجاهليَّة ويؤمن بالبعث ، وينشد في أبياته الشعر المليح ، وقد سمع النَّبيُّ ﷺ شعره الَّذي فيه حكمه ، مات كافرًا . انظر : تهذيب الأسماء واللغات ، ١/ ١٢٦ ، لأبي زكريا النَّووي ، دار الكتب العلميَّة - بيروت .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الشعر ، رقم الحديث (٢٢٥٥) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب هجاء المشركين ، رقم الحديث (٦١٥٠) .

(٥) الشعر في ضوء الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص١٦٢ . بتصرف يسير .

ووصف الشعر في صدر الإسلام أَنَّه أصيب ببعض الخمول والإخفاق في بعض جوانبه ، وحمَّلوا تبعات ذلك للإسلام [١] .

والحقيقة أن شعراء العرب عند نزول القرآن انبهروا ببلاغته ، وسمو كلمه ، وشعروا بعجزهم عن مجاراته في نظمه ووصفه ، ومعانيه ، وقيمه قليلاً أو كثيرًا [٢] .

بالإضافة إلى أن عهد فحول الشعراء قد انقضى قبيل الإسلام ولم يبق منهم إِلاَّ الأعشى [٣] الَّذي مات وهو في طريقه إلى النَّبيِّ ﷺ ، ولبيد [٤] الَّذي كان قد بلغ الستين وأوشك أن يكف عن قول الشعر [٥] .

ومع ذلك فإن عصر النبوة كان حافلاً بالشعر فياضًا به [٦] .

ـ بل إن الشعراء في العصر النبوي بدؤوا يتأثرون تأثرًا واضحًا بالمعاني الدِّينية الجديدة ،

---

(١) الإسلام والشعر ، ص٩٠ ، د.فايز ترحيني ، دار الفكر اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٣١ .

(٣) ميمون بن قيس بن وائل ، ولد في اليمامة ، وهو من فحول الشعراء . انظر : طبقات فحول الشعراء ، ١/ ٥٢ ، محمَّد بن سلام ، دار المدني ـ جدة . وانظر : معجم الشعراء ، ص٤٠١ ، للمرزباني ، دار الكتب العلميَّة .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي ، أبو عقيل الشاعر المشهور ، كان فارسًا شجاعًا شاعرًا ، قال الشعر في الجاهليَّة دهرًا ثمَّ أسلم ، وسأله عمر بن الخطاب بعد ذلك عمَّا أحدث من الشعر في الإسلام ، فقال لبيد : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر في عطائه ، مات سنة إحدى وأربعين . انظر : الإصابة ، ٤/ ٥٠٠ .

(٥) انظر : الإسلام والشعر ، ص٩٠ .

(٦) انظر : المرجع السابق ، ص٩٠ .

وبالأسلوب القرآني ، ممَّا أضفى على الشعر رونقًا وأسلوبًا جديدًا يمتع الآذان ، وخاصة وأَنَّهُ يواكب زمن النبوة ، ولم يقتصر الإسلام على تأثر الشعراء بالمعاني الدِّينية والأسلوب القرآني ، بل إنَّه هذب كثيرًا من المجالات الَّتي يتطرقون إليها في أشعارهم وخاصة شعر الهجاء والغزل [١] ، فمنع شعر الهجاء المقذع الَّذي يتعرض لشخص الإنسان وقبيلته ، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ « **إن أعظم النَّاس جرمًا إنسان شاعر يهجو القبيلة من أسرها ، ورجل تنفى من أبيه** » [٢] ، وفي رواية : « **إن أعظم النَّاس فريَّةً لرجلٌ هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها ، ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه** » [٣] .

ومنع شعر الغزل الفاحش الَّذي يخدش الأعراض ، ويُنقص من مروءة الإنسان وشهامته ، ويُشغله بسفاسف الأمور ورذائلها .

بل إن الإسلام جعل ضوابط لهواة الشعر وقرّاضه حتَّى لا يطغى الشعر على قلوبهم ويستحوذ على نفوسهم ، فرباهم تربية تربوية جعلت من نفوسهم متزنة التصورات ، عالمة بفقه الأولويات .

---

(١) انظر : الإسلام والشعر ، ص٩٩ .

(٢) الأدب المفرد ، ص٤٧٠ ، للبخاري ، مكتبة المعارف ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .وقد حسَّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ١٠/ ٥٣٩ . وصححه الشَّيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة ، ٢/ ٣٩٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من الشعر ، رقم الحديث (٣٧٦١).
وصححه الألباني في السلسلة الصَّحيحة ، ٢/ ٣٩٠ .

قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا » [١] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث : ((.. أن يمتلئ قلبه من الشعر حتَّى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه ، فأمّا إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئ من الشعر)) [٢] .

ـ وهكذا تطورت كثير من جوانب الشعر وهُذِّبَتْ مجالاته في العصر النبوي .

اهتمام المجتمع الراشدي بالشعر :

لقد كان المجتمع الراشدي امتدادًا للمجتمع النبوي في تصوراته واعتقاداته وجميع أمور حياته .

ولذلك فقد كان اهتمام المجتمع الراشدي بالشعر هو ذات الاهتمام الَّذي كان يوليه إياه المجتمع النبوي وزيادة .

إنَّهم هم الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ الَّذين كانوا يجالسون النَّبيَّ ﷺ ويتجاذبون أطراف الحديث وأبيات الشعر في مجلسه .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتَّى يصده عن ذكر الله ، رقم الحديث (٦١٥٤) .

(٢) فتح الباري ، ١٠/ ٥٤٩ .

روى جابر بن سمرة [١] ﷺ أَنَّه قال : جالست النَّبيَّ ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياءً من أمر الجاهليَّة ، وهو ساكت فربما تبسم معهم [٢] .

ولا غرابة في اهتمامهم بالشعر ، فقد قيل : إن العرب لا يتركون الشعر حتَّى تترك الإبل الحنين [٣] .

ولكن الجديد في اهتمام المجتمع الراشدي بالشعر أَنَّهم كانوا يحثون على تعلمه ، والانضباط بضوابط الشَّرع عند إنشائه ، والاهتمام بنقده ، وتفعيل وإثراء أغراضه ، ومعاقبة من تجاوز ضوابطه الشَّرعيَّة .

وإليك إيضاح ذلك .

أ / حث المجتمع الراشدي على تعلم الشعر وحفظه ونقده :

لقد ازداد اهتمام المجتمع الراشدي بالشعر بعد العهد النبوي ، وذلك لإدراكهم أهميته في تفسير كثير من ألفاظ الشَّريعة الواردة في الكتاب العزيز ، والسُّنَّة المطهرة عن طريق شواهد الأدلّة من كلام العرب القديم الدالة على صحة التَّفسير والفهم لكلام رب العالمين .

---

(١) جابر بن سمرة بن جنادة السُّوائي ، له صحبة مشهورة ، ورواية أحاديث ، وشهد فتح المدائن . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٣/ ١٨٦ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الأدب ، باب ما جاء في إنشاد الشعر ، رقم الحديث (٢٨٥٠) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في السلسلة الصَّحيحة ، ١/ ٧٩٦ .

(٣) انظر : العمدة في محاسن الشعر ، ص٣٠ .

وأيضًا كان سببًا في حفظ اللسان العربي من العجمة بعد توسع الفتوحات الإِسلاميَّة في العهد الراشدي للعراق والشام ومصر ، واختلاط العرب بالعجم فكان ذلك دافعًا مهمًا للاهتمام بالشعر الجاهلي وغيره لاستنباط قواعد اللُّغة العربيَّة منه ، وذلك لحفظ اللسان العربي .

وأيضًا كان مقياس القيمة الأدبية لدى النقاد في ذلك العصر هو الشعر الجاهلي والاستدلال بشواهده [١] .

ولهذا فلقد أُثِرَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أَنَّه تلا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢] فقال للصحابة : ما تقولون فيها ؟ فنهض أعرابي وقال : هذه لغتنا التخوف التنقص ، وأنشد قول أبي كبير يصف ناقته :

تخوف الرَّحل منا تامكا قردا ۞ كما تخوف عود النبعة السفن [٣]

فقال عمر بن الخطاب ﷺ : عليكم بديوان العرب فإن فيه تفسير كتابكم [٤] .

---

(١) انظر بتوسع : الشعر في ضوء الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص١٥٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية (٤٥) .

(٣) تامكا : سنامًا عظيمًا ، والقرد : الصوف المتداخل بعضه في بعض ، والسفن : الحديد الَّذي ينحت به وهو المبرد ، والمعنى : إن الرحل أثر في سنام الناقة وتنقص منها كما ينقص السفن من العود . انظر : الشعر في ضوء الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص١٥٣ . ومعجم مقاييس اللُّغة ، ، ٥/ ٨٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، ١٠/ ١١٠ ، لأبي عبد الله القرطبي .

وروى ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّه قال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن ، فابتغوه من الشعر فإِنَّه ديوان العرب (١) .

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أَنَّه كتب إلى أبي موسى الأشعري : ((مر من قبلك بتعلم الشعر فإِنَّه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب)) (٢) .

ولعله يقصد بتعلم ما فيه تسجيل عاداتهم وأخلاقهم وتاريخ وقائعهم وأيامهم وما أودعوه من معادن حكمتهم وكنوز آدابهم (٣) .

ولهذا فقد كان المجتمع الراشدي يحث على تعلم الشعر وحفظه ، ويتناشدونه في مجالسهم ، ويستشهدون به على بعض أمور دينهم ودنياهم ، فقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يحفظ كثيرًا من الشعر حتَّى إنه كان يستشهد على كل واقعة من الشعر (٤) .

وقال قتادة : إنه سمع مطرفًا قال : صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة فَقَلَّ منزلاً ينزله إِلاَّ وهو ينشدني شعرًا (٥) .

---

(١) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبّان ، ١٦/ ٣٨٢ ، وحسنه الشَّيخ الأرنؤوطي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ٢٨ .

(٣) انظر : الشعر في ضوء الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص١٥٣ .

(٤) انظر : البيان والتبيين ، ١/ ٢٠٣ ، للجاحظ .

(٥) الأدب المفرد ، ص٤٦٢ ، للبخاري . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد ، ص٣١٩ ، دار الصديق ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

وكانت عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ كثيرة الرِّواية للشعر ، حتَّى قيل : إنَّها كانت تروي جميع شعر لبيد [١] .

وكان الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ يهتمون بالشعر وحفظه وقرضه ، وقد نسب إليهم أبيات كثيرة من الشعر إِلاَّ أنَّ منهم المقل والمكثر ، وكان الفاروق عمر ﷺ يفوقهم حفظًا للشعر وروايته ونقده [٢] .

ولكن المتأمل في الواقع الثقافي الأدبي للعصر الراشدي يجد أن الاهتمام بالشعر لم يقتصر على الرِّجال فقط بل إنَّه شمل كذلك النِّساء كالخنساء ، ونائلة بنت القرفصة زوجة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية ، وفاطمة الخزاعية ، وعاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب ﷺ بل كانت أم المؤمنين عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ تقرض الشعر [٣] ، بل قيل إن بني عبد المطلب رجالاً ونساءً كانوا يقولون الشعر حاشا رَسُول الله ﷺ [٤] .

وهذا يدل على أن العصر الراشدي كان يزخر بالحركة الأدبية والفصاحة والأصالة والنقد والمفاضلة بين الشعراء ، ويدل على ذلك عندما جاء وفد غطفان إلى عمر بن الخطاب ﷺ وآنسهم بسؤاله : أي شعرائكم الَّذي يقول :

---

(١) انظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ٣٢ .

(٢) انظر بتوسع : الإسلام والشعر ، ص٩٩ .

(٣) انظر : شاعرات العرب في الجاهليَّة والإسلام ، ، ص١٥٤ وما بعدها ، بشير يموت ، المكتبة الأهلية ، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .

(٤) انظر : العمدة في محاسن الشعر ، ١/ ٣٦ .

أتيتــــك عاريًـــــا خلقًـــــا ثيـــــابي ۞ علــى خـــوف تظـــن بـــه الظنـــون

قالوا : النابغة ، قال : فأي شعرائكم الَّذي يقول :

حلفــت فلــم أتــرك لنفســك ريبــة ۞ ولـــيس وراء الله للمـــرء مـــذهب

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم .

فالنابغة في رأي عمر بن الخطاب ﷺ أشعر غطفان ، بل أشعر شعراء عبس وذبيان [١] .

وروي عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - أَنَّه قال : قال لي عمر ليلة مسيره إلى الجابية في أوَّل غزوة غزاها : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ ، قلت : ومن هو ؟ ، قال : الَّذي يقول :

ولــو أن حمــدًا يُخلــدُ النَّــاس أخلــدوا ۞ ولكــن حمــد النَّــاس لــيس بمخلــد

قلت : ذلك زهير [٢] ، قال : فذاك شاعر الشعراء ، قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ ، قال : لأَنَّهُ كان لا يعاضل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحدًا إِلاَّ بما فيه .

فنقد عمر بن الخطاب ﷺ شعر زهير ، وبيانه عن سبب تفضيله لشعره ووصفه بأشعر الشعراء ، يعتبر ذلك ظاهرةً جديدة في العصر الراشدي ، وبهذا يكون الفاروق عمر ﷺ أوَّل ناقد يتعرض للنص من ناحية الصياغة والمعاني وتحديد الخصائص ، وهو أوَّل من أقام حكمًا في النقد على أصول متميزة بسبب قوة تمحيصه لكل ما يتناوله وصحة استنباطه [٣] .

---

(١) انظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٣٣ .

(٢) هو زهير بن أبي سلمى بن ربيعة ، يرجع نسبه في غطفان ، كان راوية أوس ابن حجر . انظر : الشعر والشعراء ، ص١٣٧ ، عبد الله الدينوري ، دار الحديث - القاهرة ، طبع ١٤٢٣هـ .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٣٣-٣٦ . بتصرف يسير .

ولم يقتصر النقد على الفاروق عمر ﷺ بل كان لبعض الصَّحابة آراء واهتمامات بالنقد والأدب ، فعلي ﷺ كانت له آراء ومعايير نقدية في الشعر وهي مهمة ومعتبرة ، فكان يقول : الشعر ميزان العقول (١) .

وسأل معاوية ﷺ الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير ؛ لأنَّهُ ألقى عن المادحين فضول الكلام (٢) .

وكانت أم المؤمنين عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ تقول : الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن ، واترك القبيح (٣) .

وكان إعجاب النقاد في العصر النبوي والراشدي ينصرف إلى الشعر الخلقي وشعر الفضائل ، والعظات ، وشعر المروءة والهمة ، فقد كان الفاروق ﷺ يعجبه هذا البيت :

عميـــــرة ودع إن تجهـــــزت غاديًـــــا ۞ كفـى الشـيب والإسـلام للمـرء ناهيًـا (٤)

لقد كان الاهتمام بالشعر من حيث تعلمه وحفظه وروايته ونقده سببًا في حفظ اللُّغة العربيَّة ووضع قواعدها ، وتفسير كثير من غريب مفردات القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهرة .

بل كانت الآراء النَّقديَّة في العهد الراشدي نواة وطريقًا لارتقاء النقد الأدبي في أواخر القرن

---

(١) انظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ٢٨ .

(٢) انظر : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ١/ ٣٢٨ ، عبد الرحيم العباسي ، عالم الكتب ـ بيروت .

(٣) الأدب المفرد للبخاري ، ص٤٦٦ . وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، ص٣٢٢ .

(٤) انظر : تاريخ النقد عند العرب ، ص٣٧ .

الأَوَّل ، والَّذي نشط فيه النقاد ، وارتقى فهم النَّاس للأدب ، وبدأت الموازنات الشعرية بين شعر وشعر ، وشاعر وشاعر [(١)] .

ب ـ معاقبة من تجاوز الضَّوابط الشَّرعيَّة في قول الشعر :

لقد كان المجتمع الراشدي الَّذي تربى تربية نبوية على الاستقامة والدين وحسن الخلق ، وعدم الظلم والتعدي على الآخرين بالقول أو الفعل .

كان يمج كل قول ناقص فيه تعدٍ وظلم على الآخرين يتعرض لأنسابهم وأحسابهم أو أشخاصهم أو يثير الشحناء والبغضاء بين المسلمين أو يخدش كرامتهم .

ولهذا فقد حرص الخلفاء الراشدون على الحفاظ على كرامة أفراد المجتمع الراشدي ، ووضع العقوبات والتعزيرات الرادعة لمن يتعرض لخدش كرامة الآخرين باللسان ، فتأثير جرح اللسان كتأثير جرح اليد .

ولهذا فقد نال بعض الشعراء نصيبًا من هذه العقوبات بسبب عدم التزامهم بضوابط الشَّرع في قول الشعر وتعديهم واستنقاصهم للآخرين ، وقد كانت العقوبات منها معنوية كمنع الشاعر من إكمال شعره وعدم السماع له إذا أتى بشيء مكروه ، كما صنع عبد الله بن عمر ﷺ عندما وقف عليه إياس بن خيثمة فقال : ألا أنشدك من شعري يا ابن الفاروق ؟ قال : بلى ، ولكن لا

---

(١) انظر : تاريخ النقد عند العرب ، ص٣٧-٣٨ . وانظر : النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرَّسول ﷺ والخلافة الراشدة ، ص٢٨٦ ، محمَّد عارف ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة بالمدينة المنورة .

تنشدني إِلاَّ حسنًا ، فأنشده حتَّى إذا بلغ شيئًا كرهه ابن عمر قال له : أمسك [١] .

ومنها عقوبات حسية كالسجن، كسجن عمر بن الخطاب ﷺ الحطيئة بسبب هجائه الزبرقان بن بدر بقوله :

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا ۞ واقعـد فإنـك أنـت الطـاعم الكاسـي

فهو شبهه بالنِّساء في أنهن يطعمن ويسقين ويكسين ، بل إن الفاروق عمر ﷺ توعده بقطع لسانه إذا تمادى في هجو المسلمين ونهش أعراضهم ، وقد استعطفه الحطيئة بأبيات من الشعر ليطلقه من السجن .

فرق له قلب عمر بن الخطاب ﷺ ، وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً من المسلمين [٢] ، قيل : إن الفاروق اشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم [٣] .

وسجن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ضابئ بن الحارث البرجمي بسبب استعارته من قوم من الأنصار كلبًا يدعى قرحان ، فحبسه عنهم ، فاستغاث الأنصاريون عليه بقومه ، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار ، فهجاهم ، فاستعدوا عليه عثمان ، فأرسل إليه ، فعزره وحبسه ، فاستثقل ذلك ، فما زال في الحبس حتَّى مات فيه [٤] .

---

(١) انظر : الأدب المفرد للبخاري ، ص٤٦٢ . وضعفه الشَّيخ الألباني في ضعيف الأدب المفرد ص٨٠ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٨/ ١٠٦ .

(٣) انظر : محض الصَّواب ، ١/ ٣٧٦ .

(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٠٢ .

ج / بعض أغراض الشعر في العصر الراشدي .

لقد كان الشعر بأغراضه في العصر الراشدي وسيلة إعلامية لتوثيق تاريخ المعارك وأحداثها ، ووسيلة للأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وحربًا نفسية ضد الأعداء ، وطلبًا للغوث والنصرة ، ومتنفسًا سياسيًا وعاطفيًا وغير ذلك من الأغراض ، ومن ذلك :

١ ـ شعر الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر :

قام بعض بنات من اليمن من اليهود وغيرهم بإقامة الليالي الحمراء والرقص والغناء مع الفساق فرحًا بموت النَّبيّ ﷺ فأرسل رجل من أهل اليمن إلى أبي بكر الصديق ﷺ بعض الأبيات الشعرية يبين له هذا المنكر ويحثه على معاقبتهن ، فكتب أبو بكر الصديق إلى عامله هناك المهاجر بن أمية بمعاقبتهن وقطع أيديهن [١] .

٢ ـ شعر المناصحة :

أ / ومن أمثلة ذلك ما قاله ثمامة بن أثال من أبيات شعرية مناصحة لمسيلمة الكذاب :

مسيلمة ارجع ولا تمحك ۞ فإنك في الأمر لم تشرك

كذبت على الله في وحيه ۞ فكان هواك هوى الأنوك [٢]

ومناك قومك أن يمنعوك ۞ وإن يأتهم خالد تُترك

فما لك في الجو من مصعد ۞ وما لك في الأرض من مسلك [٣]

---

(١) انظر : المحبر ، ص١٨٨ .

(٢) الأنوك : العاجز الجاهل . لسان العرب ، ١٠/ ٥٠١ .

(٣) انظر : الردة ، ص١١٨ ، للواقدي ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

ب / مناصحة زياد بن عبد الله الغطفاني ، لعيينة بن حصن لما بايع طليحة في الردة ، [١] :

أبلـــغ عيينـــة إن عرضـــت لـــداره ۞ قـــولاً يشـــير بـــه الشـــفيق الناصـــح

أعلمـــت أن طليحـــة بـــن خويلـــد ۞ كلـــب بأكنـــاف البزاخـــة نـــابح

كيـــف البقـــاء إذا أتـــاكم خالـــد ۞ ومهـــاجرون مســـومون ســـرائح

٣ـ شعر طلب النصرة :

أ / ومن ذلك ما قاله عبد الله بن حذق [٢] في ثبوت أهل قرية جواثا [٣] على الإسلام في أيَّام الردة :

ألا أبلـــغ أبـــا بكـــر رســـولاً ۞ وفتيـــان المدينـــة أجمعينـــا

فهـــل لكـــم إلـــى قـــوم كـــرام ۞ قعـــود فـــي جواثـــا محصـــرينا

كـــأن دمـــاءهم فـــي كـــل فـــج ۞ شـــعاع الشَّـــمس يُغشـــى الناظرينـــا

توكلنـــا علـــى الـــرَّحمن إنـــا ۞ وجـــدنا النصـــر للمتوكلينـــا [٤]

ب / ما حدث بعد سنتين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ من تزايد بنو كنازا ، وهم أخوال كسرى بنيسابور ، واستيلائهم على بلخ ، وأُلجئ من بها من العرب إلى مرو ، وكان عليها

---

(١) انظر : الإصابة في تمييز الصَّحابة ، ٢/ ٥٢٩ .

(٢) عبد الله بن حذق ، ثبت على إسلامه ، وأعان العلاء بن الحضرمي في الدلالة على عورة قومه حتَّى ظفر بهم . انظر : الإصابة ، ٥/ ٦٥ .

(٣) جواثا : قرية من البحرين ، وهي أوَّل قرية أقامت الجمعة بعد رجوع النَّاس إلى الحق . البداية والنهاية ، ٦/ ٣٣٥ .

(٤) الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٢٢٢ ، لابن الأثير .

عبد الرَّحمن بن سمرة ، فكتب إلى عثمان ﷺ بخلع أهل خراسان ، وقام الشعراء بوصف ثورة أهل خراسان ، ويستحثون الخليفة أن لا يستهين بها ، وسألوا أن يمدهم ببعث حتَّى يتمكنوا من قمع الخارجين عليها ، وفي ذلك يقول أسيد ابن المتشمس التميمي [1] :

ألا بلغا عثمان عني رسالة ۞ فقد لقيت عنا خراسان بالغدر

فأذن هداك **الله** حربًا مقيمة ۞ بمروى خراسان العريضة في الدهر

ولا تفترز عنا فإن عدونا ۞ لآل كناز الممدين بالجسر

فندب عثمان بن عفان ﷺ عبد الله بن عامر [2] عامله على البصرة لنجدة العرب المحاصرين فافتتحها وأعاد الولاة العرب عليها [3] .

٤ ـ شعر الهجاء :

ومن أمثلة ذلك ما قاله : زُفَر بْن يزيد بن حذيفة الأسدي ، أسد خزيمة ، كان من ساداتهم ، وثبت على إسلامه حين ظهر طليحة بن خويلد ، ردَّ على طليحة في خطبة طويلة وشعر يقول فيه :

(١) أسيد بن المتشمس ـ بضم الميم ـ ابن معاوية التميمي السعدي ، ابن عم الأحنف ، ثقة من الثَّانية . تقريب التهذيب ، ص١١٢ ، لابن حجر .

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز القرشي ، ابن خال عثمان بن عفان ، ذكر ابن حبّان أَنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ ، كان جوادًا شجاعًا ، ولاه عثمان البصرة ، وفتح خراسان كلها ، وفي إمارته قتل يزدجرد ملك الفرس ، مات سنة سبع وخمسين . انظر : الإصابة ، ٥/ ١٥ .

(٣) انظر : الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ، ص١٣٢ ، حسين عطوان ، دار الجيل ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

لهفــي علــى أســد أضــلَّ ســبيلهم ۞ بعـــد النَّبـــيّ طليحـــة الكـــذاب [(١)]

٥ ـ شعر النقائض [(٢)] والرد :

ومن أمثلة ذلك ما قاله : حسان بن ثابت ﷺ يرد على أهل الردة الَّذين قالوا لا نطيع أبا الفصيل [(٣)] ـ يعنون أبا بكر الصديق ﷺ ـ :

مــا البكــر إلاَّ كالفصــيل وقــد تــرى ۞ أن الفصـــيل عليـــه لـــيس بعـــار

إنـــا ومـــا حـــجَّ الحجـــيج لبيتـــه ۞ ركبـــان مكـــة معشـــر الأنصـــار

تعـــرى جمـــاجمكم بكـــل مهنَّـــدٍ ۞ ضـــرب القُـــدار [(٤)] مبـــادئ الأيســـار [(٥)]

حتَّـــى تُكَنُّـــوه بفحـــل هنيـــدة [(٦)] ۞ بحمـــى الطروقـــة بـــازل هـــدَّار [(٧)]

٦ ـ شعر المعارك والفتوحات :

إن الفتوحات الإِسلاميَّة أذكت جذوة الشعر العربيَّة ، وأطلقت الألسن من عقالها ، وفتحت أمام الشاعر مجالات واسعة في الفخر والهجاء والحماسة وغيرها ، فوجد الشاعر المسلم

---

(١) انظر : الإصابة ، ٢/ ٥٢٥ .

(٢) شعر النقائض هو : أن ينقض شاعر ما قاله شاعر آخر . الإسلام والشعر ، ص١٢٩ .

(٣) الفصيل : ولد الناقة ، إذا فُصل عن أُمه ، والجمع فصلان . انظر : مختار الصحاح ، ص٢٤٠ .

(٤) القُدَار هو : الجزار . جمهرة اللُّغة ، ٢/ ٦٧٦ ، أبو بكر الأزدي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

(٥) الأيسار : جمع يَسرٌ : وهم الَّذين يقامرون ، والياسرون : الَّذين يلون قسمة الجزور . تهذيب اللُّغة ، ١٣/ ٤٢ .

(٦) هنيدة : تطلق على مائة من الإبل . لسان العرب ، ٣/ ٤٣٧ .

(٧) ديوان حسان بن ثابت ، ص١٧٢ ، مطبعة السعادة ـ مصر .

في الفتوحات فرحة يفاخر ببلائه وبلاء قومه في سبيل الله ، ويهجو أعداءه من الكفرة ، ويقذع في هجائهم دون تحرج أو ضير .

وهذا يبين لنا آثار الفتوحات الإِسلاميَّة على الشعر والشعراء ، فكما أن الفتوحات كانت متنفسًا للعرب المفطورين على الفروسية والنجدة والشجاعة ، كانت أيضًا الفتوحات الإِسلاميَّة متنفسًا للعرب المفطورين على الشعر والفصاحة .

وأظهرت شعراء جدد على مسرح الشعر سواء كانوا من المغمورين والذين لم يتداول النَّاس قصائدهم كالقعقاع بن عمرو ، وأخيه عاصم ، ونافع بن الأسود التميمي ، وغيرهم (١) ، والملفت للانتباه أن أكثر شعر الفتوح ينسب إليهم وخاصة أَنَّه جاء لوصف المواقف الَّتي مرت بهم والَّتي أثارت مشاعرهم وأحاسيسهم ، فعبروا عن ذلك تعبيرًا صادقًا أصيلاً (٢) .

ـ والقسم الثَّاني : أناس ليس لهم علاقة بالشعر ولكنهم عندما خاضوا المعارك جاشت نفوسهم بالبيت والبيتين والمقطوعة القصيرة تسريه وتنفيسًا وحثًا لنفوسهم ، وتحميسًا لها ، وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من الفاتحين ، وشعرهم يغلب عليه الرجز العفوي الَّذي يصدر عنهم وهم يستقبلون خصومهم ، وكأنهم يشجعون أنفسهم ويثبتونها ، ولعل أبناء الخنساء الأربعة وما جاش على ألسنتهم من رجز في القادسية خير مثال على ذلك (٣) .

---

(١) انظر : شعر الفتوح الإِسلاميَّة في صدر الإسلام ، ص١٥٩-١٦٠ ، د.النعمان التاخي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٧٥ .

(٣) انظر : شعر الفتوح الإِسلاميَّة في صدر الإسلام ، ص١٧٦ .

ـ قال أبناء الخنساء الأربعة أبياتًا من شعر الحماسة يقوي كل واحد منهم نفسه وإخوانه في معركة القادسية :

فقال الأَوَّل :

يـــا إخـــوتي إنَّ العجـــوزَ الناصـــحَةْ ❁ قَـــدْ نَصـــحتنا إذْ دَعَتْنـــا البارحـــةْ

بِمقالـــــةٍ ذاتِ بيـــــانٍ واضـــــحةْ ❁ فَبـــاكروا الحَـــربَ الضَّـــروُس الكالحـــةْ

فتقدم فقاتل حتَّى قتل .

وتقدم الثَّاني وهو يقول :

إنَّ العجـــــوزَ ذَاتُ حَـــــزْمٍ وجَلَـــــدْ ❁ والنَّظـــر الأوفـــق والـــرَّأي السَّـــدَدْ

قَـــدْ أمرَتْنـــا بالسَـــدَاد والرَّشـــدْ ❁ نَصـــيحةً مِنْهـــا وبِـــرًّا بالولـــدْ

وتقدم الثَّالث وهو يقول :

واللهِ لا نَعصـــي العجـــوزَ حَرْفًـــا ❁ قَـــدْ أمرتنـــا حَربًـــا وعَطفًـــا

نصـــحًا وبـــرًا صـــادقًا ولطفـــا ❁ فبـــادروا الحـــرب الضـــروس زحفًـــا

وتقدم الرَّابع وهو يقول :

لســـتُ لخنســـاءَ ولا للأخْـــرَمِ ❁ ولا لعَمْـــرو ذِي السَّـــناء الأقـــدَم

إمَّـــا لفـــوزٍ عاجـــلٍ ومَغـــنم ❁ أو لوفـــاةٍ فـــي السَّـــبيل الأكـــرم

وقد استشهدوا جميعًا ، وعندما بلغ الخنساء خبر استشهادهم الأربعة قالت : الحمد لله الَّذي

شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته [١] .

وفي معركة القادسية سجن سعد بن أبي وقاص : أبا محجن [٢] بسبب شربه للخمر ، ولما أفاق أبو محجن قال هذه الأبيات حزنًا على أَنَّه مقيد في الحديد والناس في أرض المعركة يجالدون العدو بحثًا عن الشَّهادة ، فقال :

كفى حزنًا أن تطرد الخيل بالقنا ۞ وأُترك مشدودًا عليَّ وثاقيا

إذا قمت عنَّاني الحديدُ وأُغلقت ۞ مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ۞ فقد تركوني واحدًا لا أخا ليا [٣]

وقال قيس بن المكشوح المرادي في قتال الفرس :

جلبتُ الخيل من صنعاء تَردِي ۞ بكل مُدَجَّج كالليث سام

إلى وادي القُرى فديار كلب ۞ إلى اليرموك فالبلد الشآمي

وجئنا الفارسية بعد شهر ۞ مسوَّمة دوابرها دوامي

فناهضنا هنالك جَمْعَ كسرى ۞ وأبناء المرازبة الكرام [٤]

---

(١) انظر : الإصابة ، ٨/ ١١١ .

(٢) أبو محجن الثقفي الشاعر المشهور ، مختلف في اسمه ، وله قصة مع زوجة سعد بن أبي وقاص ، وقد تاب الله عليه من شرب الخمر ، مات بأذربيجان . الإصابة ، ٧/ ٢٩٨ .

(٣) الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٣٠٨ ، لابن الأثير . الإصابة ، ٧/ ٢٩٨ .

(٤) فتوح البلدان ، ص٢٥٧ ، للبلاذري ، دار الهلال ـ بيروت ، عام النشر : ١٩٨٨م .

٧ـ الشعر السياسي :

فتح باب الشعر السياسي على مصراعيه عندما قتل عثمان ﷺ وأصبح الأداة الإعلامية الفاعلة في العصور الإِسلاميَّة المتلاحقة [١] .

قال حسان بن ثابت ﷺ بعد مقتل عثمان ﷺ :

اتــركتم غــزو الــدُّروب وراءكــم ۞ وغزوتمونــا عنــد قبــر محمَّــد

فلبــئس هــدى المســلمين هــديتُمُ ۞ ولبــئس أمــر الفــاجر المتعمــد

إن تُقْــدِموا نجعــل قِــرى ســرواتكم ۞ حــول المدينــة كــلَّ لــين مــذود

أو تــدبروا فلبــئس مــا ســافرتم ۞ ولَمِثْــلُ أمــر أميــركم لــم يَرشــد

وكــأن أصــحاب النَّبــيّ عشــيَّة ۞ بُــدن تُــذَّبح عنــد بــاب المســجد

أبكــي أبــا عمــرو لحســن بلائــه ۞ أمســى مقيمًــا فــي بقيــع الغرقــد [٢]

٨ ـ شعر التَّاريخ وتوثيق الأحداث :

لقد كان للشعراء حضور في المعارك والفتوحات ، ولذلك فقد كان لهم دور في توثيق الأحداث والمعارك ، حتَّى قيل إن الشعراء كانوا أدق من المؤرخين في نقل أخبار المعارك والفتوحات والأحداث ، ويدل على ذلك ما قام به الشعراء الَّذين ساهموا في فتح خراسان في عهد الخليفة عثمان ﷺ [٣] مثل أسيد بن المتشمس الَّذي يذكر خبر استردادهم لخراسان

---

(١) انظر : تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ، ص١٠١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٢٤ .

(٣) انظر : الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ، ص١٣٤ .

وخضوع أهلها لهم ، وتجديد الصلح معهم :

ألا أبلغـــــا عنـــــي رســــــالة ۞ لقــد لقيــت عنــا خراســان ناطحــا
رمينــاهم بالخيــل مــن كــل جانــب ۞ فولــوا ســراعًا واســتقادوا النوائحــا
غـــداة رأوا الخيـــل العـــراب مغيـــرة ۞ تقـــرب مـــنهم أســـدهن الكوالحـــا
تنـــادوا إلينـــا واســـتجاروا بعهـــدنا ۞ وعـــادوا كلابًـــا فـــي الـــدِّيار نوابحـــا [١]

بل إن الشعراء أحاطوا بنهاية يزدجر ، فهم يذهبون إلى أنَّه انخلع قلبه من الخوف ، حين رأى أبطالهم مقبلين على مرو ، يتعقبونه ويلاحقون فلوله ، فلجأ إلى طاحونة على نهر رزيق ، فلقي حتفه بها ممَّا سهل لهم ويسر عليهم استرجاع المدينة [٢] ، وفي ذلك يقول أبو بجيد نافع بن الأسود التميمي [٣] :

ونحـــن قتلنـــا بزدجـــرد ببعجـــة ۞ مـــن الرعـــب إذ ولـــى الفـــرار وغـــارا
غـــداة لقينـــاهم بمـــرو نخـــالهم ۞ نمـــورًا علـــى تلـــك الجبـــال ونـــارا
قتلنـــاهم فـــي حربـــة طحنـــت لهـــم ۞ غـــــداة الرزيـــــق إذ أراد جـــــوارا
ضـــممنا علـــيهم جـــانبيهم بصـــادق ۞ مـــن الطعـــن مـــا دام النَّهـــار نهـــارا
فـــو الله لـــولا الله لا شـــيء غيـــره ۞ لعـــادت علـــيهم بـــالرزيق بـــوارا [٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٤ .
(٢) المرجع السَّابق ، ص١٣٣ .
(٣) نافع بن قطنه بن مالك التميمي ، مخضرم يكنى أبا نجيد ، شهد فتوح العراق . الإصابة ، ٦/ ٣٨٥ .
(٤) شعر الفتوح الإِسلاميَّة في صدر الإسلام ، ص١٢٩ .

٩ ـ شعر الندم والعقوبة والاستعطاف :

ارتد طليحة الأسدي وادعى النبوة ، وقتل الرجلين الصَّالحين : عكاشة بن محصن ، وثابت ابن أقرم ـ رضي الله عنهما ـ ثمَّ منَّ الله عليه بالتوبة والرجوع للإسلام وحسن إسلامه ، ولم يمغص عليه في إسلامه وقد أبلى بلاء حسنًا في فتوحات العراق [١] ، وقد قال نادمًا على ردته وعلى قتله للصحابيين عكاشة وثابت :

ندمت على ما كان من قتل ثابت ۞ وعكاشة الغنمي ثمَّ ابن معبد

وأعظم من هاتين عندي مصيبة ۞ رجوعي من الإسلام فعل التعمد

وتركي بلادي والحوادث جَمَّة ۞ طريدًا وقِدْمًا كنت غير مطرَّد

فهل يقبل الصديق أني مراجع ۞ ومعط بما أحدثت من حدث يدي

وأني من بعد الضلالة شاهد ۞ شهادة حق لست فيها بملحد

بأن إله النَّاس ربي وإنني ۞ ذليل وأن الدِّين دين محمَّد [٢]

١٠ ـ شعر الشكوى :

كان بعض العرب إذا حزبهم أمر أو أصابهم كرب أرسلوا شكواهم بالشعر لمن يحبونه أو يرجون منه الإعانة والمساعدة.

فهذا كلاب بن أمية الكناني خرج غازيًا تاركًا أبويه الشَّيخين رغم تعلقهما به ، ولما اشتد الشوق بأبيه قال هذه الأبيات :

أعاذل قد عذلت بغير علم ۞ وما يدريك ويحك ما ألاقي

---

(١) انظر : الإصابة ، ٣/ ٤٤٠ .

(٢) الردة ، ص١٠٠ ، لمحمَّد الواقدي .

فإمـــا كنـــت عـــاذلتي فـــردّي ۞ كلابًـــا إذ توجـــه للعـــراق

سأســتعدي علـــى الفـــاروق ربًـــا ۞ لـــه دفـــع الحجـــيج إلـــى بســـاق

إن الفـــاروقُ لـــم يـــردد كلابًـــا ۞ علـــى شـــيخين هامهمـــا زواق

وقال أيضًا :

تركـــت أبـــاك مرعشـــة يـــداه ۞ وأمـــك مـــا تســـيغ لهـــا شـــرابا

إذا نعـــب الحمـــام بـــبطن وج ۞ علـــى بيضـــاته ذكـــرا كلابـــا

فبلغ عمر بن الخطاب ﷺ شعره ، فكتب إلى سعد يأمره بإرجاع كلاب ، فلما قدم أرسل عمر إلى أمية ، فقال له : أي شيء أحب إليك ؟ قال : النَّظر إلى ابني كلاب ، فدعاه له ، فلما رآه اعتنقه وبكى بكاء شديدًا ، فبكى عمر ﷺ ، وقال : يا كلاب الزم أباك وأمك ما بقيا [(١)] .

١١ـ شعر الرثاء :

لقد كان للرثاء نصيبًا كبيرًا من الشعر في العصر الراشدي :

فعندما قتل عمر بن الخطاب ﷺ رثته عاتكة بنة زيد بن عمر بن الخطاب ﷺ فقالت :

عـــين جـــودي بعبـــرة ونحيـــب ۞ لا تملّـــي علـــى الإمـــام النجيـــب

فجعتنـــي المنـــون بالفـــارس المُعْـــ ۞ ـــلَمِ يـــوم الهيـــاج والتلبيـــب [(٢)] [(٣)]

---

(١) الإصابة لابن حجر ، ١/ ٢٦٧ . بتصرف يسير .

(٢) تلبيب : مفرد تلابيب ، وهو موضع اللبب من الثِّياب ، يقال : أخذ فلان بتلبيب فلان وبتلابيبيه أي : أمسك به من صدره . المعجم الوسيط ، ٢/ ٨١١ . بتصرف يسير .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢١٨ .

وقال حسان بن ثابت يرثي عثمان رضي الله عنه :

مـاذا أردتـم مـن أخـي الـدِّين باركـت ❁ يـدُ الله فـي ذلـك الأديـم المقـدّد

قتلـتم ولـي الله فـي جـوف داره ❁ وجئـتم بـأمر حـائر غيـر مهتـد

فهـلا رعيـتم ذمـة الله بيـنكم ❁ وأوفيـتم بالعهـد عهـد محمَّـد

فـلا ظفـرت أيمـان قـوم تبـايعوا ❁ علـى قتـل عثمـان الرشـيد المسـدّد (١)

❁❁❁

(١) البداية والنهاية، ٧/ ٢١٩ .

المطلب الخامس

البعثات الدعوية الإعلامية

لقد بدأت البعثات الدعوية منذ عهد النَّبيِّ ﷺ ، وكان الهدف منها دعوة النَّاس للإسلام ، وتعليمهم أسسه وتعاليمه ، وقد بدأ النَّبيُّ ﷺ بالبوادي والقرى القريبة من مكة والمدينة ، فقد أرسل وفد الرجيع (١) إلى عضل والقارة (٢) لتعليمهم شرائع الإسلام ، وكان الوفد يضم عشرة من الصَّحابة ﷺ ، وقد تعرض بنو لحيان للوفد فقتلوهم ، وما نجا منهم سوى اثنين أسروهما وباعوهما لقريش فقتلتهما (٣) .

وكذلك أرسل وفد بئر معونة (٤) وكان يضم سبعين من القراء توجهوا إلى نجد حيث تعرضوا لغدر الأعراب وقتلوا جميعًا إلاَّ واحدًا عاد بخبرهم إلى المدينة (٥) .

---

(١) الرجيع : هو مكان من بلاد بني سليم وهذيل . فتح الباري ، ١/ ١٢١ .

(٢) القارة : هي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة من مضر ، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش ، وكانوا يُضرب بهم المثل في قوَّة الرمي . فتح الباري ، ٧/ ٢٣٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الرجيع ، رقم الحديث (٤٠٨٦) .

(٤) بئر معونة بين جبال يقال لها أبلى في طريق القادم من المدينة إلى مكة ، غرب المهد ديار بني سليم قديمًا ، وهي اليوم ديار مطير . انظر : معجم البلدان للحموي ، ١/ ٣٠٢ . ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النَّبويَّة ، ص٥٢ ، عاتق الحربي ، دار مكة ـ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

(٥) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الَّذين قتلوا ﴾ ... ←

وأرسل معاذًا ﷺ إلى اليمن ليعلمهم القرآن والشرائع ويقضي بينهم [١] ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح ﷺ إلى أهل نجران بناءً على طلبهم ليعلمهم السُّنَّة والإسلام [٢] ، وبعث ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ غيرهم بهدف دعوة النَّاس إلى الإسلام وتعليمهم إياه [٣] .

وقد امتدت هذه البعثات الدعوية الإسلاميَّة في العصر الراشدي لتحقيق الهدف الَّذي أراده النَّبيُّ ﷺ وهو دعوة النَّاس إلى الإسلام وتعليمهم شعائره وشرائعه .

إلاَّ أن حركة الردة الَّتي أشغلت الصديق أبو بكر ﷺ عن التوسع في إرسال البعثات الدعوية للقرى والبوادي ، لم تثنه من استغلال أحداث الردة وجعلها وسيلة دعوية إعلامية لدعوة النَّاس وإرجاع وتثبيت من حاد عن الإسلام .

فقد قام ﷺ بإرسال الرسل والرسائل والَّتي كانت من أهم وسائل إحباط المرتدين وردعهم معنويًا قبل وصول الجيوش الإسلاميَّة .

فقد أرسل عدي بن حاتم ﷺ [٤] إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ويحذرهم من وصول

رقم الحديث (٢٨١٤) .

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٣/ ١٤٠٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، رقم الحديث (٤٣٨١).

(٣) انظر بتوسع : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٩٥ . والاستيعاب ، ٣/ ١٤٠٣ .

(٤) هو عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي ، ولد الجواد المشهور ، أبو طريف ، أسلم سنة تسع ، وكان نصرانيًا قبل ذلك ، وثبت على إسلامه في الردة ، وشهد فتح العراق ، وصفين مع علي ﷺ ، ومات بعد الستين . الإصابة ، ٤/ ٣٨٨ .

جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ﷺ .

وقد نجح عدي بن حاتم ﷺ في مهمته بتوفيق من الله تعالى ورجع قومه إلى التمسك بالإسلام والانقياد لحكم الخليفة الراشد ، فكان عديٌّ خير مولود وأعظم بركة على قومه (١) .

وكان أبوبكر الصديق ﷺ يراسل المثنَّى بن حارثة ويأمره بمتابعة دعوته للناس في العراق والَّتي اعتبرت الخطوة الأولى في تحرير العراق وانتشار الإسلام فيها (٢) .

ثمَّ استقرت الخلافة واستتب الأمن .

وفي عهد الفاروق عمر ﷺ نشطت البعثات الدعوية والعلمية واتسعت مع اتساع الفتوحات الإِسلاميَّة ، وذلك لكثرة الداخلين في الإسلام ، وحاجتهم في تعلم مبادئ الإسلام وقيمه .

وقد اشتملت هذه البعثات على ما يلي :

١ ـ إرسال العلماء والدعاة للبوادي والأمصار المفتوحة :

فقد بعث عمر ﷺ رجلاً يقال له أبو سفيان (٣) يستقرئ أهل البوادي القرآن (٤) .

وكان ولاة الأمصار في العصر الراشدي يقومون بدور بارز في الدعوة والتعليم وذلك بأمر

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٤٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٧/ ٢٢ . والإصابة ، ٥/ ٥٦٩ .

(٣) يقال بأنّه رجل من قريش وله قصة . الإصابة ، ١/ ٢٩٨ .

(٤) المرجع السابق ، ٢٩٨ .

من الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم .

قال عمر ﷺ في إحدى خطبه : اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ، فإني بعثتهم يعلمون النَّاس دينهم وسنة نبيهم [١] .

وكان غالب الولاة في العصر الراشدي أهل علم وفقه يدركون مسؤولية الدعوة كأبي موسى الأشعري الَّذي أرسله عمر ﷺ واليًا على البصرة فخطب في النَّاس وقال : بعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم [٢] .

وأرسل أمير المؤمنين علي ﷺ عبد الله بن عبّاس واليًا على البصرة ، وابن عبّاس علمٌ لا يُعرَّف فهو عالم بالفقه والتَّفسير والسُّنَّة ، قائدًا سياسيًا محنَّكًا ، من خاصة تلاميذ عمر الفاروق ﷺ .

قال مجاهد [٣] ـ رحمه الله ـ : كان ابن عبّاس يسمى البحر لكثرة علمه [٤] .

وعن طاووس [٥] قال : أدركت خمسين أو سبعين من الصَّحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٠٤ .

(٢) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٩٦ .

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي ، ثقة إمام في التغيير وفي العلم . مات سنة أربع ومائة . انظر : تقريب التَّهذيب ، ص٥٢٠ .

(٤) الإصابة ، ٤/ ١٢٨ .

(٥) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرَّحمن الحميري ، يقال اسمه ذكوان ، وطاوس لقب ، ثقة فقيه فاضل ، مات سنة ست ومائة . تقريب التَّهذيب ، ص٢٨١ .

ابن عبّاس لا يقومون حتَّى يقولوا هو كما قلت ، أو صدقت [١] .

وعن الأعمش قال : خطب ابن عبّاس وهو على الموسم ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : لو سمعت فارس والروم لأسلمت [٢] .

ولم يقتصر الخلفاء الراشدون على ما يقوم به الولاة من الدعوة والتعليم بل ساندوهم بإرسال العلماء والدعاة لتعليم النَّاس وتربيتهم ، وخاصة في البلدان المفتوحة فقد أرسل الفاروق عمر ﷺ عبد الله بن مغفل المزني ، وعمران بن حصين ومعه بعض الصَّحابة إلى البصرة [٣].

وأرسل عبد الله بن مسعود ﷺ إلى الكوفة ليعلم أهلها [٤] ، وأرسل معاذ بن جبل وعبادة ابن الصامت وأبا الدرداء ﷺ إلى الشَّام لأن أهلها بحاجة إلى من يعلمهم القرآن الكريم [٥] فكان عبادة في الشَّام قاضيًا ومعلمًا [٦] .

ويروي قرظة بن كعب [٧] أنَّه لما أراد الذهاب مع عدد من أصحابه إلى الكوفة شيعهم عمر

---

(١) الإصابة ، ٤/ ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ٤/ ١٢٩ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٤/ ٢٠٧ .

(٤) انظر : الطبقات ، ٦/ ٨٩ ، لابن سعد .

(٥) الإصابة ، ٣/ ٥٠٧ .

(٦) الاستيعاب ، ٢/ ٨٠٨ ، لابن عبد البر .

(٧) هو قرظة بفتحتين بن كعب الأنصاري الخزرجي ، شهد أحدًا وما بعدها ، وكان ممَّن وجهه عمر ﷺ إلى الكوفة ←

ابن الخطاب ﷺ وقال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جرِّدوا القرآن ، وأقلّوا الرِّواية عن رَسُول الله [١] .

ـ وقد يطلب الولاة من الخليفة إرسال بعض العلماء والدعاة لتعليم النَّاس مثلما كتب والي الشَّام يزيد بن أبي سفيان [٢] لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقال : إن أهل الشَّام قد كثروا ، وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فأعني برجال يعلمونهم ، فأرسل إليه عمر خمسة من فقهاء الصَّحابة [٣] .

ـ وقد يطلب الخليفة من ولاة الأمصار إرسال وفد لدار الخلافة يسألهم عن بلادهم وعن ولاتهم ليتأكد من عدم وقوع الظلم عليهم ، ولا شك أن هذا اللقاء بالخليفة له دور إعلامي ودعوي في الأمصار الَّتي جاءت منها الوفود [٤] .

ـ وقد تدفع الرغبة في الجهاد في سبيل الله كثيرًا من الصَّحابة وكبار علماء التَّابعين إلى الارتحال إلى المدن المفتوحة والثغور ، فيحصل بذلك الدعوة للخير وتعليم النَّاس القرآن

يفقه النَّاس ، مات في خلافة علي وصلى عليه ﷺ أجمعين . الإصابة ، ٥/ ٣٢٨ .

(١) الطبقات لابن سعد ، ٦/ ٨٧ . وانظر بتوسع عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٩٧ .

(٢) يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب القرشي الأموي ، أمير الشَّام ، وأخو الخليفة معاوية ، كان من فضلاء الصَّحابة ، من مسلمة الفتح ، أحد أمراء الأجناد ، أمره أبو بكر ، وأمره عمر بن الخطاب على فلسطين ودمشق ، مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . انظر : الإصابة ، ٦/ ٥١٦ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢/ ٣٤٤ .

(٤) انظر : الخراج لأبي يُوسف ، ١/ ١٢٤ .

والسُّنَّة ، وهذا من غير أن يرسلهم الخليفة رسميًا [١] .

وقد كان نصيب الكوفة من الصَّحابة كبيرًا إذ هبط فيها ثلاثمائة من أصحاب الحديبية وسبعون من أهل بدر [٢] .

وقد استمرت البعثات الدعوية في عهد الخليفتين عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، إلا أنَّ نشاطها واتساعها وشمولها كان في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه .

٢ ـ البعثات الدعوية والإعلامية في الحج :

كان موسم الحج من أهم المواطن الدعوية والإعلامية والتعليمية والسياسية لعموم المسلمين يلتقي الخليفة فيه بالولاة ، وبالناس الوافدين من جميع الأمصار ، يتعرف على أحوالهم ومعيشتهم ومشاكلهم ، ويتباحث مع ولاته ما يخص شؤون الدَّولة ، ويناصحهم بتحري العدل والإنصاف بين الرعية ، ويحاسبهم على ذلك .

ولا شك أن ما يحدث في موسم الحج من الدعوة والتعليم واللقاءات والحوارات العلميَّة والدعوية يتسامع به جميع الأمصار وذلك لتوفر وسيلة نقل أخبار موسم الحج من الحجاج الوافدين من تلك الأمصار .

ولأهمية موسم الحج الدعوية والإعلامية والسياسية ، فقد حرص النَّبيُّ ﷺ على إرسال

---

(١) فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٢٠٩ .

(٢) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٩٧ .

أبي بكر الصديق أميرًا للحج في السنة التاسعة ... [١].

ولهذا فقد أصبح ذهاب الخليفة للحج أو من ينيبه هديًا نبويًا وراشديًا .

ومن ثم كان الخلفاء الراشدون لا يتخلفون عن الذهاب لموسم الحج إلاَّ لمانع المرض ، أو حصول فتنة ، أو غير ذلك .

مثلما حصل لعثمان ﷺ عندما أرسل عبد الله بن عبّاس أميرًا للحج في وقت حصار أهل الفتنة للمدينة [٢] .

وأيضًا عندما انشغل علي ﷺ في خلافته بالفتن الداخلية الَّتي قامت في أنحاء الدَّولة الإِسلاميَّة ، والَّتي منعته من الذهاب لمواسم الحج في زمن خلافته ، فأناب بدله على الحج : عبد الله بن عبّاس ، وقيل عبيد الله بن عباس ، وأناب أيضًا قثم بن عبّاس [٣] [٤] .

ولا شك أن هذا الحرص الشَّديد من الخلفاء الراشدين على موسم الحج ولقاء الولاة والناس فيه ، كان وسيلة دعوية وإعلامية في العصر الراشدي .

❁❁❁

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ، رقم الحديث (٤٣٦٣) .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤١١ .

(٣) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب ، أخو عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وكان يشبه النبي ﷺ ، ولا يصح سماعه . انظر : الإصابة ، ٥/ ٣٢٠ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ، ٨/ ٩٧ ، ٩٨ . والكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٧٢٦ .

المبحث الرابع

الروافد الاجتماعية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلـــــب الأول: الأسرة المسلمة وتربية الأجيال.

المطلـب الثـــاني: الأمن الفكري العقدي.

المطلـــب الثالـــث: تحقيق الأمن في سلوك الأفراد والجماعات.

المطلب الأوَّل

الأسرة المسلمة وتربية الأجيال

تعريف الأسرة في اللغة :

هي عشيرة الرجل وأهل بيته [١] .

وهي الدرع الحصين ، وأهل الرجل ، وعشيرته ، والجماعة يربطها أمر مشترك [٢] .

وفي الاصطلاح :

هي الأساس في تكوين النظام الاجتماعي ، والخلية الأولى لتنشأة الأجيال ، للقيام بالمسؤولية والعمل الإيجابي المنضبط بالمقومات والأسس الإسلامية [٣] .

لقد كان نظام الأسرة في العصر الراشدي رافدًا من روافد الثقافة الإِسلاميَّة من حيث التطبيق والالتزام بتعاليم الإسلام في بناء البيوت المسلمة على التقوى والعلم ، والرفق ، والحب والمودة ، والَّتي كان لها الأثر في تربية الأبناء وتوجيههم وفق أسس ومعالم تربوية ناجحة ، كان

---

(١) لسان العرب ، ٤/ ٢٠ .

(٢) المعجم الوسيط ، ١/ ١٧ .

(٣) انظر : أصول الدعوة ، ص١١٢ ، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

من ثمارها نشوء جيل عابد لله تعالى وحده ، مطبق لشرعه ، محافظ على دينه وعرضه ووطنه ، ولهذا فقد كانت الأسرة المسلمة في العصر الراشدي مضرب المثل ، ومحل الاقتداء للأسر المسلمة على مَرِّ العصور ، لأنَّهَا امتداد للأسرة المسلمة الَّتي تربت على يدي النَّبيِّ ﷺ .

فقد كان ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، قدوة في زواجه ، وزواج بناته ، وما يتعلق بذلك من المهر والجهاز والزفاف ووليمة العرس .

بل وفي علاقته بأزواجه ـ رضوان الله عليهن ـ الَّتي كانت تتسم بالحب والرفق والرحمة ، والتغاضي عن بعض الأخطاء ، ومعالجة ما يطرأ على هذه العلاقة الزوجية من خلافات ومشاكل ، بالأسلوب الأمثل للم شمل الأسرة ، وعدم تفككها ، لأن الأسرة هي الميدان الآمن لتربية الأبناء ، وإعدادهم ، والحفاظ عليهم .

ـ ولعل من المناسب التطرق لبيان رافد الأسرة بشيء من الإيضاح والتفصيل من خلال الجوانب التَّالية :

الجانب الأول : الزَّواج :

لقد حظي المجتمع الراشدي برصيد وافر من التربية في مجال الأسرة والزواج .

ولقد كان المجتمع الراشدي يحرص على الزَّواج ويرغب فيه لأمور كثيرة من أهمها :

أولاً : لوصية النَّبيِّ ﷺ في قوله : « **تزوجوا الولود الودود ، فإني مكاثر بكم الأمم** »[1] .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب النِّكاح ، باب النَّهي عن تزويج من لم يلد من النِّساء ، رقم الحديث (٢٠٥٢) .

ثانيًا : لعدم تفشي العنوسة في المجتمع الَّتي قد تؤدي إلى وقوع الفاحشة.

ولذلك فقد كان الرَّجل في العصر النبوي والراشدي يخطب لابنته ولأخته ، ولم يكن ذلك أمرًا مستغربًا ولا تصرفًا مشينًا .

فقد خطب الفاروق عمر ﷺ ، لابنته حفصة بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رَسُول الله ﷺ ، فعرضها على عثمان بن عفان واعتذر ، ثمَّ عرضها على أبي بكر الصديق فسكت ولم يرد عليه لعلمه أن رَسُول الله ﷺ يريد خطبتها ، وقد خطبها النَّبيُّ ﷺ وتزوجها [(١)] .

لقد كان المجتمع الراشدي حريصًا على عدم تفشي العنوسة فيه ، بل كان الخليفة يهتم بذلك ، فإن الفاروق عندما علم أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية كتب إليه : خلِّ سبيلها ، فكتب إليه حذيفة : أتزعم أَنَّها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال الفاروق : لا أزعم أَنَّها حرام ، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن .

وفي رواية : إني أخشى أن تدعوا المسلمات ، وتنكحوا المومسات [(٢)] .

وقد كان الخلفاء الراشدون يحثون على التزاوج بين القبائل للتأليف بينها ، ولنبذ العصبية ، وعدم وقوع العنوسة في المجتمع ، وهذا امتثالٌ لقول النَّبيِّ ﷺ: « **إذا خطب إليكم من ترضون**

وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٦/ ١٩٥ .

(١) صحيح البخاري ، كتاب النِّكاح ، باب عرض الإنسان ابنته وأخته على أهل الخير ، رقم الحديث (٥١٢٢) .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره ، ١/ ٥٨٣ : هذا إسناد صحيح .

دينه وخلقه فزوجوه ، إلاَّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » [١] .

ولقد سار المجتمع الراشدي على الضوابط الشرعية المتعلقة بالزواج التي وضعها الإسلام وبينها الرسول ﷺ والَّتي ساعدت في نجاحه ، وتحقيق أهدافه .

ومن أهم هذه الضَّوابط ما يلي :

أوَّلاً : اختيار الزوجة الصّالحة :

ممَّا تعارف عليه المجتمع العربي في الجاهليَّة حرصه على الزَّواج من المرأة ذات الحسب والنسب والشرف ، والتفاخر بذلك [٢] .

ولما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ بالإسلام ، ودخل النَّاس في دين الله أفواجًا ، علَّمهم النَّبيُّ ﷺ الأسس والضوابط في اختيار الزوجة ، وقبول الزَّوج ، ولم يُغفل ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، أهميَّة النسب والشرف ، ولكنه جعله مرتبطًا بالدين وحسن العمل .

فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ ، لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ** » [٣] ، لأن بالدين ينضبط المال والحسب والجمال ،

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب النِّكاح ، باب ما جاءإذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ، رقم الحديث (١٠٨٤) . وقد حسَّنه الشَّيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، ٢/ ٩٢٩ .

(٢) انظر : أحكام الزَّواج في الإسلام ، ص٢٦ ، أحمد سعيد أبو راس ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النِّكاح ، باب الأكفاء في الدِّين ـ حديث (٥٠٩٠) .

وينتفع صاحبه في الدّنيا ، ويكون قربة له عند الله تعالى ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُون ﴾ (١) .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه » (٢) ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **النَّاسُ مَعَادِنُ ؛ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ ، إِذَا فَقُهُوا** » (٣) .

وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على الزَّواج وتزويج الأكفاء فقال : « **تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمِ** » (٤) .

وعندما سُئِل ، عليه الصَّلاة والسَّلام : أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « **الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ ، وَلا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ** » (٥) .

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٣٧) .

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - المشهور بصحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم (٢٦٩٩) ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ رقم (٣٣٨٣) .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب النِّكاح ، باب الأكفاء ، حديث رقم (١٩٦٨) وصححه الألباني في السلسة الصَّحيحة حديث (١٠٦٧) ٣/ ٥٦ .

(٥) المجتبى من السنن - المشهور بسنن النسائي - ، كتاب النِّكاح ، باب أي النِّساء خير ؟ ، حديث (٣٢٣١) ، أحمد

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ : الودود ، الولود ، العؤود على زوجها ، الَّتي إذا غضب جاءت حتَّى تضع يدها في يد زوجها ، وتقول : لا أذوق غُمضًا حتَّى ترضى** » (١) .

بهذه الرؤية الواضحة ، وهذه الضَّوابط والأسس النَّبويَّة الَّتي رباهم عليها النَّبيُّ ﷺ في اختيار الزوجة ، وقبول الزَّوج ، كان جيل العصر الراشدي يهتم بها ، بل يربي أبناءه وبناته عليها .

وفهموا منها أن اختيار الزوجة الَّتي هي الأم مستقبلاً هي حجر الأساس في بناء الأسرة دينيًا وعلميًا وسلوكيًا ، وهذا ما أكدَّ عليه بعض أهل العلم بقوله : " إن البيت الواحد قلعة من قلاع هذه العقيدة ، ولا بُدَّ أن تكون القلعة متماسكة من داخلها ، حصينة في ذاتها ، كل فرد فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها ، وإن لم تكن كذلك ، سَهُل اقتحام المعسكر من داخل قلاعه ، فلا يصعب على طارق ، ولا يستعصي على مهاجم .

وواجب المؤمن أن يتجه بالدعوة أوَّل ما يتجه إلى بيته وأهله ، واجبه أن يُؤمِّن هذه القلعة من داخلها ، وواجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيدًا .

بن شعيب النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
حسَّنه الألباني في السلسة الصَّحيحة حديث رقم (١٨٣٨) ٤/ ٤٥٣ .

(١) السنن الكبرى ، النسائي ، حديث (٩٠٩٤) ٨/ ٢٥١ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م . وصححه الألباني في السلسة الصَّحيحة رقم (٢٨٧) ١/ ٥٧٨ .

ولا بُدَّ من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة ، لا بُدَّ من أب وأم ليقوما كذلك على الأبناء والبنات " [١] .

ـ وهذا ما حثَّ به عثمان ﷺ النَّاس في اختيار الزوجة الصّالحة من البيت الصَّالح بقوله : انكحوا النِّساء على آبائهن وإخوتهن فإني لم أرَ في ولد أبي بكر الصديق أشبه به من هذا [٢] . أي عبد الله بن الزُّبير الَّتي أمه أسماء بنت أبي بكر . ويريد أن ابن الزُّبير كان شبيهًا بجده في الشجاعة والإقدام والفصاحة [٣] .

وتقدم الفاروق عمر ﷺ ، لخطبة أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب ﷺ ، وحرص على ذلك ليكون بينه وبين رَسُول الله ﷺ سبب ونسب ، لأَنَّهُ سمع قول النَّبيّ ﷺ : « **كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ، إلاَّ ما كان من سببي ونسبي** » [٤] ، وقد أنجب من أم كلثوم ابنة سُميت رقية ، وولدًا سُمي زيدًا [٥] .

---

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٦١٩ ، سيد قطب ، دار الشروق ـ بيروت ، الطبعة السَّابعة عشرة ، ١٤١٢هـ .

(٢) انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر ، ٢٨/ ١٨٠ ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٣) انظر : البيان والتبيين ، ١/ ٣١٩ ، عمرو بن بحر الكناني ، دار الهلال ـ بيروت ، ١٤٢٣هـ .

(٤) المستدرك على الصحيحين ، ٣/ ١٥٣ ، كتاب معرفة الصَّحابة ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، وقال عنه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال عنه أبو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ٩/ ١٧٣ ، مكتبة القدسي ـ القاهرة ، عام النشر : ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م : رجالهما رجال الصَّحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة . وصححه الشَّيخ الألباني في السلسلة الصَّحيحة ، ٥/ ٥٨ .

(٥) انظر : السلسة الصَّحيحة للشّيخ الألباني ، ٥/ ٥٩ .

بل كان عمر ﷺ سببًا في تزويج بعض النِّساء اللاتي أنجبن النجباء من الرِّجال كعمر بن عبد العزيز (١) ، وزين العابدين (٢) ، والقاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصديق (٣) .

فقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يعس ذات ليلة ومعه مولاه أسلم ، إذ سمع امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه ، قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه (٤) بالماء ، فقالت : يا أماه ، أوما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ قالت : وما كان عزمته ؟ قالت : إنَّه أمر مناديه فنادى : لا يشاب اللبن بالماء ، فقالت لها : يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر ، فقالت الصبية : والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا ، وعمر يسمع كل ذلك ،

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد ، أمير المؤمنين حقًا القرشي الأموي شيخ بني أمية ، من أئمَّة الاجتهاد . سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤ ، لأبي عبد الله الذَّهَبيّ ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٢) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، زين العابدين ، السيد الإمام ، يكنى أبا الحسين وأمه أم ولد اسمها سلافة بنت ملك الفرس بزدجر ، ولد في سنة ثمان وثلاثين ، كان ثقة مأمونًا ، كثير الحديث عاليًا ، رفيعًا ورعًا ، مات سنة أربع وتسعين .

قال الذَّهَبيّ : ولا بقية لنسل الحسين إلاَّ من قِبَلْ ابنه زين العابدين . سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦ .

(٣) هو القاسم بن محمَّد بن خليفة رَسُول الله ﷺ عبد الله بن أبي قحافة ، الإمام القدوة الحافظ الحجة ، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة ، ولد في خلافة الإمام علي ، فروايته عن أبيه عن جده انقطاع على انقطاع ، فكل منهما لم يلحق أباه ، وربي القاسم في حجر عمته أم المؤمنين عائشة ، وتفقه منها وأكثر عنها . سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٣ .

(٤) المذيق : اللبن الممزوج بالماء . انظر : القاموس المحيط ، ١/ ٩٢٣ ، مجد الفيروز أبادي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

فقال : يا أسلم ، علِّم الباب واعرف الموضع ، ثمَّ مضى في عسه ، فلما أصبح قال : يا أسلم ، امض إلى الموضع فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهما بعل ؟ فأتيت الموضع ، فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا ليس لها رجل ، فأتيت عمر فأخبرته ، فدعا ولده ، فجمعهم فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه ؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النِّساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية ، فقال عبد الله : لي زوجة ، وقال عبد الرَّحمن : لي زوجة ، وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني ، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتًا ، وولدت البنت بنتًا ، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ [١] [٢] .

وقد أعطى عمر بن الخطاب ﷺ ، للحسين بن علي ﷺ ، من غنائم الفرس سُلافة بنة يزدجرد ـ آخر ملوك فارس ـ فولدت له زين العابدين علي بن الحسين ، الَّذي لم يبق من أبناء الحسين غيره ، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه [٣] .

وأعطى أختها لمحمَّد بن أبي بكر ، فكان عديلاً للحسين وأنجبت له القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصديق [٤] .

---

(١) انظر : محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ١/ ٣٩٠ ، يُوسف بن المبرد ، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإِسلاميَّة ـ المدينة النَّبويَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) قال ابن عبد الهادي : قال بعضهم : هكذا وقع في رواية ، وهو غلط ، وإنما الصَّواب : فولدت لعاصم بنتًا ، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ . انظر : محض الصَّواب ، ١/ ٣٩١ .

(٣) انظر وفيات الأعيان ، ٣/ ٢٦٧ ، لأبي العبَّاس الإربلي ، دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٠م .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٣/ ٢٦٧ .

ثانيًا : قلة المهر ابتغاء البركة :

كان الزَّواج في العصر الراشدي يتسم بالتواضع ، وقلة المهر ابتغاء البركة والتيسير فيه .

فهذا علي ﷺ يحكي قصة زواجه من فاطمة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ الَّذي تميز بالتواضع ، والمعرفة الحقيقية لمعنى الزَّواج .

قال علي ﷺ :((خطبت فاطمة إلى رَسُول الله ﷺ ، فقالت مولاةٌ لي : .... فما يمنعك أن تأتي رَسُول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت : وعندي شيء أتزوج به ؟ فقالت : إنك إن جئت رَسُول الله ﷺ زوجك ، فو الله ما زالت تُرجيني حتَّى دخلت على رَسُول الله ﷺ ، وكان لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أُفحمت ، فو الله ما استطعت أن أتكلم ، فقال رَسُول الله ﷺ : ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ، فقلت : نعم ، فقال : وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ فقلت : لا ، والله يا رَسُول الله ، فقال : ما فَعَلَتْ درعٌ سَلَحْتُكَها [1] ، فو الَّذي نفس علي بيده إنَّها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم ، فقلت : عندي ، فقال : قد زوجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلها بها ، فإنَّها كانت لصداق فاطمة بنت رَسُول الله ﷺ)) [2] .

---

(١) أي : أعطاه الدرع سلاحًا يتسلح بها . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ٢/ ٣٨٨ ، لابن الأثير .

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة ، للبيهقي ، باب ما جاء في تزويج فاطمة بنت رَسُول الله ﷺ ، ٣/ ١٦٠ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ . ورواه أبو داود في سننه مختصرًا في كتاب النِّكاح ، باب في الرَّجل يدخل بامرأته ، رقم الحديث (٢١٢٥) . وصححه الشَّيخ الألباني في صحيح أبي داود ، ٦/ ٣٥٠ .

ثالثًا : اهتمام المرأة ببيت الزوجية :

لقد كانت الحياة الزوجية في العصر الراشدي حياة تقشف ، وزهد ، وصبر ، وتعاون ، ووفاء بين الزوجين ، فكانت المرأة إذا انتقلت إلى بيت زوجها تقوم بأمور المنزل ، وما يتبع ذلك من الخدمة ، ولا تتضجر من ذلك لأن الجميع يفعلون كما تفعل ، وحال النَّاس في المعاش يكاد أن يكون متقاربًا ، وقليل منهم أصحاب الثراء .

- ولكن قد يصيب الزوجة التعب من عمل البيت ، وقد تشتكي من كثرته ، وقد يلاقي الزَّوج التعب من عناء البحث عن الرزق ، ولكن مع الصبر والمصابرة تستمر الحياة الزوجية ، وتتحسن الأوضاع .

قال علي ﵁ : إن فاطمة شكت ما تلقى من أثر الرحا ، فأتى النَّبيَّ ﷺ سبي ، فانطلقتْ فلم تجده ، فوجدت عائشة فأخبرتها ، فلما جاء النَّبيُّ ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة ، فجاء النَّبيُّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت لأقوم ، فقال : ((على مكانكما)) ، فقعد بيننا حتَّى وجدت برد قدميه على صدري ، وقال : « **ألا أعلمكما خيرًا ممَّا سألتماني ؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعًا وثلاثين ، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين ، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم** » [(١)] .

رابعًا : تحلي المجتمع الراشدي بخلق الستر على النِّساء :

لم تكن المرأة في المجتمع الراشدي معصومة من الخطأ والزلل ، فلربما وقعت في حد من

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي ﵁ ، رقم الحديث (٣٧٠٥) .

حدود الله تعالى ، ولكن سرعان ما تتوب توبة صادقة ، وعندئذٍ فإنَّها في المجتمع الراشدي لا تحرم من نصيبها من الاهتمام ، والشفقة ، والستر والزواج .

جاء رجل إلى عمر ﷺ فقال : إن ابنة لي كنت وأدتها في الجاهليَّة ، فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت ، ثمَّ أصابها حد من حدود الله ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، وأدركناها ، وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويتها حتَّى برأت ، ثمَّ أقبلت بعد توبة حسنة ، وهي تخطب إلى قوم ، أفأخبرهم بالذي كان ؟ فقال عمر ﷺ : أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه ، والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة (١) .

خامسًا : الحرص على تحقيق أهداف الزَّواج :

لقد كان المجتمع الراشدي حريصًا على منع كل ما يخدش ويزعزع أمن واستقرار وبقاء الأسرة المسلمة .

جاء رجل إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - فسأله عن رجل طلَّق امرأته ثلاثًا فتزوجها أخٌ له عن غير مؤامرة منه ليحلَّها لأخيه هل تحل للأول ؟ قال : لا إِلاَّ نكاح رغبة ، كُنَّا نَعُدُّ هذا سفاحًا على عهد رَسُول الله ﷺ (٢) .

---

(١) الزهد ، ، ٢/ ٦٤٧ ، لهناد بن السَّري ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ . وكنز العمال ، ٣/ ٧٣٣ ، المتقي الهندي ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م . قال صاحب كتاب محض الصَّواب : إسناده صحيح إلى الشعبي ، لكنه منقطع بين الشعبي وعمر ، ٢/ ٧٠٩ .

(٢) السنن الكبرى ، للبيهقي ، كتاب النِّكاح ، باب ما جاء في نكاح المحلل ، رقم الحديث (١٤٥٧٤) ، نشر :

وكان الفاروق عمر ﷺ يُحذر من الوقوع في نكاح المتعة ، ويتوعد من نكح امرأة إلى أجل بالرجم بالحجارة [١] .

فقد اتضح للفاروق ﷺ تحريم نكاح المتعة ، فعن سلمة قال : رخص رَسُول الله ﷺ عام أوطاس [٢] ، في المتعة ثلاثًا ثمَّ نهى عنها [٣] .

مع أن بعض الصَّحابة كانوا يرون جواز نكاح المتعة ، لأَنَّهُ لم يبلغهم النَّهي القاطع عن رَسُول الله ﷺ ولكن لما بلغهم المنع أفتوا بمنعه.

روى مسلم بسنده عن علي بن أبي طالب أَنَّه سمع ابن عبّاس يُليّن في متعة النِّساء ، فقال : مهلاً يا ابن عبّاس ، فإن رَسُول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الإنسية [٤] .

واستقر النَّهي القاطع بتحريم نكاح المتعة إلى يوم القيامة حفاظًا على كيان الأسرة المسلمة

مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٤هـ . وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٦/ ٣١١ .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب في المتعة بالحج ، رقم الحديث (١٢١٧) .

(٢) أوطاس : وادٍ في الطائف ، ويوم أوطاس ويوم فتح مكة في عام واحد ، وهو سنة ثمان من الهجرة . شرح النَّووي لصحيح مسلم ، ٤٩/ ١٨٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب النّكاح ، باب نكاح المتعة وبيان أَنَّه أبيح ثمَّ نسخ ، ثمَّ أبيح ثمَّ نسخ ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ، رقم الحديث (١٤٠٥) .

(٤) المرجع السابق، كتاب النّكاح ، باب نكاح المتعة ، وبيان أَنَّه أبيح ثمَّ نسخ ، رقم الحديث (١٤٠٧) .

من المفاسد الَّتي قد تحدث بسبب هذ النِّكاح [١] .

سادسًا : حسن التعامل والوفاء بين الزوجين :

لقد كان التعامل بين الزوجين يبلغ أسمى معانيه في الحب والصدق والمودة وحسن الرعاية والشفقة والوفاء ، قدوتهم في ذلك النَّبيُّ ﷺ الَّذي قال : « **خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي** » [٢] .

حتَّى مع اختلاف وجهات النَّظر عند الزوجين تبقى هذه المعاني راسخةً ، ويكون المرجع والفيصل الكتاب والسُّنَّة .

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رَسُول الله ﷺ : « **إذا استأذنت أحدكم امرأته أن تأتي المسجد فلا يمنعها** » [٣] .

قال : وكانت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصلي في المسجد ، فقال لها : إنك لتعلمين ما أحب ، فقالت : والله لا أنتهي حتَّى تنهاني ، قال : فطُعن عمر وإنها لفي المسجد [٤] .

وفي رواية : كان عمر رجلاً غيورًا ، وكان إذا خرج إلى الصَّلاة اتبعته عاتكة بنت زيد ـ

---

(١) انظر : شرح النَّووي لصحيح مسلم ، ٩/ ١٨٦ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب عن الرَّسول ﷺ ، باب فضل أزواج النَّبيّ ﷺ ، رقم الحديث (٣٨٩٥) . وقال عنه الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الشَّيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة ، ١/ ٥٧٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النِّكاح ، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد ، رقم الحديث (٥٢٣٨) .

(٤) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (٤٥٢٢) ، ٢/ ٧ . وقال عنه الشَّيخ الألباني : رجاله ثقات غير أَنَّه منقطع . انظر : الثمر المستطاب في فقه السُّنَّة والكتاب ، ٢/ ٧٢٩ ، غراس للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

زوجته ـ [١] .

فهذا الخبر يدل على تعظيم أمير المؤمنين عمر ﷺ لأمور الشَّريعة ووقوفه عند كتاب الله وسنة رَسُول الله ﷺ ، حيث قدَّم تنفيذ ذلك على ما تحبه نفسه [٢] .

ولقد سجل لنا تاريخ العهد الراشدي أروع الأمثلة في وفاء الزَّوج لزوجته ، وفي دفاع الزوجة عن زوجها حتَّى ولو أدى ذلك إلى إيذائها وقتلها .

فهذا المثنَّى بن حارثة [٣] قائد فتوح العراق مرض مرضًا شديدًا قبيل معركة القادسية ممَّا جعله يوصي بزوجته سلمى التيمية لسعد بن أبي وقاص ليتزوجها بعده ، وقد خطبها سعد بعد انتهاء عدتها وتزوجها [٤] .

فهل أراد المثنَّى أن يبرَّ بزوجته بعد رحيله بضمها إلى القائد العظيم الَّذي شهد له الرَّسول ﷺ بالجنة ؟ أم أنَّها كانت ذكية وعاقلة ، وقد تكون لديها خبرةً من حروب زوجها ، فأراد المثنَّى أن ينتفع المسلمون بها ؟ كل ذلك محتمل ، ولكنه نوع من الوفاء نادر المثال [٥] .

---

(١) انظر فتح الباري ، ٢/ ٣٨٣ ، لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ـ بيروت ، طبع في ١٣٧٩هـ .

(٢) انظر : التَّاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، ٤/ ٢٠ ، د.عبد العزيز الحميدي .

(٣) هو المثنَّى بن حارثة بن سلمة الشيباني ، أسلم سنة تسع ، بعثه أبو بكر في صدر خلافته إلى العراق ، وكان شهمًا شجاعًا ، حسن الرأي ، أبلى في حروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد ، مات سنة أربع عشرة قبل القادسية . الإصابة ، ٥/ ٥٦٨ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٤٨٩ ، محمَّد بن جرير الطَّبريّ ، دار التراث ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٨٧هـ .

(٥) انظر : فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٦٣ ، د.علي الصلابي ، المكتبة العصريَّة ـ
←

وعندما حاصر الغوغائيون الخليفة عثمان ﵁ ، وأراد سودان بن حمران ، عليه من الله ما يستحق ، قتل الخليفة ، انكبت عليه زوجته نائلة لتدافع عنه ولتحميه ، واتقت السيف بيدها ، فتعمدها سودان ، ونضح أصابعها فقطعت أصابع يدها [١] .

كل هذه الشواهد وروائع أمثلة الوفاء ، والتراحم ، والحب والشفقة ، إنما تدل على العمق التربوي ، والوعي الثقافي الَّذي تميز به المجتمع الراشدي .

فكان لهذا الأثر العظيم ، والقدوة الصّالحة على الأبناء ، والخدم ، والجيران ، ولمن بعدهم من الأجيال ، رضي الله عنهم أجمعين .

الجانب الثاني : تربية الأبناء :

اهتم المجتمع الراشدي بثقافة الأبناء والاعتناء بتربيتهم دينيًا وخلقيًا ونفسيًا وجسديًا .

وذلك دليل على وعي المجتمع الراشدي لهذه الثقافة الإِسلاميَّة وفهمها من خلال التوجيهات النَّبويَّة الَّتي تلقوها من النَّبيِّ ﷺ ، والَّتي كان لها الأثر العظيم في حياتهم .

والَّتي نتج عنها اهتمام المجتمع الراشدي بتربية الأبناء وذلك من خلال عدة محاور أهمها :

أولاً : اختيار الأم الصّالحة :

لقد حث النَّبيُّ ﷺ على اختيار الزوجة الصَّالحة ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدِّين تربت**

بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م .

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٣٩١ .

يداك »[(١)] .

وقد سبق في الجانب الأَوَّل عند الحديث عن الزواج بيان حرص المجتمع الراشدي على حسن اختيار الأم الَّتي هي الزوجة الصَّالحة ، والَّتي هي الأساس في نجاح الحياة الزوجية ، وحسن تربية الأبناء .

❁❁❁

ثانيًا : تسمية الأبناء تسمية حسنة :

كانت الأمم المؤمنة السَّابقة تسمي أبناءها بأسماء الأنبياء والصالحين ، فقد أخرج الإمام مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ : لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرؤونَ ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ ﴾ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ « **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ** »[(٢)] .

وقد كان المجتمع الراشدي يسمي أبناءه بأسماء الصَّحابة وآل البيت والخلفاء ، وذلك لزرع محبتهم في قلوبهم ، وتفاؤلاً بأن يحذوا حذوهم في الدِّين والعلم والجهاد .

فقد اختار الصحابي الجليل الزُّبير بن العوام[(٣)] أسماء شهداء الصَّحابة لأبنائه رجاء أن

---

(١) سبق تخريجه في ص٤٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب النَّهي عن التكني بأبي القاسم ، رقم الحديث (٢١٣٥) .

انظر بتوسع في شرحه : تفسير القرآن العظيم ، ٥/ ٢٢٢ ، لابن كثير ، دار طيبة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٣) الزُّبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي ، حواري رَسُول الله ﷺ وابن عمته ، أمه صفية بنت عبد المطلب ، ←

يسلكوا سلوكهم فينالوا درجة الشَّهادة في سبيل الله .

يقول الزُّبير ﷺ : إن طلحة بن عبيد الله التيمي [١] يسمي بنيه بأسماء الأنبياء ، وقد علِم أن لا نبي بعد محمَّد ﷺ وإني أُسمي بنيَّ بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا . فقد سمى حمزة ، والمنذر ، ومصعب ، وعبيدة ، وخالد ، وعمر [٢] .

وهذا علي بن أبي طالب ﷺ سمّى أحد أبنائه بعمر [٣] .

بل كان اسم أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وكبار الصَّحابة منتشرًا في غالب بيوتات المسلمين ، وكذلك أسماء أمهات المؤمنين وكبار الصحابيات ﷺ أجمعين [٤] .

ثالثًا : تربية الأبناء تربية علمية وجهادية :

العلم والجهاد في مفهوم المجتمع الراشدي صنوان متلازمان لا ينفكان عن بعضهما . إذْ كان لا يُتصور علم بلا عمل ولا جهاد .

وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، قُتِل غدرًا وهو راجع عن قتال علي بن أبي طالب في معركة الجمل في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين للهجرة . الإصابة في تمييز الصَّحابة ، ٢/ ٤٥٧ .

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، كان عابدًا قانتًا لله ، ولد في حياة النَّبيّ ﷺ ، وقتل يوم الجمل فحزن عليه علي ﷺ سير أعلام النبلاء ، ١/ ٢٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ، ٣/ ٧٤ ، لابن سعد ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

(٣) الشِّيعة وأهل البيت ، ص١٣٣ ، إحسان إلهي ظهير ، الناشر : إدارة ترجمان السُّنَّة ـ باكستان .

(٤) انظر : الإصابة في تمييز الصَّحابة ، من اسمه أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي من التَّابعين .

لقد اهتم المجتمع الراشدي بالقوة القتالية ، واللياقة البدنية للمجاهدين في سبيل الله . عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ ﴾ (١).

ولذلك فقد اهتم الخلفاء الراشدون بتهيئة الجند عسكريًا ، وتدريبهم على حمل السِّلاح واستخدامه بمهارة عالية ، وحثهم على تعلم جميع أساليب القتال من رمي ، وركوب الخيل ، والرباط في سبيل الله ، وتربية الأبناء على الرجولة والخشونة ، وعدم مشابهة العجم الَّتي تورث الليونة والنعومة في الأجسام فتجعلها غير قادرة على مواجهة ظروف القتال والجهاد الَّتي تستلزم قدرًا كبيرًا من القوة والغلظة والشدة (٢) .

قال عمر ﷺ : اتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا ، وألقوا الخفاف والسراويلات ، وألقوا الرُّكُب (٣) ، وانزوا على الخيل نزوًا ، وعليكم بالمعدية (٤) ، وارموا الأغراض (٥) ، وذروا

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

(٢) انظر : دراسات نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ، ص١٠٦٩-١٠٧١ ، عبد السَّلام ، الجامعة الإسلاميَّة ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

(٣) الرُّكُب : جمع ركاب وهو السرج . انظر : تهذيب اللُّغة ، ١٠/ ١٢٥ ، محمَّد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

(٤) المعدية : أي خشونة اللِّباس ، وقيل : أراد تشبهوا بعيش مَعَدِّ بن عدنان وكانوا أهل غِلَظ وقشف : أي كونوا مثلهم ودعوا التنعُّم وزي العجم . النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٤٢ .

(٥) الأغراض : جمع غرض وهو الهدف الَّذي ينصب فيرمى فيه . لسان العرب ، ٧/ ١٩٦ ، ابن منظور .

التنعم وزي العجم ، وإياكم والحرير [١] .

وحث الفاروق أيضًا على تعلم السباحة والعوم .

فقد كتب لأبي عبيدة بن الجراح : أن علموا غلمانكم العوم ، ومقاتلتكم الرمي . فكانوا يختلفون إلى الأغراض [٢] .

وقال أيضًا : لن تخور قوىً ما كان صاحبها ينزع وينزو .

يعني ينزع في القوس ، وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب [٣] .

وكانت دولة الخلافة الراشدة تهتم بتربية الخيل لأغراض الجهاد ، كما كانت تحث النَّاس على تربيتها ، وتقيم لها السباقات وتحدد لها الحمى [٤] .

ولهذا فقد أعدَّ الفاروق عمر ﷺ في كل مصر من أمصار المسلمين خيلاً كثيرةً معدةً للجهاد . فقد جعل في الكوفة أربعة آلاف فرسٍ وفي بقية الأمصار قريبًا من هذا العدد ، وهي

---

(١) مسند الإمام أحمد ، حديث (٣٠١) ، ١/ ٤٣ . وقال عنه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في حاشية الكتاب : إسناده صحيح على شرط الشَّيخين .

(٢) المرجع السابق ، رقم الحديث (٣٢٣) ، ١/ ٤٦ . وقال عنه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط محقق الكتاب : إسناده حسن ، ١/ ٤٦ .

(٣) عيون الأخبار ، ١/ ٢١٦ ، لأبي محمَّد الدينوري ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، تاريخ النشر ، ١٤١٨هـ .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٣٨١ ، د. أكرم ضياء العمري ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

على أتم الاستعداد في حال مباغتة العدو [١] .

بل كان المجتمع الراشدي يربي الشباب والجند على أن الإعداد للقتال قربة وعبادة لله تعالى كالصَّلاة والصوم والصدقة .

فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أنه قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلامِ إِلاَّ أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ ، وَقَالَ آخَرُ : مَا أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلامِ إِلا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَقَالَ آخَرُ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ ﷺ ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ ، دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ الله وَالله لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢] [٣].

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : [فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف والإحسان إلى الحجاج بالسقاية .

ولهذا قال أبو هريرة ﷺ : « **لأن أرابط ليلة في سبيل الله ، أحب إليَّ من أن أقوم ليلة**

---

(١) أسد الغابة ، ٢/ ٥٠٨ ، لأبي الحسن بن الأثير ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٩) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الشَّهادة في سبيل الله . رقم (١٨٧٩) .

القدر عند الحجر الأسود » [١] .

ولهذا كان الرباط في الثغور أفضل من المجاورة بمكة والمدينة ، والعمل بالرمح والقوس في الثغور ، أفضل من صلاة التطوع ، وأمَّا في الأمصار البعيدة من العدو فهو نظير صلاة التطوع] [٢] .

وهكذا كانت التربية الجهادية الَّتي اهتم بها المجتمع الراشدي هي امتداد لتربية النَّبيِّ ﷺ الَّتي رباهم عليها ، والَّتي تستلزم التربية الإيمانية [٣] .

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] . فقد نصت الآية على وجوب الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وأَنَّهُ لا يتحقق الإيمان إلاَّ بالعلم الَّذي يُبيِّن للمسلم حقيقة الربوبية والألوهية ، ومعنى الأسماء والصفات ، وكيفية

---

(١) هذا الحديث عن النَّبيِّ ﷺ من رواية أبي هريرة ﷺ ولم أجده موقوفًا عليه ، قال أبو هريرة سمعت رَسُول الله ﷺ يقول : ((موقف ساعة في سبيل الله ، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)) .

رواه ابن حبّان في صحيحه : كتاب السير ، باب فضل الجهاد ، حديث (٤٦٠٣) ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

وصححه الألباني في السلسلة الصَّحيحة رقم (١٠٦٨) ، ٣/ ٥٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٢ ، لابن تَيْمِيَّة .

(٣) انظر بتوسع : افتراءات حول غايات الجهاد ، ص ٩٧ ، د.محمد نعيم ياسين : دار الأرقم ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

(٤) سورة الصف ، الآية (١٠-١١) .

حب الرَّسول ﷺ وطاعته ، ثمَّ يستلزم ذلك العمل ، والَّذي نصت عليه الآية هو الجهاد [١] الَّذي كان المجتمع الراشدي يعتبره ذروة سنام الإسلام ، وله الأفضلية العظمى بعد الإيمان بالله ورسوله كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام عندما سئل أي العمل أفضل ؟ فقال : « **إيمان بالله ورسوله ، قيل ثمَّ ماذا ؟ قال : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله** » [٢] .

فكان المجتمع الراشدي يعتبر العلم القاعدة الأساس في بناء الشَّخصيَّة المسلمة العلميَّة والجهادية ، وأَنَّهُ هو الدافع الإيماني للعمل والجهاد والترابط الاجتماعي والأخوي ، فالجهاد في تصور المجتمع الراشدي صمام الأمان للمجتمع والدولة ، وأَنَّهُ لا بقاء للإسلام ولا سبيل لنشره إِلاَّ بالعلم والجهاد .

إن الهدف العظيم للجهاد يتضمن إعلاء كلمة الله وإقامة سلطانه في الأرض ، وجعل كلمة الَّذين كفروا السفلى ، وإزالة الطواغيت الَّذين يحولون بين النَّاس وبين الإسلام ، وتعبيدهم لغير الله تعالى ، هذا هو الهدف السامي للجهاد الَّذي كان حاضرًا في حس الصَّحابة ﷺ ، أثناء معاركهم مع أعداء الله [٣] . فقد ذكر جبير بن حية [٤] ﷺ عندما ندبهم عمر بن الخطاب ﷺ

---

(١) انظر بتوسع : تفسير القرآن العظيم ، ٨/ ١١٢ ، لابن كثير .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب من قال : إن الإيمان هو العمل ، حديث رقم (٢٦) .

(٣) انظر : أهميَّة الجهاد في نشر الدعوة ، ص١٦١-١٦٢ بتصرف ، د.علي العلياني ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٢٥م .

وانظر : تربية النَّبيّ ﷺ لأصحابه ، ص١٢١ ، د.خالد القرشي ، دار المعالي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

(٤) جبير بن حيَّة بفتح المهملة وتشديد التحتانية ، ابن مسعود الثقفي ابن عم المغيرة بن شعبة وابن أخي عروة بن ←

لقتال الفرس ، واستعمل عليهم النعمان بن مقرن [(١)] ﷺ ، وقد خرج عليهم عامل كسرى في أربعين ألفًا . فقام الترجمان فَقَالَ : لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ [(٢)] : سَلْ عَمَّا شِئْتَ . قَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالَ : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ ، وَبَلاءٍ شَدِيدٍ ، نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ ، إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا ، نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ [(٣)] .

وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ قصة ربعي بن عامر ﷺ [(٤)] عندما بعثه سعد بن أبي وقاص إلى رستم ، وفيها : [قالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى

مسعود . ثبت في صحيح البخاري أَنَّه شهد الفتوح في عهد عمر ، وعظم شأنه في خلافة عبد الملك . الإصابة ، ١/ ٥٧٠ .

(١) هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني . ذُكر كثيرًا في فتوح العراق ، وهو الَّذي قدم بشيرًا على عمر بفتح القادسية ، وهو الَّذي فتح أصبهان واستشهد بنهاوند إحدى وعشرين . الإصابة ، ٦/ ٣٥٧ .

(٢) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان ، كان من دهاة العرب ، ولاه عمر الكوفة ، وأقره عثمان ، مات سنة خمسين . الإصابة ، ٦/ ١٥٦ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجزية ، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ، حديث رقم (٣١٥٩) .

(٤) هو ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، كان من أشراف العرب ، له ذكر في الغزوات ، وقد أمدَّ به عمر بن الخطاب المثنَّى بن حارثة في الفتوحات . انظر : الإصابة ، ٢/ ٣٧٨ .

عبادة الله ، ومن ضيق الدّنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ...] [١] .

وقال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدِّين لله ... فإن من كون الدِّين كله لله ، إذلال الكفر وأهله ، وصغاره ، وضرب الجزية على رؤوس أهله ، والرق على رقابهم ، فهذا من دين الله ، ولا يناقض هذا إلاَّ ترك الكفَّار على عزمهم ، وإقامة دينهم كما يحبون ، بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة)) [٢] .

لقد وعى المجتمع الراشدي بتوجيهات النَّبيِّ ﷺ الَّتي تحثه على العلم والجهاد أَنَّهُ لا تقوم حضارة لأي أمة من الأمم إلاَّ بالعلم والدفاع عن المبادئ والقيم ونشرها بين النَّاس ، والصبر والمصابرة في سبيل ذلك مع التعاون الجماعي والعمل المنظم [٣] ولو أدى ذلك إلى الموت .

وهكذا كان المجتمع الراشدي بتربية النَّبيّ ﷺ لهم التربية العلميَّة والجهادية والَّتي ضربوا فيها ـ رضوان الله عليهم ـ أروع الأمثلة وأسمى المعاني في العلم والعمل والجهاد ، فقد خرج بنفسه عليه الصَّلاة والسَّلام للجهاد في غزوة بدر ، وأحد ، والأحزاب ، وفتح مكة وغيرها من الغزوات الَّتي سطرها التَّاريخ الإسلامي وذكر تفاصيلها [٤] ، والَّتي كانت من أقوى أساليب

---

(١) البداية والنهاية ، ٧/ ٤٦ .

(٢) أحكام أهل الذمَّة ، ١/ ١١٠ ، لابن القيِّم ، الناشر : رمادي للنشر ـ الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

(٣) انظر بتوسع عن تربية الروح الجماعية والعمل المنظم لدى الرعيل الأَوَّل : أهميَّة الجهاد في نشر الدعوة ، ص٧٤ .

(٤) انظر بتوسع عدد غزوات النَّبيّ ﷺ : السيرة النَّبويَّة ، ٢/ ٣٥٣ ، لابن كثير ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م .

التربية الجهادية للقواد وأفراد المجتمع النبوي والراشدي وما بعدهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كل هذه المفاهيم السديدة الناضجة عن العلم والجهاد ، جعلت المجتمع الراشدي أطفالاً ورجالاً ، نساءً وشبابًا وشيبًا ، يحرصون على العلم والجهاد بتعاون جماعي ، وعمل منظم ، كلاً بقدر طاقته .

وكان نصيب الأطفال والشباب من هذا الاهتمام القدح المعلى ، وقصب السبق ، لأنهم رجال الغد ، وأوعية العلم وأمل المستقبل .

ولذلك فقد اهتم بهم الصَّحابة أيما اهتمام . فهذا الحسن بن علي يقول : قدِّموا إلينا أحداثكم فإنهم أفرغ قلوبًا وأحفظ لما سواهم [(١)] . وقال أيضًا لبنيه وبني أخته : تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم تكونون كبارهم غدًا ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب [(٢)] .

بل كان المجتمع الراشدي يستخدم الأساليب التربوية ليحث الأطفال والشباب على العلم والرسوخ فيه . وكان من أهم الأساليب الَّتي استخدمها هو أسلوب التشجيع .

فقد كان الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يستخدمه كثيرًا وخاصةً مع الأطفال والشباب .

روى البخاري في صحيحه أن الفاروق عمر ﷺ خرج من مجلس رَسُول الله ﷺ وبصحبته

---

(١) انظر : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، ١/ ٣١١ ، الخطيب البغدادي ، مكتبة المعارف ـ الرياض .

(٢) انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ١/ ٣٥٨ ، لأبي عمر القرطبي ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

ابنه عبد الله ، فقال لأبيه : يَا أَبَتَاهُ ، وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ . قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا ؟ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : مَا مَنَعَنِي إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكَرِهْتُ [١] .

ولم يقتصر تشجيع الفاروق عمر ﷺ على ابنه فقط ، بل كان يشمل تشجيعه بقية الشباب ، وقد حظي ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ باهتمام الفاروق وتشجيعه ، فكان يدخله في مجلسه ، ويهتم به كثيرًا .

روى البخاري في صحيحه أن عُمَرُ ﷺ قال يَوْمًا لأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ [٢] ؟ قَالُوا : الله أَعْلَمُ ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ : قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لا نَعْلَمُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ عُمَرُ : يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلا تَحْقِرْ نَفْسَكَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ضُرِبَتْ مَثَلاً لِعَمَلٍ ، قَالَ عُمَرُ : أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِعَمَلٍ ، قَالَ عُمَرُ : لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ الله لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ [٣] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب إكرام الكبير ، حديث (٦١٤٤) . وفيه أن النَّبيّ ﷺ سأل الصَّحابة عن شجرة لا يسقط ورقها وأنّها مثل المسلم ، فخاض النَّاس في شجر البوادي ، فقال لهم النَّبيّ ﷺ : ((هي النخلة)) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦٦) .

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ من نخيل﴾ ـ رقم (٤٥٣٨) .

ولقد اهتم المجتمع الراشدي ببعض العلوم في تربية أبنائهم وحثهم على الأخذ بها لقناعتهم التامة أَنَّها الأساس في معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، ومعرفة ما يجب له من الطاعة وطاعة نبيه عليه الصَّلاة والسَّلام ، وأنَّها السَّبب في الثبات على المنهج ، ونشره ، والدفاع عنه ، وهي بلا شك امتدادٌ لما كان يحرص عليه المجتمع في العهد النبوي .

فعلى كل مجتمع يريد العزة والسمو والسؤدد لا بُدَّ أن يأخذ بها ، وإلاَّ كان في مؤخرة الركب .

ويمكن الإشارة إلى أهم هذه العلوم :

علم العقيدة الصَّحيحة :

وتشتمل على أمور مهمة مدار الدِّين كله عليها ، وهي :

أ ـ حب الله تبارك وتعالى :

إنَّ ترسيخ حب الله تعالى ، والاستعانة به ، ومراقبته ، والإيمان بالقضاء والقدر في نفوس الأطفال والشباب ، لهو من أهم أسس التربية الإِسلاميَّة الَّتي كان عليه الصَّلاة والسَّلام يهتم بها ، ويدُلُّ على ذلك حديث ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : «يَا غُلامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ؛ احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »[١] .

(١) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق ، باب منه ، رقم (٢٥١٦) ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ، ←

ـ وفي رواية عند غير الترمذي :

« احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » (١) .

ـ يقول الباحث محمد نور : ((إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حل مشاكل الطفل بفضل تأثيره وروحانيته ، وله القدرة في دفع الطفل نحو الأمام بفضل استعانته بالله ومراقبته له وإيمانه بالقضاء والقدر ، وأن أطفال الصَّحابة تلقوا هذا التوجيه النبوي ، يستعينون بالله على ما أصابهم من قدره ، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب ، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا)) (٢) .

ـ فكان الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ في العهد الراشدي يهتمون بترسيخ الإيمان بالله ومراقبته في نفوس النَّاس وخاصة صغار السن :

فهذا عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان في سفر فرأى غلامًا يرعى غنمًا ، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : إنَّها ليست لي ، فقال : قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة ،

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد في مسنده ، رقم (٢٦٦٩) ، ١/ ٣٩٣ . وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٥٩ .

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم (٢٨٠٤) ، ١/ ٣٠٧ . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصَّغير ، ٢/ ١١٥١ .

(٢) منهج التربية النَّبويَّة للطفل ، ص٨٧ ، محمَّد نور ، مكتبة المنار ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ .

فقال الغلام : فأين الله ؟ فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة قول ذلك الغلام : فأين الله ؟ [١] .

بل كانوا في أحرج الأوقات عند دنو الأجل يحرصون على توجيه أبنائهم وإرشادهم .

فعن الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَة [٢] قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي ، فَقَالَ : أَجْلِسُونِي ، قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الإِيمَانِ ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِالله ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ ؟ قَالَ : تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، يَا بُنَيَّ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمُ ، ثُمَّ قَالَ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، يَا بُنَيَّ ، إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ » [٣] .

((إن الإيمان بالقدر يتكفل بتحطيم أعتى الحواجز والأمراض النفسية الَّتي من أبرزها

---

(١) الرِّسالة القشيرية ، ١/ ٣٣٠ ، عبد الكريم القشيري ، دار المعارف ـ القاهرة .

(٢) هو الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري ، ولد في عهد النَّبيّ ﷺ ، ثقة قليل الحديث ، مات في خلافة عبد الملك . الإصابة ، ٦/ ٤٩٣ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ، حديث (٢٣٠٨١) ٥/ ٣١٧ .

والترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ((من سورة ن والقلم)) ، حديث (٣٣١٩) وقال عنه : حديث حسن صحيح غريب .

وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصَّغير وزيادته ، ١/ ٤٠٥ .

الخوف من الموت ، والَّذي هو بلا شك يحول دون الانطلاق للعمل والجهاد ، وسبب في تثبيط الهمم عن مواصلة البذل والتضحية في سبيل الله تعالى)) [١] .

وقد عالج القرآن الكريم هذا الحاجز النفسي ببيان حقيقة الموت الَّذي هو نهاية كل حي .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون ﴾ [٤] .

فموت بعزة وكرامة في ساحات الجهاد في سبيل الله ، خير وأحب من موت الذلة والمهانة .

ب ـ حب الرَّسول ﷺ :

لقد اهتم المجتمع الراشدي بترسيخ حب النَّبي ﷺ في قلوب الأطفال والشباب ، وذلك لأَنَّهُ القسم الثَّاني من شهادة التوحيد والطاعة .

---

(١) انظر : أثر الإسلام في تكوين الشَّخصيَّة الجهادية ، ص٣٤ ، محمَّد نعيم ياسين ، دار الأرقم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩١٤م .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٤) .

(٣) سورة النِّساء ، الآية (٧٨) .

(٤) سورة الجمعة ، الآية (٨) .

فلا يكون إسلام إلاَّ بتوحيد الله تعالى والإيمان بالرسول ﷺ وطاعته .

ولذلك كان المجتمع الراشدي يستخدم أساليب لترسيخ محبة الرَّسول ﷺ وطاعته ، ومن هذه الأساليب :

١ ـ إسماعهم أحاديث النَّبيِّ ﷺ :

حرِص كبار الصَّحابة إسماع أبنائهم أحاديث النَّبيِّ ﷺ وتعليمهم إياها بل وحثهم على نشر الأحاديث الَّتي سمعوها أو رأوها وهم صغارٌ من النَّبيِّ ﷺ فيما يتعلق بالأحكام أو التوجيهات أو صفاته ﷺ :

ـ فعَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ [١] قَالَ : قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنهما ـ : مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ : « **دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ** » [٢] .

ـ وعَنْ سَمُرَةَ بْنُ جُنْدُبٍ ﷺ قال : لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ غُلامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلا أَنَّ هَا هُنَا رِجَالا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي [٣] .

---

(١) ربيعة بن شيبان السعدي أبو الحوراء ، ثقة . تقريب التهذيب ١/ ٢٠٧ ، دار الرشيد ـ سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٢) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق ، باب منه ، حديث رقم (٢٥١٨) ، وقال عنه الترمذي حسن صحيح . وصححه الألباني في إرواء الغليل ، ١/ ٤٤ ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنائز ، باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه ، حديث رقم (٩٦٤) .

وعن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال : بِتُّ عند خالتي ميمونة ، فأتاه المؤذن ، فخرج إلى الصَّلاة وهو يقول : « **اللهمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وفي بصري نورًا ، وفِي سَمْعِي نُورًا ...** » الحديث [١] .

وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺ [٢] قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ ، قَالَ : فَخَرَجَ بِلالٌ بِوَضُوئِهِ فَمِنْ نَائِلٍ [٣] وَنَاضِحٍ ، قَالَ : فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ في حُلَّةٍ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ ، قَالَ : فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلالٌ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالاً ، يَقُولُ : حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ ، قَالَ : ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ [٤] فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْحِمَارُ وَالْكَلْبُ لا يُمْنَعُ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ [٥] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ، حديث رقم (٦٣١٦) .

(٢) أبو جُحَيْفَةَ السوائي هو وهب بن عبد الله السوائي ، كان من صغار الصَّحابة ذكر أن رَسُول الله ﷺ توفي وأبو جحيفة لم يبلغ الحلم ولكنه سمع من رَسُول الله ﷺ وروى عنه ، وكان علي قد جعله على بيت المال بالكوفة . انظر : الاستيعاب ، ٤/ ١٦١٩ ، ابن عبد البر ، دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

(٣) معناه : فمنهم من ينال منه شيئًا ، ومنهم من ينضح على غيره شيئًا ممَّا ناله ويرش عليه بللاً ممَّا حصل له . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ المشهور بشرح النَّووي لصحيح مسلم ـ ، ٤/ ٢١٨ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٩٢هـ . والنهاية في غريب الحديث ، ٥/ ٧٠ .

(٤) العنزة : مثل نصف الرمح أو أكبر شيئًا وفيها سنان مثل سنان الرمح ، والعكَّازة قريب منها . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ٣/ ٣٠٨ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الصَّلاة ، باب سترة المصلي ، حديث رقم (٥٠٣) .

فهذا يبيِّن الدور الَّذي قام به هؤلاء الأبناء من حفظ لأحاديث النَّبيِّ ﷺ ونشرها وتعليمها .

٢ ـ تعليمهم السيرة النَّبويَّة :

حرص الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على تعلُّم سيرة النَّبيِّ ﷺ وتلقينها لأبنائهم حتَّى إنَّهم ليقرؤونها عليهم مع تعليم القرآن ، لأنَّهَا الترجمان لمعاني القرآن ، و فيها إثارة العاطفة ، ولما تحمل في طياتها من معاني الحب والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر الهدى ، والحق ، ونور الإسلام [١] .

روى إسماعيل [٢] بن محمَّد بن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول : يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها [٣] .

وقال زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ : كنا نُعَلَّمُ مغازي رَسُول الله ﷺ كما نُعلَّم السور من القرآن [٤] .

وكان ابن عبّاس ﷺ يلازم أكابر الصَّحابة من المهاجرين والأنصار ويسألهم عن مغازي

---

(١) انظر : منهج التربية النَّبويَّة للطفل ، ص٩٩ .

(٢) إسماعيل بن محمَّد بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني ، ثقة حجة ، مات سنة أربع وثلاثين . تقريب التهذيب ، ١/ ١٠٩ .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، ٢/ ١٩٥ . وسبل الهدى والرشاد ، ٤/ ١٠ ، محمَّد الشامي ، دار الكتب العلميَّة ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

(٤) المرجع السَّابق ، ٢/ ١٩٥ .

رَسُول الله ﷺ [١] .

ـ كل هذا الاهتمام من المجتمع الراشدي في ترسيخ محبة النَّبيِّ ﷺ عند أبنائهم مع ما يسمعونه من الآيات القرآنية التي تتلى على أسماعهم في الصَّلوات وغيرها والَّتي تحث على حب الرَّسول ﷺ وطاعته . مثل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ [٢] .

وكذلك ما يرونه ويلمسونه من الصَّحابة وكبار التَّابعين من واقع تطبيقي عملي لهذه المحبة الصادقة لنبيهم عليه الصَّلاة والسَّلام .

وصدق الله تعالى حيث قال : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ ... [٣] .

ج ـ الإيمان باليوم الآخر :

ما أقصر الحياة الدّنيا ! وما أضيقها حين تشعر النفس الإنسانية أنَّها لا تتصل بحياة سواها ! ولا تطمع في غير أنفاس وساعات على الأرض معدودة !.

إن اليقين بالآخرة هو مفرق الطَّريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة ، ومن يعيش

(١) انظر : البداية والنهاية ٨/ ٣٢٩ .

(٢) سورة الفتح ، الآية (٨ ، ٩) .

(٣) سور الفتح ، الآية (٢٩) .

في الوجود المديد الرحيب ، الذي يشعر فيه أن حياته على الأرض ابتلاء ، يمهد للجزاء ، وأن الحياة الحقيقية إنما هي هناك وراء هذا الحيز الصَّغير المحدود ، وأَنَّهُ إنما خلق للأبد إمَّا في جنة ونعيم ، وإما في نار وجحيم (١) .

فاليقين بالآخرة هو الضَّمان ليقظة القلب البشري وسعادته وتطلعه إلى ما عند الله واستعلائه وترفعه على متاع الدّنيا ، ومراقبة الله في السر والعلن ، في الدقيق والجليل ، والفوز والنجاة ، بل إن شعوره أَنَّه مبتلى وممتحن بأيامه الَّتي يقضيها على الأرض ، وبكل شيء يملكه ، وبكل متاع له ، يمنحه مناعةً ضد الاغترار والانخداع والغفلة ، ويعطيه وقاية من الاستغراق في متاع الدّنيا ومن التكالب على هذا المتاع الَّذي هو مسؤول عنه وممتحن فيه ، وإن شعوره بالرقابة الَّتي تحيط به والَّتي يصورها قول الله تعالى : ﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ليجعله شديد التوقي ، شديد الحذر ، شديد الرغبة في الإحسان وفي النجاة من هذا الامتحان (٣) .

بل إن عقيدته وتصوره عن الآخرة تشده إلى الجهاد شدًا وتملأ قلبه بالشوق إلى الشَّهادة .

لأن هذه العقيدة تُعرِّفه بحقيقة الدّنيا ، وقيمة متاعها الزائل ، وأنَّها ليست سوى مرحلة من مراحل وجوده ، وقد قيل إن الجبن والكفر بالآخرة صنوان ، وإن الشجاعة والإقدام والإيمان

---

(١) انظر : اليوم الآخر في ظلال القرآن ، ص١٦ ، أحمد فائز ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة السَّابعة عشر ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

(٢) سورة يونس ، الآية (١٤) .

(٣) انظر : اليوم الآخر في ظلال القرآن ، ص١٦-٢٠ .

بالآخرة متلازمان [١] .

لأن ((هذا الدِّين منهج إلهي للحياة البشرية ، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم ، في حدود طاقتهم البشرية ، وفي حدود الواقع المادي حينما يتسلم مقاليده ، ويسير بهم إلى نهاية الطَّريق في حدود طاقتهم البشرية ، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة .

وميزته الأساسية أَنَّه لا يغفل لحظة في أية خطة ، وفي أية خطوة ، عن فطرة الإنسان ، وحدود طاقته ، وواقع حياته المادي أيضًا ، وأَنَّهُ في الوقت ذاته يبلغ به ـ كما تحقق ذلك فعلاً في بعض الفترات ، وكما يمكن أن يتحقق دائمًا كلما بذلت محاولة جادة ـ إلى ما لم يبلغه أي منهج آخر من صنع البشر على الإطلاق في يسر وراحة وطمأنينة واعتدال)) [٢] .

ولذلك فقد استفاد المجتمع المسلم في العهد النبوي والراشدي من خلال سماع الآيات القرآنية والأحاديث النَّبويَّة الَّتي تحث على الآخرة ، والزهد في الدّنيا وبيان حقيقتها ومتاعها الزائل .

وهكذا تربى المجتمع الراشدي على حب الآخرة حبًا صادقًا ، وتصورًا صحيحًا ، لا يشوبه شك ، ولا تردد صدق ، فكانوا قدوة للأجيال من بعدهم في العبادة والجهاد والإيمان بالآخرة ﷺ أجمعين .

---

(١) انظر : أثر الإسلام في تكوين الشَّخصيَّة الجهادية للفرد والمجتمع ، ص٢٧ .

(٢) هذا الدِّين ، ص٦ ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

وانظر بتوسع : أهميَّة الجهاد في نشر الدعوة الإِسلاميَّة ، ص٢٥٥.

الجانب الثَّالث : معالجة الخلافات الزوجية في العصر الراشدي :

لقد سطر لنا المجتمع الراشدي معالم وأسسًا في الحفاظ على البيت والأسرة حتَّى مع وجود الخطأ والتقصير ، ولم تكن هذه المعالم والأسس مستقاةً من اجتهادات فردية قد تصيب وقد تخطئ ، وإنما كانت مستقاةً ممَّا تعلموه من النَّبيِّ ﷺ ، وما لمسوه من تعامله مع زوجاته ، وما فهموه من نصائحه وتوجيهاته المباشرة لهم .

لم يكن المجتمع الأسري في العهد الراشدي مجتمعًا معصومًا من حدوث الخطأ والزلل بين الزوجين ، ومن حصول التَّقصير والملل والسآمة ، ومن وقوع الطَّلاق والخلع كما وقع في العهد النبوي .

ولكن المهم هنا كيف عالج المجتمع الراشدي تلك الأخطاء والخلافات الزوجية .

ويمكن معرفة ذلك من خلال إيضاح الأسس والمعالم الَّتي كانت سائدةً في المجتمع الراشدي .

١ ـ لقد كان سائدًا في المجتمع الراشدي احترام المرأة ، وتقديرها ، والشفقة والرحمة بها ، والتغاضي عن كثير من أخطائها ، وذلك عملاً بتوجيه النَّبيِّ ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رَسُول الله ﷺ : « **استوصوا بالنِّساء ، فإن المرأة خُلقت من ضِلع ، وإنَّ أعوج شيءٍ في الضِّلع أعلاه ، فإن ذهبت تُقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنِّساء** » (١) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم ، رقم الحديث (٣٣٣١) .

وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة ﷺ قال رَسُول الله ﷺ : « إن المرأة خُلِقت من ضِلعٍ ، لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تُقيمها كسرتها ، وكسرُها طلاقها » [١] .

٢ ـ كان من الثقافة السائدة في المجتمع الراشدي عدم مجاراة المرأة في الكلام ، وعدم الرد عليها .

جاء أمير المؤمنين علي ﷺ إلى دار عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ في البصرة بعد الانتهاء من معركة الجمل ، فاستأذن وسلَّم عليها ورحبت به ، وإذا النِّساء في دار بني خلف يبكين من قُتل ، منهم عبد الله [٢] وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قُتِل مع عائشة ، وعثمان قُتِل مع علي ، فلما دخل علي قالت له صفية [٣] امرأة عبد الله أم طلحة الطلحات : أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي . فلم يرد عليها علي ﷺ شيئًا ، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضًا فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النِّساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات [٤] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الرَّضاع ، باب الوصية بالنِّساء ، رقم الحديث (١٤٦٨) .

(٢) هو عبد الله بن عامر الخزاعي والد طلحة الطلحات ، كان كاتبًا لعمر بن الخطاب على ديوان البصرة ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ فقتل ، وكان أخوه عثمان مع علي ﷺ . انظر : الإصابة ، ٤/ ٦٥ .

(٣) هي صفية بنت الحارث بن طلحة العبدرية ، تزوجت عبد الله بن خلف الخزاعي ، فولدت له طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات ، لها صحبة ، ولها رواية عن عائشة في السنن . الإصابة ، ٨/ ٢٠٩ .

(٤) البداية والنهاية ، ٧/ ٢٧٤ .

٣ ـ لم يكن الرَّجل في المجتمع الراشدي متسلطًا دكتاتوريًا على المرأة ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان يتحلى برباط المودة والرحمة .

فكانت المرأة في بيتها هي السيدة ، والراعية لأبنائها ، والمحبوبة لزوجها.

ومع ذلك فقد يحصل الغضب ، وتراجع الزوجة زوجها في بعض أمورها وحاجياتها ، وقد تغضب عليه ، وتهجره بعض اليوم ، وقد ترفع الصَّوت ، فلا يقابل الزَّوج ذلك التَّصرُّف إلاَّ بالصبر والتحمل والملاطفة لتستمر الحياة .

قال عمر ﷺ : كنا معشر قريش قومًا نغلب النِّساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، قال : وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي ، قال : فتغضبت يومًا على امرأتي، فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ، فو الله إن أزواج النَّبيِّ ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى اللَّيل ، قال : فانطلقت فدخلت على حفصة ، فقلت : أتراجعين رَسُول الله ﷺ ؟ قالت : نعم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى اللَّيل ؟ قالت : نعم ، قلت : قد خاب من فعل ذلك منكنَّ وخسر ، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رَسُول الله ، فإذا هي قد هلكت ؟ لا تراجعي رَسُول الله ولا تسأليه شيئًا ، وسليني ما بدا لك [١] .

٤ ـ المبادرة من بعض أفراد المجتمع الراشدي في المشاركة لحل بعض المشاكل الأسرية الَّتي قد تَصْعُب على الزوجين والأبوين ، وذلك من باب الإخوة والجوار .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطَّلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النِّساء ، رقم الحديث (١٤٧٩) .

جاء رجل ليستفتي عثمان ﷺ في زواج جارته الَّتي طلقها زوجها في حالة غضبه ، ثمَّ لقي شدةً فأراد الرَّجل أن يحتسب ماله ونفسه ويتزوجها ثمَّ يطلقها لترجع لزوجها الأوَّل ، فقال له عثمان ﷺ : لا تنكحها إلاَّ نكاح رغبة [(١)] .

ـ وقد يستدعي حل المشكلة ذهاب المرأة إلى الخليفة ، وعرض مشكلتها عليه بأسلوب محتشم متوج بالحياء ، فقد كان الدخول على الخليفة في العهد الراشدي من أيسر الأمور .

ـ فقد أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت : يا أمير المؤمنين ، زوجي خير النَّاس يصوم النَّهار ، ويقوم اللَّيل ، والله إني لأكره أن أشكوه ، وهو يعمل بطاعة الله ، والسَّلام عليكم ورحمة الله . فقال كعب بن سُوْر [(٢)] : ما رأيت كاليوم شكوى أشد ولا عدوى أجمل ، فقال عمر : ما تقول ؟ قال : تزعم أَنَّه ليس لها من زوجها نصيب ، قال : فإذا فهمت ذلك فاقض بينهما ، قال : يا أمير المؤمنين أحل الله من النِّساء مثنى وثلاث ورباع فلها من كل أربعة أَيَّام يوم

---

(١) انظر : السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب النِّكاح ، باب ما جاء في نكاح المحلل ، رقم الحديث (١٤٥٧٧) ، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٤هـ . وإسناده ضعيف بسبب الانقطاع . انظر : التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل ، ١/ ٣٦٩ ، عبد العزيز الطريفي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ١/ ٣٦٩ . ولكن هناك رواية قريبة من هذا المعنى أخرجها البيهقي في سننه الكبرى ، كتاب النِّكاح ، باب ما جاء في نكاح المحلل ، رقم الحديث (١٤٥٧٤) ، وفيها أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وليس عثمان بن عفان ﷺ . وقد صححها الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٦/ ٣١١ .

(٢) هو كعب بن سُوْر ، بضم المهملة ، وسكون الواو ، ابن دوس الأزدي ، ولاه عمر بن الخطاب قضاء البصرة ، وهو من كبار التَّابعين ، قُتل يوم الجمل وهو يناشد النَّاس في ترك القتال فأتاه سهم فمات في سنة ست وثلاثين رحمه الله رحمة واسعة. الإصابة ، ٥/ ٤٨٠ .

يفطر ، ويقيم عندها ، ومن كل أربع ليالي ليلة يبيت عندها [(١)] .

وقد تزل المرأة على زوجها في شكواها عند الخليفة ، فيصلح بينهم ، ويعطيها شيئًا من المال واللباس ترضية لها ، وحفاظًا على البيت والأسرة ، ويوصي الزَّوج بمراعاتها ، والتغاضي عن أخطائها .

جاءت امرأة إلى عمر ﷺ فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجي قد كثر شره وقل خيره ، قال لها عمر : ومن زوجك ؟ قالت : أبو سلمة [(٢)] ، قال فعرفه عمر ﷺ ، فإذا هو رجل له صحبة ، فقال لها عمر : ما نعلم من زوجك إلاَّ خيرًا ، ثمَّ قال لرجل عنده : ما تقول أنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا نعلم إلاَّ ذلك ، فأرسل إلى زوجها وأمرها فقعدت خلف ظهره ، فلم يلبث أن جاء الرَّجل مع زوجها ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : ومن هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه امرأتك ، قال : وتقول ماذا ؟ قال : تزعم أنَّه كثر شرُّك وقلَّ خيرك ، قال : بئس ما قالت يا أمير المؤمنين ، والله إنَّها لأكثر نسائها كسوةً ، وأكثرها رفاهية بيت ، ولكن بعلها بَكِيء [(٣)] ، فقال : ما تقولين ؟ قالت : صدق ، فأخذ الدرة فقام إليها فتناولها وهو يقول : يا عدوة نفسها أفنيت شبابه ، وأكلت ماله ، ثمَّ أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أقلني في هذه المرة ، والله لا تراني في هذا المقعد أبدًا ، فدعا بأثواب ثلاثة ، فقال لها : اتقي الله

---

(١) مصنف عبد الرزاق ، كتاب الطَّلاق ، باب حق المرأة على زوجها ، رقم الحديث (١٢٥٨٧) تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٣هـ . وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٧/ ٨٠ .

(٢) أبو سلمة ، غير منسوب ، له صحبة ، وأثني عليه عمر في خلافته . انظر : الإصابة ، ٧/ ١٥٩ .

(٣) بكيء وبكيئة : الناقة والشاة إذا قلّ لبنها ، والمعنى أن زوجها لا يستطيع الجماع . لسان العرب ، ١/ ٣٥ . والنهاية في غريب الحديث ، ١/ ١٤٨ .

وأحسني صحبة هذا الشَّيخ ، ثمَّ أقبل عليه فقال : لا يمنعك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها ، قال : أفعل يا أمير المؤمنين .

قال الراوي : كأني أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقة ، ثمَّ إني سمعت عمر ﷺ يقول : سمعت رَسُول الله ﷺ يقول : « **خير أمتي القرن الَّذي أنا فيه ، ثمَّ الَّذين يلونه ، ثمَّ الَّذين يلونه ، ثمَّ يجيء قوم تسبق شهادتهم أيمانهم ، يشهدون قبل أن يستشهدوا ، لهم في أسواقهم لغط** » [١] [٢] .

وقد تتوقف الحياة الزوجية ، ويكون الأصلح للزوجين الفراق إمَّا بالطلاق أو بالخلع ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [٣] .

وقد كان الطَّلاق في العصر الراشدي مستنكرًا إذا لم يكن هناك سبب وجيه لوقوع الطَّلاق ، لأنهم كانوا على علم بقيمة الحياة الزوجية ، وبخطورة الآثار السلبية للطلاق ، فقد همَّ رجل بطلاق زوجته ، فقال له الفاروق : لم تطلقها ؟ قال : لا أحبها ، فقال عمر : أو كل البيوت بنيت على الحب ، فأين الرعاية والتذمم [٤] [٥] .

---

(١) اللغط : صوت وضجة لا يُفهم معناها . لسان العرب ، ٧/ ٣٩١ . والنهاية في غريب الحديث ، ٤/ ٢٥٧ .

(٢) مسند الطيالسي ، ١/ ٧ ، دار المعرفة ـ بيروت . ومحض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ٣/ ١٠٠٠ ، يُوسف المبرد . وقال محققه : صحيح الإسناد .

(٣) سورة النِّساء ، الآية (١٣٠) .

(٤) التذمم للصاحب هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذمَّ النَّاس له إن لم يحفظه . انظر : لسان العرب ، ١٢/ ٢٢٢ . والمعنى : أن المقصود أن الحياة الزوجية لا تقوم ولا تستمر إلاَّ بالرعاية والمراعاة والمحافظة .

(٥) البيان والتبيين ، ٢/ ٦٠ . نثر الدرر في المحاضرات ، ٢/ ٤٢ ، منصور الرازي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة

وعندما أكثر النَّاس من إحداث طلاق الثلاث في عهد الفاروق عاقبهم ﷺ بإيقاع طلاق الثلاث ثلاثًا عقوبة لهم ، وتعزيرًا ، وردًا لهم إلى الطَّلاق السني الَّذي شرعه الله تعالى ، وذلك لمصلحة الزوجين ، مع أن الطَّلاق في عهد النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة .

قال ابن عبَّاس قال عمر : إن النَّاس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضينا عليهم ، فأمضاه عليهم (١) .

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((لم يخالف عمر إجماع من تقدمه ، بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم لما علموا أنَّه حرام وتتابعوا فيه ، ولا ريب أن هذا سائغ للأئمة أن يلزموا النَّاس بما يضيقوا به على أنفسهم ، ولم يقبلوا فيه رخصة الله وتسهيله)) (٢) .

وقد يكون الفراق بين الزوجين بالخلع فتطلب المرأة الفراق من زوجها بشرط أن تعطيه مالاً كما حدث للربيع بنت معوذ (٣) قالت : كان بيني وبين ابن عمي كلام ، فقلت له : لك كل شيء وفارقني ، قال : قد فعلت، فأخذ والله كل شيء حتَّى فراشي ، فجئت عثمان ﷺ ، وهو

الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطَّلاق ، باب طلاق الثلاث ، رقم الحديث (١٤٧٢) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥/ ٢٤٨ ، لابن القيِّم ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة السَّابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٣) هي الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية ، كانت من المبايعات بيعة الشَّجرة ، وغزت مع رَسُول الله ﷺ ، روت بعض الأحاديث . انظر : الإصابة ، ٨/ ١٣٢ .

محصور [١] ((تستفتيه)) ، فقال : الشَّرط أَمْلَكُ ، خذ كل شيء حتَّى عقاص رأسها [٢] .

سابعًا : قيام العدالة الأسرية ، ونبذ الظلم في المجتمع :

فقد كانت المرأة في الجاهليَّة قبل الإسلام مهانة لا حق لها في الإرث أو التملك أو الرأي والمشورة ، فلما جاء الإسلام رفع قدرها ، وحفظ لها حقها ، وصان عرضها ونفسها وجعلها كالجوهرة المكنونة محفوظة مصونة .

ولا يعني هذا عدم وقوع الخطأ والظلم من بعض الأزواج لزوجاتهم ، ولكن المهم في هذا أن المجتمع الراشدي كان سريع المبادرة في إيقاف الظلم ورفعه وردع الظالم ، حتَّى ولو لم يُظهر المظلوم الشكاية ممَّن ظلمه ، فإن المجتمع الراشدي إذا بلغه ظلم على أحد بادر إلى رفعه سواء كانت المبادرة من الخليفة أو من أحد أفراد المجتمع .

ورد أن غيلان الثقفي [٣] أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « **اختر منهن أربعًا** » فلما كان في عهد عمر طلَّق نساءه وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأرسل إليه

---

(١) محصور : الحبس والضيق والشدة . انظر : مختار الصحاح ، ١/ ٧٤ ، أبو عبد الله الرازي، المكتبة العصريَّة - بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٨/ ٣٢٩ . وقصة اختلاع الربيع من زوجها صحيحة، انظر : صحيح أبي داوود للشّيخ الألباني ، ٦/ ٤٣٢ . والتحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل ، ١/ ٣٩٩ .

(٣) غيلان بن سلمة بن شرحبيل الثقفي ، أسلم بعد فتح الطائف ، وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم ، وهو ممَّن وفد على كسرى ، مات وكان شاعرًا ، مات في آخر خلافة عمر ﷺ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٣/ ١٢٥٦ ، لابن عبد البر .

عمر فقدم عليه ، فقال له : إني أظن أن الشَّيطان فيما يسترق السمع سمع بموتك فقذف في قلبك أنك تموت ، فحملك مبادرة ذلك على ما صنعت ، وإني والله لأظنك لا تلبث بعد أن تقوم عن حضري هذا حتَّى تموت ، وأيم الله لئن مت قبل أن تراجع نساءك وترجع مالك لأورثن نساءك من مالك ، ثمَّ لأرجمن قبرك حتَّى أجعل عليه مثل ما على قبر أبي رغال [1] [2] .

الجانب الرَّابع : عمل المرأة المسلمة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية :

أعظم عمل قامت به المرأة المسلمة في العهد النبوي والراشدي هو الاهتمام ببيتها وزوجها وأبنائها ـ فإن بيتها هوالقلعة والحصن الحصين للأسرة المسلمة ـ فمتى ما صلحت المرأة وأصلحت بيتها واهتمت بتربية أبنائها وأعطت ما وجب عليها من حق لزوجها فقد أدت ما عليها .

وما زاد عن ذلك فهو من نفل العمل الَّذي تؤجر وتثاب عليه ، وهذا ما نصت عليه توجيهات النَّبيِّ ﷺ في العهد النبوي .

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ » [3] .

---

(١) أبو رغال ، هو أبو ثقيف ، قال رَسُول الله ﷺ : ((وكان من قوم ثمود ، وكان بهذا الحرم ، يُدْفَعُ عنه ، فلما خرج منه ، أصابته النقمة الَّتي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنَّه دُفن معه غصن من ذهب)) الحديث . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢/ ٩٤٤ . وهذا الحديث ضعفه الشَّيخ الألباني في ضعيف أبي داود ، ٢/ ٤٦٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ٢/ ١٤ . وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل بمجموع طرقه ، ٦/ ٢٩٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٦٦١) ، ١/ ١٩١ . وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب ٢/ ١٩٦ ، مكتبة المعارف ـ الرياض ، الطبعة الخامسة : ((هو حديث حسن لغيره لأن رواته رواة الصَّحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن

ومع ذلك فقد اتصفت المرأة المسلمة في العهد الراشدي بعلو همتها وسعة ثقافتها وثباتها وسرعة مبادرتها لفعل الخيرات .

وهذه الصفات جعلتها لا تقصر اهتمامها على بيتها فقط ، بل تعدى اهتمامها بمجتمعها والمشاركة الفاعلة فيه .

وإليك بعض الأعمال والمشاركات البناءة الَّتي قامت بها المرأة المسلمة في العصر الراشدي تأسيًا بما قامت به المرأة في العهد النبوي :

أولاً : المشاركة في التربية والتعليم :

لقد اهتم النَّبيُّ ﷺ بتعليم المرأة المسلمة لأنها مطالبة بالإيمان والصَّلاة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

لقد كان عليه الصَّلاة والسَّلام يحثهن على العلم والتعليم ، ويخصهن بالموعظة والنصيحة ، ويجيب على تساؤلاتهن .

في المتابعات)) .

وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٣٠٦ : ((وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصَّحيح)).

(١) سورة التوبة ، الآية (٧١) .

فعن أم عطية [١] ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ قالت : أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين ، وذوات الخدور فيشهدن جماعة المسلمين ، ودعوتهم ، ويعتزل الحيض عن مصلاهن ، قالت امرأة : يا رَسُول الله ، إحدانا ليس لها جلباب ؟ قال : « **لتلبسها صاحبتها من جلبابها** » [٢] .

ودخل عليه الصَّلاة والسَّلام على حفصة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ وعندها الشفاء بنت عبد الله [٣] ، فقال للشفاء : « **أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ [٤] النَّمْلَةِ [٥] كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ** » [٦] .

لقد كان للمرأة المسلمة في العهد الراشدي مشاركات بارزة فيما يتعلق بالعلم والتعليم .

وكان من أبرز النِّساء اهتمامًا بالعلم أمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهن ـ اللاتي اهتم بهن النَّبيُّ ﷺ تعليمًا وتربيةً ليصبحن مرجعًا لما خفي على المسلمين من الأحكام الفقهيَّة والأحاديث النَّبويَّة الَّتي أُمرن ببيانها كما في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ الله وَالْحِكْمَةِ ﴾ [٧] .

---

(١) هي نسيبة بنت الحارث ، روت عن النَّبيّ ﷺ وعن عمر . الإصابة ، ٨/ ٤٣٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصَّلاة ، باب وجوب الصَّلاة في الثِّياب ، حديث (٣٥١) .

(٣) الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية ، أسلمت قبل الهجرة وكانت من المهاجرات الأَوَّل ومن عقلاء النِّساء وفضلائهن ، وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها . الإصابة ٨/ ٢٠١ .

(٤) الرقية : العُوذة الَّتي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع . النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٥٤ .

(٥) النملة : قروح تخرج في الجنب . النهاية في غريب الحديث ، ٥/ ١٢٠ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى ، رقم (٣٨٨٧) .
وصححه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير ، ١/ ٥١٧ .

(٧) سورة الأحزاب ، الآية (٣٤) .

فكن بحق ثمرة من ثمار بيت النبوة الَّتي استفاد منها المسلمون فوائد جمة .

وكان في مقدمتهن عائشة بنت الصديق ، وأم سلمة [١] ـ رَضِي الله عَنْهن ـ .

وقد حازت عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ قصب السبق في العلم ورواية الأحاديث النَّبويَّة والفتوى والآداب والتعليم .

حتَّى كان كبار الصَّحابة وعموم المسلمين يرجعون إليها في بعض المسائل ، ويستشيرونها في بعض القضايا ، ويروون عنها كثيرًا من الأحاديث الَّتي سمعتها مشافهة من النَّبيِّ ﷺ والَّتي بلغت ألفين ومئتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثًا ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، وانفرد مسلم بتسعة وستين [٢] .

قال أبو وضاح عن مسروق [٣] : ((رأيت مشيخة أصحاب رَسُول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض)) [٤] .

---

(١) هي هند بنت أبي أمية ، واسمه : حذيفة وقيل سهل بن المغيرة المخزومي القرشي أم المؤمنين أم سلمة مشهورة بكنيتها معروفة باسمها ، روت عن النَّبيِّ ﷺ كثيرًا ، وماتت في سنة تسع وخمسين ولها أربع وثمانون سنة . الإصابة ، ٨/ ٣٤٢ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢/ ١٣٩ .

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ، الإمام القدوة ، الفقيه ، حدَّث عن كبار الصحابة ، روى عن أبي بكر وعثمان وعائشة وغيرهم . كان عالمًا بالفتوى ، وكان شديد الحرص على العلم ، مات سنة ثلاث وستين للهجرة . انظر : تهذيب التَّهذيب ، ١٠/ ١١١ ، ابن حجر العسقلاني ، مطبعة دائرة المعارف ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ . والإصابة ، ٦/ ٢٢٩ . وسير أعلام النبلاء ، ٤/ ٦٣ .

(٤) الإصابة ، ٨/ ٢٣٣ . والطبقات الكبرى ، ٢/ ٢٨٦ ، لابن سعد .

وقال عطاء بن أبي رباح [١] : ((كانت عائشة أفقه النَّاس ، وأعلم النَّاس ، وأحسن النَّاس رأيًا في العامَّة)) [٢] .

وقال هشام بن عروة [٣] عن أبيه : ((ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة)) [٤] .

وقال أبو بردة [٥] بن أبي موسى عن أبيه : ((ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عائشة إلاَّ وجدنا عندها فيه علمًا)) [٦] .

وقال الزهري : ((لو جُمِع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين ، وعلم جميع النِّساء ، لكان علم عائشة أفضل)) [٧] .

وقد أثنى عليها ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بقوله : « وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ

---

(١) هو عطاء بن عروة بن الزُّبير بن العوام الأسدي ، ثقة فقيه فاضل ، لكنه كثير الإرسال ، مات سنة أربع عشرة ومائة . انظر : تقريب التَّهذيب ، ١/ ٣٩١ .

(٢) الإصابة ، ٨/ ٢٣٣ .

(٣) هو هشام بن عروة بن الزُّبير بن العوام الأسدي ، ثقة فقيه ، مات سنة خمس أو ست وأربعين . انظر : تقريب التَّهذيب ، ١/ ٥٧٣ .

(٤) انظر : الإصابة ، ٨/ ٢٣٣ .

(٥) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، قيل : اسمه عامر ، وقيل : الحارث ، ثقة ، مات سنة أربع ومائة . انظر : التَّقريب ، ١/ ٦٢١ .

(٦) الإصابة ، ٨/ ٢٣٣ .

(٧) المرجع السابق ، ٨/ ٢٣٣ . والاستيعاب ، ٤/ ١٨٨٣ .

الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » [١] .

وقد سُئِل شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة عن خديجة وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ أيهما أفضل ؟

فأجاب : ((بأن سبق خديجة وتأثيرها في أوَّل الإسلام ونصرها وقيامها في الدِّين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحَمْل الدِّين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم مالم تُشْرِكْها فيه خديجة ولا غيرها ممَّا تميزت به عن غيرها)) [٢] .

وقد ذكر ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ أهل الفتوى من الصَّحابة وهم يتجاوزون مائة ونيف وثلاثين نفسًا ما بين رجل وامرأة .

وقد ذكر تقسيم أهل العلم في أهل الفتوى من الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهم على ثلاثة أقسام :

ـ المكثرون من الفتيا الَّذين يمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفرًا ضخمًا كعائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ .

ـ والمتوسطون من الفتيا كأم سلمة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ .

ـ والمقلون من الفتيا وهم ؛ من يروى عن الواحد منهم المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ الله مَثَلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ رقم (٣٤١١) . انظر بتوسع : ابن راهويه في مسنده ٢/ ٢٥-٥٠ ، دراسة وتحقيق البلوشي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، الدِّراسة ٢/ ٢٥-٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تَيْمِيَّة ، ٤/ ٣٩٣ .

على ذلك كحفصة بنت عمر بن الخطاب، وصفية بنت حيي ، وبقية أمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهن ـ ، وكذلك فاطمة بنت رَسُول الله ﷺ ، وأم عطية ، وأم أيمن ، وفاطمة بنت قيس ، وغيرهن من الصحابيات ـ رضوان الله عليهن ـ [(١)] .

ـ ولقد كان لنساء الأنصار ـ رضوان الله عليهن ـ دور بارز في العلم والتعليم وحسن الاقتداء في العهد النبوي والعهد الراشدي .

وقد اثنت عليهن عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ فقالت : ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)) [(٢)] .

وعن صفية ـ رَضِي الله عنها ـ قالت : ذكرن عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت : إن نساء قريش لفُضلاء ، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ؛ أشد تصديقًا بكتاب الله ، ولا إيمانًا بالتنزيل .... الحديث [(٣)] .

ـ وقد اتسع دور المرأة في العصر الراشدي في مجال التَّعليم فشمل الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر .

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ١٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب استعمال المغتسلة من الحيض ، حديث رقم (٣٣٢) .

(٣) فتح الباري ، ٨/ ٤٩٠ .

انظر بتوسع : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ٦/ ٢٥٠ ، محمَّد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر ـ لبنان ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

وقد دخلت الشَّفاء على عهد النَّبيِّ ﷺ على شرحبيل بن حسنة [١] زوج ابنتها وقد حضرت الصَّلاة ، فقالت : حضرت الصَّلاة وأنت في البيت ؟ [٢].

ـ وكان للمرأة دور في التوجيه والإرشاد والمناصحة .

قالت عائشة ـ رَضِي الله عنها ـ : يا معشر النِّساء ! لو تعلمن حق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن وجه زوجها بنحر وجهها [٣] .

ـ وكان نساء أهل المدينة إذا أردن أن يبنين بامرأة على زوجها بدأن بعائشة فأدخلنها عليها ، فتضع يدها على رأسها تدعو لها وتأمرها بتقوى الله وحق الزَّوج [٤] .

ـ وكانت أم سلمة تصلي بالنِّساء وتتوسطهن في الصف ، وكذلك عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ [٥] .

ـ بل كانت المرأة في العهد الراشدي يحق لها النقد والمراجعة والاعتراض.

---

(١) هو أبو عبد الله الكندي ، ويقال التميمي ، أمه حسنة ، وكان شرحبيل ممَّن شارك في فتوح الشَّام في عهد أبي بكر الصديق وله رواية عن النَّبيِّ ﷺ ، مات في طاعون عمواس . انظر : الإصابة ، ٣/ ٢٦٥ .

(٢) الآحاد والمثاني ، ١/ ٤٧٥ ، لابن أبي عاصم الشيباني ، دار الراية ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م . ومعرفة الصَّحابة ، ٦/ ٣٣٧١ ، لأبي نعيم الأصبهاني ، دار الوطن ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، ٣/ ٣٩٨ ، دار الفكر .

(٤) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ، ٣/ ٣٩٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٥٣٦ .

فقد اعترضت امرأة سمعت من عبد الله بن مسعود : « **لعن الله الواشمات والمستوشمات** » فقالت : إنَّه بلغني أنك لعنت كيت وكيت . فقال : وما لي لا ألعن من لعن رَسُول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله ؟ فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ، قال : لئن قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت قول الله تعالى : ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) ، قالت : بلى ، قال : فإِنَّه قد نهى عنه ، قالت : فإني أرى أهلك يفعلونه ، قال : فاذهبي فانظري ، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئًا ، فقال : لو كانت كذلك ما جامعتها (٢) .

وقد بلغ عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ أن عبد الله بن عمرو يأمر النِّساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن فقالت : يا عجبًا لابن عمرو هذا يأمر النِّساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ؟! لقد كنت أغتسل أنا ورَسُول الله ﷺ من إناء واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات (٣) .

ـ وهكذا كان للمرأة المسلمة في العهد الراشدي دور بارز في العلم والتعليم ما جعلها خير

---

(١) سورة الحشر ، الآية (٧) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ رقم (٤٨٨٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحيض ، باب حكم ضفائر المغتسلة رقم (٣٣١) .

وقد ذكر الإمام النَّووي في شرحه على صحيح مسلم ٤/ ١٢ ما معناه : أن أمر عبد الله بن عمرو بنقض النِّساء رؤوسهن إذا اغتسلن يُحمل على أَنَّه أراد إيجاب ذلك عليهن ، ويكون ذلك في شعور لا يصل إليها الماء ، أو يكون مذهبًا له أَنَّه يوجب النقض بكل حال ، أو أَنَّه لم يصله أحاديث أخرى في عدم النقض ، أو أن أمره كان على الاستحباب والاحتياط لا على الإيجاب .

قدوة ومضرب مثلٍ للنساء على مرِّ العصور إلى يومنا هذا .

ثانيًا : إسداء المشورة ونقل الخبرات :

ـ عندما مرضت فاطمة بنت النَّبيِّ ﷺ وكانت أسماء بنت عميس [١] هي الَّتي تمرضها حتَّى الأنفاس الأخيرة ، وهي الَّتي أشارت على فاطمة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ عندما استقبحن ما يُصنع بالنِّساء بعد موتهن عندما يطرح الثَّوب عليهن فيصفهن .

فقالت أسماء : يا بنت رَسُول الله ﷺ ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة ، فدعت بجرائد رطبة فَحَنَتْها ثمَّ طرحت عليها ثوبًا ، فقالت فاطمة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ : ما أحسن هذا وأجمله ! به تعرف المرأة من الرِّجال [٢] .

قال ابن عبد البر : فاطمة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ أوَّل من غُطي نعشها في الإسلام ثمَّ زينب بنت جحش [٣] .

وكان الفاروق ﷺ يقدم الشفاء بنت عبد الله العدوية في الرأي [٤] .

وقد غيَّر الفاروق سياسته في بقاء الجند في الثغور وحدد مدة بقائهم أربعة أشهر لكي لا

(١) هي أسماء بنت عميس بن مَعْدْ الخثعمية ، كانت أخت ميمونة بنت الحارث زوج النَّبيِّ ﷺ ، وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، وولدت له هناك أولاده ، فلما قتل زوجها تزوجها أبو بكر الصديق ثمَّ تزوجها علي ﷺ أجمعين . الإصابة ، ٨/ ١٤ .

(٢) انظر : الاستيعاب ، ٤/ ١٨٩٧ . وأسد الغابة ، ٧/ ٢١٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق ٤/ ١٨٩٨ .

(٤) انظر : الإصابة ، ٨/ ٢٠٢ .

يضر ذلك بنسائهم بعد استشارته لابنته حفصة أم المؤمنين ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ وكان ذلك بسبب حادثة وقف عليها وهو يَعسُّ في اللَّيل فسمع امرأة تقول في ضيق شديد :

تطـاول هـذا اللَّيـل تسـري كواكبـه ۞ وأرقنـي ألا ضـجيع ألاعبـه

إلى أن قالت :

ولكننـي أخشـى رقيبًـا مـوكلا ۞ بأنفسـنا لا يفتـر الـدهر كاتبـه

فقال عمر ﷺ : يرحمك الله ! ثمَّ أرسل إليها بكسوة ونفقة ، وكتب أن يقدم عليها زوجها [١] .

ثالثًا : المشاركة الفاعلة عند وقوع الفتن السِّياسيّة الَّتي تعَرَّض لها المجتمع الراشدي :

قد شاركت المرأة المسلمة بمشاركات إيجابية فاعلة عندما وقعت الفتن السياسية في العصر الراشدي ، فمن ذلك :

أ ـ في حروب الردة في اليمن :

وقفت المرأة المسلمة مع الإسلام والمسلمين وحاربت الرذيلة فهذه ((آزاد)) الفارسية [٢] زوج شهر بن باذان [٣] وابنة عم فيروز الفارسي [١] وقفت بكل عزم وتصميم لترتيب خطة

---

(١) انظر : محض الصَّواب ، ١/ ٣٨٨ .

(٢) انظر قصتها بتوسع : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ١٩٨ ، ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٣) شهر هو ابن ملك اليمن باذان الفارسي وقد أسلم هو وأبوه ، وقد أرسل بإذن إسلامه للنبي ﷺ فأقره على ←

محكمة لاغتيال الأسود العنسي كذاب اليمن .

وقد جعلها الله سببًا لهلاك هذا الطاغية الَّذي كاد أن يقضي على الإسلام في اليمن (٢) .

ب : فتنة مقتل عثمان ﷺ :

إن دور أمهات المؤمنين والصحابيات ـ رضوان الله عليهن ـ من هذه الفتنة كان موقفًا حصيفًا يدلُّ على كمال وعيهن وفهمهن بما يدور حولهن من أحداث سياسية كان الهدف منها هز كيان الدَّولة الإِسلاميَّة وزعزعة أمنها وإسقاط هيبة الخلافة ، وذلك بتنحية عثمان ﷺ عن الخلافة .

وقد كان موقفهن ـ رضي الله عنهن ـ واضحًا وصارمًا منذ بداية الفتنة حيث رفضن وكذبن المقولات المكذوبة والملفقة الَّتي روَّج لها الشاغبون عن عثمان ﷺ .

بل كان لهنَّ مواقف في دحضها والوقوف جنبًا إلى جانب عثمان بالمساعدة والنصيحة وإبداء الاستياء بما يحدث ، وإثارة الرأي العام على الشاغبين ، وحثِّ النَّاس على مناصرة عثمان والوقوف معه ، ومناصحة الخليفة في أن يسمح للناس بمناصرته بالقول والسنان لدفع هذه الفتنة ووئدها .

اليمن ثمَّ مات باذان فاستعمل ابنه على بعض عمله ، وشهر بن باذان هو الَّذي قتله الأسود العنسي . الإصابة ١/ ٤٦٤ .

(١) هو فيروز الديلمي يكنى أبا عبد الله من أبناء فارس من فرس صنعاء ، وفد على النَّبيِّ ﷺ وحديثه عن الأشربة حديث صحيح ، وهو قاتل الأسود العنسي . الاستيعاب ، ٣/ ١٢٦٤ .

(٢) انظر : الكامل في التَّاريخ ٢/ ١٩٨ .

ـ فهذه أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ـ رَضِي الله عنها ـ عندما جاءها خبر قطع الغوغائيين الماء عن عثمان ﷺ ركبت بغلتها لنجدته بالماء، فضربوا وجه بغلتها فنفرت بها وكادت أن تسقط ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ (١) .

والَّذي حصل لأم المؤمنين أم حبيبة قد حصل لأم المؤمنين صفية ـ رضي الله عنها ـ ولكن مع ذلك فقد أصرت ووضعت خشبًا من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الطَّعام والماء (٢) .

ـ وقد حاولت عائشة ـ رَضِي الله عنها ـ الوقوف في وجه هذه الفتنة بجاهها ومكانتها وعلمها ولكن لا حياة لمن تناصح .

فتجهزت هي وأمهات المؤمنين للخروج للحج لعل في خروجهن تخليصًا لعثمان ﷺ من حصار أهل الفتنة والَّذي افتتن معهم أخوها محمَّد بن أبي بكر الصديق الَّذي حاولت استدراجه للذهاب معها للحج لعله يرجع لصوابه ، ولكنه رفض الخروج معها ، وقالت ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ : أمَّا والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن (٣) .

ولم يقتصر الوقوف ضد الفتنة وإنكارها على أمهات المؤمنين فقط ، بل كان للصحابيات مواقف مشرفة ، ومحاولات متتابعة مع بعض أبنائهن وأقاربهن المفتونين ، وذلك عن طريق الحوار والمناقشات والتذكير بخطورة الظلم وذكر محاسن الخليفة عثمان ﷺ ، وأيضًا لإثارة الرأي

---

(١) انظر : الكامل في التَّاريخ ٢/ ٥٤٠ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٣٧ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٣٨٦ .

العام على هذه الفتنة وإخمادها.

فقد حاولت أسماء بنت عميس ، مع ابنيها محمَّد بن أبي بكر ، ومحمَّد بن جعفر ، وقالت : إن المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس ، فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما ، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم [(١)] .

وطلبت الصعبة بنت الحضرمي [(٢)] ـ رَضِي الله عنها ـ من ابنها أن يكلم عثمان كي يردعه عن إصراره على إسلامه نفسه دون مدافعة من الصَّحابة واستنصار بأهل الأمصار [(٣)] .

ـ ولم يقتصر مواقف الصحابيات وبالأخص أمهات المؤمين في هذه الفتنة إلى هذا الحد بل عندما جاء خبر مقتل الخليفة عثمان اتفق أمهات المؤمنين جميعًا على الذهاب للمدينة بعد الانتهاء من الحج والمطالبة بدم عثمان ، ولكن عندما غيرت عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ وجهتها إلى البصرة خالفنها في السير إلى البصرة إلاَّ حفصة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ فقد وافقت عائشة إلاَّ أن أخاها عبد الله ابن عمر منعها من الخروج للبصرة [(٤)] .

وهكذا استمر جهد الصحابيات ـ رضوان الله عليهن ـ في المشاركة الفاعلة في الوقوف ضد الفتن السِّياسيّة سواء من كان منهن في المدينة أو من سار إلى البصرة كعائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ٤/ ٣٨٧ .

(٢) هي الصعبة بنت عبد الله الحضرمي ، وهي أخت العلاء بن الحضرمي والي البحرين في عهد عمر الفاروق . الإصابة ، ٨/ ٢٠٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٨/ ٢٠٨ .

(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٥١ .

الَّتي أرادت الإصلاح وإخماد الفتنة ومعاقبة قتلة عثمان وحماية جناب الخلافة وترسيخ مكانتها في النّفوس وخاصة لمكانتها العلميَّة والاجتماعية بين عموم المسلمين إلاَّ أن الأمور تطورت وتغيرت ، والفتن تلاحقت ، فحصلت موقعة الجمل وصفين ، وتلاحقت بعدها الأحداث ، والمهم هنا أن المرأة المسلمة في العهد الراشدي كان لها مشاركة فاعلة بوعي وفهم لمجريات الأحداث والوقائع الَّتي تحيط بها وبمجتمعها (١) .

رابعًا : المشاركة في الجهاد :

إن دور المرأة في الجهاد كان بارزًا في العهد النبوي ، والعهد الراشدي ، وليس ذلك لقلة الرِّجال .

وإنما ذلك لأن المرأة في هذين العهدين كانت شديدة التشوف لهذه الفريضة ، وحريصة على تحصيل الأجر ونيل الشَّهادة مع علمها أن الجهاد ليس واجبًا عليها (٢) .

عن عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ أنها قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، تُرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلا نُجَاهِدُ ؟ ، قَالَ : « **لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ** » (٣) .

---

(١) دور المرأة السياسي في عهد النَّبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين ، ص٣٨٧ ، أسماء محمَّد زياده ، دار السَّلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

(٢) اتفق الفقهاء على أن النِّساء لا يجب عليهن الجهاد وقد نقل الإجماع ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع ، ص١١٩ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت . والمرداوي في الإنصاف ، ٤/ ١١٥ ، دار إحياء التراث العربي .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد ، رقم (٢٧٨٤) .

ـ وكذلك حرصت أم حرام [١] على المشاركة في الجهاد ، وقصتها مع النَّبيِّ ﷺ كما في صحيح البخاري عندما نام عندها عليه الصَّلاة والسَّلام ثمَّ استيقظ متبسمًا فسألته : مَا أَضْحَكَكَ ، قَالَ: « أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ » قَالَتْ : فَادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا لَهَا ثُمَّ نَامَ الثَّانِيَةَ فَفَعَلَ مِثْلَهَا ، فَقَالَتْ : مِثْلَ قَوْلِهَا فَأَجَابَهَا مِثْلَهَا ، فَقَالَتِ : ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : « أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ » [٢] .

وقد تحققت هذه الرؤيا في عهد عثمان ﷺ ، وركبت أم حرام ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ البحر مع زوجها عبادة بن الصامت ، وعند رجوعها وخروجها من البحر ماتت بسبب نفور دابتها وسقوطها عنها [٣] .

وكانت وجهة هذه الغزوة فتح قبرص الَّتي حاول معاوية ﷺ في عهد عمر بن الخطاب ﷺ فتحها ، ولكن الفاروق ﷺ خاف على المسلمين من ركوب البحر ولم يأذن لمعاوية في فتحها .

ولما جاء عهد عثمان أعاد المحاولة وهوَّن على عثمان ركوب البحر .

---

(١) هي أم حرام بنت ملحان ، وهي الَّتي ركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت في غزوة قبرص بفضل دعاء النَّبيّ ﷺ ، وماتت في تلك الغزوة سنة سبع وعشرين في ولاية عثمان ﷺ . انظر : الإصابة ، ٨/ ٣٧٥ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من يصرع في سبيل الله ، رقم (٢٧٩٩) .
ذكر ابن كثير رحمه الله : أن هذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة : الإخبار عن الغزوتين وهما : غزوة قبرص الَّتي شاركت فيها أم حرام سنة سبع وعشرين ، وغزوة القسطنطينية سنة ثنتين وخمسين للهجرة ، والإخبار عن أم حرام بأنَّها من الأولين الَّذين يركبون البحر في غزوة قبرص . انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٢٤٩ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٢٤٩ .

فوافق عثمان ﷺ ولكنه اشترط أن تركب زوجة معاوية معه البحر وألا يُلْزِم النَّاس بالخروج وإنما يخبرهم في الخروج [١] .

وقد خرج مع معاوية ﷺ جيشٌ عظيمٌ مع أَنَّه لم يجبر النَّاس على الخروج ، ولكن النَّاس في العهد الراشدي هانت الدّنيا في أعينهم ، وعَظُم حرصهم على الشَّهادة وتحصيل الأجر ، وكذلك نساؤهنَّ حرصن على الخروج للجهاد مع عدم وجوبه عليهن .

((إن الجهاد لم يكتب على المرأة لأنَّهَا تلد الرِّجال الَّذين يجاهدون ، وهي مهيأة لميلاد الرِّجال بكل تكوينها العضوي والنفسي ، ومهيأة لإعدادهم للجهاد وللحياة سواء ... فالحرب حين تحصد الرِّجال وتستبقي الإناث ، تدع للأمة مراكز إنتاج للذرية تعوض الفراغ ، والأمر ليس كذلك حين تحصد النِّساء والرجال)) [٢] .

ومع هذا كله كان للمرأة في العهد النبوي والعهد الراشدي مواقف بطولية عظيمة يتبين منها قوة إيمانها وحرصها على رضوان الله تعالى بنصرة دينها والذود عنه بكل غالٍ ونفيس .

ويمكن تقسيم هذه المواقف البطولية الجهادية الَّتي سطرتها المرأة المسلمة في العهد الراشدي إلى دورين مهمين :

أولاً : الدور المباشر للمرأة في الحروب .

---

(١) انظر : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٤٦٨ ، ابن الأثير .

(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ٦٤٤ .

ويشمل القتال والدفاع عن مؤخرة الجيش والحراسة والإجهاز على قتلى الكفَّار [١] .

كما حصل من أم عمارة [٢] الصحابية الجليلة ـ رَضِي الله عنها ـ الَّتي شهدت بيعة العقبة ، ومعركة أحد ، وبيعة الرضوان ، وشهدت معركة اليمامة في عهد الصديق ، وقاتلت حتَّى قطعت يدها ـ رَضِي الله عنها ـ [٣] .

– وأم حكيم [٤] الَّتي دخل بها خالد بن سعيد قبيل معركة مرج الصفر [٥] بساعات ثمَّ بعد ذلك شدت عليها ثيابها وقتلت يومئذٍ سبعة بعمود الفسطاط الَّذي

---

(١) انظر : أحكام جهاد المرأة في الشَّريعة الإسلاميَّة وصوره المعاصرة ، ص١٥٩ ، عالية أحمد ، رسالة علمية ، الجامعة الأردنية .

(٢) أم عمارة هي : نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية النجارية ، روت بعض الأحاديث عن النَّبيّ ﷺ ، وهي الَّتي قالت للنبي ﷺ : أرى كل شيء للرجال وما أرى النِّساء يذكرن بشيء ، فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية . قال الترمذي : حسن غريب ، وقال الألباني : صحيح الإسناد . صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٧/ ٢١١ ، رقم الحديث (٣٢١١) .

(٣) انظر : الإصابة ، ٨/ ٤٤١ .

(٤) أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية زوج عكرمة بن أبي جهل ، حضرت يوم أحد وهي كافرة ثمَّ أسلمت في الفتح ، وخرجت مع زوجها عكرمة إلى غزوة الروم فاستشهد فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص قبل معركة مرج الصفر . انظر : الإصابة ، ٨/ ٣٧٩ .

(٥) مكان قريب من دمشق حصل فيه المعركة بين المسلمين والروم في خلافة الصديق سنة ثلاث عشرة ، وقيل في صدر خلافة عمر الفاروق سنة أربع عشرة ، وسبب الاختلاف هو اختلاف أهل السير في معركة وقعة أجنادين ووقعة الصفر ووقعة اليرموك أيها قبل الأخرى . وقد رجح ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٣٩ : أن وقعة مرج الصفر في أوَّل سنة أربع عشرة .

←

بات فيه خالد بن سعيد معرسًا بها [(١)].

ـ وأم موسى اللخمية [(٢)] الَّتي قتلت رجلاً من الروم حيث وجدته يجر رجلاً من المسلمين فأخذت عمود الفسطاط فشدخت رأسه وأخذت سلبه [(٣)] [(٤)] .

ـ وهذه أم كثير [(٥)] تقول : شهدنا القادسية مع سعد ومع أزواجنا فلما أتانا أن قد فرغ من النَّاس ، شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوي ثمَّ أتينا القتلى ، فما كان من المسلمين سقيناه ، ومن كان من المشركين أجهزنا عليه [(٦)] .

وقد يوكل للمرأة الحراسة كما حصل لأم تميم [(٧)] زوجة خالد بن الوليد عندما أوصاها بالأسير الَّذي اسمه مجاعة وقال لها : استوصي به خيرًا ، فلما تواجه المسلمون مع مسيلمة

أسد الغابة ٢/ ١٢٤ . والإصابة ، ٨/ ٣٧٩ .

(١) انظر : الإصابة ، ٨/ ٣٧٩ .

(٢) أم موسى اللخمية : زوج نصير اللخمي والد موسى بن نصير الأمير المشهور الَّذي افتتح الأندلس . الإصابة ، ٨/ ٤٨٢ .

(٣) السلب هو : ما يكون مع المقاتل من السِّلاح والثياب والدابة . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ٢/ ٣٨٧ .

(٤) انظر : الإصابة ، ٤/ ١٢٥ .

(٥) أم كثير بنت يزيد الأنصارية ، امرأة همام بن الحارث الثقفي . انظر : الإصابة ، ٨/ ٤٥٦ . والبداية والنهاية ، ٧/ ٥٤ .

(٦) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٥٤ .

(٧) أم تميم بنت المنهال ، امرأة مالك بن نويرة ، وكانت فائقة الجمال ، وقد تزوجها خالد بعد قتل مالك . انظر : الإصابة ، ٥/ ٥٦١ .

الكذاب وحزبه كانت الجولة للكفار ، فدخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم فأجارها مجاعة وقال : نعمة الحرة هذه [١] .

ثانيًا : الدور غير المباشر للمرأة في الحروب :

ويشمل التمريض والإسعاف والتشجيع وشحذ الهمم ، والخدمة التموينية للمجاهدين بالسقاية والإطعام ، وترميم المعدات التموينية والقتالية كالسهام والرماح وغيرها من الأعمال الَّتي كانت المرأة تشارك بها في العهد النبوي كعائشة وحفصة أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ والرُبيِّع بنت معوِّذ الَّتي قالت : كنا نغزو مع رَسُول الله ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة [٢] ، وأم عطية الأنصارية الَّتي غزت مع رَسُول الله ﷺ سبع غزوات وكانت تخلف المسلمين في رحالهم وتصنع لهم الطَّعام وتداوي الجرحى [٣]! .

وقد كانت المرأة في العهد الراشدي تشارك بهذه الأعمال كما ذكر الطبري : أن النِّساء في يوم أغواث ويوم عماس [٤] وهي ليالٍ سبقت القادسية يقمن بتمريض الجرحى [٥] .

---

(١) البداية والنهاية ، ٦/ ٣٥٦ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطب ، باب هل يداوي الرَّجل المرأة ... رقم (٥٦٧٩) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب النِّساء الغازيات ، رقم (١٨١٢) .

(٤) كان يقال لليوم الأَوَّل من أيَّام القادسية الَّتي قاتل فيها المسلمون الفرس يوم أرماث ، ويقال لليوم الثَّاني يوم أغواث ، ويقال لليوم الثَّالث يوم عماس ، وكان اليوم الرَّابع يوم القادسية وفيه كان الفتح على المسلمين . انظر : معجم البلدان ، ١/ ٢٢٥ ، ياقوت الحموي ، دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٩٥م .

(٥) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٥٠ .

ـ ولا ننسى ما قامت به الخنساء [١] ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ من الدور الإعلامي والشحذ الإيماني لأبنائها الأربعة في ليلة القادسية وحثهم على الجهاد ، وقد جادت بأبنائها الأربعة وقتلوا جميعًا في هذه المعركة ، وعندما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الَّذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته [٢] .

وهكذا كانت المرأة المسلمة في العهد الراشدي تقوم بدور الأم والممرضة والطبيبة من خلال مشاركاتها في الغزوات والمعارك .

ولذلك فقد حفظ المسلمون للمرأة دورها العظيم الَّذي قامت به من خلال حروب العزة والكرامة فلم يغفلوا حقها ، بل أشادوا بالأعمال السِّياسيّة والجهادية والإنسانية البارزة الَّتي قامت بها ، وقابلوا ذلك بالاهتمام بشؤونها المعيشية والاجتماعية بل وإشراكها في الغنيمة جزاءً لمشاركتها في الغزوات والمعارك [٣] .

---

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة ، اسمها : تماضر بمثناة فوقانية أوَّله ، وضاد معجمة ، قدمت على النَّبيّ ﷺ مع قومها بني سليم ، وكان النَّبيّ ﷺ يعجبه شعرها ، وأجمع أهل العلم بالشعر أَنَّه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ، وقد شهدت معركة القادسية . انظر : الإصابة ، ٨/ ١٠٩ .

(٢) انظر : الاستيعاب ، ٤/ ١٨٢٩ . والإصابة ، ٨/ ١١٢ .

(٣) اختلف أهل العلم في النصيب الَّذي تعطاه المرأة المشاركة في الغزوات والمعارك بالقتال أو مداواة الجرحى على ثلاثة أقوال :

القول الأَوَّل : يسهم لها مثل الرَّجل ، وهذا اختيار الإمام الأوزاعي .

القول الثَّاني : لا نصيب لها البتة ، وهذا اختيار المالكيَّة .

القول الثَّالث : يكون لها نصيبٌ ولا يُسهم لها مثل الرَّجل ، وهذا اختيار جمهور أهل العلم . وهو الرَّاجح .

ـ وهذا ما كان يحرص عليه المجتمع الراشدي فقد أمر أمير المؤمنين عمر ﷺ سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية بالتوجه لفتح المدائن وجعل النِّساء والعيال في العتيق مع جند كثيف يحوطهم ، وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم [١] .

بل كان العطاء يشمل المرأة الَّتي تجود بأبنائها في أرض المعارك تشجيعًا لها وتطييبًا لخاطرها . كما فعل الفاروق ﷺ مع الخنساء الَّتي قتل أبناؤها الأربعة في معركة القادسية ، فأمر بإعطائها أرزاق أولادها الأربعة حتَّى قُبِضَ ﷺ [٢] .

بل كان الفاروق ﷺ يخص بعض النِّساء بالعطاء والهدية ، حتَّى ولو بعد زمن بعيد من مشاركتهن في الغزوات والمعارك جزاءً لما قُمْنَ به من عمل محمودٍ وحفظًا للعهد والمودة ، فقد قَسَم مروطًا [٣] بين نساء المدينة فبقي مِرْطٌ جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين ، أعطِ هذا ابنة رَسُول الله ﷺ الَّتي عندك . يريدون أم كلثوم بنت علي ، فقال : أُم سليط [٤] أحق ، فإنَّها كانت تزفر [٥] لنا القرب يوم أحد [١] .

انظر شرح النَّووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٩٠ . وانظر أحكام جهاد المرأة في الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص١٢٩ .

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٦١٨ .

(٢) انظر : الإصابة ، ٨/ ١١٢ .

(٣) المروط : جمع مِرْطْ وهو الكساء يؤتزر به . انظر : شرح النَّووي على مسلم ، ١٤/ ٥٧ .

(٤) أم سليط بنت عبيد من نساء الأنصار ، ومن المبايعات ، حضرت غزوة أحد . انظر : الإصابة ، ٨/ ٤٠٨ .

(٥) تزفر : أي تحمل القُرْبة مملوءة ماء . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٠٤ . ولسان العرب ، ٤/ ٣٢٥ .

ـ بل كان العطاء في العهد الراشدي يشمل المرأة جزاء ما أبلى والدها من بلاء حسن في الغزوات كما حصل مع المرأة الشابة الَّتي استوقفت أمير المؤمنين الفاروق في السُّوق وقالت : يا أمير المؤمنين ، هلك زوجي وترك صبية صغارًا والله ما ينضجون كراعًا ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت أن تأكلهم الضبع ، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري [٢] ، وقد شهد أبي الحديبية مع النَّبيِّ ﷺ . فوقف معها عمر رضي الله عنه ولم يمض ثمَّ قال : مرحبًا بنسب قريب ثمَّ انصرف إلى بعير ظهير [٣] كان مربوطًا في الدَّار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا ، وحمل بينها نفقة وثيابًا ثمَّ ناولها بخطامه ، ثمَّ قال : اقتاديه فلن يفنى حتَّى يأتيكم الله بخير . فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها ! قال عمر : ثكلتك أمك ، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحناه ثمَّ أصبحنا نستفيء سُهْمَانهما [٤] فيه [٥] .

ـ وهكذا كانت المرأة في العهد الراشدي تعيش حياتها مكرمةً مصانةً تُعطى جميع حقوقها من غير نقص ولا بخس [٦] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب حمل النِّساء القرب إلى النَّاس في الغزوات ، رقم (٢٨٨١) .

(٢) هو خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري ، كان إمام مسجد بني غفار وخطيبهم ، شهد الحديبية ، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة . انظر : الاستيعاب ٢/ ٤٤٩ .

(٣) ظهير يعني : شديد الظهر قويًا على الرحلة . انظر : لسان العرب ٤/ ٥٢٢ .

(٤) جمع سهم ، وهو نصيب كل واحد سهم ، والمقصود : أنهما فتحا الحصن ونحن الآن ننتفع بثمرة جهدهما . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ٢/ ٤٢٩ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، رقم (٤١٦٠) .

(٦) انظر أحكام جهاد المرأة في الشَّريعة الإِسلاميَّة وصوره المعاصرة ، ص١٥٦-١٨٢ . ودور المرأة السياسي في

❁❁❁

عهد النَّبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، ص١١٦ .

المطلب الثّاني

الأمن الفكري العقدي

تعريف الأمن :

لغة : يُعدُّ مفهوم الأمن في اللُّغة من المفاهيم اللغوية ذات الثراء في المعنى.

فالأمن يعني عدم الخيانة ، والتصديق ، والحفظ ، والطمأنينة ، والدين ، والثقة ، والقوة ، وطلب الحماية [١] .

ويمكن جمع هذه المعاني لأصل واحد ، أو إلى معنى أصيل يُعتبر الرابط بينها وهو عدم الخوف [٢] .

قال ابن الأثير : ((الأمن ضد الخوف)) [٣] .

واصطلاحًا : اطمئنان الفرد والمجتمع على دينهم وأنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم من

---

(١) انظر : لسان العرب ١٣/ ٢١ ، وانظر : كتاب الأبعاد السِّياسيّة للأمن ، ص٣٠ ، مصطفى محمود ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

(٢) الأبعاد السِّياسيّة لمفهوم الأمن في الإسلام ، ص٣٢ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ١/ ٦٩ .

الإعتداء عليها [١] .

فالأمن يشتمل على حفظ الضَّروريّات الخمس : الدِّين ، والعرض ، والنفس ، والمال ، والعقل .

والَّتي أشار إليها الإمام الشَّاطبيّ ـ رحمه الله ـ بقوله : ((فأما الضَّروريّات فمعناها أنَّها لا بُدَّ منها في قيام مصالح الدِّين والدنيا ، بحيث إذا فُقِدت لم تجر مصالح الدّنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين)) [٢] .

ومن ثَمّ فالأمن الفكري العقدي هو أساس الأمن وقاعدته ،قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [٣] ، وهو الَّذي يشتمل على جوهر الدِّين وأساسه الَّذي هو التوحيد والمعتقد والتصور .

وقد حرص المجتمع الراشدي على الحفاظ عليه وذلك من خلال عدة أمور :

أولاً : تحكيم شرع الله تعالى وتوحيد المصدر :

لقد كان من أولويات الحكم والإدارة في العهد الراشدي تحكيم شرع الله في جميع أمور الفرد والمجتمع الخاصَّة والعامة ، وقد كان هذا الحرص نابعًا من أفراد المجتمع اعتقادًا وعملاً وامتثالاً

---

(١) انظر : أثر التربية الإِسلاميَّة في أمن المجتمع الإسلامي ، ص١١ ، د.عبد الله الأهدل .

(٢) الموافقات ، ٢/ ١٨ ، إبراهيم الشَّاطبيّ ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٨٢) .

لقول الله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) .

واقتداءً بالرسول ﷺ وبسيرته العطرة في إقامة الدَّولة والحكم بالشرع .

ـ لقد استقر في مفهوم المجتمع الراشدي من خلال التربية المباركة الَّتي تلقوها من النَّبيِّ ﷺ أن الخلافة شأنها عظيم في حفظ الدِّين ، وإقامة الشَّرع ، ولمِّ الشمل ، واستتباب الأمن ..

وإنها تكليف لا تشريف .. تستلزم من المجتمع الوقوف صفًا واحدًا في مساندة الخليفة وإعانته للقيام بأعبائها وواجباتها العظيمة ، ولقد كان كل خليفة يخطب في النَّاس بعد مبايعتهم له بالخلافة ، يبين في خطبته أساسيات الحُكم الَّتي تشتمل على العدل والشورى ، والواجبات المنوطة بالخليفة قولاً وعملاً ، بل ويطلب من الرعية إعانته في تحقيق ذلك .

وقد اتضح من خلال خطب الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ في العصر الراشدي أن من أهم واجبات الخليفة تحكيم شرع الله وحفظه ، وإقامة شعائره وشرائعه ، وإقامة حدوده وعدله ، والقضاء على مصادر تهديد الأمن داخليًا كالردة والفتنة والشرك ، والتمرد والبغي ، والممارسات المغرضة السيئة من غير المسلمين الَّذين يعيشون في كنف الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة ، وحفظ البلاد والثغور من التهديدات الخارجية ، ورفع راية الجهاد وإعداد الأمة لذلك (٢) .

(١) سورة النِّساء ، الآية (٦٥) .

(٢) انظر : تاريخ الدعوة الإِسلاميَّة ، ص٤٢٠ ، د.جميل المصري ، مكتبة الدَّار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ . وانظر : الأبعاد السِّياسيّة لمفهوم الأمن ، ص٤٤٣ .

ـ فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يخطب في النَّاس عند مبايعتهم له ويقول : ((يا أيها النَّاس : فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصِّدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتَّى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتَّى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إِلاَّ خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إِلاَّ عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)) [(١)] .

ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ في خطبته عند بيعته : ((إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم بعد صاحبيَّ ، فو الله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ، ولا يتغيب عني فآلو فيه أهل الجزء [(٢)] والأمانة ، والله لئن أحسنوا لأحسنن إليهم ، ولئن أساؤوا لأنكلنَّ بهم)) [(٣)] .

بل إن الفاروق عمر ﷺ أوصى الخليفة الَّذي سيخلفه في الخلافة من بعده بوصية مهمة نذكر بعضًا منها :

قال ﷺ : ((أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرًا أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيرًا... وأوصيك بأهل الذمَّة خيرًا ، أن تقاتل من وراءهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين ... وأوصيك أن تخشى الله في

---

(١) البداية والنهاية ، ٥/ ٢٦٩ .

(٢) أهل الجزء هم الذين يقومون بالعمل أفضل من غيرهم ، ويكون له أثر في الناس ، ومنه الحديث : ((ما أجزأ منا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان)) . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ١/ ٢٦٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ٣/ ٢٠٨ .

النَّاس ، ولا تخشى النَّاس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ... وآمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب النَّاس وبعيدهم ... ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ، هذه وصيتي إليك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السَّلام)) [(١)] .

ـ وقد تميزت خطبة عثمان ﷺ عند ولايته أن جعل المرجعية العليا للحكم والإدارة في دولة الخلافة هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، والاقتداء بالشيخين أبي بكر الصديق والفاروق عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحكم والهدي .

فقال في خطبته : ((أمَّا بعد : فإني كلفت وقد قبلت ، ألا وإني متبع ولست بمبتدع ، ألا وإن لكم عليَّ بعد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثلاثًا : اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسنَّ أهل الخير فيما تسنّوا عن ملأ ، والكفّ عنكم إلاَّ فيما استوجبتم العقوبة ...)) [(٢)] .

ـ وخطب علي بن أبي طالب ﷺ بعد بيعته وقال : ((أيها النَّاس : إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من قبلي ، وإنما الخيار قبل ان تقع البيعة ، فإذا وقعت فلا خيار ، وإنما على الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التَّسليم)) [(٣)] .

ثانيًا : الدعوة إلى الثبات على الحق ومحاربة الشِّرك والردة :

لقد قام الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في العهد الراشدي بعدة أمور لتثبيت النَّاس على

---

(١) الطبقات ، لابن سعد ، ٣/ ٢٥٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٢٢ .

(٣) الأخبار الطوال ، ص١٤٠ ، أحمد الدينوري ، دار إحياء الكتب العربي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م .

الإسلام ـ الَّذي هو دين الله الحق ـ وإبعادهم عن كل ما يوقعهم في مخالفته والبعد عنه ، ومن ذلك :

أ ـ حماية جناب التوحيد من الشِّرك :

ـ لقد كان من أهم الأسس وأوليات معالم التربية الَّتي اهتم بها النَّبيُّ ﷺ في تربية أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ هو إخلاص التوحيد لله تعالى ، ونبذ الشِّرك ، وهو ما جاءت به جميع الرسل ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ لأقوامهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١) .

ـ ولقد نهل الصَّحابة من معين تربية النَّبيِّ ﷺ الَّتي أساسها إخلاص التوحيد لله تعالى ، ونبذ الشِّرك وأسبابه ، ما جعلهم أحرص النَّاس للدعوة لتوحيد الواحد الأحد ، ونبذ ومحاربة الشِّرك ودواعيه .

وإليك بعض المواقف الَّتي حدثت في العصر الراشدي والَّتي تبين ذلك :

١ ـ إخلاص العبادة لله تعالى :

عندما خطب أبو بكر الصديق ﷺ ساعة موت النَّبيِّ ﷺ وقال للناس : ((من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)) وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

---

(١) سورة النحل ، الآية (٣٦) .

عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ ﴾ [١] فقد بيَّن للناس الَّذين أذهلهم هول موقف موت النَّبيِّ ﷺ أن توحيد العبادة لا يكون إلاَّ لله تعالى ، فمن كان يعبد الله خالصًا لوجهه فإن الله حي لا يموت [٢] .

وقد كان لهذه الكلمات أثرها العظيم في نفوس الصَّحابة وتثبيتهم على إخلاص التوحيد لله تعالى وعدم الإشراك في العبادة .

٢ ـ كان للفاروق عمر ﷺ مواقف تاريخية في حماية جناب التوحيد ونبذ الشِّرك ، من ذلك :

أ / عندما تولى الخلافة قام بعزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش لحكمة هو رآها وهي : خشيته من تعلق قلوب النَّاس بخالد بن الوليد ﷺ وأن النصر لا يكون إلاَّ على يديه ، فأراد ﷺ أن يُبيِّن للناس أن النصر بيد الله وحده ، فأرسل كتابًا بعزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش ويُبيِّن سبب عزله ، قال : ((إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة ، ولكن النَّاس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع)) [٣] .

ب / عند استلامه للحجر الأسود قال : ((والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النَّبيَّ ﷺ استلمك ما استلمتك)) فاستلمه [٤] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت ، حديث (١٢٤١) .

(٣) البداية والنهاية ، ٧/ ٩٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الرمل في الحج والعمرة ، حديث (١٦٠٥) .

قال ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ : ((قول عمر هذا الكلام في ابتداء تقبيله ليبين أَنَّه فعل ذلك اتباعًا ، وليزيل بذلك الوهم الَّذي كان ترتب في أذهان النَّاس في أَيَّام الجاهليَّة ، ويحقق عدم الانتفاع بالأحجار من حيث هي هي ، كما كانت الجاهليَّة تعتقد في الأصنام)) (١).

ج / نهيه ﷺ عن اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ، فقد كان ﷺ في سفر ، فرأى ناسًا يذهبون مذهبًا ، فقال : ((أين يذهب هؤلاء ؟)) قيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه ، فقال : ((إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعًا ، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ولا يتعمدها)) (٢)

د / قطعه لشجرة الرضوان عندما بلغه أن أقوامًا يأتون شجرة الرضوان فيصلون عندها فتوعدهم ، ثمَّ أمر بقطعها فقطعت (٣) .

خوفًا منه ﷺ من حصول الفتنة ، وحذرًا ممَّا نبه عليه الصَّلاة والسَّلام من المشابهة

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، ٢/ ٧٠ ، ابن دقيق العيد ، مطبعة السُّنَّة المحمدية.

(٢) انظر : موسوعة الشَّيخ الألباني في العقيدة ، ٢/ ٤٩٧ ، نشر مركز النعمان للبحوث والدراسات الإِسلاميَّة ـ اليمن ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م . وقال : إسناده صحيح على شرط الشَّيخين .

(٣) انظر : طبقات ابن سعد ، ٢/ ٧٦ . وانظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، ص١١٦ ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة .

وذكر الشَّيخ الألباني أن رواية القطع ضعيفة ، وإنما الصَّحيح أن شجرة الرضوان أخفيت عن الصَّحابة فلم يعرفوها بعد ذلك .. والله أعلم .

بالمشركين [١] .

هـ / أمره بإخفاء قبر دانيال الَّذي ظهر في تستر من خلال الفتوحات الإِسلاميَّة ، فكتب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخبره فأمره الفاروق أَنَّه إذا كان في النَّهار فاحفر ثلاثة عشر قبرًا ثمَّ ادفنه بالليل في واحدٍ منها ، وعفِّر قبره لئلا يفتتن به النَّاس [٢] .

و / تحذيره من أهل الرأي والابتداع :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((إياكم والرأي ، فإن أصحاب الرأي أعداء السنة ، أعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلتت منهم أن يحفظوها ، فقالوا في الدين برأيهم)) [٣] .

لقد كان الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ والصحابة في العهد الراشدي حريصين على الاتباع والاقتداء وعدم الابتداع .

وعندما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة كتب كتابًا للعامة ، قال فيه : ((أمَّا بعد : فإنكم إنما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدُّنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد الاجتماع . ثلاثٌ فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب

---

(١) انظر : فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد ، ص٢١٦ ، حامد بن محمَّد ، دار المؤيد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ، لابن تَيْمِيَّة ، ١٥/ ١٥٤ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، ٢/ ١٠٤٢ .

والمقصود بأهل الرأي هنا : هم أهل الابتداع . انظر : المرجع السابق ، ٢/ ١٠٤٢ .

والأعاجم القرآن ، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا)) (١) .

ـ وأعلن عثمان ﷺ عند توليه للخلافة أن المرجعية العليا للدولة هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاقتداء بالشيخين في هديهما (٢) .

٣ـ إقامة الحد على السحرة :

فقد حدث في عهد عثمان ﷺ أن جارية لحفصة سحرتها فاعترفت الجارية بذلك ، فأمرت حفصة بها عبد الرَّحمن بن زيد فقتلها ، فأنكر ذلك عثمان ﷺ ، فقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ما تنكر على أم المؤمنين من امرأة سحرتها واعترفت ؟.

يعني أن القضاء فيها واضح وأن استحقاقها القتل لا تدفعه شبهة .

فسكت عثمان ﷺ ولم ينكر على حفصة القتل ، ولكنه أنكر عليها الإفتئات (٣) على حق الإمام في إقامة الحدود (٤) .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٤٥ .

فائدة : عثمان ﷺ يحذر من الابتداع والتكلف الَّذي من أسبابه جهل الأعراب ، وعجمة الأعاجم الَّذين لا يفهمون العربيَّة ، وقد ورد عن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال : أهلكتهم العجمة يتأولون القرآن على غير تأويله . انظر : الاعتصام ، ٢/ ٥٢ ، إبراهيم الشاطبي ، دار ابن الجوزي ـ السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(٢) انظر : تاريخ الخلفاء ، ص١٢٢ ، عبد الرحمن السيوطي ، مكتبة الباز ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٣) يقال : افتأتَ بأمره ورأيه إذا استبد به وانفرد . لسان العرب ، ٢/ ٦٤ .

(٤) انظر : المنتقى شرح الموطأ ، ٧/ ١١٧ ، سليمان الباجي ، مطبعة السعادة ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٢هـ .

٤ ـ طمس معالم الشِّرك :

أ / قال علي بن أبي طالب ﷺ : كان رَسُول الله ﷺ في جنازة فقال : « **أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنًا إلاَّ كسره ، ولا قبرًا إلاَّ سواه ، ولا صورة إلاَّ لطخها ؟** » فقال علي ﷺ : أنا أنطلق يا رسول الله ، فقال : « **فانطلق** » ، ثمَّ رجع علي فقال: يا رسول الله ، لم أدع بها وثنًا إلاَّ كسرته ، ولا قبرًا إلاَّ سويته ، ولا صورة إلاَّ لطختها ثمَّ قال رَسُول الله ﷺ : « **من عاد لصفة شيء من هذا ، فقد كفر بما أنزل على محمَّدٍ ﷺ** » [(١)] .

وعندما أصبح علي ﷺ أميرًا للمؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له : أبعثك على ما بعثني عليه رَسُول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلاَّ طمسته ، ولا قبرًا مشرفًا إلاَّ سويته [(٢)] .

ب / وحرَّم علي ﷺ ذبيحة الفخر لأنَّهَا أُهِلَّت لغير الله .

ذكر ذلك الجارود بن سبرة قال : كان رجل من بني رياح يقال له ؛ ابن وشيل ، وكان شاعرًا غالبه الفرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مئة من إبله ، وهذا مئة من إبله إذا وردت ، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبها ، فخرج النَّاس

---

(١) مسند الإمام أحمد ، حديث رقم ٦٥٧ ، ١/ ٨٧ .

وقال عنه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٣/ ٢١٠ : رجاله رجال الشَّيخين غير أبو المودع فهو مجهول . ولكن الشَّيخ الألباني استشهد بهذا الطَّريق لإثبات صحة قول النبي ﷺ : ((لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)) الذي جاء من طريق حبيب بن أبي ثابت الذي كان مدلسًا ولم يصرح بالتحديث . انظر : إرواء الغليل ، ٣/ ٢٠٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر ، حديث (٩٦٩) .

يريدون اللحم ، وعلي رضي الله عنه بالكوفة فخرج على بغلة رَسُول الله ﷺ وهو ينادي : أيها النَّاس : لا تأكلوا من لحومها فإِنَّه أهل لغير الله [١] ، لقول رَسُول الله ﷺ : « **لعن من ذبح لغير الله** » [٢] .

ب ـ تثبيت النَّاس على الحق عند موت النَّبيّ ﷺ والانحياز بهم إلى التوحيد :

توفي النَّبيُّ ﷺ في ضحى الاثنين الثَّاني عشر من ربيع الأَوَّل من السنة الحادية عشرة للهجرة [٣] .

وقد عظمت بوفاته ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ مصيبة المسلمين ، قال أنس رضي الله عنه : ((لما كان اليوم الَّذي دخل فيه رَسُول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الَّذي مات فيه أظلم منها كل شيء ..)) [٤] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : ((من أعظم المصائب المصيبة في الدِّين .. قال رَسُول الله ﷺ : « **إذا أَصابَ أَحَدكم مصيبة فليذكر مصابه بي ، فإنَّها أَعْظم المصائبِ** » [٥] ، وصدق

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ٧/ ٢١٢ ، أبو عبد الله الذهبي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذَّبح لغير الله ، حديث (١٩٧٨) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٨/ ١٢٩ .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، حديث رقم : (٣٦١٨) . وصححه الشيخ الألباني في مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ، ص١٩٦ ، المكتبة الإسلامية ـ الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

(٥) معجم الطبراني الكبير ، ٧/ ١٦٧ ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصَّحيحة ، رقم ١١٠٦ .

رَسُول الله ﷺ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة ، فبموته انقطع الوحي ، وماتت النبوة ، وكان أوَّل ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أوَّل انقطاع الخير وأوَّل نقصانه)) [١] .

ولهول المصيبة في تلك السَّاعة لم يصدق بعض المسلمين بوفاته ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ .

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ : ((ولما توفي رَسُول الله ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية)) [٢] .

قالت عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ : ((أقبَل أبو بكر ﷺ على فرسه من مسكنه بالسنح حتَّى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم النَّاس ، حتَّى دخل على عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ فتيمم النَّبيَّ ﷺ وهو مُسَجّى ببرد حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثمَّ أكبَّ عليه فقَبَّله ، ثمَّ بكى فقال : بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، والله لا يجمع الله عليك موتتين : أمَّا الموتة الَّتي كتبت عليك فقدمتها .

قال أبو سلمة : فأخبرني ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا بكر ﷺ خرج وعمر ﷺ يُكلِّم النَّاس ، فقال : اجلس ، فأبى ، فقال : اجلس ، فأبى ، فتشهد أبو بكر ﷺ فمال إليه النَّاس وتركوا عمر ، فقال : أمَّا بعد : فمن كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات ، ومن كان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ((تفسير القرطبي)) ، ٢/ ١٧٦ ، لأبي عبد الله محمَّد القرطبي ، دار الكتب المصريَّة ـ القاهرة ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ص١١٠ ، لابن رجب الحنبلي ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا وَسَيَجْزِى الله الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) ، فو الله لكأن النَّاس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتَّى تلاها أبو بكر ﷺ فتلقاها منه النَّاس فما يسمع بشر إِلاَّ يتلوها)) (٢) .

لقد كان لكلمات أبي بكر الصديق ﷺ وبما استشهد به من آيات قرآنية أثر فاعل في سامعيه ، إذ أعاد برد اليقين إلى النُّفوس ، وثبَّت الإيمان في القلوب ، وأزال عن الأبصار ما خيَّم عليها من غشاوة ، وما أحاط بها من حيرة . (٣) .

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : ((فو الَّذي نفسي بيده لكأنما كانت على وجوهنا أغطية فكشفت)) (٤) .

ويقول عمر ﷺ معبرًا عن شعوره لَمَّا سمع من أبي بكرٍ الصديق ﷺ الآية قال : ((والله ما هو إِلاَّ أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعَقَرْتُ حتَّى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض ، حين سمعته تلاها ، علمت أن النَّبيَّ ﷺ قد مات)) (٥) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت .. ، حديث (١٢٤١) .

(٣) انظر تاريخ الخلفاء الراشدين ، ص٣٣ ، د.محمد أبا الخيل ، دار الفضيلة ، ط.الأولى ، ١٤٣٠هـ .

(٤) المغازي لابن أبي شيبة ، ص٤١٠-٤١١ ، تحقيق عبد العزيز العمري ، ط.الأولى ، دار إشبيليا ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النَّبيِّ ﷺ وفاته ، رقم الحديث (٤٤٥٤) .

بهذا الموقف التَّاريخي استطاع أبو بكر الصديق ﷺ أن ينحاز بالناس إلى التوحيد ، ويثبتهم على الدِّين القويم ، بإشعارهم أن البقاء الدائم لله وحده ، سبحانه ، الَّذي تتعلق به القلوب رجاءً وإجلالاً وخضوعًا وتعبدًا له وحده ، لا يشاركه في ذلك نبي مرسل ، ولا ملك مُقرَّب .

فكان هذا الموقف الَّذي قام به أبو بكر الصديق ﷺ منقبة من مناقبه الَّتي سطرها التَّاريخ .

ج : التصدي للردة :

تعريف الردة لغة : هي الرجوع ، يقال : ارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه [١] .

واصطلاحًا : عرفها النَّووي ـ رحمه الله ـ بقوله : ((هي قطع الإسلام ؛ بنية ، أو قول ، كفر ، أو فعل ، سواء قاله استهزاءً ، أو عنادًا ، أو اعتقادًا)) [٢] .

وقال منصور البهوتي : ((المرتد : هو الَّذي يكفر بعد إسلامه ؛ نطقًا ، أو اعتقادًا ، أو شكًا ، أو فعلاً)) [٣] .

وقد أجمع العلماء على قتل المرتد [٤] .

ـ قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((وأمَّا المرتد فالمبيح عنده ـ أي المبيح عند الإمام أحمد للقتل ـ

---

(١) لسان العرب ٣/ ١٧٣ .

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ٥/ ٤٢٧ ، محمَّد بن أحمد الشَّافعيّ ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع ، ٦/ ١٦٧ ، منصور البهوتي ، دار الكتب العلميَّة .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٦/ ١٦٨ .

هو الكفر بعد الإيمان ، وهو نوع خاص من الكفر ، فإِنَّه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدِّين يخرج منه ، فقتله حفظٌ لأهل الدِّين وللدين ، فإن ذلك يمنعهم من النقص ويمنعهم من الخروج بخلاف من لم يدخل فيه)) (١) .

ـ فالردة خروج عن العقيدة ، وتمرد على النظام ، وشذوذ عن الجماعة وإضعاف لها ، وتكثير لسواد الأعداء وإفشاء لأسرار المسلمين (٢) .

وهي قسمان : ردة فردية ، وردة جماعية .

((**فالردة الفردية :** أن يخرج من الإسلام فرد أو أفراد متفرقون لا تجمعهم رابطة نظام ولا قيادة كما يحصل ذلك في كل الأزمنة .

والردة الجماعية : أن يخرج عن الإسلام جماعة مترابطة منظمة تحت قيادة واحدة)) (٣) .

وهي أعظم خطرًا من الردة الفردية ، لأن الدولة الإسلامية لا تتمكن من التصدي لها إِلاَّ بقتال أو استبسال ونفقات باهضة ، وذلك بسبب ترابط أفرادها ووقوفهم صفًا واحدًا لحرب المسلمين (٤) .

ـ وقد حصلت الردتان الفردية والجماعية في عهد الرَّسول ﷺ .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة ٢٠/ ١٠٢ .

(٢) انظر : الردة وخطرها على المجتمع الإسلامي ، ص١١، عبد الله قادري ، المكتبة الشاملة .

(٣) المرجع السَّابق ، ص١١-١٢ . وانظر : كتاب الأبعاد السِّياسيّة لمفهوم الأمن في الإسلام ، ص٤٥٨ .

(٤) انظر : الردة وخطرها على المجتمع الإسلامي ، ص١٣ .

ففي العهد المكي ارتد عبيد الله بن جحش الأسدي [١] وغيره ، وعبيد الله هذا هو الَّذي خرج بزوجته أم حبيبة مهاجرًا إلى الحبشة وافتتن بها وتنصر ومات على النَّصرانيَّة [٢] .

وفي العهد المدني ارتد عبد الله بن أبي السرح [٣] ، وعبد الله بن خطل [٤] ، وأبو طلحة بشير ابن أبيرق [٥] وغيرهم .

وهذه الردة الَّتي حصلت في العهد المكي والعهد المدني اقتصرت على أشخاص قلائل يعدون على رؤوس الأصابع ، يدفعهم إليها مطامع ذاتية ، وغوايات شيطانية ، ونزعات جاهلية ، وهي الردة الفردية الَّتي أشرت إليها سابقًا .

وقد كان موقفه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ من الردة الفردية الحكم على مرتكبها بالقتل ، ففي

---

(١) هو عبيد الله بن جحش بن رئاب بن خزيمة الأسدي ، أسلم وهاجر للحبشة ومعه زوجته أم حبيبة ، ولكنه ارتد وتنصر في الحبشة ، ومات فيها ، وزوجته هي أم حبيبة بنت أبي سفيان التي تزوجها النبي ﷺ بوكالة النجاشي ملك الحبشة ، وأخت عبيد الله : زينت بنت جحش أم المؤمنين . انظر : الاستيعاب ، ٣/ ٨٧٨ .

(٢) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٤/ ١٨٤٤ .

(٣) عبد الله بن أبي السرح : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وكان من كتاب الوحي ثمَّ ارتد مشركًا ، ثمَّ رجع إلى الإسلام بعد الفتح وحسن إسلامه ، وكان أحد قواد عثمان ﷺ ، وهو قائد معركة ذات الصواري . انظر : أسد الغابة ، ٣/ ٢٦٠ .

(٤) عبد الله بن خطل رجل من تميم ، كان مسلمًا ، فبعثه ﷺ مصدقًا وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى يخدمه مسلمًا ، فأمر المولى أن يصنع له طعامًا ، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا ، فعدا عليه فقتله ثمَّ ارتد . سير أعلام النبلاء ، ٢/ ١٨٠ .

(٥) هو بشير بن أبيرق الأنصاري الَّذي سرق ، ولَّما حكم عليه النَّبيُّ ﷺ بالقطع هرب إلى مكة وارتد . انظر : الإصابة ١/ ٤٢٨ . انظر : تفسير القرطبي ، ٥/ ٣٧٥ـ٣٧٦ .

فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتل عبد الله بن أبي السرح ، وعبد الله بن خطل ، ولو وُجدوا تحت أستار الكعبة ، وقد قتل عبد الله بن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة [١] .

أمَّا في أواخر العهد النبوي في العام التاسع للهجرة وهو العام المسمّى بعام الوفود الَّذي أسلمت فيه الجزيرة العربيَّة قيادها للرسول ﷺ كانت حركة الردة الجماعية لم تعلن بشكل واسع حتَّى كان أواخر العام العاشر الهجري ، وهو عام حجة الوداع الَّذي نزل به وجعه الَّذي مات فيه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ فقد ظهر الأسود العنسي في اليمن ، ومسيلمة الكذاب في اليمامة ، وطليحة الأسدي وادعَّوا النبوة ، وقد اجتمع مع الأسود العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، جموع غفيرة وإمكانيات وفيرة [٢] .

وقد أرى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ من أمرهما ما تقرُّ به عينه وأعين أمته من بعده ، قال رَسُول الله ﷺ : « **بينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض ، فوضع في يدي سواران من ذهب ، فكبرا عليّ وأهماني ، فأوحي إلي أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كصاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة** » [٣] .

ـ وقد كافح النَّبيُّ ﷺ هذه الردة في بادئ الأمر بالطريقة السلمية ، فبعث إليهم رسلاً وكتبًا تذكرهم بالله وحق الإسلام وتخوفهم من الكفر وعواقبه لعلهم يرجعون ويتوبون ، وأمر الرسل أن

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٣/ ٩١٨ . وانظر : الإصابة ، ١/ ١٥٩ .

(٢) انظر : أطلس حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ، ص٢٨-٣٠ ، سامي المغلوث ، شركة العبيكان ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(٣) صحيح البخاري : كتاب التعبير ، باب : النفخ في المنام ، حديث رقم ((٧٠٣٧) .

يستنجدوا برجال من العرب وخاصة من تميم وقيس لتثبيت النَّاس ولاستمالتهم وردهم إلى جادة الصَّواب ، وأرسل رسلاً آخرين إلى زعماء القبائل الَّذين ثبتوا على الإسلام من تلك القبائل الَّتي ارتدت لإيجاد التوازن بينهم وبين أولئك الزعماء المدعين للنبوة ، فلقد أرسل وبر بن يحنس [١] إلى فيروز ، وأرسل جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع [٢] ، وأرسل غيرهم [٣] .

ومع كل هذه المحاولات السلمية إِلاَّ أَنَّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ اضطر إلى استخدام الطَّريقة الحربية ولكن على أضيق نطاق متمثلة في قتل واغتيال أولئك الزعماء الَّذين ادعوا النبوة وفتنوا النَّاس والعامة كالأسود العنسي [٤] .

وهذه الردة الجماعية الَّتي ظهرت في أواخر العهد النبوي كانت الجذر الأساس للردة الكبرى الَّتي ظهرت في عهد الخليفة الأَوَّل الصديق ﷺ [٥] .

---

(١) هو وبر بن يحنس الخزاعي ، له صحبة ، وقيل : هو الذي أرسله النبي ﷺ إلى فيروز الديلمي لقتل الأسود العنسي ، وقد أمره النبي ﷺ ببناء مسجد بالقرب من جبل صنعاء. انظر : أسد الغابة ، ٥/ ٤٠٨ . والإصابة ، ٦/ ٤٦٨ .

(٢) ذو الكلاع اسمه : أسميفع ، ويقال : سميفع بن حوشب الحميري ، وهو الذي أرسل إليه النبي ﷺ جرير بن عبد الله فأسلم ، وليس له صحبة إلا أنه أسلم في حياة النبي ﷺ ، وقد بعثه أبو بكر الصديق لأهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد ، شهد صفين وكان مع معاوية وقتل فيها . انظر : الإصابة ، ٢/ ٣٥٦ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٣٩ . وانظر : الريادة في الحروب وفتوحات أبي بكر الصديق ، ص٩٣ ، د.محمد ظاهر ، من منشورات اتحاد الكتاب العربي .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٣٩ .

(٥) أطلس حروب الردة ص٣٠ .

فعندما مات النَّبيُّ ﷺ ارتدت العرب ردة عامة ، وقد شملت الجزيرة العربيَّة ما عدا الحرمين والطائف [١] ، ولا يعني ذلك أن كل قبيلة من قبائل العرب ارتدت عن بكرة أبيها بل كان هناك من ثبت على الدِّين وكان لهم دور بارز في تثبيت النَّاس على الحق ونصحهم وتحذيرهم من مغبة الكفر والردة عن دين الله ، ويدل على ذلك قول ابن جرير الطبري : ((وقد ارتدت العرب ؛ إما عامة ، وإما خاصة في كل قبيلة)) [٢].

وسوف أشير إلى ذلك عند الكلام عن الوسائل الَّتي استخدمها الصديق رضي الله عنه في مكافحة الردة .

وقال القاضي عياض [٣] ـ رحمه الله ـ : ((كان أهل الردة ثلاثة أصناف : صنف عادوا إلى عبادة الأوثان ، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي وكل منهما ادعى النبوة ، وصنف ثالث استمروا على الإسلام ولكنهم جحدوا الزَّكاة وتأولوا بأنّها خاصة بزمن النَّبيِّ ﷺ)) [٤] .

ـ وكان من أهم الأسباب الظاهرة للردة هو عدم دفع الزَّكاة .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٤٢ ، وقال فيه ابن جرير : ((وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشًا وثقيفًا)) .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٢٥ .

(٣) هو عياض بن موسى بن عياض ، القاضي العلامة عالم المغرب الحافظ ، توفي في سنة ٥٤٤هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ، ٤/ ٦٧ ، للذَّهبيّ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

(٤) فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٢٧٦ .

لكن في الحقيقة هناك أسباب جوهرية في وقوع النَّاس في الردة ، منها :

١ ـ العصبية القبلية المتأصلة في نفوس بعض القبائل ، والَّتي منعتهم من لزوم الطاعة للنبي ﷺ أو الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ .

ويدلُّ على ذلك قول طلحة النمري حين يقول لمسيلمة الكذاب : ((أشهد أنك كذَّاب ، وأن محمدًا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحبُّ إليَّ من صادق مُضر)) [(١)] ، وقد قتل مع مسيلمة في المعركة [(٢)] .

٢ ـ التنافس على الزعامة ، كما حصل من المتنسبين لمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي ، الذين اتخذوا التنبؤ وسيلة للوصول إلى هذه الزعامة [(٣)] .

٣ـ صعوبة التحرر من العادات الجاهليَّة وخاصة لمن لم يدخل الإيمان في قلوبهم [(٤)] .

الوسائل الَّتي اتخذها الصديق ﷺ في مكافحة الردة :

١ ـ الموقف الصارم من أصناف الردة الَّذي لا هوادة فيه ولا مساومة على شيء من دين الله تعالى .

ـ فلما كانت الردة قام أبو بكر الصديق خطيبًا في النَّاس ، وقال في خطبته : ((الحمد لله الَّذي

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٨٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٢٨٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٢٨٨ ، وفيه أن خالد بن الوليد عندما أسر ناسًا من بني حنيفة في حروب الردة ، قال لهم : يا بني حنيفة ما تقولون ؟ قالوا : منا نبي ، ومنكم نبي ، فعرضهم على السيف وقتلهم .

(٤) الريادة في حروب وفتوحات أبي بكر الصديق ص٩٥ ، وعصر الخلافة الراشدة ، ص٣٩٢ .

هدى فكفى ، وأعطى فأغنى ، إن الله بعث محمدًا ﷺ والعلم شريدٌ ، والإسلام غريب طريد ، .... [إلى أن قال] فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم بمن اتبعهم ونصرهم على غيره حتَّى قَبَضَ الله نبيه ﷺ .

فركِب منهم الشَّيطان مَرْكَبَهُ الَّذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم وبعض هلكتهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ .. ﴾ (١) .

إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ، ولم يكونوا في دينهم ، وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي ، الَّذي وجده ضالاً فهداه ، وعائلاً فأغناه ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (٢) ، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتَّى يُنجز الله وعده ، ويوفي لنا عهده ، ويُقْتَل من قُتِلَ منا شهيدًا من أهل الجنة ، ويبقى من بقي منا خليفته وذريته في أرضه ، قضاءُ الله الحق ، وقوله الَّذي لا خُلْفَ له . ﴿ وَعَدَ الله الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ (٣) ثمَّ نزل)) (٤) .

وقد وافقه المسلمون على ذلك بكل حزم وشجاعة ، وإن كان في بداية الأمر صدر منهم شيء من المراجعة والحوار .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٤) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٣) .

(٣) سورة النور ، الآية (٥٥) .

(٤) البداية والنهاية ، ٦/ ٣٤٣ .

كما حصل من عمر ﷺ في قوله للصديق أن يترك مانعي الزَّكاة ويتألفهم حتَّى يتمكن الإيمان من قلوبهم ، ولكن الصديق امتنع عن ذلك وأباه (١) .

وقال لعمر ﷺ : ((والله لأقاتلن من فرَّق بين الصَّلاة والزكاة ، فإن الزَّكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رَسُول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها)) قال عمر : ((فو الله ما هو إلاَّ أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أَنَّه الحق)) (٢) .

٢ـ إرسال جيش أسامة ﷺ :

وهذا الجيش هو الَّذي أمر النَّبيُّ ﷺ بتجهيزه لتأمين حدود الدَّولة الإِسلاميَّة من الجهة الشمالية للجزيرة العربيَّة ردعًا للروم والفرس ، وشاء الله تعالى أن يموت النَّبيُّ ﷺ وجيش أسامة خارج المدينة لم يتحرك بعد (٣) .

ـ وقد اشتعلت الردة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ وأحدقت الأخطار بالمدينة ، ولذلك طلب أسامة ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ وغيرهما من الصَّحابة من أبي بكر الصديق ﷺ أن يؤجل إرسال الجيش حتَّى تسكن الفتنة وتستقر الأحوال (٤).

إِلاَّ أن الصديق لم تهزه الفتنة ولم تزلزل كيانه رغم خطورتها على المدينة وأهلها ، وأصرَّ على

(١) انظر : المرجع السابق ، ٦/ ٣٤٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل من أبى قبول الفرائض ، حديث (٦٩٢٥) .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ١/ ٣٧٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٣٣٥ .

إرسال جيش أسامة وقال : ((والَّذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رَسُول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته)) [١] .

ولقد كان رأي الصديق رضي الله عنه صائبًا وسديدًا .

فلقد كان من فوائد انفاذ جيش أسامة رضي الله عنه :

أ / إيقاف أطماع الفرس والروم من الدَّولة الإِسلاميَّة وتفويت الفرصة عليهم في دعمهم وتشجيعهم للقبائل العربيَّة في الردة والخروج عن الطاعة ومهاجمة الدَّولة الإِسلاميَّة ، بل شعر هرقل بخطر المسلمين على دولته ولذلك أنب قواده وأمر بإرسال حامية قوية لترابط في البلقاء [٢] .

ب / نشر الفزع والهلع في قلوب القبائل العربيَّة الَّتي مرَّ عليها الجيش الإسلامي وكأن لسان حالهم أَنَّه لو لم يكن للمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير ممَّا كانوا يريدون أن يفعلوه [٣] .

ولذلك اضطر المرتدون من قبيلة قضاعة الَّتي كانت تشكل خطرًا بسبب قربها من المدينة للهروب إلى أماكن بعيدة من طريق الشَّام [٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ٦/ ٣٣٥ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ، ٢/ ١٤٧ ، لابن سعد .

(٣) انظر : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ١٩٦ ، لابن الأثير .

(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٤٣ . وأطلس حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق ص٤٠ .

٣ـ حماية المدينة من خطر المرتدين :

فعندما ارتدت العرب بعثت بعض القبائل المرتدة كأسد وغطفان وغيرهم وفودًا إلى المدينة يطالبون أبا بكر الصديق أن يقيموا الصَّلاة ولا يؤتوا الزَّكاة ، فردَّهم الصديق ﷺ ، ورجعوا إلى قبائلهم فأخبروهم بقلة أهل المدينة وطمَّعوهم فيها ، وقد عرف الصديق من أعينهم المكر والخيانة .

فألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال : إن الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلَّة ، وإنكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهارًا ، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ، فاستعدوا وأعدوا ، فما لبثوا إلاَّ ثلاثًا حتَّى طرقوا المدينة وغاروا عليها (١) .

وهذه الخطة المحكمة التي رسمها أبو بكر الصديق ﷺ في الدفاع عن المدينة تتمثل في الآتي :

أ / إلزام أهل المدينة بالمبيت في المسجد حتَّى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع .

ب / تجهيزه للحرس الَّذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها حتَّى يدفعوا أي غارة قادمة ، وعيَّن على الحرس أمراء من خيرة الصَّحابة ﷺ .

ج / بعثه إلى من كان حوله من القبائل الَّتي ثبتت على الإسلام بجهاد أهل الردة (٢) .

د / من كان من المرتدين بعيدًا عن المدينة ولا يخشى خطره على المدى القريب حاربه بالكتب يبعث بها إلى الولاة المسلمين في أقاليمهم يحرضهم للقيام بقتال المرتدين ، فقد كتب

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٤٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٦/ ٣٤٢، ٣٤٤ .

لأهل اليمن حيث المرتدة من جنود الأسود العنسي قال فيه : ((أمَّا بعد : فأعينوا الأبناء على من ناوأهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز وجدوا معه ، فإني قد وليته)) [١] .

هـ / محاربة من قرب منهم من المدينة واشتدَّ خطره كبني عبس وذبيان ، ونازلهم بنفسه هو والصحابة الكرام [٢] .

٤ ـ الاستعانة بالثابتين على الدِّين في دحر الردة :

فقد كان من أهم الوسائل الَّتي استعان بها الصديق ﷺ في القضاء على الردة : الركائز القوية من القبائل والزعماء والأفراد الَّذين ثبتوا على الإسلام والذين كان لهم دور بارز في تثبيت النَّاس على الدِّين ودحر الردة .

وهذا يدلنا على أن الردة لم تكن عامة من جميع أفراد وقبائل الجزيرة العربيَّة ، بل كان في كل قبيلة من ثبت على الدِّين وكان له دور بارز في تثبيت قومه بأحد أمرين :

الأمر الأوَّل : بالكلمة الحسنة وبنصحهم وإرشادهم لجادة الطَّريق المستقيم .

ـ كما صنع عدي بن حاتم الطائي ﷺ عندما أمره الصديق ﷺ بأن يدرك قومه ألا يلحقوا بطليحة الأسدي فيكون دمارهم ، وقد نجح في إنقاذ قومه ، وإرشادهم للحق ، ممَّا كان له الأثر الكبير في هزيمة طليحة الأسدي [٣].

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٢٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٤٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٦/ ٣٤٩ .

ـ وكما صنع الجارود بن المعلى [١] مع قومه من أهل البحرين الَّذي دعاهم للإسلام في عهد النَّبيِّ ﷺ فأسلموا جميعًا ، ثمَّ بعد موته ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قال بعضهم : لو كان محمدٌ نبيًا لما مات ، وارتدوا ، فناصحهم وخطب فيهم ، وأقنعهم أن الموت سنة الله الجارية في الأنبياء جميعًا ، فرجعوا للإسلام وثبتوا [٢] .

ـ وكذلك قام مران بن ذي عمير الهمداني [٣] ، وعبد الله بن مالك الأرحبي ، في قبيلة همدان [٤] .

ـ وشرحبيل بن السمط في أهل اليمن [٥] .

وكل هؤلاء كان لهم الأثر العميق بكلماتهم وخطبهم في إرجاع بعض أقوامهم إلى جادة الصَّواب .

الأمر الثَّاني : الوقوف ضد أقوامهم وقتالهم في حالة عدم امتثالهم للحق وعدم سماعهم

---

(١) هو الجارود بن عمر المعلى ، ويقال : اسمه بشر ، وفد على النبي وهو نصراني ﷺ وأسلم ، وكان سيد عبد القيس ، وقد سُرَّ النَّبيُّ ﷺ بإسلامه ، قُتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر ، وقيل : بقي إلى خلافة عثمان . . انظر : الإصابة ، ١/ ٥٥٣ . وتاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ١٣٦ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ١٣٧ .

(٣) هو مُرَّان ، بضم أوله والتشديد ، ابن ذي عمير الهمداني ، كان من ملوك همدان ، وأسلم فيمن أسلم منهم ، وكان له دور في تثبيت قومه على الإسلام وعدم الردة . انظر : الإصابة ، ٦/ ٢٢٢ .

(٤) انظر : الإصابة ، ٦/ ٢٢٢ .

(٥) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٣٤ . وأبو بكر الصديق شخصيته وعصره ، ص١٩٠-١٩١ ، د. علي الصلابي ، دار ابن حزم ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

للكلمة الحسنة .

ـ وهذا ما صنعه جرير بن عبد الله البجلي ، وذي الكلاع الحميري في اليمن [١] .

وكذلك وقوف المسلمين مع جيفر الأزدي [٢] وأخيه ضد المرتدين في عمان [٣] .

وكذلك الجارود بن المعلى في البحرين .

ـ كل هذه المواقف المشرقة الَّتي قام بها الثابتون على الدِّين في مختلف أنحاء الجزيرة العربيَّة كان لها الأثر في إرجاع أقوامهم عن الردة واعتناق الإسلام ، وكذلك تسهيل مهمة جيوش الدَّولة الإِسلاميَّة القادمة من المدينة المنورة للقضاء الشامل على الردة في الجزيرة العربيَّة .

٥ ـ الهجوم الشامل على المرتدين .

بعد وصول جيش أسامة ﵁ قام أبو بكر الصديق ﵁ بتقسيم الجيش الإسلامي إلى أحد عشر لواء ، وجعل على كل لواء أميرًا ، وأمر كل أمير باستنفار من مرَّ به من المسلمين لقتال المرتدين .

وكتب الصديق ﵁ كتابًا واحدًا مع كل أمير للمرتدين والمتمردين من قبائل العرب يدعوهم إلى العودة للإسلام ، وحذرهم من الكفر ومغبة العصيان .

---

(١) انظر : الإصابة ، ٢/ ١٥٨ .

(٢) هو جيفر ، بوزن جعفر ، ابن الجلندي الأزدي ، ملك عمان ، بعث إليه النبي ﷺ عمرو بن العاص ، فأسلم وأسلم معه بشر كثير ، وبقي في عمان ، ولم ير النبي ﷺ . انظر : الإصابة ، ١/ ٦٤٠ .

(٣) البداية والنهاية ، ٦/ ٣٦٣ .

وقد نجح الجيش الإسلامي في القضاء على ردة طليحة الأسدي ، ومالك بن نويرة ، ومسيلمة الكذاب ، وردة أهل البحرين ، وعمان ، واليمن ، وحضرموت [١] .

ـ نتائج حروب الردة :

كان من أهمها :

١ ـ إعادة وحدة الدَّولة الإِسلاميَّة وثقتها بخليفتها المحنك أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

٢ ـ اكسبت المسلمين المزيد من الخبرات القتالية والمعرفة بجغرافية الجزيرة العربيَّة ممَّا أفادهم في حشد الجيوش في حركة الفتح الإسلامي [٢] .

٣ ـ تنقية صفوف المجاهدين في الفتوحات الإِسلاميَّة من المرتدين وعدم الاستعانة بهم في الأعمال القتالية في عهد الصدِّيق ، ثمَّ لَمَّا كان عهد الفاروق عمر رضي الله عنه أذن لمن سبق له الردة بالغزو والقتال دون الولاية والرئاسة على الجيش [٣] .

٤ ـ لم تعد العصبية القبلية أساسًا في الزعامة والولاية ، بل أصبحت القبيلة وحدة عسكرية لا سياسية ، وأصبحت المقاييس المعتبرة هي المقاييس الإيمانية : التقوى والإخلاص والعمل الصَّالح [٤] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ٦/ ٣٤٨ .

(٢) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٤١٢ .

(٣) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٤١ ، ٣٤٧ .

(٤) انظر : اليمن في صدر الإسلام ، ص٢٩٠ ، د.عبد الرَّحمن الشجاع ، دار الفكر ، دمشق .

٥ـ تجهيز الجزيرة العربيَّة كقاعدة للفتوحات الإسلاميَّة والدعوة إلى الله تعالى .

٦ـ جمع القرآن الكريم في مصحف واحد .

لقد كُتِب القرآن كله في عهد الرَّسول ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد وإنما هو في صدور الرِّجال وفي العسب واللخاف ، وعندما كثر القتل بالقراء في موقعة اليمامة ، أشار عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي بكر الصدِّيق ﷺ بجمع القرآن في مصحف واحد ، وحتى لا يذهب القرآن بذهاب حفظته ، فقد أمر الصدِّيق ﷺ زيد بن ثابت بجمع القرآن ، فكان ذلك من أعظم نتائج حروب الردة [1] .

ثالثًا : محاربة الدعوات الكاذبة والأفكار الهدامة :

لقد ظهرت في المجتمع الراشدي بعض الدعوات الكاذبة والأفكار الهدامة الَّتي كان من أبرز أهدافها تشويه العقيدة الصَّحيحة ، وخلخلة الأمن في المجتمع الراشدي .

وقد بذل الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ جهودًا عظيمة علمية وعملية لدحر هذه الدعوات الكاذبة والأفكار الهدامة اقتداء بالنَّبيِّ ﷺ في دحر الباطل بجميع صوره ، لاسيما وأن بعض هذه الدعوات الكاذبة ظهرت في آخر عهده ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ومن أبرزها :

أ/ المدعون للنبوة :

١ ـ من مشاهير من ادعى النبوة الأسود العنسي فقد أورد البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رَسُول الله ﷺ قال : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا ،

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، ٢/ ٣٧٩ ، لأبي الفضل السيوطي ، مجمع الملك فهد ، الطبعة الأولى.

فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا ، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي ؛ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ » (١) .

واسمه : عبهلة بن كعب بن غوث ، خرج من بلدة باليمن ومعه سبعمائة مقاتل ، فما مضى شهر حتَّى تملك صنعاء ثمَّ استوثق له اليمن بحذافيرها ، وكان معه شيطان يحذق له ولكن خانه في وقت أحوج ما كان إليه .

ولم تمض له ثلاثة أشهر حتَّى قتله الله على يدي إخوان صدق وأمراء حق وهم : فيروز الديلمي ، وقيس بن مكشوح المرادي ، وداذويه الفارسي .

وذلك في ربيع الأَوَّل من سنة إحدى عشرة قبل وفاة رَسُول الله ﷺ بليال ، وقيل بليلة ، والله أعلم ، وقد أطلع الله رسوله ليلة قتله على ذلك (٢) .

٢ ـ مسيلمة الكذاب :

وهو : ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد (٣) .

قال ابن عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ جَعَلَ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم ٣٦٢١ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٧٥ . والإصابة ٢/ ٣٣١ .

(٣) انظر : الأعلام ، ٧/ ٢٢٦ ، لخير الدِّين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر .

رَسُول الله ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ الله ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ الله فِيكَ ، وَلَئِنْ أَدبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ الله ، وَإِنِّي لأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ » ، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا ، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي ؛ فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ » (١) .

ولَمَّا رجع وفد بني حنيفة إلى ديارهم اليمامة ادعى مسيلمة النبوة وأخذ يحلل لهم ويحرم ، ويزعم أن قرآنًا يتنزل عليه ، بل وتجرأ في السَنَةِ العاشرة للهجرة وبعث برسالة إلى النَّبيِّ ﷺ وهو في مرض الموت يزعم لنفسه فيها الشَّركة معه في النبوة ، وقد توفي النَّبيُّ ﷺ وبعث أبو بكر الصديق ﷺ إلى الرَّجَّال بن عنفوة الَّذي قدم على النَّبيِّ ﷺ في وفد بني حنيفة وأسلم وصحب النَّبيَّ ﷺ مدة ، وتعلم شيئًا من القرآن ، وأرسله إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ، ويثبتهم على الإسلام ، ولكن ارتد ولحق بمسيلمة الكذاب ، وشهد له بالنبوة ، وأن النَّبيَّ ﷺ قد أشرك مسيلمة في النبوة ، فكانت فتنة الرَّجَّال أعظم من فتنة مسيلمة الكذاب ، لأَنَّهُ هو الَّذي أضل أهل اليمامة حتَّى اتبعوا مسيلمة الكذاب (٢) .

فأرسل أبو بكر الصديق ﷺ القائد الهمام خالد بن الوليد ﷺ لقتاله ، وقد ضرب الصَّحابة - رضوان الله عليهم - أروع الأمثلة في قتال مسيلمة وأتباعه ، وكانوا يتواصون بينهم ويقولون : يا

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رقم الحديث (٣٦٢٠).

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٨٧ . وانظر : البداية والنهاية ، ٥/ ٦٢ ، ٦/ ٣٥٥ ، ٣٧٤ . وانظر : الإصابة ، ٢/ ٤٤٦ .

أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم ، وقال حذيفة : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال [(١)] .

وقد قتل مسيلمة الكذاب ، بل عقره الله على يدي وحشي بن حرب ، رماه بالحربة فأنفذه كما تعقر الإبل ، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه وذلك بعقر داره في الحديقة الَّتي يقال لها : حديقة الموت .

وقد قُتل قبله وزيراه ومستشاراه وهما : محكم بن الطفيل ، ونهار بن عنفوة الَّذي يقال له : الرَّجَّال [(٢)] .

ولما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم : أسمعونا من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أو تعفينا يا خليفة رَسُول الله ؟ فقال : لا بُدَّ من ذلك ، فقالوا له شيئًا من الخرافات الَّتي يأنف من قولها الصِّبيان وهم يلعبون . فيقال أن الصديق قال لهم : ويحكم أين كان يذهب بعقولكم ؟! [(٣)] .

٣ـ سجاح بنت الحارث التميمية :

وهي الَّتي ادعت النبوة في الردة ، وتبعها قومها ثمَّ صالحت مسيلمة الكذاب وتزوجته ، ثمَّ

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٨٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٢٨٧ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٥٩ .

بعد قتله عادت إلى الإسلام ، فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية [١] .

٤ ـ طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي :

قدِم مع وفد بني أسد إلى النَّبيِّ ﷺ ، ولَمَّا رجعوا إلى ديارهم ارتد طليحة وادعى النبوة في حياة النَّبيِّ ﷺ ، ولَمَّا مات النَّبيُّ ﷺ اشتدت فتنته وآزره قومه ، فأمر أبو بكر الصديق خالدًا وندب معه النَّاس لقتال طليحة ، فهزمه الله تعالى فانهزم إلى الشَّام ، وتفرق جمعه وقتل بعض أصحابه ، وقد رجع إلى الإسلام طليحة الأسدي بعد ذلك ، وذهب إلى مكة معتمرًا أيَّام الصديق ، واستحى أن يواجهه مدة حياته ، وقد رجع فشهد القتال والجهاد مع خالد رضي الله عنه ، وكتب الصدِّيق إلى خالد : أن استشره في الحرب ولا تؤمره . معاملة له بنقيض ما كان قصده من الرياسة ، وهذا من فقه الصدِّيق رضي الله عنه وأرضاه [٢] .

وقد رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له : إني لا أحبك بعد قتل الرجلين الصَّالحَين : عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم . وقد قتلهما طليحة ، فقال طليحة للفاروق : رجلان أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما .

وقد حسن إسلامه ، وكانت له مواقف عظيمة في معركة القادسية، ويقال : إنه استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين [٣] .

---

(١) انظر : الإصابة في تمييز الصَّحابة ، ٨/ ١٩٨ . وتاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٢٦٨ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٥٠ .

(٣) انظر : الإصابة ، ٣/ ٤٤٠ . والبداية والنهاية ، ٧/ ١٣٣ .

٥ ـ لقيط بن مالك الأزدي :

ادعى النبوة وتابعه الجهلة من أهل عُمان ، وتغلب عليها وقهر جيفرًا ، فبعث جيفر إلى الصدِّيق ﷺ فأخبره الخبر واستجاشه ، فأرسل إليه الصدِّيق ﷺ بحذيفة بن محصن الحميري ، وعرفجة البارقي من الأزد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وجعل أمير النَّاس حذيفة بن محصن .

وتقابل الجيشان ، وانهزم لقيط ومن معه ، وقتل المسلمون منهم عشرة آلاف مقاتل ، وسبوا الذراري وأخذوا الأموال ، وبعثوا بالخمس للصدِّيق ﷺ [(١)] .

ب / المتجرئون على الكلام في القدر ومتشابه القرآن والذات الإلهية :

١ ـ لَمَّا قدِم عمر بن الخطاب ﷺ الشَّام ، قام النبطي قسطنطين بِطْريقُ الشَّام ، وذكر معاهدة عمر له وشروطه عليهم ، وطلب منه أن يكتب له بذلك كتابًا ، ثمَّ طلب من عمر بن الخطاب أن يُخبِر النَّاس بهذا الكتاب وهذه الشّروط ، فقام أمير المؤمنين فخطب في النَّاس فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . فقال النبطي : إن الله لا يضل أحدًا . فقال عمر : ما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله لا يضل أحدًا . قال عمر ﷺ : إنا لم نعط الَّذي أعطيناك لتدخل علينا في ديننا ، والَّذي نفسي بيده لئن عدت لأضربن الَّذي فيه عيناك [(٢)] .

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((فهذا عمر ﷺ بمحضر من المهاجرين والأنصار يقول لمن

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٦٣ .

(٢) كنز العمال ، ١/ ٣٣٩ .

عاهده : إنا لم نعط العهد على أن تدخل علينا في ديننا ، وحلف لئن عاد ليضربن عنقه ، فعلم بذلك إجماع الصَّحابة على أن أهل العهد ليس لهم أن يُظهروا الاعتراض علينا في ديننا ، وأن ذلك منهم مبيح لدمائهم ...)) [١] .

٢ ـ سأل يهوديًا علي بن أبي طالب فقال له : متى كان ربنا ؟ فتمعر وجه علي ﷺ وقال : لم يكن فكان ، هو كان ولا كينونة ، كان بلا كيف ، كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية ، فأسلم اليهودي [٢] .

٣ـ قصة صبيغ بن عسل [٣] الَّذي جعل يسأل عن متشابه القرآن ، فبلغ ذلك عمر ﷺ فبعث إليه وقد أعدَّ له عراجين النخل ، فلما دخل عليه ، قال له عمر ﷺ : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله صبيغ ، فقال عمر ﷺ : وأنا عبد الله عمر . ثمَّ أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين حتَّى دمي رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين حسبك ، قد ذهب الَّذي كنت أجد في رأسي .

فأذن له بالرحيل إلى أرضه في العراق ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرَّجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر : أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر : أن ائذن للناس بمجالسته [٤] .

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرَّسول ﷺ ، ص٢٠٢ ، أحمد بن تَيْمِيَّة ، الناشر : الحرس الوطني السعودي .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ، ٧/ ٢٣٧ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص١٤٢ .

(٣) صبيغ بوزن عظيم ، وابن عِسْل بمهملتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة . انظر : الإصابة ، ٣/ ٣٧٠ .

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ، ١/ ٤١٤ ، لأبي عبد الله بن بطة العكبري ، دار الراية ـ الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م . . وذكر ابن حجر في كتابه الإصابة ٣/ ٣٧١ أن إسناده صحيح عن ابن الأنباري . وانظر ←

ـ وقد نفع الله صبيغًا بما كتب له عمر في نفيه ، فلما خرجت الحرورية [(١)] قالوا لصبيغ : إنَّه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا ، فقال : هيهات ، نفعني الله بموعظة الرَّجل الصَّالح . وكان عمر ضربه حتَّى سالت الدماء على وجهه أو رجليه ، ولقد صار صبيغًا بعده مثلاً ، وترْدِعَةً لمن نقَّر ، وألْحفَ في السؤال [(٢)] .

روى الإمام مالك عن ابن شهاب عن القاسم بن محمَّد أَنَّه قال : سمعت رجلاً يسأل عبد الله بن عبّاس عن الأنفال ، فقال ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ : الفرسُ من النَّفل ، والسَّلَبُ من النفَّل . قال : ثمَّ عاد لمسألته ، فقال ابن عبّاس ذلك أيضًا ، ثمَّ قال الرَّجل : الأنفال الَّتي قال الله في كتابه ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتَّى كاد أن يُحْرجه ، فقال ابن عبّاس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مَثَلُ صبيغ الَّذي ضربه عمر بن الخطاب [(٣)] .

وهكذا كان المجتمع الراشدي يكره التنطع في الدِّين والسؤال فيما لا يعني ، وخاصة التعنت في السؤال في الدِّين الَّذي يوقع الإنسان في الشَّكّ والشبهات ويُلبِّس على النَّاس دينهم .

شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، ٣/ ٣٧ ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(١) الحرورية اسم يطلق على الخوارج الَّذين خرجوا على علي ﷺ ، نسبةً إلى حروراء : موضع قرب الكوفة ، نزل به الخوارج حين اعتزلوا جيش علي ﷺ . انظر : معجم البلدان ، ٢/ ٢٤٥ . والبداية والنهاية ، ٧/ ٣٣٣ .

(٢) انظر : الإبانة الكبرى ، ١/ ٤١٧ ، لابن بطة .

(٣) انظر : موطأ الإمام مالك ، حديث ١٦٥٥ ، ٣/ ٦٤٧ ، مؤسسة زايد آل نهيان ـ الإمارات ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : ((سيأتي أقوام يجادلونكم بشبه القرآن، فجادلوهم بالسُنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ﷻ)) (١) .

وقد أورد ابن بطة بعض الآثار الَّتي تُبيِّن ثقافة الصَّحابة في العهد الراشدي عن أهميَّة السؤال عمَّا ينفع ويفيد ، والزجر عما لا يفيد.

قال علي ﷺ يومًا : سلوني عمَّا شئتم ، فقال ابن الكوَّا (٢) : ما السواد الَّذي في القمر ؟ قال : فإن تلك لله ، ألا سألت عمَّا ينفعك في دينك وآخرتك ، ذاك محو اللَّيل . قال : أخبرنا عن قوله : ﴿ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴾ (٣) قال : ثكلتك أمك ، سلْ تفقهًا ولا تسل تعنتًا ، سلْ عمَّا يعنيك ودع ما لا يعنيك (٤) .

وقال ابن مسعود ﷺ : إذا أراد الله بعبد خيرًا سدده ، وجعل سؤاله عمَّا يعنيه ، وعِلْمَه فيما ينفعه (٥) .

ج / السبأية :

وهي فرقة من فرق الرَّافضة ، والَّتي يتزعمها عبد الله بن سبأ اليهودي من يهود صنعاء .

---

(١) الإبانة الكبرى ، ٢/ ٦١٠ ، لابن بطة .

(٢) ابن الكوا : اسمه عبد الله بن أوفى . انظر : تاريخ دمشق ، ٢٧/ ١٠٠ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية (٢) .

(٤) الإبانة الكبرى ، ١/ ٤١٨ ، لابن بطة .

(٥) المرجع السابق ، ١/ ٤١٨ .

قال عنه الإمام الذَّهَبِيُّ : هو من غلاة الزنادقة ضال مضل [(١)] .

وقد ظهر في عهد الخليفة عثمان ﷺ وكان سببًا في بث الفتن ، وتشكيك النَّاس في شرعيّة خلافة عثمان ﷺ ، بل والتحريض على قتله.

ولما رأى هذا اليهودي الرافضي أن الأمور السِّياسيّة في العهد الراشدي صارت لِما خطط لها ، لم يكتفِ بذلك ، فأراد أن يهدم من الدِّين جانبه الأصيل حتَّى لا يكون للمسلمين مردٌ يردهم للحق إذا ما تنازعوا سياسيًا ، فبدأ بالجانب الدِّينيّ الَّذي يمس عقيدة الإسلام يروم زعزعته كما زعزع سياسة البلاد ، فكان من جرائمه الدِّينية الَّتي سنها وصارت دينًا وأصلاً من أصول الرَّافضة فيما بعد : الطعن والسب في الصَّحابة الكرام ، والقول بتأليه علي ﷺ ، بل وأخذ يروج لخليط من مفاسد يهودية ونصرانية ومجوسية حتَّى ثبتت هذه المعتقدات في نفوس أصحابها فكانت أسس وأصول مذهب الروافض على جميع فرقهم [(٢)] .

ولذلك فهم يعادون أهل السُّنَّة أشدَّ العداء ويتقربون من اليهود والنَّصارى لاشتراكهم جميعًا في المعتقدات الباطلة .

---

(١) ميزان الاعتدال ، ٢/ ٤٢٦ ، لأبي عبد الله الذهبي ، دار المعرفة ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م . وانظر بتوسع : الشِّيعة والتشيع ، ص١٣٥ ، لإحسان إلهي ظهير . والنبوات ، ١/ ٤٢١ ، لابن تَيْمِيَّة ، مؤسسة أضواء السلف ـ الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م . والملل والنحل ، ١/ ١٧٤ ، للشهرستاني ، مؤسسة الحلبي .

(٢) انظر : من مخازي الرَّافضة عبر التَّاريخ ، ص٢٣- ٢٥ ، علي بن نايف الشحود ، الطبعة الثَّانية ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

والشيعة والرافضة منشأ كل مصيبة وفتنة ، ولذلك قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((ولهذا نجد الشِّيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين كبني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب ، ويقولون إنَّهم كانوا مظلومين .. وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسي ..)) [(١)] .

وقد كان دور المجتمع الراشدي والخليفة علي ﷺ بارزًا في محاربة هذه الأفكار والمعتقدات الفاسدة .

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ :

((ولَمَّا أحدثت البدع الشِّيعة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ردَّها ، وكانت **ثلاثة طوائف ؛ غالية ، وسبَّابة ، ومُفضِّلة .**

فأمَّا الغالية : فإنَّه حرَّقهم بالنار ، فإنَّه خرج ذات يوم من باب كِندة فسجد له أقوام ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أنت هو الله ، فاستتابهم ثلاثًا ، فلم يرجعوا ، فأمر في اليوم الثَّالث بأخاديد ، فخُدَّتْ وأضْرَمَ فيها النَّار ، ثمَّ قَذفهُم فيها .

وقال :

لمَّـــا رأيـــت الأمـــر أمـــرًا مُنكـــرًا ۞ أجَّجـــتُ نـــاري ودعـــوت قنبـــرًا

وثبت أَنَّ عَلِيًّا ﷺ أتى بزنادقتهم فحَرَّقهم ، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : أمَّا أنا فلَوْ كُنْتُ لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : « **نهى النَّبيُّ ﷺ أن يُعذِّب بعَذَابِ الله** » ، ولضربت أعناقهم لقول

(١) منهاج السُّنَّة ، ٦/ ٣٧٠ .

النَّبِيِّ ﷺ : « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » [١] .

وأمَّا السَّبَّابة : فإِنَّه لَمَّا بلغه أن ابن سبأ يسبُّ أبا بكر وعمر ، طلب قتله فهرب إلى قِرْقِيسَا ...

وأمَّا المُفضلة : فقال : لا أوتى بأحدٍ يُفضِّلُني على أبي بكر وعمر إِلاَّ جلدته حدَّ المفتري . ورُوي عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنَّه قال: ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثمَّ عمر)) [٢] .

ـ ولقد استمر سلف هذه الأمة بعد العهد الراشدي في محاربة هذه الفرق الضالة وبيان فساد اعتقادها حتَّى يومنا هذا والصراع قائم بين أهل السُّنَّة والرافضة ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ناصرٌ أولياءه ، قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَالله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٣].

❁❁❁

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب : لا يعذب بعذاب الله ، حديث رقم ٣٠١٧ .

(٢) الفتاوى الكبرى ، ١/ ٧١ ، لابن تَيْمِيَّة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

(٣) سورة الصف ، الآية (٨) .

المطلب الثَّالث

تحقيق الأمن في سلوك الأفراد والجماعات

لقد كان الاهتمام بالأمن السلوكي منذ بداية العهد النبوي ، فلقد أرسى قواعده وأسس نظامه النَّبيُّ ﷺ ، وذلك بتقرير بعض الأمور الَّتي تتعلق بالحكم والإمارة ، والولاية ، والبيعة ، والطاعة ، والشورى ، والقضاء ، والحرب ، والسلم ، والمعاهدات ، وحقوق الأفراد والحكام ، وحقوق أهل الذمَّة ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وموادعة يهود المدينة .

وكتابة الوثيقة الدستورية (١) ، والَّتي تشتمل على كثير من هذه الأمور والَّتي أُعتبرت بالغة الأهمية بما احتوته من تنظيمات ومعاهدات لحفظ الاستقرار والأمن السلوكي في العهد النبوي (٢) .

---

(١) انظر إلى نص الوثيقة في البداية والنهاية ، ٣/ ٢٧٣ . والسيرة النَّبويَّة ، ١/ ٥٠١ ، لابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الثَّانية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م . ومجموع الوثائق السِّياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص٥٧ ، محمَّد حميد الله ، دار النفائس ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٢) ذكر بعض الباحثين أن الوثيقة موضوعة لعدم ورودها في كتب الفقه وكتب الصحاح .
وقد ناقش الباحث : توفيق السديري هذه المسألة ، وبيَّن أن كون كتب الحديث لم ترو نص الوثيقة كاملاً لا يعني عدم صحتها ، بل إن كتب الحديث أوردت مقتطفات كثيرة منها تشمل جزءًا كبيرًا منها بأسانيد متصلة ، بل وبعضها أوردها البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والله أعلم .
انظر : كتاب الإسلام والدستور ، ص١٢٠ ، توفيق السديري ، الناشر وزارة الشؤون والأوقاف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ .

كل هذه القواعد والتنظيمات أُطلِق عليها فيما بعد بالسلطات العامَّة ؛ وهي : السلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التنفيذية ، وإن لم تكن هذه السلطات تعرف بهذا المسمّى في العهد النبوي والراشدي .

لقد امتدت هذه التنظيمات الَّتي أرسى قواعدها النَّبيُّ ﷺ إلى العهد الراشدي ، فكان لها دورٌ كبيرٌ في استتباب الأمن والاستقرار والترابط بين أفراد المجتمع الراشدي .

ولذلك فقد كان جُلُّ اهتمام المجتمع الراشدي تحقيق الأمن والاستقرار وضمان الحياة السعيدة لأفراده .

وقد انبثق مفهوم الأمن في العهد الراشدي من القواعد والتنظيمات المتمثلة في السلطات الثلاث ، والَّتي شرعها النَّبيُّ ﷺ للحيلولة دون وقوع الجرائم والمظالم على اختلاف أنواعها كـ : القتل، والسرقة ، والزنا ، والغش ، والاحتكار ، والاختلاس ، والظلم ، والبغي ، وغيرها من الجرائم والمظالم الَّتي يكون بسببها الخوف على الأعراض والممتلكات ، والَّتي يختل بسببها الأمن في المجتمعات .

ولقد أصبح المجتمع الراشدي بسبب اعتصامه بالدين وحسن اقتدائه بالنَّبيِّ الأمين ـ عليه أفضل الصَّلاة والتسليم ـ وبقوة ترابط أفراده مضرب المثل في الحفاظ على الاستقرار والأمن السلوكي .

ـ ولا يعني هذا ((أن النَّاس كانوا ملائكة أطهارًا ، فمجتمع الرَّسول ﷺ نفسه لم يكن مجتمعًا من الملائكة ، إنما كان تطبيق المنهج الرباني في واقع الأرض يحصر الجريمة في أضيق نطاق ممكن ، فتقع حين تقع شذوذًا يستنكر ، وتوقع على مرتكبها العقوبة الرادعة فلا تتبلد عليها

حواس النَّاس)) [(١)] .

لقد كان الاستقرار والأمن السلوكي في العهد الراشدي في أعلى درجاته وأرفع مستوياته ، وخاصة في عهد أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وشطرٍ كبيرٍ من عهد عثمان ﷺ حتَّى ظهور الفتنة في آخر عهده ﷺ وتسلسلها وتنوعها في عهد علي ﷺ ممَّا أدى ذلك إلى كثرة الحروب الداخلية الَّتي كان لها أثرٌ في ضعف الاستقرار والأمن السلوكي في عهد علي ﷺ [(٢)] .

إِلاَّ أن تضامن المجتمع الراشدي وتكاتفه مع أمير المؤمنين علي ﷺ الَّذي ضرب أروع الأمثلة بنضاله ، وبذل الوسع والجهد في تحقيق الأمن السلوكي ، كان له ذلك الأثر الواضح في بقاء المجتمع الراشدي مترابطًا متعاونًا لتحقيق الاستقرار بين أفراده .

التطبيقات العملية للسلطات العامَّة في العصر الراشدي :

أولا : السلطة التشريعية :

للتشريع معنيان :

أحدهما : إيجاد شرع ابتداء .

وثانيهما : بيان حكم تقتضيه شريعة قائمة .

---

(١) رؤية إسلاميَّة لأحوال العالم المعاصر ، ص١٤٩ ، الشَّيخ محمَّد قطب ، مكتبة السُّنَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

(٢) انظر : السياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٢٨٠ وما بعدها ، د. أسامة أبو زيد ، دار البدر ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

فالتشريع بالمعنى الأول في الإسلام ليس إِلاَّ لله تعالى وحده الَّذي ابتدأ شرعًا بما أنزله في القرآن العظيم ، وما أقرَّ عليه رسوله الكريم . وبهذا المعنى لا تشريع إِلاَّ لله تعالى ، ولا حاكم إِلاَّ الله تعالى (١) .

وأمَّا التَّشريع بالمعنى الثَّاني وهو بيان حكم تقتضيه شريعة قائمة . فهذا الَّذي تولاه بعد رَسُول الله ﷺ خلفاؤه من علماء الصَّحابة ثمَّ من بعدهم من علماء التَّابعين وتابعيهم من الأئمَّة المجتهدين (٢) .

ومجال هذا التَّشريع يتمحور بتفسير النّصوص الَّتي تقرر الأحكام ، والقياس على ما فيه نص عليها ، والاستنباط من الأصول والقواعد العامَّة ومقاصد الشَّريعة ، كما يشمل أيضًا دائرة المباح أو العفو الَّذي سكتت عنه الشَّريعة (٣) .

وقد رسُخ فهم الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بسبب تربية النَّبيِّ ﷺ لهم على هذا الأصل العظيم وهو رجوعهم في الحكم والفتيا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن لم يجدوا فيهما دليلاً اجتهدوا رأيهم بناءً على مقاصد الشَّريعة .

وقد التزم الصَّحابة المهديون كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ﷺ أجمعين بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ بهذا الأصل العظيم في أقضيتهم وفتاويهم ، وكانوا يحذرون من الفتيا والقضاء بعيدًا

(١) انظر مقال : السلطة العامة في الإسلام ، د. عثمان جمعة ضميرية ، مجلة البيان ، عدد٢١١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، عدد٢١١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، عدد ٢١١ .

عن هذا الأصل [(١)] .

ذكر ابن سيرين ـ رحمه الله ـ : ((أَنَّه لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر ﷺ ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر ﷺ ، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ولا في السُّنَّة أثرًا فاجتهد برأيه ، ثمَّ قال : هذا رأيي فإن يكن صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأً فمنيِّ وأستغفر الله)) [(٢)] .

وقال ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ : ((من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ، ولم تمض به سنة من رَسُول الله ﷺ، لم يدْرِ على ما هو منه إذا لقي الله ﷻ)) [(٣)] .

وروى رفاعة بن رافع [(٤)] قال : ((بينما أنا عند عمر بن الخطاب ﷺ إذ دخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا زيد بن ثابت يُفتي النَّاس في المسجد برأيه في الغسل من الجنابة . فقال عمر : عليَّ به ، فجاء زيدٌ ، فلما رآه عمر قال : أي عدو نفسه ، قد بلغت أن تُفتي النَّاس

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ٤٩ . وانظر : الفقه الإسلامي وأدلته ، ٨/ ٦١٤ ، د.وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة .

(٢) المرجع السابق ، ١/ ٤٣ .

(٣) سنن الدارمي ، رقم الحديث ١٦٠ ، ١/ ٢٥٩ ، دار المغني ـ السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م . وقال عنه محقق الكتاب : ((إسناده صحيح إذا كان عبدة سمعه من ابن عباس)) ، وذكره ابن حجر في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة وقال عنه : ((الحديث موقوف)) ، مجمع الملك فهد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٤) هو رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي ، أبو معاذ ، وأمه أم مالك بنت أبيِّ بن سلول ، صحابي جليل ، وشهد هو وأبوه العقبة وبقية المشاهد ، مات سنة إحدى أو اثنين وأربعين . انظر : الإصابة ، ٢/ ٤٠٧ .

برأيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما فعلت ، ولكن سمعت من أعمامي حديثًا فحدثت به من أبي أيوب ، ومن أُبَيّ بن كعب ، ومن رفاعة بن رافع ، فقال عمر : عليَّ برفاعة بن رافع ، فقال : قد كنتم تفعلون ذلك إذا أصاب أحدكم المرأة فأكسل أن يغتسل . قال : قد كنا نفعل ذلك على عهد رَسُول الله ﷺ لم يأتنا عن الله تحريم ، ولم يكن فيه عن رَسُول الله ﷺ شيء . فقال عمر : ورسول الله ﷺ يعلم ذلك ؟ قال : ما أدري ؟ فأمر عمر بجمع المهاجرين والأنصار فجُمعوا ، فشاورهم فشَارَ النَّاس أن لا غسل إِلاَّ ما كان من معاذ وعليٍّ فإنهما قالا : إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل . فقال عمر : هذا وأنتم أصحاب بدر قد اختلفتم فمن بعدكم أشدُّ اختلافًا . فقال علي : يا أمير المؤمنين ، إنَّه ليس أحدٌ أعلم بهذا من شأن رَسُول الله ﷺ من أزواجه ، فأرسل إلى حفصة ، فقالت : لا علم لي ، فأرسل إلى عائشة فقالت : إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل ، فقال : لا أسمع برجل فعل ذلك إِلاَّ أوجعته ضربًا)) [(١)] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده حديث (٢١٠٩٦) ، ٥٢/ ١١٥ . وابن أبي شيبة في مصنفه ، حديث (١٩) ، ١٣/ ٢٠٨ .

قال الهيتمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٦٦ : ((ورجال أحمد ثقات ، إِلاَّ أن ابن إسحاق مدلس وهو ثقة ، وفي الصَّحيح طرف منه)) .

وقد حسَّن هذا الحديث الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر الخبر ، ١/ ٩٧ ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

وأصل هذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل، حديث ٣٤٩ ، وأن الَّذي سأل عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ هو أبو موسى الأشعري ﷺ .

ثانيا : السلطة القضائية :

وقد عرَّفها ابن رشد [١] فقال : حقيقة القضاء : الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام [٢] ، والَّذي يتولى هذه السلطة هم القضاة .

ومهمتهم أن يحكموا بالعدل بين النَّاس في القضايا المتعلقة بالدماء، والأموال ، والأعراض ، والحقوق الأخرى [٣] .

وكان من أبرز سمات هذه السلطة الاستقلال في القضاء والتجرد عن الهوى ، والتسوية والعدل بين النَّاس تحقيقًا لقول الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالله أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [٤] .

لقد اهتم النَّبيُّ ﷺ بالقضاء ، فوضح أسسه ومناهجه ، وأرسى قواعده على أكمل وجه .

بل لقد كان ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ هو من يقوم بالقضاء بين النَّاس ، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ أن النَّبيَّ ﷺ سمع خصومة بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : « إِنَّمَا

---

(١) ابن رشد هو محمَّد بن أحمد أبو الوليد ، قاضي الجماعة بقرطبة من أعيان المالكيَّة ، له مؤلفات منها : المقدمات الممهدات ، والأحكام الشَّرعيَّة وغيرها ، توفي بقرطبة سنة ٥٢٠هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ، ٤/ ٤٦ ، للذَّهبيّ .

(٢) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، ١/ ١١ ، الشَّيخ إبراهيم اليعمري ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ١/ ١٣ .

(٤) سورة النِّساء ، الآية (١٣٥) .

أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فليتركها » (١) .

وكانت ولاية القضاء في عهده ﷺ جزءًا من الولاية العامَّة ، فلم تفصل في عهده ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كولاية مستقلة ، ولم تكن هناك حاجة ماسة لتولية القضاة في المدينة وما حولها لقلة عدد النَّاس ، ولأن الوازع الدِّينيَّ عند النَّاس كان عاليًا حتَّى إن الواحد منهم إذا فعل جرمًا جاء مقرًا من ذات نفسه (٢) ، كما جاء ماعزٌ مقرًا بالزنا (٣) ، وكذلك الغامدية (٤) .

ومع هذا كله فقد باشر بعض الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ القضاء في حياة النَّبيِّ ﷺ بأمره (٥)، حرصًا منه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ على تدريبهم من بعده على القضاء والاجتهاد في الحكم بين النَّاس (٦).

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغصب ، باب إثم من خاصم في باطل ، حديث ٢٤٥٨ .

(٢) القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٣٣ ، د.عبد الرَّحمن الحميضي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، جامعة أم القرى .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب : هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست ، حديث ٦٨٢٤ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب : من اعترف على نفسه بالزنا ، حديث ، ١٦٩٥ .

(٥) انظر : النظام القضائي في الفقه الإسلامي ، ص٤١ ، محمد رأفت عثمان ، دار البيان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٦) انظر : المرجع السابق ، ص٤١ .

فقد بعث معاذًا إلى اليمن [١] ، وبعث عليًا إلى اليمن أيضًا [٢] ، وكذلك فقد ولّى عتَّاب بن أسيد أمر مكة وقضاءها بعد فتحها [٣] .

وعندما جاء العصر الراشدي وجد الخلفاء الراشدون السلطة القضائية واضحة المناهج ، مستكملة المبادئ والقواعد القضائية .

فكان الخليفة يقضي بنفسه بين النَّاس في المدينة ، وكان الولاة هم المسؤولون عن القضاء في الأمصار ، وقد يعهد الخليفة إلى القاضي أن يقضي في قضية بعينها وينتهي اختصاصه بالنظر فيها ، وقد يعيّن الخليفة بعض القضاة في المدن للفصل في الخصومات [٤] .

وكان القضاة في العصر الراشدي يحكمون في الحقوق المدنية والأحوال الشَّخصيَّة ، أمَّا القصاص والحدود فكان الحكم فيها للخلفاء وأمراء الأمصار ، فلا بُدَّ من موافقتهم على الحكم ، ثمَّ انحصرت الموافقة على تنفيذ حد القتل للخليفة وحده ، وبقي للولاة حق المصادقة على أحكام القصاص دون القتل [٥] .

ولم تكن الأقضية تسجل لقلتها وسهولة حفظها ، ولأنها كانت تنفذ إثر البت فيها ، وكان

---

(١) انظر : سنن الترمذي ، كتاب الأحكام ، باب ما جاء في القاضي ، حديث رقم (١٣٢٧). وانظر : العلل المتناهية ، لابن الجوزي ، ٢/ ١٥٨ .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الأقضية ، باب كيف القضاء ، حديث ٣٥٨٢ .

(٣) المستدرك للحاكم ، حديث ٦٥٢٢ ، ٣/ ٦٨٧ .

(٤) انظر : النظام القضائي في الفقه الإسلامي ، ص٤١ .

(٥) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٥٧ .

القاضي يقوم بتنفيذها [(١)] .

وكان بإمكان القاضي حبس المتهم للتأنيب واستيفاء الحقوق ، وقد فعل ذلك عمر وعثمان وعلي ، فكانت الدَّولة تهيء السجون في مراكز المدن ، وكان القصاص ينفذ خارج المسجد [(٢)] .

((مصادر القضاء في العصر الراشدي)) :

أولا : القرآن الكريم ، والسنة المطهرة :

كان الخلفاء الراشدون لا يقدمون رأيًا على الكتاب والسُّنَّة في الحكم والقضاء والفتوى [(٣)] .

ثانيا : الإجماع .

فقد كان الخلفاء الراشدون يجمعون علماء الصَّحابة ويسشيرونهم عند انعدام الدَّليل من الكتاب والسُّنَّة ، ثمَّ القضاء بما اجتمع رأيهم عليه ، وهذا ما سمي بعد ذلك بالاجماع الَّذي نشأ في العصر الراشدي والَّذي أصبح مصدرًا من مصادر التَّشريع [(٤)] .

روى ميمون بن مهران [(٥)] قال : ((كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه الخصم ، نظر في كتاب

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٥٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٥٧-١٦٠ . والنظام القضائي في الفقه الإسلامي ، ١/ ٤٤ .

(٣) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ٤٦-٤٨ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٤٩ .

(٥) هو ميمون بن مهران الرقي الجزري ، ثقة فقيه ، الإمام الحجة ، كان يرسل ، اعتقته امرأة بالكوفة ، وقد حدث عن أبي هريرة وعائشة ، وابن عبّاس ، توفي سنة سبع عشرة ومائة . انظر : تقريب التهذيب ، ١/ ٥٥٦ . و سير ←

الله ، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب ، وعلم من رَسُول الله ﷺ في ذلك الأمر سُنةً قضى به ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا ، فهل علمتم أن رَسُول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رَسُول الله ﷺ فيه قضاءً ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الَّذي جعل فينا من يحفظ على نبينا ﷺ ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رَسُول الله ﷺ جمع رؤوس النَّاس وخيارهم فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به)) [(١)] .

وعن المغيرة بن شعبة ، قال : ((سأل عمر بن الخطاب ﷺ عن إملاص المرأة ـ هي الَّتي يضرب بطنها فتلقي جنينًا ـ، فقال : أيكم سمع من النَّبيِّ ﷺ فيه شيئًا ؟ فقلت : أنا ، فقال: ما هو؟ قلت : سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول : « **فيه غرة ؛ عبد أو أمة** » فقال : لا تبرح حتَّى تجيئني بالمخرج فيما قلت ، فخرجت فوجدت محمَّد بن مسلمة فجئت به ، فشهد معي أَنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول : « **فيه غرة ؛ عبد أو أمة** »)) [(٢)] .

أعلام النبلاء ، ٥/ ٧١ .

(١) رواه الدارمي في سننه ، كتاب العلم ، باب : الفتيا وما فيه من الشدة ، حديث ١٦٣ ، ١/ ٢٦٢ .

وقال عنه محقق سنن الدارمي الشَّيخ حسين الداراني : رجاله ثقات غير أن ميمون بن مهران لم يدرك أبا بكر فالإسناد منقطع ، ١/ ٢٦٢ .

ولكن ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ صحح الحديث في كتابه فتح الباري ، ١٣/ ٣٤٢ الذي من رواية البيهقي.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، باب ما جاء في اجتهاد القضاة ، حديث ٧٣١٧ ، ٧٣٠٨ .

ثالثا : السوابق القضائية التي صدرت عن علماء الصحابة في بعض القضايا من عهد خليفة إلى خليفة آخر[١] :

وقد ظهر العمل بها في عهد الفاروق عمر ، وعثمان ، وعلي ﷺ أجمعين ، فقد كانوا يقتدون بأبي بكر الصديق إذا لم يجدوا دليلاً من الكتاب والسُّنَّة .

روى ميمون بن مهران : ((أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يفعل ذلك إن أعياه أن يجد في القرآن والسُّنَّة ، نظر هل كان لأبي بكر ﷺ فيه قضاء ؟ فإن وجد أن أبا بكر ﷺ قد قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلاَّ دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم ، فإذا أجمعوا على الأمر قضى بينهم)) [٢] .

رابعا : القياس :

وهو : حمل الفرع على الأصل بعلة وشَبَه [٣] .

وقد كان الخلفاء الراشدون إذا لم يجدوا في المسألة نصًا ولا إجماعًا ولا سابقة قضائية اعتمدوا على الاجتهاد ، كما في حديث معاذ ﷺ ويأتي في أوليات الاجتهاد قياس مسألة لم يرد فيها نص بمسألة ورد فيها نص [٤] .

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ٤٩-٥٠ .

(٢) السنن الكبرى ، ١٠/ ١١٤ ، للبيهقي . وانظر : فتح الباري ، ١٣/ ٣٤٢ .

(٣) العدة في أصول الفقه ، ٤/ ١٣١٧ ، القاضي أبو يعلى الفراء ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

(٤) فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٢٦٧ .

وهذا ما جاء في رسالة عمر ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ قال : ((قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ، ثمَّ اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق)) [١] .

خامسا : الرأي :

فإن لم يكن في المسألة أصل من النّصوص لتقاس عليها ، اعتمدوا على الاجتهاد بالرأي فيما هو أقرب إلى الحق والعدل ومقاصد الشَّريعة ، ويدل على ذلك رسائل عمر ﷺ لشريح ، وأبي موسى الأشعري وغيرهما [٢] .

ولقد كان الخلفاء الراشدون يهتمون بالمشاورة والشورى لأنَّهَا من أهم الوسائل الَّتي يستعين بها القاضي .

وقد كان عمر ﷺ كثير الاستشارة حتَّى إنه كانت ترفع إليه القضية فلربما يتأمل فيها شهرًا ويستشير الصَّحابة ، كما حدث عندما أراد كتابة السنن ، فقد مكث شهرًا يستخير الله [٣] .

وسُئل عبد الله بن مسعود عن مسألة ، فما زال ينظر فيها شهرًا ثمَّ أجاب بعد شهر كامل [٤] .

ولم يغفل الخلفاء الراشدون عن الاهتمام بتطوير السلطة القضائية فيما فيه نفع لمصالح

---

(١) إعلام الموقعين ، ١/ ٦٨ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٦٨ .

(٣) انظر : جامع بيان العلم ، ١/ ٢٧٤ .

(٤) انظر : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ٢/ ١٦ ، ابن الوزير محمَّد بن إبراهيم ، مؤسسة الرِّسالة - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

النَّاس .

إِلاَّ أن الَّذي حاز قصب السبق في تطوير السلطة القضائية هو الفاروق عمر رضي الله عنه ، لطول فترة خلافته ، إذ كانت عشر سنوات ، بينما كانت مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنتين وبضعة أشهر (١) ، ولقد استطاع عمر رضي الله عنه تطوير وسائل السلطة القضائية بعدة أمور منها :

١ ـ فصل القضاء عن الولاية العامَّة ، وجعله سلطة مستقلة ، وذلك لاتساع نطاق العمران وكثرة النَّاس بسبب كثرة الفتوحات الإِسلاميَّة ، ولأنه أصبح من العسير على الخليفة النَّظر في الأمور العامَّة والفصل في الخصومات ففصل عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء عن الولاية العامَّة وعهد بها إلى شخص غير الوالي ، وقد يعهد بسلطة القضاء للوالي فيكون واليًا وقاضيًا للمصلحة العامَّة كمعاوية بن أبي سفيان ، وأبي موسى الأشعري ، وغيرهم (٢) .

قال ابن خلدون ـ رحمه الله ـ (٣) : ((وأوَّل من دفعه إلى غيره وفوضه فيه : عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولّى أبا الدرداء معه بالمدينة ، وولّى شريحًا بالبصرة ، وولّى أبا موسى الأشعري بالكوفة ، وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الَّذي تدور عليه أحكام القضاء)) (٤) .

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء ، ص٦٩ ، للسيوطي .

(٢) القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٤٣ . والنظام القضائي في الفقه الإسلامي ، ١/ ٤٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي المالكي ، المعروف بابن خلدون ، ولد في تونس ، ونشأ بها ، وطلب العلم ، وولي القضاء ، وبرع في الفنون وفي الكتابة . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٩/ ١١٤ ، لعبد الحي الدمشقي ، دار ابن كثير ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٤) تاريخ ابن خلدون ، ١/ ٢٧٥ ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٢ ـ مراسلاته للقضاة الَّتي اتسمت ببيان فضائل القضاء وضوابطه وأخلاق القاضي ، فقد راسل معاوية بن أبي سفيان ، وأبي موسى الأشعري ، وكان كتابه لأبي موسى الأشعري الَّذي اشتهر بين علماء الفقه من أهم الكتب والمراسلات ، والَّذي اُعتبر دستورًا قويًا في نظام القضاء [(١)] .

٣ ـ تعزيز مكانة القضاء باختيار الصَّالحين للقضاء .

فقد كان عمر الفاروق يوصي الولاة باختيار الصَّالحين للقضاء وإعطائهم المرتبات الَّتي تكفيهم [(٢)] .

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ٦٧ .

فائدة : اهتم ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ بشرح كتاب عمر بن الخطاب ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ وبيّن ما فيها من الفوائد للقضاة .

وقال عنه : هذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة ، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه . إعلام الموقعين ، ١/ ٦٧ .

تنبيه : أنكر ابن حزم في كتابه المحلى ١/ ٩٩ ، دار الفكر ـ بيروت ، وبعض المستشرقين نسبة هذا الكتاب للفاروق عمر ﷺ بسبب بعض المآخذ على السَّند تارة ، وعلى المتن تارة أخرى .

وقد دفع غلط ابن حزم وردّ على شبهات المستشرقين وأثبت نسبة هذا الكتاب للفاروق عمر بن الخطاب ﷺ وأن ما تضمنه هذا الكتاب إجمالاً وارد في الشَّريعة : الشَّيخ ظافر القاسمي في كتابه نظام الحكم في الشَّريعة والتاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ص٤٥٩ باستفاضة ، دار النفائس .

وانظر أيضًا : كتاب القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٤٣ .

(٢) انظر : النظام القضائي في الفقه الإسلامي ، ص٤٤ ، ٥٥ .

وكان يطالب بأقصى درجات العدل والمساواة بين النَّاس حاكمهم ومحكومهم .

فقد ساوم عمر بن الخطاب ﷺ بفرس فركبه ليجربه فعطب ، فقال لصاحبه : خذ فرسك ، فأبى الرَّجل ، فاحتكما إلى شريح ، فقال شريح : يا أمير المؤمنين ، خذ ما ابتعت ، أو رد كما أخذت ، فقال عمر : وهل القضاء إلاَّ هكذا . فبعثه إلى الكوفة قاضيًا [(١)] .

وقصة تخاصمه مع أُبيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ في ملكية بستان ، وقد تحاكما لزيد بن ثابت ، ثمَّ قال ﷺ : لا يُدرك زيد القضاء حتَّى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء [(٢)] .

وقد سار على هذا المنهج كل من الخليفة عثمان وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ .

ولم يتوقف تطوير وسائل السلطة القضائية على عهد عمر الفاروق ﷺ ، فقد قام أمير المؤمنين عثمان ﷺ ببعض التطويرات الشكلية في السلطة القضائية ، كان من أهمها :

اتخاذ دارٍ للقضاء ، فقد كان القضاء في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ يقام في المسجد .

ولا شك أن استقلال القضاء بدار خاص يشير إلى اتساع دائرة التقاضي بين النَّاس في ذلك

---

(١) انظر : أخبار القضاة لوكيع ، ٢/ ١٨٩ ، محمَّد بن خلف ، المكتبة التِّجاريَّة الكبرى ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .

(٢) انظر : السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب آداب القاضي ، باب إنصاف الخصمين ، في المدخل ، حديث (٢٠٩٦٧) ، ١٠/ ١٣٦ .

العهد [١] .

وفي عهد الخليفة علي ﷺ قد قام بمواصلة الاهتمام بالقضاء وتعاهده بالتوجيه والإرشاد ، ويدلُّ على ذلك وصيته لقاضيه الأشتر النخعي [٢] حين ولاه مصر [٣] .

ـ وممَّا يلاحظ إجمالاً أن القضاء كان في العصر الراشدي مستقلاً محترم الجانب ، وكان يراعى في اختيار القاضي غزارة العلم والتقوى ، والورع والعدل [٤] .

ـ مع كل هذا الاهتمام بالسلطة القضائية في العصر الراشدي وحرص الخلفاء الراشدين على القيام بالقضاء بأنفسهم ، وتعيين القضاة بعد اختبارهم وتميزهم بالصفات المناسبة للقضاء .. مع هذا كله فقد كانت الخصومات نادرة بين النَّاس مقارنة لما بعد العصر الراشدي ؛ لأن النَّاس كانوا على مستوى عالٍ من الوعي الإسلامي ، وكانوا يتعاملون بالمروءات فتقلُّ بينهم الخصومات ، ممَّا خفف الأعباء عن القضاة [٥] .

((فعندما ولي أبو بكر ﷺ قال له أبو عبيدة ﷺ : أنا أكفيك بيت المال ، وقال عمر : أنا

---

(١) انظر : القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٦١ .

(٢) هو مالك بن الحارث النخعي الكوفي ، المعروف بالأشتر ، أدرك الجاهليَّة ، وكان من أكبر أمراء علي ﷺ ، ولاه على مصر ، ومات وهو في طريقه إلى مصر سنة ٣٧هـ . انظر: تهذيب التَّهذيب ، ١٠/ ١١ .

(٣) انظر : القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٦١ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص٢٦٢ .

(٥) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٦٠ .

أكفيك القضاء ، فمكث سنة لا يأتيه رجلان)) [١] .

وقال أبو وائل شقيق ابن سلمة [٢] : ((اختلفتُ إلى سلمان بن ربيعة [٣] حيث قدم على قضاء الكوفة أربعين صباحًا لا أجد عنده فيها خصمًا)) [٤] .

ولقد شاع في العصر الراشدي الستر على أخطاء النَّاس ، ولم تكن الدَّولة تشجع النَّاس على الاعتراف بخطاياهم ، بل تريد لهم الستر والتوبة فيما بينهم وبين الله تعالى ، فلما خطب شرحبيل ابن السمط الكندي [٥] ـ وكان يتولى ثغرًا دون المدائن ـ فقال لجيشه : ((إنكم نزلتم أرضًا كثيرة النساء والشراب ـ يعني الخمر ـ فمن أصاب منكم حدًا فليأتنا ، فنطهره)) ، فأتاه ناس ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : ((أنت ـ لا أُمَّ لك ـ الذي يأمر الناس أن يهتكوا ستر الله الذي سترهم به)) [٦] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٤٢٦ .

(٢) هو شقيق بن سلمة : أبو وائل الأسدي ، شيخ الكوفة ، مخضرم ، أدرك النَّبيَّ ﷺ وهو غلام ولم يره ، روى عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصَّحابة . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٤/ ١٦١ .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي ، مختلف في صحبته ، وهو أوَّل من استقضى على الكوفة في عهد عمر بن الخطاب ، وولي غزو أرمينية في زمن عثمان ، واستشهد قبل الثلاثين أو بعدها . انظر : الإصابة ، ٣/ ١١٧ .

(٤) الإصابة ، ٣/ ١١٧ .

(٥) هو شرحبيل بن جبلة الكندي ، أبو يزيد ، له صحبة ، وقد شهد القادسية وكان من فرسانها ، مات سنة أربعين للهجرة . انظر : الإصابة ، ٣/ ٢٦٦ .

(٦) مصنف عبد الرزاق ، ٥/ ١٩٧ .

((ولكن إذا رفع النَّاس الأمر إلى القضاء فإن الدَّولة كانت تقيم الحدود دون هوادة)) [١] .

ثالثا : السلطة التنفيذية :

وهي السلطة المختصة بتنفيذ أحكام الشَّريعة ، وتعمل على إقامة المرافق العامَّة وتنظيمها بما يكفل إشباع حاجات النَّاس في الدَّولة .

وتشمل جميع العاملين الَّذين يقومون بتنفيذ إرادة الدَّولة وقوانينها ما عدا أعضاء السلطة القضائية [٢] .

فرجال السلطة التنفيذية هم الخليفة ، والولاة ، وقواد الجيوش ، وجباة الضَّرائب ، ورجال الشرطة ، وسائر عمال الحكومة الَّذي يطلق عليهم أهل الحسبة [٣] .

فمنصب الخلافة أهم أساسيات السلطة التنفيذية ؛ لأن الخلافة رياسة عامة في أمور الدِّين والدنيا .

ولأن الغاية من مبايعة الخليفة أن يقوم بحراسة الدِّين وسياسة الدّنيا ، وتحصين الثغور ، وإقامة الجهاد ، وتطبيق الحدود ، وتنفيذ الأحكام ، وهذا يخوِّل للخليفة النَّظر في الشؤون الدينية والدنيوية معًا ، وكذلك النَّظر في جميع الشؤون الَّتي هي وسائلُ لإصلاح الرعية

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ، ص١٦٠ .

(٢) انظر : مقال بعنوان : السلطات العامَّة في الإسلام ، د.عثمان جمعة ضميرية ، مجلة البيان ، عدد ٢١١ .

(٣) انظر : السِّياسيّة الشَّرعيَّة في الشؤون الدستورية والخارجية ، ص٥٧ ، الشَّيخ عبد الوهاب خلاف ، دار القلم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

واستقامة أمورها ، وهذا الإصلاح هو الغاية [١] .

وقد ظهر جليًا للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في العهد الراشدي وجوب عقد الخلافة لمن يقوم بها في الأمة ، وأجمعوا على ذلك [٢] .

ويدل على ذلك تقديمهم أمر البيعة على دفن الرَّسول ﷺ ، لأن ما هو واجب من إقامة الحدود ، وسد الثغور ، لا يتم إِلاَّ به ، وما لا يتم الواجب إِلاَّ به فهو واجب ، وتنصيب الخليفة فيه جلب المنافع ودفع المضار ، وهذا واجب بالإجماع [٣] .

وقد كان المفهوم العام لمنصب الخلافة في العصر الراشدي أَنَّها ولاية دينية ، وأمانة ومسؤولية يجب القيام بها على أكمل وجه تقربًا إلى الله تعالى بإقامة شرعه ودحر أعدائه .

ولهذا كان الواحد منهم لا يتشوف للخلافة لما لها من تبعات في الدّنيا والآخرة ، بل كانوا يعدونها من البلاء والاختبار .

ويدلُّ على ذلك ما كان من سيرة الخلفاء الراشدين الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ وكيفية مبايعتهم وأقوالهم عند البيعة ، فقد قال الصدِّيق ﷺ في خطبته عندما بايعه النَّاس : ((والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط ، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله ﷻ في سرٍ ولا علانيةٍ ، ولكني أشفقت من الفتنة ، وما لي في الإمارة من راحة ، ولكني قلدت أمرًا عظيمًا ما لي

(١) انظر : السِّياسة الشَّرعيَّة في الشؤون الدستورية ، ص٦٥ .

(٢) ذكر هذا الإجماع الماوردي في كتابه : الأحكام السُّلطانيَّة ، ١/ ١٥ ، دار الحديث ، القاهرة .

(٣) انظر : السِّياسة الشَّرعيَّة في الشؤون الدستورية ، ١/ ٦٠ .

به من طاقة ، ولا بُدَّ إِلاَّ بتقوى الله ﷻ، ولوددت أن أقوى النَّاس عليها مكاني اليوم)) [(١)].

وقال عمر ﷺ في خطبته عند مبايعته : ((إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم ، وأبقاني فيكم بعد صاحبي)) [(٢)] .

ولعظم المسؤوليات المناطة بالخليفة ، فإِنَّه يحتاج للقيام بها أن يعيّن الولاة والقضاة وأهل الحسبة من الجباة ، والشرطة ، والمراقبين للأسواق ، ولحاجات النَّاس الصحية والتعليمة والمعيشية .

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: ((جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدِّين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، .... وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدّنيا ولا في الآخرة إِلاَّ بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم ، والتناصر لدفع مضارهم)) [(٣)] .

((اهتمام الخلفاء الراشدين بتعيين الولاة)) :

اهتم الخلفاء الراشدون بتعيين الولاة واعتبروا ذلك من أساسيات الحكم والإدارة السِّياسيّة العادلة لتحقيق الأمن والاستقرار بين النَّاس .

وكانت الدَّولة الإسلامية في خلافة الصدِّيق ﷺ مقسمة إلى سبع ولايات هي : الحجاز ،

---

(١) مستدرك الحاكم ، ٣/ ٧٠ . والبداية والنهاية ، ٥/ ٢٧٠ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٣/ ٢٠٨ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ٢٨/ ٦١ .

والبحرين ، وعمان ، ونجد ، واليمن ، وحضرموت ، والعراق ، والشام . أمَّا المدينة فهي عاصمة الدَّولة الَّتي يتولى إدارتها الخليفة مباشرة (١) .

وكان لحركة الفتح الإسلامي دورٌ في إضافة مساحات جديدة واسعة تحت حكم الدَّولة الإِسلاميَّة في العهد الراشدي كالهلال الخصيب (٢) ، وإيران ، ومصر ، ممَّا اقتضى ذلك إلى تنظيم المناطق المفتوحة وربطها بالدولة الإِسلاميَّة (٣) .

وقد اقتضت السِّياسة الشَّرعيَّة في العصر الراشدي المستمدة من السيرة النَّبويَّة استعمال الأصلح في الولايات ، وإن كان في الرعية من هو أفضل منه في العلم والإيمان ، ويدلُّ على ذلك ما قام به ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في تعيينه لأسامة بن زيد قائدًا لجيش كبير فيه أبو بكر وعمر وصحابة كبار آخرون ، وعيَّن خالد بن الوليد لجيش فيه قدامى الصَّحابة عند فتح مكة ، كل ذلك يدلُّ على تقديم الأصلح للعمل والأقدر عليه وإن كان في الرعية من هو أفضل منه ورعًا وعلمًا وإيمانًا (٤) .

ويلاحظ أن معظم الولاة في عصر الخلافة الراشدة كانوا من الصَّحابة وذلك لتحليهم بصفات ومؤهلات من ناحية ، ولثقة الخليفة بهم ، واحترام النَّاس لهم ممَّا يجعلهم يطيعونهم

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١١ .

(٢) الهلال الخصيب يُطلق على بلاد الشام والعراق . انظر : قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية ، ص٣٧٥ ، جودة حسنين جودة ، دار المعرفة الجامعية .

(٣) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص١١٥ .

ويؤازرونهم من ناحية أخرى [١] .

وكان الخلفاء لا يدعون أثرًا لعواطفهم في تعيين الولاة ، بل راعوا المصلحة العامَّة .

فقد كان عمر لا يولي أحدًا من أقاربه ، في حين كان عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يرون بأسًا بتولية الأقارب الأكفاء واختيارهم اختيارًا دقيقًا وخاصة في الظروف السِّياسيّة الَّتي كانت في عهدهما [٢] .

وكان عمر رضي الله عنه يختبر من يريد توليته ويدرس شخصيته عن كثب ، كما أَنَّه كان لا يولي أهل البادية على أهل الحاضرة لاختلاف الطبائع والعادات والأعراف .

وراعى في اختيار الولاة عدة مبادئ منها :

عدم حرص المرشح على الإمارة . وكان يقول : ((لا يحب الإمارة أحد فيعدل)) ، وأن يكون من أهل القوة والأمانة ، والهيبة ، والتواضع ، والرحمة بالناس ، والحلم ، والرفق بالرعية ، والزهد في الدّنيا طعامًا ولباسًا ودورًا [٣] .

وكان الخلفاء الراشدون ينصحون ولاتهم ، ويذكرونهم بالقيم الإِسلاميَّة الرفيعة ، وأن لا يتخذوا الولاية مغنمًا ، وأن يحافظوا على مصالح النَّاس الدِّينيَّة والدنيوية ، وأن يقيموا العدل ،

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٥ .

(٢) المرجع السَّابق ، ص١١٦، ١٢٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٢٩ .

ويعلموا النَّاس [١] .

قال الفاروق في خطبة جمعة : ((اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلموا النَّاس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا فيهم فيئهم ، وأن يعدلوا ، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ)) [٢] .

وكان الولاة خاضعين لمراقبة الخلفاء ومحاسبتهم، فعمر بن الخطاب كان يرسل محمَّد بن مسلمة الأنصاري [٣] مفتشًا عليهم ، وكذلك فعل عثمان ﷺ [٤] .

وكانت المراسلات متصلة بين الخلفاء والولاة في شؤون الإدارة والقضاء والخطط العسكرية ، وكان البريد الَّذي يحمل الرسائل من الخليفة عمر ﷺ إلى الولاة يفسح المجال أمام أهل الأمصار أن يرسلوا رسائلهم إلى الخليفة مباشرة دون إطلاع أحد سواه عليها ، ممَّا يتيح أمامهم رفع شكاويهم إلى الخليفة بكل حرية [٥] .

وكان عمر ﷺ يحاسب ولاته إذا ظلموا أحدًا من الرعية ، وكذلك عثمان وعلي ـ رضي الله

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٠٤ .

(٣) هو محمَّد بن مسلمة الأوسي الأنصاري ، روى عن النَّبيّ ﷺ وشهد بدرًا ، ولاه عمر على الصدقات ، وكان عند عمر معدًا لكشف الأمور المعضلة في البلاد ، مات قتلاً في داره ﷺ . انظر : الإصابة ، ٦/ ٢٨ .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٩ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص١٣٠ .

عنهما ـ كانا يقبلان شكاوى الرعية ، ويحاسبان الولاة في ذلك [١] .

وكان يقول علي ﷺ : ((اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك)) [٢] .

لقد ضرب الخلفاء الراشدون أروع الأمثلة في إقامة العدل ، والحفاظ على حقوق النَّاس ، ونشر العلم والدين ، والأمن والاستقرار في الولايات الإِسلاميَّة .

ولم يكن ليحصل ذلك إِلاَّ لأنهم كانوا نتاج التربية النَّبويَّة الَّتي تلقوها من النَّبيِّ ﷺ .

((اهتمام الخلفاء الراشدين بالحسبة)) :

تعريف الحسبة :

الحسبة لغة : من مادة ((حسب)) والَّتي من معانيها العدُّ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [٣] ، والحَسب هو تعديد الآباء افتخارًا بهم ، ومنه احتساب الأجر الَّذي هو انتظاره وطلبه كقوله تعالى : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [٤] ، ومنه الكفاية كقولك : حسبي الله، وفي الحسبة كفاية وصد للشر [٥] .

واصطلاحًا : الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنَّهي عن المنكر إذا ظهر فعله [٦] .

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٩ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ص١٤٢ .

(٣) سورة الرَّحمن ، الآية (٥) .

(٤) سورة الطَّلاق ، الآية (٣) .

(٥) النهاية في غريب الحديث ، ١/ ٣٨١ .

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته ، ٤/ ٢٨٦٠ ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الرابعة .

فالحسبة هي : ولاية دينية يقوم ولي الأمر بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر النَّاس تركه ، والنَّهي عن المنكر إذا أظهر النَّاس فعله ، صيانةً للمجتمع من الانحراف ، وحماية للدين من الضياع ، وتحقيقًا لمصالح النَّاس الدينية والدنيوية وفقًا لشرع الله تعالى (١) .

ـ ولقد كان مفهوم ولاية الحسبة في العصر النبوي والراشدي يشتمل على الأمر بكل معروف والنَّهي عن كل منكر ، سواء تعلق المعروف أو المنكر بالعبادات ، أو بالأخلاق ، أو بالسياسة ، أو بالاقتصاد ، أو بالأحوال الاجتماعيَّة ، أو الأمنية ؛ فمفهوم الحسبة كان يشمل ذلك كله .

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يقوم بالحسبة بنفسه تحقيقًا لقول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ﴾ (٢) ، وقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٣) ، ولقد ثبت من سيرته ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أَنَّه كان يتجول في أسواق المدينة لمراقبة السُّوق ، وأَنَّهُ مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بللاً ، فقال : « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ » قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ : « أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ؟! مَنْ

(١) الحسبة ، ص٢ ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي » [١] .

وقد استعمل النَّبيُّ ﷺ بعض أصحابه للحسبة على الأسواق ؛ فقد استعمل سعيد بن العاص بن أمية [٢] ﷺ على سوق مكة بعد الفتح [٣] ، واستعمل عمر بن الخطاب ﷺ على سوق المدينة [٤] .

وهذه الشواهد تدلُّ على أن نشأة ولاية الحسبة كان ابتداؤها في العصر النبوي الشريف .

الحسبة في العصر الراشدي :

لقد قام الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في العصر الراشدي بالقيام بولاية الحسبة على ضوء المفهوم العام الشامل الَّذي كان في العصر النبوي ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والَّذي يهدف إلى إيجاد مجتمع آمن مستقر تسوده المحبة والتعاون والتآلف ..

وقد كان الخلفاء الراشدون هم من يقوم بولاية الحسبة في عاصمة الخلافة ، ويقوم الولاة بواجب الحسبة في ولاياتهم المسؤولين عنها .

وعندما اتسعت الدَّولة الإِسلاميَّة بسبب الفتوحات استعان الخلفاء الراشدون وولاتهم ببعض الموظفين الَّذين تولوا أعمال الكتابة ، والجباية ، والإشراف على بيت المال، والأسواق ،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب قول النَّبيّ ﷺ ((من غش ..))، رقم الحديث (١٠٢) .

(٢) هو : سعيد بن العاص بن أمية القرشي ، كان من فصحاء العرب ، ولهذا ندبه عثمان بن عفان فيمن ندب لكتابة القرآن ، ولي المدينة في عهد معاوية ، مات سنة ثلاث وخمسين . الإصابة ، ٣/ ٩٠ .

(٣) انظر : الاستيعاب ، ٢/ ٦٢١ .

(٤) انظر : التراتيب الإدراية ، ١/ ٢٤١ ، للكتاني ، دار الأرقم ـ بيروت ، الطبعة الثانية .

ودواوين الدَّولة الثلاث ـ والَّتي هي ديوان الجباية والخراج ، وديوان الجند ، وديوان العطاء ـ ، واهتموا بوظيفة جمع الغنائم وتقسيمها بين الجند ، وكذلك اهتموا بالعسس والشرطة (١) .

مجالات الحسبة في العصر الراشدي :

لقد تعددت مجالات الحسبة في العصر الراشدي والَّتي هي تابعة للسلطة التنفيذية ؛ فمن أبرز مجالاتها ما يلي :

١ـ تأمين احتياجات الناس المالية والصحية :

لقد كان من أبرز اهتمامات الخلفاء الراشدين معرفة احتياجات النَّاس وتأمينها وكان من أبرزها :

أ/ الاحتياجات الماليَّة :

المال عصب الحياة ، وهو المحرك لمعظم الأعمال ، بل هو المحرك لتصرفات النفس البشرية في غالب شؤونها ، وكما قيل : المال شقيق الروح (٢) .

ومن ثم كان اهتمام الخلفاء الراشدين بحقوق الفرد الماليَّة ، وحرصهم أن يتمتع الفرد المسلم في ظل الدَّولة الإِسلاميَّة بكافة حقوقه الماليَّة ، عن طريق تيسير العمل التِّجاري في البيع والشراء ، وحث النَّاس على التكسب، والتحذير من مسألة النَّاس ، تأسيًا بقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٤٦ .

(٢) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٣٦٥ .

عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » [١] ، وقال عمر بن الخطاب ﷺ : يا معشر الفقراء ، ارفعوا رؤوسكم واتجروا ، فقد وضح الطَّريق ، ولا تكونوا عيالاً على النَّاس [٢] .

وكان الفاروق يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السَّماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة [٣] .

وكان إذا رأى غلامًا فأعجبه سأل : هل له حرفة ؟ ، فإن قيل : لا ، قال : سقط من عيني [٤] .

ـ ولقد اهتم الخلفاء الراشدون بالفقراء والمحتاجين ، وخصصوا لذلك أرضًا للمنفعة العامَّة يستفيد منها الجميع ، وهي ما تسمى بأرض الحمى ، فقد حمى أبو بكر الصديق أرضًا بالربذة [٥] لأهل الصدقة ، وحمى عمر الفاروق ﷺ أرضًا كذلك [٦] ، وجعل كلأ الأرض لفقراء المسلمين ترعى فيه ماشيتهم ، ومنع منها الأغنياء [٧] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من انتظر حتَّى تدفن ، رقم الحديث ٢٠٧٢

(٢) تنبيه الغافلين ، ص٤٥٢ ، للسمرقندي ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

(٣) موسوعة العلامة الألباني في العقيدة ، ٩/ ٥٩٥ .

(٤) التراتيب الإدارية ، ٢/ ٢٠ ، للكتاني .

(٥) الرَّبذة : هي قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيَّام ، وهي التي مات فيها أبو ذر ﷺ . انظر : معجم البلدان ، ٣/ ٢٤ ، للحموي .

(٦) انظر : الأحكام السُّلطانيَّة ، ص٢٧٦ ، للماوردي .

(٧) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٣٦٩ .

وكذلك أعطى الخلفاء الراشدون النَّاس بعضًا من الأراضي لزراعتها واستصلاحها .

قال البخاري : ورأى ذلك علي ﷺ في أرض الخراب بالكوفة موات ، وقال عمر : من أحيا أرضًا ميتة فهي له [١] ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : ((في غير حق مسلم ...)) [٢] .

واهتم الخلفاء الراشدون بجعل رواتب للقضاة ، والولاة ، والمؤذنين ، والجند ، وكل عامل في الدَّولة حتَّى الخليفة كان له راتب من بيت المال لكفاية حاجته ، وليتفرغ لأمور المسلمين [٣] .

ولم يقتصر اهتمام الخلفاء الراشدين على ذلك بل كانوا يفرضون العطاء للناس جميعًا من بيت المال ، وكان عطاء كل خليفة يختلف بحسب ظروف الدَّولة وإيراداتها ، فالعطاء في عهد الفاروق وعثمان كان كثيرًا لكثرة الأموال في بيت المال بسبب الفتوحات الإِسلاميَّة ، وتنوع إيرادات الدَّولة [٤] .

وقد كان أبو بكر الصديق يعطي النَّاس على حدٍ سواء ، وكان الفاروق عمر ﷺ يعطي على حسب السَّابقة في الإسلام ، والفضل في الجهاد ، ونصرة رَسُول الله ﷺ ، وقد كان توزيع الأعطيات في عهد الفاروق عمر ﷺ توزيعًا سنويًا منتظمًا [٥] .

وقد شمل هذا العطاء الطفل الرضيع ، والشاب ، والرجل الشَّيخ ، والمرأة المتزوجة ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضًا مواتًا ، ٣/ ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ٣/ ١٠٦ .

(٣) انظر : التراتيب الإدارية ، ١/ ٢٦٦ ، للكتاني .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٣٠ .

(٥) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٢٩ .

والمطلقة ، والأرملة ، وكذلك اللقطاء [١] .

ولم يكن هذا العطاء خاصًا بسكان البلدان ، بل إن القبائل في البادية شملتها الأعطيات ، فقد كان عمر ﷺ يدور في القبائل القريبة من المدينة ويوزع عليهم أعطياتهم بنفسه [٢] ، وكان يكتب إلى بعض ولاته : أن أعط النَّاس أعطياتهم وأرزاقهم ، فقد كتب لأحد ولاته : إنَّه فيؤهم الَّذي أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقسمه بينهم [٣] .

ولم يقتصر اهتمام الخلفاء الراشدين على العطاء المالي لأفراد الأمة ، بل أمنوا لهم الطَّعام والسكن ليحيا الفرد المسلم حياةً كريمةً وشريفة .

فعندما زار الفاروق عمر ﷺ الشَّام قام إليه بلال بن رباح وحوله أمراء الأجناد جلوس ، فقال : يا عمر ، فقال : ها أنا عمر ، فقال بلال : إنك بين الله وبين هؤلاء ، وليس بينك وبين الله أحد ، فانظر عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك ، ومن خلفك ، إن هؤلاء الَّذين حولك إن يأكلون إِلاَّ لحوم الطير ، فقال :صدقت ، والله لا أقوم من مجلسي هذا حتَّى تكفلون لكل رجل من المسلمين طعامه ، وحظه من الزيت والخل ، فقالوا : هذا إليك يا أمير المؤمنين ، فقد أوسع

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٢) التراتيب الإدارية ، ١/ ٢٠٠ ، للكتاني . وفصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣١٣ . وأوليات الفاروق السِّياسيّة ، ص٣٥٥ ، غالب القرشي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص١١٥ .

الله علينا في الرزق وأكثر من الخير [١] .

ـ وقد اهتمَّ الفاروق عمر ﷺ بتأمين السكن لأفراد الأمة ، وأوكل ذلك لأمراء البلدان ، فعندما أنشأ الأمصار ، وأمر بتخطيطها ، أمر بتوزيع الأراضي على النَّاس لسكناها في الكوفة والبصرة والفسطاط ، ولَمَّا كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة ؛ كحمص ودمشق والاسكندرية وغيرها لم يُغفل الفاروق عمر ﷺ مصالح المسلمين العامَّة للحاضرين منهم ، ولمن سوف يأتي بعدهم ، ولذلك فقد أوقف الأراضي المفتوحة كالسوادين ـ العراق والشام ـ وأرض مصر أوقفها على مصالح المسلمين العامَّة ، وشرع في وضع نظام الخراج على تلك الأراضي ، ليكون الخراج مصدرًا دائمًا لتمويل بيت المال الَّذي منه تجهيز الجيوش ، ويفرض لهم منه العطاء [٢] .

ـ كل هذه الاهتمامات بالفرد المسلم في العصر الراشدي جعلته مطمئن البال ، محفوظ الكرامة ، قوي الإرادة ، همامًا للعمل والإنتاج .

ب ـ الاحتياجات الطبية :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بالصحة العامَّة لأفراد الأمة ، لأن صحة أفراد الأمة قوة لها في الجهاد والبذل والعطاء .

---

(١) المعجم الكبير ، ١/ ٣٣٧ ، للطبراني ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٨٣م . وقال عنه الهيثمي : رجاله رجال الصَّحيح خلا عبد الله بن أحمد وهو ثقة مأمون . مجمع الزوائد ، ٥/ ٢١٣ .

(٢) انظر : أوليات الفاروق السِّياسيّة ، ص٣٧١ .

ومن مظاهر الاهتمام بصحة المرضى ورعايتهم في العصر الراشدي :

أولاً ـ الإرشاد الصحي :

فقد كان الفاروق ﷺ يحث الشباب على الرياضة والفروسية وركوب الخيل ، وكان يقول : علموا أولادكم العوم ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا ، ورووهم ما جمل من الشعر (١) .

وكان ﷺ يحذر الأمة من مغبة السمنة ومخاطرها ، فكان يقول : أيها النَّاس إياكم والبطنة عن الطَّعام ، فإنَّها مكسلة عن الصَّلاة ، مفسدة للجسم ، مورثة للسقم (٢) .

ثانيًا ـ استدعاء الأطباء لمرضى المسلمين :

فقد مرض معيقيبًا (٣) ـ عامل بيت المال في عهد عمر ﷺ ـ وكان الفاروق عمر ﷺ يطلب له الأطباء حتَّى قدم عليه رجلان من أهل اليمن ، فقال : هل عندكم من طب لهذا الرَّجل فإن هذا الوجع قد أسرع فيه ؟ قالا : أمَّا شيء يذهبه فلا ، ولكنا نداويه دواء يوقفه فلا يزيد ، قال عمر : عافية عظيمة .

---

(١) انظر : الكامل في اللُّغة والأدب ، ١/ ٢١١ ، محمَّد المبرد ، دار الفكر العربي ـ القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٢) انظر : حياة الصَّحابة ، ٣/ ٥٣٠ ، محمَّد الكاندهلوي ، مؤسسة الرِّسالة ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٣) معيقيب الدوسي ، أسلم قديمًا ، وكان من مهاجرة الحبشة ، مات في خلافة عثمان ﷺ . انظر : الإصابة ، ٦/ ١٥٣ .

ثمَّ طلبا نبت الحنظل ودلكا بها بطون قدمي معيقيب فما زال معيقيب منها متماسكًا حتَّى مات [١] .

ثالثًا ـ الحجر الصحي للأمراض المعدية :

ويدل على ذلك رجوع الفاروق عمر ﷺ عن أرض الشَّام عندما انتشر فيها طاعون عمواس ، خوفًا على هلاك الصَّحابة وذلك بعد استشارتهم[٢] .

وكذلك كان الفاروق ينهى من به مرض معد أن يختلط بالناس ، فقد رأى امرأة مجذومة [٣] وهي تطوف بالبيت فقال لها : يا أمة الله لا تؤذي النَّاس ، لو جلست في بيتك ، فجلست ، فمرَّ بها رجل بعد ذلك ، فقال لها : إن الَّذي كان قد نهاك قد مات فاخرجي ، فقالت: ما كنت لأطيعه حيًا ، وأعصيه ميتًا [٤] .

رابعًا ـ تغريم المهمل من الأطباء :

خطب أمير المؤمنين علي ﷺ فقال : يا معشر الأطباء البياطرة والمتطببين ، من عالج منكم إنسانًا أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة ، فإِنَّه إن عالج شيئًا ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو

---

(١) انظر : التمهيد ، ١/ ٥٤ ، لابن عبد البر ، الناشر : وزارة عموم الأوقاف الإِسلاميَّة ـ المغرب ، سنة ١٣٨٧هـ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون ، رقم الحديث (٦٩٧٣) .

(٣) الجذام : مرض يقطع اللحم ويسقطه ، وهو مرض معدٍ . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ١/ ٢٥١ . وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، ٢/ ٦٠٢ .

(٤) الموطأ ، ٣/ ٦٢٥ .

ضامن [١] .

وهذا يدل على اهتمام الخلفاء الراشدين بصحة أفراد الأمة وبأرواحها ، وأَنَّهُ لا مجال للعبث والتلاعب بأرواح وأعضاء أفراد الأمة ، وأن الدقة في العمل على اختلاف مجالاته شعار هذه الأمة [٢].

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » [٣] .

٢ـ مراقبة السوق :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بالأسواق وبتقويمها وحمايتها لأَنَّهَا مكان رزقهم ، وتعارفهم ، ومجلب أقواتهم ، ومحل تداولاتهم الماليَّة .

وقد ظهر اهتمامهم بالأسواق من خلال الجوانب التالية :

أ/ إيجاد جو مشبع بالحرية التِّجاريَّة :

فلقد كان المفهوم الثقافي للحرية التِّجاريَّة في البيع والتكسب في العصر الراشدي أن التِّجارة عامة لجميع أفراد الأمة ، فكان من حق كل إنسان البيع والشراء ، ومزاولة أي عمل ومهنة حرة مباحة ما دامت في حدود الشَّرع .

---

(١) مصنف عبد الرزاق ، ٩/ ٤٧٠ .

(٢) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٣٠٧ .

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩ ، دار المأمون ـ جدة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، حديث (٤٣٨٦) . وحسنه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير وزياداته ، ١/ ٣٨٣ .

وأن السُّوق ملك للجميع ، فلا يحق لأحد أن يحتكر مكانًا في السُّوق ويستأثر به دون الآخرين ، فالمكان لمن سبق حتَّى يقوم منه إلى بيته .

فقد كان عمر ﷺ يقول : الأسواق على سنة المساجد ، من سبق إلى مقعد فهو له حتَّى يقوم منه إلى بيته ، أو يفرغ من بيعه (١) .

ورأى علي بن أبي طالب ﷺ أهل السُّوق وقد حازوا أمكنتهم فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أهل السُّوق حازوا أمكنتهم ، فقال : ليس ذلك لهم ، سوق المسلمين كمصلى المسلمين من سبق إلى شيء فهو له يومه حتَّى يدعه (٢) .

ب / تعيين بعض المشرفين على الأسواق :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بتنظيم الأسواق ، والإشراف عليها ، وضبطها ، وعدم تركها للفوضى والانتهاكات التِّجاريَّة والأخلاقية ، ولذلك فقد عيَّن الفاروق : سليمان بن أبي حثمة

مراقبًا ومشرفًا على السُّوق (٣) ، وعيَّن : السائب بن يزيد (٤) وعبد الله بن عتبة بن مسعود (٥) عاملين ومراقبين على سوق المدينة .

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٥ .

(٢) انظر : الأموال ، ١/ ١١٠ ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، دار الفكر - بيروت .

(٣) انظر : الإصابة ، ٣/ ٢٠٠ .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٣/ ٢٣ .

(٥) انظر : المرجع السَّابق ، ٤/ ١٤٣ .

وكان لهؤلاء المراقبين دور كبير في استقرار الأسواق وشعور الناس بالأمان والاستقرار النفسي والتجاري مع أن المجتمع الراشدي كان يتمتع بالرقابة الذاتية المتعلقة بالخوف من الله تعالى ، وهذه الرقابة كانت سمة بارزة في العصر الراشدي .

ج / احتساب الخليفة وطوافه في الأسواق .

لقد كان الخلفاء الراشدون يطوفون بأنفسهم في الأسواق ، ويقومون بدور الوعظ ، وبيان أحكام المعاملات ، وحل الخصومات ، وفض المنازعات .

فكان علي ﷺ يخرج للسوق ، ويأمر بتقوى الله ، وحسن البيع (١) .

وكان الفاروق عمر ﷺ شديد العناية بالاحتساب في الأسواق ، فقد كان يطوف في الأسواق حاملاً درته معه ، يؤدب من يستحق ذلك (٢) .

وكان عثمان ﷺ عندما كان يخرج لخطبة صلاة الجمعة يسأل عن أخبار النَّاس وأموالهم وأسواقهم .

فعن موسى بن طلحة قال : ((رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة ، عليه ثوبان أصفران ، فيجلس على المنبر ، فيؤذن المؤذن وهو يتحدث، يسأل عن أسعارهم ، ومرضاهم ، ثمَّ إذا

---

(١) انظر : فضائل الصَّحابة ، ٢/ ٦٢١ ، للإمام أحمد ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ، ٣/ ٢٥١ ، لابن سعد .

سكت المؤذن قام يتوكأ على عصا عقفاء ، فيخطب وهي في يده ..)) [١] .

وخرج علي ﷺ وإذا برجلين يقتتلان ، فلكز صدر هذا وصدر هذا ، ثمَّ قال لهما : تنحيا ، فقال أحدهما : يا أمير المؤمنين ، إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه أن لا يعطيني مغموزًا ولا محذقًا ـ يعني الدراهم المعيبة ـ فأعطاني درهمًا مغموزًا فرددته عليه فلطمني ، فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : فأعطه شرطه ، ثمَّ قال للاطم : اجلس ، وقال للملطوم : اقتص ، قال : أو عفو يا أمير المؤمنين ، قال : ذلك إليك ، قال : فلما جاز الرَّجل ، قال علي ﷺ : يا معشر المسلمين خذوه ، قال : فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتَّاب ، ثمَّ ضرب خمس عشرة درة ، ثمَّ قال : هذا نكال لما انتكهت من حرمته ـ وفي رواية أَنَّه قال : هذا حق السلطان)) [٢] .

د / نشر ثقافة التفقه في المعاملات قبل البيع والشراء :

فقد كان الفاروق عمر ﷺ يقول : لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الرِّبا [٣] .

وكان يطوف بالأسواق ويضرب بعض التّجَّار بالدرة ، ويقول : لا يبع في سوقنا إِلاَّ من تفقه ، وإلاَّ أكل الرِّبا شاء أو أبى [٤] .

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى ، ٣/ ٤٣ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٥/ ١٥٦ .

(٣) انظر : التراتيب الإدارية ، ٢/ ١٧ .

(٤) انظر : نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ، ١/ ٦١ ، عبد الرَّحمن الشَّافعيّ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر .

هـ / حماية السُّوق من المحرمات :

إن من أبرز المعاملات المحرمة الَّتي يتعامل بها في الأسواق هي : الرِّبا ، والاحتكار ، والغش ، والتدليس ، والنجش .

وقد حرص الخلفاء الراشدون على منع هذه التعاملات في أسواق المسلمين ، وكانوا يأمرون النَّاس بالتفقه في أمور البيع والشراء لعدم الوقوع في هذه المعاملات جهلاً أو خطأً ، إضافة إلى أَنَّهم كانوا يحذرون من هذه التعاملات المحرمة بأنفسهم من خلال طوافهم في الأسواق .

فعَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ أَنَّه قال : أَقْبَلْتُ أَقُولُ مَنْ يَصْطَرِفُ الدَّرَاهِمَ ، فَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله ـ وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ : أَرِنَا ذَهَبَكَ ثُمَّ ائْتِنَا إِذَا جَاءَ خَادِمُنَا نُعْطِكَ وَرِقَكَ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : كَلاَّ وَالله ؛ لَتُعْطِيَنَّهُ وَرِقَهُ أَوْ لَتَرُدَّنَّ إِلَيْهِ ذَهَبَهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ : ((**الْوَرِقُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلاَّ هَاءَ وَهَاءَ ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إِلا هَاءَ وَهَاءَ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبًا إِلا هَاءَ وَهَاءَ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبًا إِلا هَاءَ وَهَاءَ**)) (١) .

ورأى عمر الفاروق ﷺ رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه (٢).

وكان الخلفاء الراشدون يمنعون الاحتكار ، لأن فيه تحكمًا في الأسعار ، ومضرة بالفقراء والأرامل والأيتام ، وزعزعة لاستقرار السُّوق ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ((**من احتكر**

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب الصرف وبيع الذَّهب ، رقم (١٥٨٦) .

(٢) الحسبة في الإسلام ، ص٣٦٩ ، لابن تَيْمِيَّة ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ ، تحقيق علي الشحود .

فهو خاطئ)) [١] .

و / وقاية السُّوق من الإنهيار :

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السُّوق فلم ير فيه في الغالب إِلاَّ النبط [٢] فاغتم لذلك ، فلما اجتمع النَّاس أخبرهم بذلك وعَذَلهم في ترك السُّوق ، فقالوا : إن الله أغنانا عن السُّوق بما فتح به علينا ، فقال رضي الله عنه : والله لئن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم [٣] .

ولذلك فقد كان الخلفاء الراشدون يحثون التّجَّار على المسير في الآفاق ، وجلب الرزق ، وإغناء أسواق المسلمين [٤] .

وكان علي رضي الله عنه يدخل السُّوق ويقول : يا أيها التّجَّار : خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره [٥] .

وكان الفاروق يتدخل في فرض السعر المناسب للسلع ، عندما تدعو الحاجة إلى هذا ، حماية للمستهلك وللتجار أيضًا من الخسارة .

فقد جاء رجل بزيت فوضعه في السُّوق يبيع بغير سعر النَّاس ، فقال له عمر : إمَّا أن تبيع

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الاحتكار في الأقوات ، حديث (١٦٠٥) .

(٢) النبط هم : قوم ينزلون بين العراقين . انظر : مختار الصحاح ، ١/ ٣٠٣ .

(٣) انظر : التراتيب الإدارية ، ٢/ ١٨ .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٢/ ١٨ .

(٥) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ٥/ ٧٠ ، جمال الدِّين الجوزي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

بسعر السُّوق وإما أن ترحل عن سوقنا ، فإنا لا نجبرك على سعر ، فنحاه عنهم [١] .

كما حاسب الفاروق عمر ﷺ عماله من ولاة وقضاة إذا زادت ثروتهم زيادة كبيرة خوفًا من استغلالهم لنفوذهم في تنمية الثروة ، أو بسبب محاباة الناس لهم في المعاملات المالية من مضاربة ومؤاجرة وبيوع لموقعهم في السلطة ، وقد كان يكفيهم بما يعطيهم من الرواتب ، ولهذا أخذ عمر بن الخطاب ﷺ نصف أموال عدد من الولاة من أصحاب الفضل والدين والأمانة لأجل هذه المحاباة دون اتهامهم بالخيانة [٢] .

فقد سأل عمر ﷺ أبا هريرة واليه على البحرين : من أين اجتمعت له عشرة آلاف درهم ؟ فأجاب أبو هريرة ﷺ : ((يا أمير المؤمنين : خيلي تناسلت ، وسهامي تلاحقت ، وعطائي تلاحق)) ، فأمر بها أمير المؤمنين فقبضت [٣] ، ثم دعاه عمر ﷺ بعد ذلك ليستعمله مرة أخرى [٤] .

كل هذه الاجراءات من الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ إنما هي للمحافظة على استقرار السوق وعدم انهياره .

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبه ، ٢/ ٧٤٩ ، تحقيق : فهيم شلتوت ، طبع في ١٣٩٩هـ .

(٢) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٢٤، ١٢٥ . وانظر : دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ﷺ وسياسته الإدارية ، ٢/ ٦٥٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ، ٤/ ٢٥٠ ، لابن سعد .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ٤/ ٢٥٠ .

٣ـ تقويم بعض تصرفات أفراد المجتمع الراشدي :

لقد كان الخلفاء الراشدون يتحلون بالأخلاق الفاضلة والتربية الناضجة والرقابة الذاتية المتعلقة بالخوف من الله تعالى ، إضافة إلى ما كان يقوم به الخلفاء من واجب الحسبة امتثالاً لأمر الله تعالى أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ، وذلك للحفاظ على تماسك أفراد المجتمع الراشدي بالهيئة المناسبة ، والخلق الحميد ، والبعد عن كل شبهة وعمل رذيل .

وكل هذا كان يستلزم تقويم بعض التَّصرّفات والأفعال وإنكارها والَّتي قد تحدث من بعض أفراد المجتمع الراشدي إمَّا خطأً أو جهلاً أو غير ذلك ، فالمجتمع الراشدي غير معصوم ، ولكنه كان يتميز بالتعاون في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، والحسبة على كل عمل مشين .

وإليك بعض هذه التَّصرّفات الَّتي حاول المجتمع الراشدي تقويمها :

أ/ الحفاظ على كرامة الإنسان :

استعمل عمر ﷺ رجلاً من الأنصار فنزل بعظيم أهل الحيرة عبد المسيح بن بقيلة [(١)] ، فأمال عليه بالطعام والشَّراب ما دعا به ، فأكثر الهزل ، فدعا الرَّجل فمسح بلحيته .

فركب إلى عمر ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين : قد خدمت كسرى وقيصر ، فما أُتي إليَّ ما أُتي في ملكك ، قال : وما ذاك ؟ قال : نزل بي عاملك فلان فأملنا عليه الطَّعام والشَّراب ، ما دعا به

(١) هو عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة ، اسمه : الحارث ، شاعر جاهلي نصراني ، صالح خالد بن الوليد على الحيرة . انظر : تاريخ دمشق ، ٣٧/ ٣٦٠ ، لابن عساكر .

فأكثر الهزل ، فدعاني فمسح بلحيتي ، فأرسل إليه عمر ﷺ فقال : هيه ؟ أمال عليك بالطعام والشَّراب ما دعوت به ، ثمَّ مسحت بلحيته ؟ والله لولا أن تكون سنة ما تركت في لحيتك طاقة إلاَّ نتفتها ، ولكن اذهب فو الله لا تلي لي عملاً أبدًا (١) .

((وعن جرير بن عبد الله البجلي أن رجلاً كان مع أبي موسى الأشعري ، وكان ذا صوت ونكاية في العدو ، فغنموا فأعطاه أبو موسى بعض سهمه ، فأبى أن يقبله إلاَّ جميعًا ، فجلده أبو موسى عشرين سوطًا وحلقه ، فجمع الرَّجل شعره ثمَّ ترحل إلى عمر بن الخطاب حتَّى قدم عليه ، فدخل على عمر بن الخطاب ، قال جرير : وأنا أقرب النَّاس من عمر ، فأدخل يده فاستخرج شعره ثمَّ ضرب به صدر عمر ثمَّ قال : أمَّا والله لولا النَّار ، فقال عمر : صدق والله لولا النَّار ، فقال : يا أمير المؤمنين إني كنت ذا صوت ونكاية ، فأخبره بأمره وقال : ضربني أبو موسى عشرين سوطًا وحلق رأسي ، وهو يرى أنَّه لا يقتص منه ، فقال عمر ﷺ : لأن يكون النَّاس كلهم على صرامة هذا أحب إليَّ من جميع ما أفاء الله علينا .

فكتب عمر إلى أبي موسى : السَّلام عليك ، أمَّا بعد : فإن فلانًا أخبرني بكذا وكذا ، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من النَّاس ، فعزمت عليك لما قعدت له في ملأٍ من النَّاس حتَّى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من النَّاس ، فاقعد له في خلاء من النَّاس حتَّى يقتص منك .

فقدم الرَّجل ، فقال له النَّاس : اعف عنه ، فقال : لا والله لا أدعه لأحد من النَّاس ، فلما

---

(١) انظر : تاريخ المدينة ، ٣/ ٨١٣ ، لابن شبه .

قعد له أبو موسى ليقتص منه ، رفع الرَّجل رأسه إلى السَّماء ثمَّ قال : اللهم إني قد عفوت عنه)) [١] .

ب / الحسبة فيما يتعلق باللباس والهيئة :

أقبل رجل مرخيًا يديه طارحًا رجليه يتبختر ، فقال له عمر ﷺ : دع هذه المشية ، فقال : ما أطيق ، فجلده ، ثمَّ تبختر ، فجلده ، فترك التبختر ، فقال عمر : إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد ؟ فجاءه الرَّجل بعد ذلك فقال : جزاك الله خيرًا ، إن كان إلاَّ شيطانًا أذهبه الله بك [٢] .

ونظر عمر ﷺ إلى رجل مظهرًا للنسك متماوتًا ، فخفقه بالدرة وقال : لا تُمت علينا ديننا ، أماتك الله [٣] .

وعن الشفاء بنت عبد الله وقد رأت فتيانًا يقصدون في المشي ويتكلمون رويدًا ، فقالت : ما هؤلاء ؟ قالوا : نُسّاك ، فقالت : كان والله عمر بن الخطاب إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو والله الناسك حقًا [٤] .

وقال أبو مطر [٥] : خرجت من المسجد فإذا رجل [٦] ينادي خلفي : ارفع إزارك فإنَّه أبقى

---

(١) محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ٢/ ٤٦٧ .

(٢) انظر : أخبار عمر ، ص٥٠ ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، ١٩٥٩م .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٧٠ .

(٤) انظر : تلبيس إبليس ، ص٢٥٩ ، لابن الجوزي ، دار الفكر للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

(٥) هو أبو مطر الجهني ، روى عن علي ﷺ . انظر : الجرح والتعديل ، ٩/ ٤٤٥ ، لابن أبي حاتم ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م .

(٦) هو علي بن أبي طالب ﷺ .

لثوبك وأتقى لربك ، وخذ من شعرك إن كنت مسلمًا [١] .

ج / منع الاختلاط :

لقد حظي أكثر أفراد المجتمع الراشدي بتربية نبوية تلقوها على يدي النَّبيّ ﷺ ، فقد رباهم على العفة والشرف والستر والحشمة ، والتقدير والاحترام ، والبعد عن كل ريبة وعمل يخدش العفة والحياء والحشمة والبعد عن مواطن الريبة والشك .

وكانت المرأة تربأ بنفسها القرب من مواطن الرِّجال ومزاحمتهم إِلاَّ أَنَّه قد يحدث عن طريق الخطأ وعدم القصد اقتراب الرِّجال من النِّساء ، وهنا يتصدر أفراد المجتمع الراشدي بالاحتساب والنَّهي عن ذلك بالمناصحة ومنع الإختلاط .

((روى أبو سلامة قال : انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالاً ونساء في الحرم على حوض يتوضؤون منه حتَّى فرَّق بينهم ثمَّ قال : يا فلان ، قلت : لبيك ، قال : لا لبيك ولا سعديك ، ألم آمرك أن تتخذ حياضًا للرجال ، وحياضًا للنساء ، قال : ثمَّ اندفع فلقيه علي ﷺ فقال : أخاف أن أكون هلكت ، قال : وما أهلكك ، قال : ضربت رجالاً ونساءً في حرم الله ﷻ ، قال : يا أمير المؤمنين أنت راع من الرعاة ، فإن كنت على نصح وإصلاح فلن يعاقبك الله ، وإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم)) [٢] .

وكان علي ﷺ يُنكر على النَّاس عدم منعهم لنسائهم من الخروج إلى الأسواق ومزاحمتهن

---

(١) البداية والنهاية ، ٨/ ٤ .

(٢) محض الصَّواب ، ٢/ ٦٢٢ .

للكفار ، قال لهم : ألا تستحيون أو تغارون؟ فإِنَّه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج (١) (٢) .

د/ منع التسول :

لقد كان المجتمع الراشدي ينعم بخلفاء راشدين كان همهم تحقيق العدل ورفع الظلم ، ونشر الإسلام ، والقيام بتأمين احتياجات النَّاس الماليَّة والغذائية وغيرها .

ولهذا فقد بذلوا لتحقيق ذلك كل ما بوسعهم ليحيا الفرد المسلم في العصر الراشدي حياةً سعيدة شريفة .

وإنَّ كُتُبَ التَّاريخ لتزخر بذكر صور البذل والعطاء في عصر الخلفاء الأربعة الراشدين الَّذي يشمل الصَّغير والكبير ، والذكر والأنثى .

ولهذا فإنه من المُستغرب بعد هذا البذل والعطاء أن يتسول أفرادٌ لغير حاجة ولا فاقة .

ولهذا كان يُمنع التسول في العصر الراشدي ، ومن أصابته حاجة فبيت المال مبذول لجميع النَّاس .

رأى عمر ﷺ سائلاً يسأل وعلى ظهره جراب مملوء طعامًا ، فأخذ الطَّعام ونثره لإبل

---

(١) العلوج : جمع علج وهو : الواحد القوي الضخم من كفار العجم . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ٣/ ٢٨٦ .

(٢) انظر : مسند أحمد ، رقم الحديث (١١١٨) ، ١/ ١٣٣ . وانظر : اتحاف المهرة ، ١١/ ٦٥٢ ، لابن حجر . وقال عنه ابن حجر : موقوف .

الصدقة ثمَّ قال له : الآن سل ما بدا لك [١] .

هـ / الرفق بالحيوان :

اهتم المجتمع الراشدي بالمحافظة على كرامة الإنسان سواء كان مسلمًا أو كافرًا ، وشملت هذه المحافظة كذلك الحيوان بعدم ظلمه وتجويعه والحرص على علاجه .

ولقد روت لنا كُتبَ التَّاريخ أمثلة على اهتمام الخلفاء الراشدين والمجتمع الراشدي بالرفق بالحيوان ورفع الظلم عنه .

ومن الأمثلة على ذلك :

ما روى المسيب بن دارم [٢] قال : ((رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يضرب جمَّالاً ويقول : حمَّلت جملك ما لا يطيق)) [٣] .

ورأى عمر بن الخطاب ﷺ جملاً تبدو عليه مظاهر الإعياء والمرض فتقدم من الجمل ووضع يده في دبر الجمل يفحصه وهو يقول : إني لخائف أن أُسأل عنك [٤] .

---

(١) مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ١/ ٤٣٨ ، ابن كثير ، دار الوفاء ـ المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

(٢) المسيب بن دارم ، بصري ، روى عن عمر وأبي هريرة ، مات سنة ست وثمانين . انظر : الجرح والتعديل ، ٨/ ٢٩٤ ، لابن أبي حاتم ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م . وذكره ابن حبّان في الثقات ، ٥/ ٤٣٧ .

(٣) محض الصَّواب ، ٢/ ٤٦٩ .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٢/ ٤٦٩ .

((وعن علي ﷺ قال : رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يعدو ، فقلت : يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟ قال : بعير ند من إبل الصدقة أطلبه ، فقلت : أذللت الخلفاء بعدك ، فقال : يا أبا الحسن ، لا تلمني ، فو الذي بعث محمدًا بالنبوة لو أنَّ عناقًا [١] أُخذت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة)) [٢] .

E. العسس والشرط :

تعريف العَسَسْ :

العسس والعُسَّاس : جمع عاس وهو : الطَّواف بالليل لحراسة النَّاس وكشف أهل الريبة [٣] .

تعريف الشُّرط :

جمع شرطة ، وهم أعوان الولاة ، سموا بذلك لأنهم الأشداء الأقوياء من الجند ، وقيل لأنهم نخبة الجند ، وقيل : لأن لهم علامات يعرفون بها [٤] .

وهم حفظة الأمن في البلاد ، وصاحب الشرطة : رئيسها [٥] .

---

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز ما لم يتم له سنة . انظر : مختار الصحاح ، ١/ ٢٢٠ .

(٢) محض الصَّواب ، ٢/ ٦٢١ .

(٣) لسان العرب ، ٦/ ١٣٩ .

(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ٤/ ٥١٩ ، محمَّد الزرقاني ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

(٥) المعجم الوسيط ، ١/ ٤٧٩ .

بداية نشأة نظام العَسَسْ والشرط :

نظام العسس والشرط وظيفة واحدة وهي : حفظ الأمن وتتبع المجرمين .

ولقد كان نظام العسس والشرط معروفًا عن العرب في الجاهليَّة ، فقد أشار ابن قتيبة إلى وجود الشرطة في أيَّام الجاهليَّة عند حديثه عن عدل بني سعد العشيرة [١] ؛ قال : كان على شرطة تُبَّع ، فإذا غضب على رجل دفعه إليه [٢] .

وقد عُرف الحراس في اليمن ، منهم من كان يتولى أمر حراسة الملوك إذا ذهبوا إلى مكان أو خرجوا للصيد ، ومنهم من كان يتولى أمر حراسة قصورهم ، ومنهم من يتولى أمر حراسة أبواب المدن والأسوار حتَّى لا يدخل المدينة عدو ، ولا يهرب منها سارق أو مجرم ، وكان لملوك الحيرة والغساسنة وسادات القبائل حراس يسيرون معهم لمنع من يريد إلحاق الأذى بهم [٣] .

وكانت قريش تتخفر ببني آكل المرار من كنده [٤] لحراسة قافلتها الذاهبة لليمن [٥] .

---

(١) سعد العشيرة : من مذحج ، سمي بذلك لأنَّهُ لم يمت حتَّى ركب معه ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ، وكان إذا سئل عنهم يقول : هؤلاء عشيرتي . انظر : المختصر في أخبار البشر ، ١/ ١٠٣ ، عماد الدِّين إسماعيل ، المطبعة الحسينية المصريَّة ، الطبعة الأولى .

(٢) المعارف لابن قتيبة ، ١/ ٦١٩ ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٩٢م .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٩/ ٢٩١ ، د.جواد علي ، دار الساقي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

(٤) بني آكل المرار : بطن من قبيلة كنده . انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، ٤/ ١٣٥١ ، ابن حجر العسقلاني ، المكتبة العلميَّة ـ لبنان .

(٥) انظر : أسواق العرب في الجاهليَّة والإسلام ، ص٢٧٦ ، سعيد الأفغاني .

وفي العهد النبوي كان نظام الحراسة في اللَّيل موجودًا ولكن على نطاق ضيق وإذا دعت إليه الحاجة ، كما حصل في غزوة الخندق عندما بعث النَّبيُّ ﷺ سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفًا على الذراري من يهود بني قريظة ، وكان عباد بن بشر على حرس قبة رَسُول الله ﷺ مع عشرة من الأنصار يحرسونه كل ليلة [(١)] .

وروت عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ قالت : أَرِقَ رَسُول الله ﷺ ذات ليلة فقال : « **ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة** » قالت: وسمعنا صوت السِّلاح ، فقال رَسُول الله ﷺ : « **من هذا ؟** » قال : سعد بن أبي وقاص يا رَسُول الله ، جئت أحرسك ، قالت عائشة : فنام رَسُول الله ﷺ حتَّى سمعت غطيطه [(٢)] .

وكان قيس بن سعد بن عبادة [(٣)] يقوم بتنفيذ بعض الحدود بين يدي النَّبيِّ ﷺ ، وقد وصفه أنس بن مالك ﷺ بصاحب الشرطة ؛ قال : ((إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النَّبيِّ ﷺ بمنزلة صاحب الشُّرط من الأمير)) [(٤)] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ((وعلى هذا فكأن قيسًا كان من وظيفته أن يفعل ذلك بحضرة النَّبيّ ﷺ بأمره سواء كان ذلك خاصًا أو عامًا ، وفي الحديث تشبيه ما مضى بما حدث بعده ، لأن

---

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ٣/ ٢٣٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصَّحابة ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ، رقم الحديث ٢٤١٠ .

(٣) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، كان حامل راية الأنصار مع رَسُول الله ﷺ ، وكان من ذوي الرأي من النَّاس ، مات في آخر خلافة معاوية . انظر : الإصابة ، ٥/ ٣٥٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب الحاكم يحكم بالقتل ... رقم الحديث ٧١٥٥ .

صاحب الشرطة لم يكن موجودًا في العهد النبوي ؛ فأراد أنس وهو راوي الحديث تقريب حال قيس عند السامعين ، فشبهه بما يعهدونه)) (١) .

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((فصلٌ في حرسه ﷺ : فمنهم سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام في العريش ، ومحمَّد بن مسلمة حرسه يوم أحد ، والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ، ومنهم : عبَّاد بن بشر وهو الَّذي كان على حرسه ، وحرسه جماعة آخرون غير هؤلاء ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) خرج على النَّاس فأخبرهم بها وصرف الحرس)) (٣) .

وفي العهد الراشدي كان أوَّلَ من عسَّ ليلاً : عبد الله بن مسعود ﷺ؛ أمره على ذلك أبو بكر الصديق ﷺ (٤) .

روى أبو داود في سننه عن زيد بن وهب قال : أتى ابن مسعود فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمرًا ، فقال عبد الله بن مسعود : إنا قد نهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به (٥) .

---

(١) فتح الباري ، ١٣/ ١٣٥ ، لابن حجر .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٦٧) .

(٣) زاد المعاد ، ١/ ١٢٣ .

(٤) انظر : التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النَّبويَّة ، ١/ ٢٤٥ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في النَّهي عن التجسس ، حديث رقم ٤٨٩٠.
وصححه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في رياض الصَّالحين ، ص٤٤٦ ، للإمام النَّووي ، مؤسسة الرِّسالة ـ لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

وكان ذلك أيضًا على نطاق ضيق .

ثمَّ جاء عهد الفاروق عمر ﷺ ((فاشتدَّ على أهل الريب والتهم ، وأحرق بيت رويشد ـ وكان حانوتًا ـ ، وغرَّب ربيعة بن أمية بن خلف إلى خيبر وكان صاحب شراب ، وكان عمر أوَّل من عسَّ في عمله بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، ولقد قيل بعد : لدرة عمر أهيب من سيفكم)) [١] .

وكان الفاروق عمر ﷺ يعسُّ بنفسه ، ويستصحب معه مولاه أسلم ، وربما استصحب عبد الرَّحمن بن عوف ، ولقد اهتم الفاروق بأمر العس ، والَّذي كان الخطوة الأولى في تنظيم مؤسسة الشرطة الحارسة الدائمة ليلاً ونهارًا في حفظ الأمن في المجتمع [٢] .

وأصبحت الشرطة بعد ذلك في العصر الراشدي وظيفة مهمة في الدَّولة الإِسلاميَّة بسبب كثرة النَّاس واتساع الفتوحات الإِسلاميَّة والحاجة الماسة لاستتباب الأمن ، وكانت ترتبط بالقضاة وتساعدهم في تنفيذ الأحكام الشَّرعيَّة وإقامة الحدود ، ومساعدة الوالي على استتباب الأمن في المدينة ، والقبض على الجناة وأصحاب الفساد والشر وتقديمهم إلى القضاء ، وكانت توكل إلى كبار القواد والموالي المخلصين لهم [٣] .

ومن أبرز من عُرف في العهد الراشدي من رجال الشرطة : زكريا بن جهم بن قيس [٤] ،

---

(١) الطبقات الكبرى ، ٣/ ٢١٣ ، لابن سعد . والإصابة ، ٢/ ٤١٥ .

(٢) انظر : فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص١٥٤ .

(٣) انظر : الحسبة لابن تَيْمِيَّة ، ص٩٩-١٠٠ قسم الدراسة .

(٤) هو زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢/ ١٤٥ .

وخارجة بن حذافة [١] صاحب شرطة مصر في عهد عثمان ﷺ .

ومعقل بن قيس الرياحي [٢] ، وأبو الهياج [٣] ؛ كلهم كانوا في عهد علي ﷺ [٤] .

ولقد توسع الاهتمام بالشرطة والحرس للخلفاء والولاة بعد الجريمة المخطط لها في قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ـ رضوان الله عليهم ـ والَّتي قتل فيها علي ابن أبي طالب ونجا معاوية وعمرو بن العاص ـ رضوان الله عليهم ـ [٥] .

السجن في العصر الراشدي :

لقد كان السجن من الوسائل المهمَّة المعينة للخليفة وصاحب الشرطة لإقامة العدل ، ومنع الظلم ، وحفظ الحقوق ، فإن بعض النَّاس لا يثنيه الوعظ عن الظلم ومقارفة المعاصي والتعدي على حقوق الآخرين [٦] .

---

(١) خارجة بن حذافة بن كعب بن لؤي ، صحابي ، أحد الفرسان ، من مسلمة الفتح ، وكان على شرطة عمرو بن العاص ، وهو الذي قتله الخارجي الذي كان يريد قتل عمرو بن العاص ، ولهذا قال : أردت عمرًا وأراد الله خارجة . انظر : الإصابة ، ٢/ ١٨٩ .

(٢) معقل بن قيس الرياحي ، كان صاحب شرطة علي ﷺ ، وكان من أمرائه يوم الجمل ، تبارز هو والمستورد الخارجي في خلافة معاوية فقتل كل منهما الآخر سنة اثنتين وأربعين. انظر : الإصابة ، ٦/ ٢٤١ .

(٣) هو عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث الهاشمي ، أبو الهياج ، كان شاعرًا ، قتل مع الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ . انظر : الإصابة ، ٤/ ١٠٢ .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٥٣ .

(٥) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٥/ ١٤٩ . والبداية والنهاية ، ٨/ ١٥٦ .

(٦) انظر : الإدارة في عصر الرَّسول ﷺ ، ص٢٣٤ ، أحمد عجاج كرمي ، دار السلام ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ←

فكان لا بُدَّ من منعه بالقوة ، وحبسه واستصلاحه .

وقد عرف النَّاس السجن في الأمم الماضية [١] كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قصة يُوسف ـ عليه السَّلام ـ : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [٢] .

وأيضًا في عقوبة الزِّنا للنساء في العهد المكي قبل نزول آية الجلد ؛ قال تعالى : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [٣] .

وهكذا كان السجن معروفًا في العهد النبوي ، وكانوا يسجنون في المسجد أو البيت أو غير ذلك [٤] .

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((الحبس الشَّرعيّ ليس هو السجن في مكان ضيق ، وإنما هو تعويق الشَّخص ومنعه من التّصرّف بنفسه ، سواء كان في بيت أو مسجد أو كان يتولى نفس الخصم أو وكيله عليه ملازمته له)) [٥] .

وقد سجن النَّبيُّ ﷺ ثمامة بن أثال [٦] ، وربطه في سارية المسجد [١] ، وحبس بني قريظة في دار

١٤٢٧هـ .

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٢٣٥ .

(٢) سورة يُوسف ، الآية (٣٣) .

(٣) سورة النِّساء ، الآية (١٥) .

(٤) انظر : الإدارة في عصر الرسول ﷺ ، ص٢٣٥ .

(٥) الطرق الحكمية في السِّياسة الشَّرعيَّة ، ١/ ٢٦٩ ، دار عالم الفوائد ـ مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ .

(٦) هو ثمامة بن أثال بن النعمان الحنفي ، وحديثه في البخاري ، وهو ممَّن ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة ،

بنت الحرث ـ امرأة من الأنصار ـ عندما نزلوا على حكمه ، ثمَّ في صباح الغد ضرب أعناقهم [(٢)] .

وقد كان السجن في العهد النبوي ، وفي عهد أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ﷺ في المسجد والبيوت والدهاليس ، ولم يكن في عهدهم مكان مخصص للسجن إلاَّ ما فعله الفاروق عمر ﷺ عندما اشتدت الرعية وكثر النَّاس ، اشترى دارًا من صفوان بن أمية وجعلها دارًا للسجن [(٣)] .

ولكن أوَّل من بنى مكانًا خاصًا للسجن في الإسلام علي ﷺ وسماه نافعًا ، ولم يكن حصينًا ، فانفلت النَّاس منه ، ثمَّ بنى آخر وسماه مخيَّسًا [(٤)] .

وكان علي ﷺ ينفق على المسجون من ماله إن كان له مال ، وإلاَّ أنفق عليه من بيت المال ، وكان يقول ﷺ : يحبس عنهم شره ، وينفق عليه من بيت مالهم [(٥)] .

قال الإمام أبو يُوسف : ((لم تزل الخلفاء تجري على أهل السجون ما يقوتهم في طعامهم وإدامهم وكسوتهم الشتاء والصيف ، وأوَّل من فعل ذلك علي بن أبي طالب ﷺ بالعراق ، ثمَّ

ولحق بالعلاء الحضرمي لقتال المرتدين . انظر : الإصابة ، ١/ ٥٢٥ .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصَّلاة ، باب الاغتسال إذا أسلم ، رقم ٤٦٢ .

(٢) انظر : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٧١ .

(٣) انظر : السنن الكبرى ، ٦/ ٣٤ ، للبيهقي . وتغليق التعليق ، ٣/ ٣٢٦ ، لابن حجر العسقلاني ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

(٤) انظر : التراتيب الإدارية ، ١/ ٢٤٧ .

(٥) انظر : الخراج لأبي يُوسف الأنصاري ، ص١٦٣ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، تحقيق : طه عبد الرؤوف .

فعله معاوية بالشام ، ثمَّ فعل ذلك الخلفاء من بعده)) [١] .

٥ـ إقامة الحدود والتعزيرات لضبط المجتمع وتطهيره :

تعريف الحد لغة : الحد : الحاجز بين الشيئين ، وحد الشيء منتهاه ، والحد : المنع [٢] .

وفي الاصطلاح : عقوبة مقدرة في الشَّرع لأجل الله تعالى [٣] .

وسميت العقوبات المقدرة حدودًا لعلة المنع .

فهي عقوبات مقدرة على مرتكبي محارم الله وحقوقه تمنعهم من العود لمثلها ، وهي موانع وزواجر عن محارم الله ، ويمتنع الزِّيادة عليها والنقصان منها [٤] .

وقد اهتم الخلفاء الراشدون بمعرفة مقاصد الشَّريعة وأحكامها في إقامة الحدود والتعزيرات لحفظ الأمن والاستقرار في الدَّولة المسلمة الراشدة .

وكان من مقاصد الشَّريعة المحافظة على الضَّروريّات الخمس الَّتي جاءت جميع الرسالات السماوية بالمحافظة عليها ؛ وهي : حفظ الدِّين ، والعقل ، والنفس ، والعرض ، والمال .

---

(١) المرجع السَّابق ، ص١٦٣ . وانظر بتوسع : السجون وأثرها في الآداب العربيَّة من العصر الجاهلي حتَّى نهاية العصر الأموي ، ص٢٨ ،٨٥ ، د.واضح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٢) الصحاح ، ٢/ ٤٦٢ ، للجوهري ، دار العلم ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٣) انظر : الحدود والتعزيرات عند ابن القيِّم ، ص٢٣ ، للدكتور بكر أبو زيد ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٤) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ، ص٢٢-٢٣ .

ولذلك فقد أقام الخلفاء الراشدون الحدود المتعلقة بهذه الضَّروريّات الخمس للحفاظ عليها .

فقد ثبت أَنَّهم ـ رضوان الله عليهم ـ أقاموا حد الزِّنا ، وحد القذف ، وحد القتل ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وقتل الساحر والمرتد .

وفيما لا نص فيه اجتهدوا رأيهم وأقاموا التعزير على من يستحقه.

وكان من شدة اهتمامهم بإقامة الحدود أَنَّهم كانوا يتعاونون فيما بينهم في إقامتها ، فقد ثبت أن عليًا ﷺ كان يستشيره أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ في بعض القضايا لعلمه ومعرفته بالقضاء [١] .

وثبت أن عليًا ﷺ كان يُعِين عثمان بن عفان ﷺ في إقامة الحدود ، فقد أمر عثمان ﷺ عبد الله ابن جعفر [٢] بجلد شارب الخمر ، وكان علي ﷺ يعُدُّ حتَّى بلغ الأربعين جلدة [٣] .

وكان الفاروق عمر ﷺ يوصي ولاته كأبي موسى الأشعري وغيره بإقامة الحدود لإخافة الفساق والسراق وقطاع الطرق [٤] .

---

(١) انظر : الطرق الحكمية في السِّياسة الشَّرعيَّة ، ١/ ٣٨ .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، كان يسمى بحر الجود ، ولد بأرض الحبشة ، وله صحبة ، مات سنة ثمانين وهو ابن ثمانين . تقريب التَّهذيب ، ص٢٩٨ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر ، حديث (١٧٠٧) .

(٤) انظر : عيون الأخبار ، ١/ ٦٤ .

وإليك بعض الضَّوابط الَّتي التزم بها الخلفاء الراشدون في تطبيقهم للحدود ، ممَّا يدلُّ على سعة فهمهم وإدراكهم بمقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة ، وحرصهم على تحقيق العدل والأمن في المجتمع الراشدي ، ومنها :

١ ـ إقامة الحدود للزجر والتطهير :

إن مفهوم إقامة الحدود في العصر الراشدي إنما هي للتأديب والتطهير والزجر عن فعل القبيح .

فمن أقيم عليه الحد عامله الخلفاء الراشدون بالرحمة والشفقة والستر .

ومن اقترف الحرام قبل عقابه بادره المجتمع الراشدي والخلفاء الراشدون بالنصيحة والمساعدة حتَّى يعود إلى جادة الصَّواب .

وهذا ما أوصى به النَّبيُّ ﷺ أصحابه كما في قصة الرَّجل الَّذي كان يكثر شرب الخمر ، وكان يجلده كلما جيء به ، فلعنه رجل فقال له النَّبيُّ ﷺ : « **لا تلعنوه ، فو الله ما علمت إلا إنه يحب الله ورسوله** »[١] ، وفي رواية قال رجل : ماله أخزاه الله ، فقال رَسُول الله ﷺ : « **لا تكونوا عون الشَّيطان على أخيكم** »[٢] .

وقال ابن مسعود ﷺ : إني لأذكر أوَّل رجل قطعه رَسُول الله ﷺ أُتي بسارق ، فأمر بقطعه ، فكأنما أَسِفَ وجْهُ رَسُول الله ﷺ فقالوا : يا رَسُول الله ، كأنك كرهت قطعه ، قال : « **وما**

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر ، حديث (٦٧٨٠)

(٢) المرجع السابق ، كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر ، حديث (٦٧٨١)

يمنعني ، لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم ، إنَّه لا ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حدٌ إلاَّ أن يقيمه ، إن الله عفوٌ يحب العفو ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ » [(١)] .

ولقد اهتدى الخلفاء الراشدون بهدي النَّبيِّ ﷺ في التربية والدعوة ، فقد تفقد عمر ﷺ رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشَّام فقيل له : إنَّه تتابع في الشرب ، فقال لكاتبه : اكتب : من عمر بن الخطاب إلى فلان : سلام عليك ، وأنا أحمد الله إليك الَّذي لا إله إلاَّ هو ، بسم الله الرَّحمن الرحيم ﴿ حـم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [(٢)] ثمَّ ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتَّى تجده صاحيًا ، ثمَّ أمر من معه بالدعاء له بالتوبة ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول : قد وعدني ربي أن يغفر لي ، وحذرني عقابه ، فلم يزل يرددها حتَّى بكى ، ثمَّ نزع فأحسن النزع ، وحسنت توبته ، فلمَّا بلغ عمر أمْره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم زلَّ فسددوه وادعوا له ، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه [(٣)] .

وكان ابن مسعود ﷺ يقول : إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا ، فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه ، أن تقولوا : اللهم أخزه ، اللهم العنه ، ولكن سلوا الله العافية ، فإن أصحاب محمَّد ﷺ

---

(١) مستدرك الحاكم ، كتاب الحدود ، حديث (٨١٥٥) ، وقال عنه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وحسنه الشَّيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة ، ٤/ ١٨٢ .

(٢) سورة غافر ، الآية (١-٣) .

(٣) مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ٢/ ٥١٧ ، لابن كثير .

كُنَّا لا نقول في أحد شيئًا ، حتَّى نعلم على ما يموت ، فإن خُتِمَ له بخير رجونا أن يكون قد أصاب خيرًا ، وإن خُتِم له بِشَرٍ خفنا عليه عمله [١] .

ـ ومرَّ أبو الدرداء على رجل أصاب ذنبًا ، فكانوا يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب ، ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى ، قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الَّذي عافاكم ، قالوا : أفلا تبغضه ؟ قال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه فهو أخي [٢] .

وقد شاع في المجتمع الراشدي ثقافة الستر وعدم تدخل الإنسان فيما لا يعنيه .

ولهذا عندما بلغ الفاروق عمر ﷺ أن شرحبيل بن السمط الكندي ـ الَّذي كان يتولى ثغرًا دون المدائن ـ خطب في النَّاس وأمرهم أن من أصاب منهم حدًا أن يأتيه ليقيم عليه العقوبة لتطهيره ، فكتب إليه عمر الفاروق ﷺ: ((لا أُحلُّ لك أن تأمر النَّاس أن يهتكوا ستر الله الَّذي سترهم)) [٣] .

ـ وكان الخلفاء الراشدون يتحرون في القضايا قبل إيقاع العقوبات ، ويشفقون على الجاني لعل له عذرًا اضطره لمقارفة هذه الجريمة ؛ وهذا هدي النَّبيِّ ﷺ مع الجناة كما فعله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ مع ماعز وقوله له : « **لعلك قبلت ، أو غمزت ، أو نظرت ...** » [٤] .

---

(١) الزهد ، ١/ ٣١٣ ، لابن المبارك ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت .

(٢) شرح السُّنَّة ، ١٣/ ١٣٧ ، للبغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي للنشر ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٣) مصنف عبد الرزاق ، ٥/ ١٩٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب : هل يقول الإمام لعلك لمست ؟ ، رقم الحديث ٦٨٢٤ .

وهكذا كان الخلفاء الراشدون يتأنون ويتحرون كما فعل علي بن أبي طالب ﷺ مع شراحة الهمدانية الَّتي اعترفت بالزنا فقال لها علي ﷺ : لعل الرَّجل استكرهك ؟ قالت : لا ، قال : لعل الرَّجل وقع عليك وأنت راقدة ؟ قالت : لا ، قال : لعل لك زوجًا من عدونا هؤلاء وأنت تكتمينه ؟ قالت : لا ، فرجمها [١] .

وهكذا كان التحري في القضايا في العهد النبوي والراشدي من باب الرحمة والشفقة بالجاني ، ودرء الحدود بالشبهات ، فإن انتفت الشبهات أوقعوا العقوبة للردع والتطهير وتكون على حق وعدل .

ثمَّ يقومون بواجب الستر على الجاني ويحفظون عرضه من الاستنقاص واللغو فيه .

روى عبد الرَّحمن بن أبي ليلى [٢] عن رجل من هذيل ، قال : ((كنت مع علي حين رجم شراحة ، فقلت : لقد ماتت هذه على شر حالها ، فضربني بقضيب ـ أو بسوط ـ كان في يده حتَّى أوجعني ، فقلت : قد أوجعتني ، قال : وإن أوجعتك ، قال فقال : إنَّها لن تسأل عن ذنبها هذا أبدًا كالدين يُقضى)) [٣] .

ـ استنادًا لقول النَّبيِّ ﷺ : « وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ ، وَمَنْ

---

(١) مصنف عبد الرزاق ،حديث (١٣٣٥٠) ، ٧/ ٣٢٦ . وقصة رجم شراحة الهمدانية في صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم المحصن ، حديث (٦٨١٢) . وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٨/ ٥ .

(٢) عبد الرَّحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، ثقة ، مات سنة ثلاث وثمانين . انظر : تقريب التَّهذيب ، ص٣٤٩ .

(٣) مصنف عبد الرزاق ، ٧/ ٣٢٧ . سبق تخريجه .

أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ الله عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ » [١] .

٢ ـ إقامة الحدود على من وجب عليه من الأقارب :

لقد كان الخلفاء الراشدون يتحرون العدل في كل أمورهم وأحكامهم بين الرعية ، ومن أهمها : إقامة الحدود على من وجبت عليه سواء كان قريبًا أو واليًا لا فرق في ذلك تحت حكم الشَّرع اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ الَّذي قال : « **وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت ، لقطعت يدها** » [٢] .

فالناس في المجتمع النبوي والمجتمع الراشدي تحت حكم الشَّرع سواء .

وهذا ما رسَّخ مفهوم العدل وحقيقته في المجتمع النبوي والراشدي وتميزوا به .

وممَّا يدل على ذلك ما قام به أمير المؤمنين عثمان ﷺ في تطبيق حد شرب الخمر على أخيه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط [٣] ، وقد شهد عليه رجلان أنَّه شرب الخمر ، وشهد آخر أنَّه رآه يتقيأ ، فقال عثمان : إنَّه لم يتقيأ حتَّى شربها ، فقال : يا علي قم فاجلده ، فقال علي : قم يا حسن فاجلده ، فقال الحسن : ولِّ حارَّها من تولى قارَّها [٤] ، فكأنه وجد عليه ، فقال : يا

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب الحدود كفارة ، رقم الحديث ٦٧٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، حديث (٣٤٧٥) .

(٣) هو : الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم عام الفتح ، وكان شجاعًا وشاعرًا ، مات في خلافة معاوية . الإصابة ، ٦/ ٤٨١ .

(٤) معنى : ((ولِّ حارَّها من تولى قارَّها)) الحار : الشَّديد المكره ، والقار : البارد الهنيء الطيب ، وهذا مثل من أمثال العرب معناه : ولِّ شدتها من تولى هنيئها ولذتها ، والمقصود : وليتول الجلد عثمان بنفسه أو بعض خاصة ←

عبد الله بن جعفر قم فاجلده ، فجلده وعلي يعدُّ حتَّى بلغ أربعين ، فقال : أمسك ، ثمَّ قال : جلد النَّبيُّ ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكلٌّ سنة ، وهذا أحب إليّ (١) .

٣ـ عدم القيام بالحد على من لا يعقل :

جيء لعمر بن الخطاب ﷺ بامرأة زنت ، فأمر برجمها ، فذهبوا بها ليرجموها ، فلقيهم علي ﷺ فردَّها وذكر حديث : « **رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ ؛ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَعْقِلَ** »، فتركها عمر ولم يرجمها (٢).

٤ ـ عدم القيام بالحدِّ على المكره :

سواء كان الإكراه بأن يغلب الرَّجل المرأة على نفسها كما حدث في عهد عمر الفاروق ﷺ عندما أُتي بها وقالت : إني كنت نائمة فلم أستيقظ إِلاَّ برجل قد جثم عليَّ ، فخلى سبيلها ولم

أقاربه . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١١/ ٢١٩ ، للنووي .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر ، حديث ١٧٠٧ .

مسألة : هل الزِّيادة عن الأربعين جلدة في حد شارب الخمر تعتبر حدًا أم تعزيرًا على خلاف عند العلماء ، والراجح : أن الحد في شرب الخمر أربعين جلدة ، وما زاد عنها فهو من باب التعزير حسبما يراه الإمام من مصلحة الردع والزجر عند الانهماك والتهاون بشربها ، والله أعلم . انظر : الحدود والتعزيرات ، ص٣٠٥ ، لابن القيِّم .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق ، حديث (٤٤٠٢) .

وصححه الحاكم في مستدركه ، ١/ ٣٨٩ ، ووافقه الذَّهَبيّ .

وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٢/ ٤ .

يضربها [(١)] .

وكذلك الإكراه بالتهديد بالقتل لا يقام معه الحد .

ففي عهد عمر ﷺ أن امرأة استسقت راعيًا فأبى أن يسقيها إِلاَّ أن تمكنه من نفسها ، حتَّى شارفت على الهلاك ففعلت .

فأتت عمر بن الخطاب ﷺ وقالت : إني زنيت فارجمني ، فردَّها حتَّى شهدت أربع شهادات ، فأمر برجمها ، فقال علي ﷺ : يا أمير المؤمنين ردها فاسألها ما زناها ، لعلَّ لها عذرًا ؟ فأخبرته بما حدث ، فأعطاها عمر ﷺ شيئًا وتركها [(٢)] .

٥ ـ لا يقام الحد على الجاهل بالحكم :

عن سعيد بن المسيب [(٣)] : أن عاملاً لعمر بن الخطاب ﷺ كتب إليه يخبره أن رجلاً اعترف

---

(١) السنن الكبرى ، للبيهقي ، كتاب الحدود ، باب من زنى بامرأة ، ٨/ ٢٣٥ .
وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٧/ ٣٤٠ .
وانظر المسألة في المغني ، ٣٤٧/١٢ ، لابن قدامة ، عالم الكتب ـ الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٢) السنن الكبرى ، ٨/ ٢٣٦ ، للبيهقي ، كتاب الحدود ، باب من زنى بامرأة . وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٧/ ٣٤١ . وانظر المسألة في الطرق الحكمية ، ١/ ١٣٦ ، لابن القيِّم ، وأَنَّهُ ليس عليها حد .

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار . قال عنه ابن المديني : لا أعلم في التَّابعين أوسع علمًا منه ، مات بعد التسعين . انظر : تقريب التَّهذيب ، ١/ ٢٤١ .

عنده بالزنى ، فكتب إليه عمر: أن سله : هل كان يعلم أَنَّه حرام ، فإن عاد فاحدده [١] .

وإذا كانت الجهالة بالحال فإن الخلفاء الراشدين قد يضطرون إلى تعزير الفاعل ، فقد حدث أن امرأة تزوجت ولها زوج كتمته فرجمها عمر ﷺ ، وجلد الزَّوج الثَّاني مائة سوط ولم يرجمه للجهالة [٢] .

٦ ـ عدم قيام الحد على المضطر بسبب الضَّرورة :

سرق غلمان حاطب بن أبي بلتعة [٣] في عام الرمادة [٤] ناقةً لرجل مزني فنحروها وأكلوها ، ثمَّ بلغ الأمر للفاروق ﷺ فطلب الغلمان ، فاعترفوا أَنَّهم سرقوها من حرز ، وهم عقلاء مكلفون ، فأمر كثير بن الصلت [٥] أن يقطع أيديهم ، ولكنه تأمل حال النَّاس وحاجتهم في عام الرمادة فالتمس لهم عذرًا ، وقال لمولاهم : إني أراك تجيعهم ، وتراجع عن قطع أيديهم ،

---

(١) مصنف عبد الرزاق ، ٧/ ٤٠٢ ، كتاب الطَّلاق ، باب لا حد إلاَّ على من علمه .
وانظر المسألة في : المحلى ، ١٢/ ١٠٨ .

(٢) انظر : المغني ، ١٢/ ٣٤٣ ، لابن قدامة .

(٣) هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو اللخمي ، من أهل اليمن ، شهد بدرًا ، ، وهو الَّذي كاتب أهل مكة يخبرهم بتجهيز رَسُول الله ﷺ إليهم ، نزلت فيه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الممتحنة : الآية ١] ومات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان ﷺ . انظر : الإصابة ، ٢/ ٤ .. انظر : الإصابة ، ٢/ ٤ .

(٤) عام الرمادة : سنة جدب وقحط في عهد عمر بن الخطاب ﷺ ، وقيل سمي هذا العام بالرمادة لأَنَّهُم أجدبوا وصارت ألوانهم كلون الرماد . انظر : النِّهاية في غريب الحديث ، ٢/ ٢٦٢ .

(٥) هو كثير بن الصلت بن معد يكرب الكندي ، من اليمن ، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان ، رضي الله عنهم أجميعن . انظر : الإصابة ، ٥/ ٤٧١ .

وأمر للمزني بثمن الناقة مضاعفة [١] .

ـ وكان الخلفاء لا يقيمون الحد على من سرق من بيت المال ، ولكنهم يعزرونه بما هو مناسب لوجود شبهة استحقاقه من بيت المال [٢] .

٧ ـ حد القتل :

كان الولاة في عصر الصديق وشطرًا من خلافة الفاروق هم من يقومون بالقصاص في القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم الفاروق ﷺ : أن لا تقتلوا أحدًا إِلاَّ بإذني ، فأصبحوا يستأذنون عمر ﷺ في القتل قبل تنفيذه [٣] .

وقد أقام الخلفاء الراشدون حد القتل على ما يلي :

أ/ قتل الجماعة بالواحد :

فقد حدث أن سبعة من أهل صنعاء اشتركوا في قتل رجل في خلافة الفاروق عمر ﷺ ، فقال عمر ﷺ : لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم [٤] .

---

(١) انظر : موطأ الإمام مالك ، كتاب الأقضية ، ٤/ ١٠٨٣ .

(٢) انظر المسألة بالتفصيل في كتاب الأم ، ٤/ ٣١٣ ، للإمام الشَّافعيِّ ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م . والشرح الممتع على زاد المستقنع ، ١٤/ ٣٥٤ ، الشَّيخ محمَّد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

(٣) انظر : سنن البيهقي ، ٨/ ٢٣٦ ، كتاب الحدود ، باب من زنى بامرأة مستكرهة . وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٨/ ٣١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب إذا أصاب قوم من رجل ، حديث (٦٨٩٦) .

ب / قتل الساحر :

ـ كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة [١] .

ـ وفي عهد عثمان ﷺ أمرت أم المؤمنين حفصة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ بقتل جاريتها لأنَّهَا سحرتها فقتلها عبد الرَّحمن بن زيد .

وأنكر عليها عثمان بسبب الإفتئات على حق الإمام في إقامة الحدود [٢] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، حديث (١٦٥٧) ، ١/ ١٩٠ .
وصححه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند ، ١/ ١٩٠ . وانظر جامع الأصول ، ٢/ ٦٥٨ ، لابن الأثير ، مكتبة الحلواني ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م للاستزادة .

(٢) مصنف عبد الرزاق ، ١٠/ ١٨٠ ، باب قتل الساحر .

ج / قتل المرتد :

يستتاب ثلاث مرات ، فإن لم يتب يقتل .

ارتد بنو حنيفة في خلافة الصديق ، فأمر بقتل الرِّجال ، واسترقاق النِّساء ، إلا من رجع منهم إلى الإسلام [١] .

ـ وأمسك عبد الله بن مسعود في الكوفة برجال ارتدوا عن الإسلام وأخذوا يُنْفشون حديث مسليمة الكذاب ، فكتب فيهم إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ فكتب عثمان إليه : أن اعرض عليهم دين الحق ، وشهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمدًا رَسُول الله ، فمن قبِلها وبرئ من مسيلمة فلا تقتله ، ومن لزم دين مسيلمة فاقتله ، فقبلها رجال منهم فتركوا ، ولزم دين مسيلمة رجال فقتلوا [٢] .

د / قتل اللوطي :

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ :

((لم يثبت عنه ﷺ أَنَّه قضى في اللواط بشيء ، لأن هذا لم تكن تعرفه العرب ، ولم يرفع إليه ﷺ ولكن ثبت عنه ﷺ أَنَّه قال : « **اقتلوا الفاعل والمفعول به** » [٣] [٤].

---

(١) انظر : شرح النَّووي على صحيح مسلم ، ١/ ٢٠٢ .

(٢) انظر : السنن الكبرى ، ٨/ ٢٠١ ، للبيهقي ، كتاب المرتد ، باب ما يحرم به الدم من الإسلام .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب فيمن عمل عمل قوم لوط ، حديث (٤٤٦٢) . وقال عنه ابن القيم : (اسناده صحيح) ، زاد المعاد ، ٥/ ٣٦ . وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٨/ ١٦ .

(٤) زاد المعاد ، ٥/ ٣٦ .

ولكن حدث هذا الفعل المشين في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ، فقد كتب خالد بن الوليد ﷺ ، إلى أبي بكر الصديق ﷺ ، أَنَّه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً يُنكح كما تُنكح المرأة ؛ فاستشار الصديق أصحاب رَسُول الله ﷺ وفيهم علي بن أبي طالب ، وكان أشدهم قولاً ، فقال : إن هذا الذنب لم تعصِ به أمة من الأمم إلاَّ واحدة ؛ فصنع الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن يحرق بالنار ، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقه بالنار [١] .

وقال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((الصَّحابة ﷺ اتفقوا على قتل اللوطي ، وإنما اختلفوا في كيفية قتله)) [٢] .

((فمنهم من حكم على اللوطي بالحرق بالنار كأبي بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ، ومنهم من حكم عليه بالرجم بالحجارة حتَّى الموت كعمر وعلي وابن عبّاس ﷺ ، ومنهم من حكم عليه بالرمي من أعلى شاهق وبناء في البلد ثمَّ يتبع بالحجارة وهو قولٌ لأبي بكر الصديق وابن عبّاس ﷺ ، ومنهم من حكم عليه بأن يهدم عليه حائط وهو قول عمر وعثمان وعلي ﷺ)) [٣] .

وعلى هذا الاختلاف يكون الرَّاجح ـ والله تعالى أعلم ـ في كيفية قتل اللوطي أن هذا عائدٌ إلى

---

(١) سنن البيهقي ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد اللوطي ، ٨/ ٢٣٢ .
وقال عنه المنذري في الترغيب والترهيب ، ٣/ ١٩٨ : (إسناده جيد) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ . وضعفه ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، ٢/ ١٠٣ ، دار المعرفة ـ بيروت .

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ص٣٦٤ ، لابن القيِّم ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٣) الحدود والتعزيرات عند ابن القيِّم ، ص١٧٤ .

رأي الإمام من القتل بالسيف أو رجمًا بالحجارة ، وغير ذلك حسب مصلحة الردع والزجر [١] .

هـ / إهدار الدم في بعض الحالات :

لقد ثبت في بعض القضايا أن الخلفاء الراشدين قاموا بإهدار دم المقتول والعفو عن القاتل لأسباب تتعلق بانتهاك العرض .

فقد حدث في عهد الفاروق عمر ﷺ أن رجلاً استضاف ناسًا من هذيل فأرسلوا جارية تحتطب لهم ، فأعجب المضيف بها فتبعها ، فأرادها عن نفسها ، فامتنعت ، فعاركها ساعة ، فانفلتت منه ، ورمت بحجر ، ففضت كبده فمات ، ثمَّ جاءت إلى أهلها فأخبرتهم ، فذهب أهلها إلى عمر فأخبروه ، فأرسل عمر ، فوجد آثارهما ، فقال : قتيل الله لا يودى أبدًا [٢] . فقد أهدر دمه فلا قصاص ولا دية ولا كفارة .

و / قتل الذمّي إذا أصاب حدًا :

ففي عهد الفاروق عمر ﷺ أن ذميًا استكره مسلمة على الزِّنا ؛ فصلبه عمر ﷺ لأنَّهُ خالف شروط العهد [٣] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص١٨٩ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ، ٩/ ٤٣٤ ، كتاب العقول ، باب الرَّجل يجد على امرأته رجلاً .

(٣) مصنف عبد الرزاق ، ٦/ ١١٤، كتاب أهل الكتاب ، باب نقض العهد والصلب .

٨ ـ الزِّيادة على الحد من باب التعزير عند الحاجة :

عاقب النَّبيُّ ﷺ شارب الخمر بجلده أربعين جلدة ، وكذلك الصديق ﷺ ، وصدرًا من خلافة عمر ﷺ ، ولكن في خلافة عمر ﷺ اتسعت الفتوحات وكثر الداخلون في الإسلام مع قلة التفقه بالدين وكثرة شرب الخمر ، فبعث خالد بن الوليد ، وبرة الصلتي (١) ، من الشَّام إلى عمر ، قال وبرة: فأتيته وعنده طلحة ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، متكئون في المسجد ، فقلت له: إن خالد بن الوليد يقرأ عليك السَّلام ويقول لك : النَّاس قد انبسطوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فما ترى ؟ فقال عمر : هم هؤلاء عندك ، قال : فقال علي ﷺ : أراه إذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وعلى المفتري ثمانون ؛ فأجمعوا على ذلك ، فقال عمر : بلِّغ صاحبك ما قالوا ، فضرب خالد ثمانين ، وضرب عمر ثمانين ، وكان عمر إذا أتي بالرجل القوي المنتهك في الشَّراب ضربه ثمانين ، وإذا أُتي بالرجل الَّذي كان منه الزلة الضَّعيف ضربه أربعين ، وجعل ذلك عثمان أربعين وثمانين (٢) (٣) .

وفي قصة جلد عثمان لرجل شرب الخمر ، وكان علي ﷺ يعُدُّ حتَّى بلغ أربعين ، فقال

---

(١) وبره أو ابن وبرة الكلبي أُختلف في اسمه . انظر : لسان الميزان ، ٦/ ٢١٧ ، ابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م . وانظر : إرواء الغليل ، ٨/ ٤٦ .

(٢) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ١٦١ ، وقال ابن القيِّم عن هذا الحديث وغيره : ((وهذه مراسيل مسندات من وجوه متعددة يقوي بعضها بعضًا ، وشهرتُها تفي عن إسنادها)) . إعلام الموقعين ، ١/ ١٦٢ . وبحثه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٨/ ٤٦ .

(٣) قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((إن الزِّيادة على الأربعين إلى الثمانين ليست واجبة على الإطلاق ، بل يرجع فيها إلى اجتهاد الإمام)) . الفتاوى الكبرى ، ٥/ ٥٣٠ .

عثمان ﷺ : أمسك ، ثمَّ قال : ((جلد النَّبيُّ ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكلٌ سُنَّة ، وهذا أحب إليَّ)) (١) .

٩ ـ الجلد بالتعريض بالقذف :

وفي هذا تأديب السفهاء ، وحفظ أعراض الأبرياء ، لينعم المجتمع المسلم بأمن واستقرار نفسي وحسي (٢) .

ـ فقد حدث أن عرَّض أحد الأشخاص بآخر فقال له : ما أبي بزان ولا أمي زانية ؛ فاستشار الفاروق ﷺ الصَّحابة ؛ فأشاروا عليه بجلده الحد حد القذف ، فجلده عمر ﷺ (٣) .

أنواع العقوبات التعزيرية :

التعزير لغة : مصدره : عزره ، بفتحات ثلاث مخففًا ، مأخوذ من العزر ، وهو : الرد والمنع ، ويطلق على التأديب (٤) .

وشرعًا : هو التأديب في كل معصية لا حدَّ فيها ولا كفارة (٥) .

لقد حكم الخلفاء الراشدون بأنواع كثيرة من العقوبات التعزيرية سواء تعلقت بالأبدان أو

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر ، حديث (١٧٠٧) .

(٢) مسألة الجلد بالتعريض بالقذف اختيار الجمهور . انظر : الحدود والتعزيرات عند ابن القيِّم ، ص٥٠٢ .

(٣) موطأ الإمام مالك ، كتاب الرجم والحدود ، باب ما جاء في الحد في القذف ، ٥/ ١٢١١ .
وصححه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٨/ ٣٩ .

(٤) انظر بتوسع : الحدود والتعزيرات عند ابن القيِّم ، ص٤٥٧ ، د.بكر أبو زيد .

(٥) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ، ص٤٦٢ .

بالأموال ، أو ما تعلق بتقييد الإراداة كالحبس والنفي ، أو ما تعلق بالمعنويات كإيلام النّفوس بالتوبيخ والزجر .

وهذه الأنواع ونحوها متفق عليها كأصول للتعزير ، وإن كان هناك خلاف في بعض مفرداتها [١] .

وإليك توضيح هذه التعزيرات الَّتي عُمل بها في العهد الراشدي مدعمة بالأمثلة .

١ ـ ما يتعلق بالأبدان . كالجلد ، والحلق ، والقطع ، والقتل .

لقد عزر الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ بالجلد تعزيرًا ، فقد زاد الفاروق عمر ﷺ على حد شرب الخمر أربعين جلدةً ، فجلد شارب الخمر ثمانين جلدة عندما رأى الانهماك والتهاون بشربها [٢] .

وكان الفاروق عمر ﷺ يجلد شارب الخمر ويحلق رأسه تعزيرًا [٣].

وجلد عليٌ ﷺ من تكلم في عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ ، فقد جاء رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر علي ﷺ القعقاع بن عمرو [٤] أن يجلد كل واحد

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٤٨٣ .

(٢) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر ، حديث (١٧٠٧) .

(٣) السِّياسيّة الشَّرعيَّة ، ص٨٥ ، لابن تَيْمِيَّة ، وزارة الشؤون الإِسلاميَّة ، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

(٤) هو القعقاع بن عمرو التميمي ، قيل إنه شهد وفاة رَسُول الله ﷺ ، وله أثر عظيم في قتال الفرس في القادسية وغيرها ، أحد الأبطال ، شهد موقعة الجمل مع علي ﷺ ، وكان الرسول في الصلح يومئذٍ بين الفريقين . انظر :

←

منهما مائة ، وأن يخرجهما من ثيابهما [١] .

وهدد عليٌّ ﷺ بمعاقبة من يتكلم في الصديق والفاروق ـ رضي الله عنهما ـ [٢].

وفي بداية عهد أبي بكر الصديق ﷺ فرح بعض بنات اليمن من يهود وغيرهن بموت النَّبيِّ ﷺ ، وخضبن أيديهن بالحناء ، وضربن بالدفوف ، وأقمن الليالي الحمراء مع الفساق ؛ فأرسل رجل من أهل اليمن إلى الصديق ﷺ بهذه الأبيات :

أبلغ أبا بكرٍ إذا ما جئته ❁ أن البغايا رُمْن أيّ مرامِ

اظهرن من موت النبي شماتةً ❁ وخضبن أيديهن بالعُلاَّمِ [٣]

فاقطع هُديت أكفَّهن بصارم ❁ كالبرق أمضى من متون غمامِ

فكتب الصديق لعامله هناك المهاجر بن أبي أمية [٤] كتابًا في منتهى الصرامة جاء فيه : ((فإذا جاءك كتابي هذا فسر إليهن بخيلك ورجلك حتَّى تقطع أيديهن)) وقد قطع أيديهن بعد

الإصابة ، ٥/ ٣٤٢ .

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٢٧٤ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، ٧/ ١٣٣٦ ، للالكائي ، دار طيبة ـ السَّعوديَّة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

(٣) العُلاَّم : بالتشديد ، الحناء . لسان العرب ، ١٢/ ٤٢١ .

(٤) هو المهاجر بن أبي أمية القرشي ، أخو أم سلمة أم المؤمنين ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ ، كان له دور بارز في قتال أهل الردة . انظر : الإصابة ، ٦/ ١٨٠ .

قتال دار بينه وبين رجال حالوا دون ذلك ، وقد مات عامتهن وهاجر بعضهن إلى الكوفة [١] .

ونقلت الأخبار للخليفة الصديق أن امرأتين من بلاد حضرموت تغنتا بهجاء رَسُول الله ﷺ والمسلمين ، وكان قد عاقبهما المهاجر بن أبي أمية بقطع يديهما ونزع ثنيتيهما فلم يرض أبو بكر رضي الله عنه وعدَّها عقوبة خفيفة ، وكتب لعامله : ((لولا ما قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلهما)) [٢] .

وكذلك فقد كان الحكم بالتعزير في العصر الراشدي يصل إلى حد القتل ، وذلك حسب المصلحة وعلى قدر الجريمة إذا لم يندفع الفساد إِلاَّ بالقتل .

وهذا بلا شك يتماشى مع مقاصد الشَّرع ، وحماية مصالح الأمة ، وحفظ الضَّروريّات الدينية والدنيوية [٣] .

وقد عزَّر النَّبيُّ ﷺ بالقتل في قصة الجاسوس من حديث سلمة بن الأكوع [٤] رضي الله عنه قال : أتى النَّبيّ ﷺ عين من المشركين ـ وهو في سفر ـ فجلس عند أصحابه يتحدث ، ثمَّ انفتل ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « **اطلبوه ، واقتلوه** » فقتله ، فنفله سلبه [٥] .

---

(١) المحبر ، ص١٨٦ ، لأبي جعفر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٤١ .

(٣) انظر : الحدود والتعزيرات ، ص٤٩٣ .

(٤) سلمة بن عمرو بن الأكوع ، شهد الحديبية ، وكان من الشجعان ، ويسبق الفرس عدوًا ، بايع النَّبيَّ ﷺ عند الشَّجرة ، ومات سنة أربع وسبعين للهجرة . انظر : الإصابة ، ٣/ ١٢٧ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان ، رقم ٣٠٥١ .

وقد كان التعزير بالقتل في عصر الراشدين لمن شتم النَّبيّ ﷺ ، قال عمر ﷺ : ((من سب الله ورسوله ، أو سب أحدًا من الأنبياء ، فاقتلوه)) [١] .

وكان التهديد بالقتل في عصر الراشدين لمن كذب على النَّبيِّ ﷺ لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدِّين ما ليس منه [٢] .

٢ ـ ما يتعلق بالأموال كالإتلاف وغيره :

فقد أحرق الفاروق عمر ﷺ بيت رويشد الثقفي الَّذي كان حانوتًا لبيع الخمر .. قال له : أنت فويسق ، ولست برويشد [٣] .

وحرَّق عليٌّ ﷺ قرية تدعى زرارة يباع فيها الخمر [٤] .

انظر بتوسع في قتل الجاسوس : الحدود والتعزيرات عند ابن القيِّم ، ص٤٨٧ .

(١) انظر : زاد المعاد ، ٥/ ٥٥ .

وقال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة : ((إن سب الله ورسوله كفر ظاهرًا وباطنًا ، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً له أو كان ذاهلاً عن اعتقاده)) . وقال أيضًا : ((التعريض بسب الله وسب رسوله ﷺ ردة ، وهو موجب للقتل كالتصريح)) . الصارم المسلول على شاتم الرَّسول ﷺ ، ص٥١٢ ،٥٢٥ ، لابن تَيْمِيَّة .

(٢) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرَّسول ﷺ ، ص١٧١ . ومسألة قتل من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فيها خلاف عند العلماء ، وقد رجح ابن تيمية قول قتل من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ . انظر : الصارم المسلول ، ص١٧١ .

(٣) انظر : الطرق الحكمية ، ٢/ ٧٢٠ ، لابن القيِّم .

(٤) انظر : الحسبة ، ص٣٦٨ ، لابن تَيْمِيَّة .

وكان الفاروق عمر ﷺ يُمضي طلاق الثلاث بلفظ واحد من باب العقوبة والتعزير ؛ لأَنَّهُ رأى النَّاس قد أكثروا من إحداث طلاق الثلاث بلفظ واحد ، فعاقبهم ليردهم إلى الطَّلاق السني الَّذي شرعه الله تعالى .

قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ : كان الطَّلاق على عهد رَسُول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر : طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن النَّاس قد استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم [(١)] .

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ : ((لم يخالف عمر إجماع من تقدمه ، بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم ، لما علموا أَنَّه حرام وتتابعوا فيه ، ولا ريب أن هذا سائغ للأئمة أن يلزموا النَّاس بما ضيقوا به على أنفسهم ولم يقبلوا فيه رخصة الله ﷻ وتسهيله)) [(٢)] .

٣ ـ ما يتعلق بتقييد الإرادة كالحبس والنفي :

كان الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ يعزرون بالسجن لمن تعدى شره للناس ، وانتهك الحدود ، وأضاع الحقوق .

ـ فقد حبس الفاروق عمر ﷺ الحطيئة [(٣)] الَّذي كان كثير الهجاء حتَّى قيل : إنه هجا أباه

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطَّلاق ، باب طلاق الثلاث ، رقم ١٤٧٢ .

(٢) زاد المعاد ، ٥/ ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٣) هو جرول بن أوس العبسي ، من فحول الشعراء ، وهو مخضرم ، أدرك الجاهليَّة والإسلام ، وكان يلقب الحطيئة لقصره ، وعاش إلى خلافة معاوية ﷺ . انظر : الإصابة ، ٢/ ١٥٠ .

وأمه ، وخاله وعمه ، ونفسه وزوجه .

وكان سبب سجنه أَنَّه هجا الزبرقان [١] فشكاه لعمر بن الخطاب ﷺ فسجنه وكاد أن يقطع لسانه ، إِلاَّ أن الحطيئة أنشأ أبياتًا يرجو بها عفو الفاروق عمر ﷺ .

قال الحطيئة لعمر بن الخطاب :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ ❀ زُغْب الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ❀ فاغْفِرْ عليك سلام الله يا عمرُ

أنت الإمامُ الَّذي من بَعْدِ صاحبِهِ ❀ ألقى إليكَ مقاليدَ النُّهى البشرُ

لم يؤثروكَ بها إذ قدَّموك لَهَا ❀ لكن لأنفسِهم كانتْ بك الإِثَرُ

وقد رق الفاروق عمر ﷺ بعد سماعه الأبيات ، وشفع عمرو بن العاص ، وبعض النَّاس في الحطيئة ، فأطلقه بشرط ألا يهجو أحدًا بعد ذلك [٢] .

ـ وحبس عثمان ﷺ ضابئ بن الحارث البرجمي [٣] ، الَّذي استعار كلب صيد من الأنصار ثمَّ

(١) هو حصين بن بدر التيمي ، ولقب الزبرقان لحسن وجهه ، وهو من أسماء القمر ، وكان من أشراف وفد تميم الَّذين وفدوا على النَّبيِّ ﷺ . انظر : الإصابة ، ٢/ ٤٥٤ .

(٢) البداية والنهاية ، ٨/ ١٠٦ .

(٣) هو ضابئ بن الحارث البرجمي ، شاعر ، سكن الكوفة ، وكان بذيء اللسان ، سجنه عثمان بن عفان ﷺ لهجائه قومًا من الأنصار ، ومات في السجن ، وله ابن يسمى عمير بن ضابئ ، وكان من الذين دخلوا على عثمان ﷺ وهو ميت فوطئه برجله وكسر ضلعين من أضلاعه ، فلما جاء الحجاج الثقفي الكوفة وعرف خبر عمير بن ضابئ مع عثمان ﷺ ضرب عنقه . انظر : معجم الشعراء ، ص٢٤٤ ، لأبي عبيد الله المرزباني ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م . وتاريخ دمشق ، ١٢/ ١٢٩ ، لابن عساكر .

لم يرجعه لهم ، فاستعانوا عليه بقومه فانتزعوه منه وردوه على الأنصار ، فهجاهم شعرًا وقال :

فكلــــبكم لا تتركــــوا فهــــو أُمُكــــم ۞ فــــإن عقــــوق الأمهــــات كبيــــرُ

فاستعدوا عليه عثمان ﵁ ؛ فأرسل إليه ، فعزره وحبسه ، فاستثقل ذلك ، فما زال في الحبس حتَّى مات فيه [1] .

ـ وكان علي ﵁ يلاحق أهل الشر والفساد فإذا كان في القبيلة أو القوم الرَّجل الداعر حبسه ، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله ، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين ، وقال : يحبس عنهم شرهم ، ويُنفق عليه من بيت مالهم [2] .

ـ ونفى الفاروق عمر ﵁ نصر بن حجاج ، وأبا ذؤيب إلى البصرة خشية افتتان النِّساء بجمالهما .

وقد حاول نصر بن حجاج الرجوع إلى المدينة إلاَّ أن الفاروق رفض رجوعه وقال : أمَّا ولي سلطان فلا ، فما رجع إلى المدينة إلاَّ بعد وفاة عمر ﵁ [3] .

❁❁❁

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٠٢ .

(٢) الخراج ، ص١٦٣ ، لأبي يُوسف .

(٣) انظر : تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التَّاريخ والسير ، ص٤٩٨ ، لابن الجوزي ، دار الأرقم ـ بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

الفصل الثاني

مجالات الواقع الثقافي، وآثارها في عصر الخلفاء الراشدين

وفيه مبحثان

المبحـــــث الأول : مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين .

المبحـــث الثـــاني : آثار مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين .

المبحث الأوَّل

مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المجال الدعوي .

المطلب الثاني: المجال الاقتصادي .

المطلب الثالث: المجال السياسي .

المطلب الأوَّل

المجال الدعوي

تعريف الدعوة :

لغة : تطلق على المناداة والطلب ، والاستدعاء [١] .

فالدعوة بهذا المعنى تفيد المحاولات القولية والفعلية ، والسعي إلى تحقيق هدف بعينه ، يحتاج الأمر معه إلى جهد وإلحاح [٢] .

واصطلاحًا : هي الإسلام من حيث المبادئ ، والقيام بنشره ، وجذب النَّاس إليه من حيث الوسائل والأساليب [٣] .

أ- أهمية الدعوة الإسلامية :

لقد كان من حكمة الله تعالى أن جعل الحق والباطل ، كما جعل الخير والشر ، لأن الشيء

---

(١) انظر : لسان العرب ، ١٤/ ٢٥٨ .

(٢) أسباب نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، ص١٤ ، د.عبد الله الموسى ، رسالة علميَّة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود .

(٣) المرجع السابق ، ص١٥ .

بضده يتميز ، فالصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى ، الَّتي اقتضتها حكمته لهذا الوجود .

والصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان ، وقد بدأ منذ خلق الله تعالى آدم ـ عليه السَّلام ـ وامتناع إبليس عن امتثال أمر الله تعالى للسجود لآدم [١] .

ولكن مع هذا الصراع الدائم ، فالحق دائمًا منتصر ، وإن كان للباطل صولة ، فللحق صولات وجولات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [٢] .

((لقد جاءت دعوة النَّبيِّ ﷺ بعدما اندرست الرسالات السَّابقة ، وحرفها أصحابها ، وضلت البشرية ، وتخبطت في متاهات الجهل ، ودروب الفلسفة القديمة حتَّى صحّ في النَّاس قول الشاعر عن النَّبيِّ ﷺ :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ۞ إلا على صنم قد هام في صنم [٣]

جاءت دعوة النَّبيِّ ﷺ والحالة هذه ، فحررت الإنسانية من هذا الرقّ القاتل ، وأعادت للإنسان إحساسه بنفسه ودوره في الحياة ، وقد كان لها دور كبير في قيادة ركب الحضارة

---

(١) انظر : أسباب نجاح الدعوة الإسلاميَّة في العهد النبوي ، ص١٢ .

(٢) سورة غافر ، الآية (٥١) .

(٣) هذا بيت من قصيدة نهج البردة ، للشاعر أحمد شوقي ، والتي مدح فيها الرسول ﷺ وذكر شيئًا من صفاته الكريمة . انظر : ثلاثية البردة بردة الرسول ﷺ ، ص١١٥ ، حسن حسين ، دار الكتب القطرية ـ الدوحة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .

الراشدة ، فعاش النَّاس تحت لوائها آمنين)) [(١)] .

ـ لقد كانت دعوة النَّبيِّ ﷺ عامة للناس ، وقد أمره الله تعالى بتبليغ الدعوة ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [(٢)] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [(٣)] .

ولقد قام النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بواجب الدعوة كما أمره الله ﷻ بمختلف الوسائل ، وشتى الأساليب ، فكان صورة متحركة للدعوة الإِسلاميَّة بحركاته وسكناته وإشاراته ، وتقريراته ، وبقوله وفعله في جميع الميادين وفي شتى أمور الحياة [(٤)] .

ـ وقد اشتملت الوسائل الَّتي استخدمها النَّبيُّ ﷺ في دعوته على القول ـ والعمل ـ واهتم بإرسال السرايا والجهاد في الغزوات ، وإرسال الكتب والرسائل للملوك وغيرهم ، وبعث الوفود والبعوث .

فكان ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، يستخدم كل وسيلة يتمكن من خلالها تبليغ دعوة

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٥ ، د.يسري هاني، معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث، جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٦٧) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٤٥، ٤٦) .

(٤) انظر : الدعوة الإِسلاميَّة بين سياسة عمر وعثمان ، ص١ ، عبد المقصود إبراهيم ، رسالة علميَّة من جامعة الأزهر ـ كلية أصول الدِّين .

الإسلام [١] .

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : بينا نحن في المسجد خرج رَسُول الله ﷺ فقال : « **انطلقوا إلى يهود** » فخرجنا معه حتَّى جئنا بيت المدراس [٢] ، فقام النَّبيُّ ﷺ فناداهم فقال : « **يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا** » فقالوا : بلغت يا أبا القاسم ، قال : فقال لهم رَسُول الله ﷺ : « **ذلك أريد ، أسلموا تسلموا** » ... [٣] .

ـ وقد تميزت الدعوة الإِسلاميَّة بعدة خصائص من أبرزها أَنَّها ربانية المصدر ، وشاملة لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان ، وهي عامة لعموم البشر عربهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤] ، وهي مثالية وواقعية ، فالإسلام يحرص على إيصال الإنسان إلى الكمال المقدور عليه باعتدال وشمول مع مراعاة طبيعة النَّاس وتفاوتهم في القدرات والاستعداد لبلوغ المستوى الرفيع من الكمال [٥]، وهي تحرص على أن يكون الإنسان إيجابيًا في عقيدته متفاعلاً معها ، مدركًا لمعانيها ، ممتثلاً لمستلزماتها ، مؤثرًا في نفسه وفي واقعه وفي من حوله ولا ترضى أن يعيش على هامش الحياة .

---

(١) انظر بتوسع : التدرج في دعوة النَّبيِّ ﷺ ، ص٥٦ وما بعدها ، إبراهيم المطلق ، نشر وزارة الشؤون الإِسلاميَّة ـ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

(٢) بيت المدراس : هو البيت الذي يقرؤون فيه التوراة . انظر : فتح الباري ، ١/ ١١٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب إخراج اليهود ، رقم الحديث (٣١٦٧) .

(٤) سورة سبأ ، الآية (٢٨) .

(٥) انظر : شريعة الله لا شريعة البشر ، ص٤٠-٥٣ ، شحاتة محمَّد صقر ، دار الخلفاء الراشدين . الإسكندرية ـ مصر .

ـ وتتسم الدعوة الإِسلاميَّة بالتوازن لأنَّهَا تقوم على مناهج عقدية متوازنه لا إفراط ولا تفريط ، ولا مغالاة ولا تقصير [١] .

ـ ومن خصائص وسائل الدعوة : الوضوح والبيان ، والحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن [٢] .

ولقد جعل النَّبيُّ ﷺ نقطة انطلاق الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من الأسس والمفاهيم التَّالية :

أولاً : أن دعوة الإسلام هي دعوة الحق وهي دعوة إلى الإيمان والعمل الصَّالح ، وأنَّها للناس كافة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [٣] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٤] .

فموضوع هذه الدعوة هو الإسلام ، وتبليغه ، وبيانه للناس ، وإخراجهم من ظلمات الكفر والنفاق والزندقة والضياع إلى نور الإسلام والهداية والأمن في الدّنيا والآخرة .

ثانيًا : ضرورة تبليغ الدعوة بكل الوسائل والأساليب المتاحة ، كالجهاد والمواعظ ،

---

(١) انظر : أضواء على الثقافة الإِسلاميَّة ، ص١٩ .

(٢) انظر : أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، ص١٢٧ ، لأبي المجد سيد نوفل ، مجلة الجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٩) .

(٤) سورة فصلت ، الآية (٣٣) .

والدروس ، والتعليم ، والانفاق في سبيل الدعوة ، وحسن الإدارة والسياسة المعينة للدعوة والحامية لها .

بل قد جعل الله تعالى أن من أبرز صفات هذه الأمة قيامهم بالدعوة إلى الإسلام بل وقد شرفهم بالقيام بهذا الأمر العظيم ، قال الله تعالى : ﴿ كنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ﴾ [١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢] .

فأوجب الله على هذه الأمة التبليغ بهذه الدعوة وجعل ذلك فرضًا كفائيًا [٣] وإن كان في أصل هذا الوجوب أَنَّه عامٌ على الأمة كلها كلٌ بقدر طاقته واستطاعته وموقفه .

وقد اختص به العلماء والدعاة لمعرفتهم وفهمهم بتفاصيل أحكام الشَّريعة وسعة علمهم بجزئياتها [٤] .

ثالثًا : مصادرها :

مصادر الدعوة وأساليبها هي القرآن الكريم ، والسُّنَّة النَّبويَّة المطهرة .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

(٣) انظر : الحسبة في الإسلام ، ص١٥٣-١٥٤ ، لابن تَيْمِيَّة ، تحقيق الشحود ، قسم الدراسة .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ص١٥٤ . وأسباب نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، ص١٨ .

أ/ القرآن الكريم :

لقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كثيرًا من الآيات الَّتي تتعلق بأخبار الرسل ـ عليهم السَّلام ـ مع أقوامهم ودعواتهم وأساليبهم في تبليغ دعوة الإسلام ، وكذلك الآيات المتعلقة بدعوة النَّبيِّ ﷺ وما لاقاه في سبيل ذلك .

وكل هذه الآيات يُستنبط منها أصول الدعوة وأساليبها ووسائلها (١) .

قال الله تعالى : ﴿ وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (٣) .

وقال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ (٤) .

ب/ السُّنَّة النَّبويَّة المطهرة :

في السُّنَّة النَّبويَّة المطهرة أحاديث كثيرة تتعلق بأمور الدعوة ووسائلها ، وفيها سيرة النَّبيِّ ﷺ وما جرى عليه في مكة والمدينة ، وكيف عالج كثيرًا من القضايا والأحداث .

---

(١) انظر : أصول الدعوة ، ص٤١٣ ، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

(٢) سورة هود ، الآية (١٢٠) .

(٣) سورة يُوسف ، الآية (١١١) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٩٠) .

كل هذا يفيد في معرفة أهميَّة الدعوة وأصولها ، وأساليبها ووسائلها [١] .

رابعًا : الداعية وواجباته :

هناك عدة صفات وأخلاق وواجبات للداعية ، وقد أوضحها القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة ؛ ومن هذه الأخلاق والواجبات :

١ ـ الإخلاص لله تعالى في دعوته ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله ﴾ [٢] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى الله ﴾ [٣] .

٢ ـ الدعوة على بينة وبصيرة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [٤] .

٣ ـ الانصاف بالحلم ، والرفق ، والصبر ، قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [٦] .

وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ : « **اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ،**

---

(١) انظر : أصول الدعوة ، ص٤١٤ ، عبد الكريم زيدان .

(٢) سورة يُوسف ، الآية (١٠٨) .

(٣) سورة فصلت ، الآية (٣٣) .

(٤) سورة يُوسف ، الآية (١٠٨) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩) .

فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ » [١] .

٤ ـ العمل بما يدعو إليه وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [٢] ، وقال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣] .

فمن أهم الأخلاق ومن أعظمها في حق الداعية العمل بما يدعو إليه [٤].

خامسًا : الحفاظ على الدعوة الإِسلاميَّة وعلى منجزاتها :

لقد كلف الله تعالى أنبياءه وعباده المؤمنين بالقيام بالدعوة ونشرها ، وأيضًا أمرهم بالمحافظة عليها بكل الوسائل والأساليب ومن أهمها الجهاد في سبيل الله ، فالدعوة الإِسلاميَّة من أبرز سماتها أَنَّها تقوم على الجهاد في سبيل الله بالقول والعمل والسنان ، ولولا ذلك لذهبت الدعوة وذهبت منجزاتها ، ولتسلط الأعداء وأهل الشِّرك على الدعوة وأهلها ، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا الله وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإماره ، باب فضيلة الإمام العادل ، رقم الحديث (١٨٢٨) .

(٢) سورة الصف ، الآية (٢) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٤٤) .

(٤) انظر : الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، ص٤٣ ، الشَّيخ عبد العزيز بن باز ، الناشر : رئاسة البحوث العلميَّة والافتاء بالمملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م . وأصول الدعوة ، ص٣٢٥ ، لعبد الكريم زيدان .

صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيرًا ﴾ [١].

((والمتأمل لسيرة النَّبيِّ ﷺ يتبين له حرصه الشَّديد على القيام بحماية الدعوة ومنجزاتها منذ مقدمه المدينة حيث عقد الوثيقة المبرمة مع اليهود : ((وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة)) ، ومن أجل هذه الحماية كثف السرايا والغزوات ليعمل حزامًا أمنيًا حول المدينة بمصالحة مجاوريها وضمهم لصالح قواته أو محايدتهم)) [٢] .

ومن أجل هذه الحماية انتدب النَّبيُّ ﷺ بعض أصحابه للقضاء على كل من اشتد ضرره على الدعوة ونقض عهده مع الرَّسول ﷺ ، فقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **من لكعب بن الأشرف** [٣] **؟ فإنَّه آذى الله ورسوله** » [٤] فانتدب إليه بعض أصحابه فاغتالوه ، وكذلك فعل عليه الصَّلاة والسَّلام مع أبي رافع بن الحقيق [٥] حينما آذاه وأعان عليه غطفان ومشركي قريش ، فأرسل ﷺ إليه رجالاً من الأنصار فقتلوه .

وقد دافع النَّبيُّ ﷺ عن الدعوة وخاض من أجل ذلك المعارك الكبيرة والمشهورة كمعركة

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤٠) .

(٢) التدرج في دعوة النَّبيّ ﷺ ، ص٨١ .

(٣) هو كعب بن الأشرف اليهودي ، كان يقول الشعر ، ويخذل عن النَّبيِّ ﷺ ويتشبب بنساء المسلمين ، وقد أمر النَّبيُّ ﷺ بقتله فقُتل . انظر : الإصابة ، ٧/ ٣٣٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قتل كعب بن الأشرف ، رقم الحديث (٤٠٣٧) .

(٥) هو عبد الله بن الحقيق من يهود خيبر . انظر : السيرة النَّبويَّة ، ٢/ ٢٧٤ ، لابن هشام .

بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين ، وتبوك وغيرها [(١)] .

فدافع عليه الصَّلاة والسَّلام عن الدعوة وعن منجزاتها هو وأصحابه الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ فكانت قاعدة الانطلاق بعد ذلك في العصر الراشدي والعصور الأخرى الَّتي تلته [(٢)] .

ب ـ الدعوة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين :

ـ لقد اهتم الخلفاء الراشدون والمجتمع الراشدي بالدعوة إلى الله تعالى غاية الاهتمام ، وذلك لأنَّهُم نتاج تربية النَّبيِّ ﷺ الَّذي هيأهم لحمل راية الدعوة الإِسلاميَّة وتبليغها للعالم كافة .

وقد كان الخلفاء الراشدون والمجتمع الراشدي على قدر تحمل المسؤولية الَّتي أنيطت بهم .

فقد كانوا يتعبدون الله تعالى بالدعوة إليه بكل الوسائل والأساليب ، ويعتبرونها أمرًا مهمًا على كل فرد بقدر استطاعته وبحسب موقعه ، تصديقًا لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [(٣)] .

ـ ولقد قام الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ والصحابة الكرام بحمل لواء الدعوة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ اقتداءً به ، وعملاً بتوجيهاته وأوامره عليه الصَّلاة والسَّلام واستكمالاً في إيصال دعوة الإسلام للبشرية عامة ، ولاتصافهم بالخيرية ، والوسطية الَّتي وصفهم الله بها في قوله :

---

(١) انظر : التدرج في دعوة النَّبيِّ ﷺ ، ص٨٢ .

(٢) انظر بتوسع : منهج النَّبيِّ ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، ص٢٧٧ ، الطيب برغوث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

(٣) سورة فصلت ، الآية (٣٣) .

﴿ كنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ﴾ (١) .

ـ وقد تميزت الدعوة الإِسلاميَّة في العصر الراشدي أن الخلفاء الأربعة والصحابة الكرام استنفدوا جميع الوسائل والأساليب في تبليغ دعوة الإسلام لجميع النَّاس في أقطار الدّنيا كما فعل النَّبيُّ ﷺ .

ـ والمتأمل في الدعوة الإِسلاميَّة في العصر الراشدي يجد أن هناك عوامل خارجية ، وعوامل داخلية أدت إلى نجاحها :

أوَّلاً : العوامل الخارجية الَّتي أدت إلى نجاح الدعوة في العصر الراشدي وهذه العوامل ترجع إلى أمر خارج عن ذات الدعوة ولكنها هيأت لها أسباب النجاح (٢) .

ومن أهم هذه الأسباب :

حاجة البشرية للدعوة الإِسلاميَّة سواء كانوا عربًا أو غير عرب وذلك بسبب الخلل الدِّينيِّ ، والاضطراب السياسي والاجتماعي .

فالخلل والاضطراب الدِّينيُّ والسياسي والاجتماعي عند العرب كان موجودًا قبل بعثة النَّبيِّ ﷺ ، وانجلى غالبه بدعوته وجهاده ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، هو وأصحابه الكرام ، وقد دانت له الجزيرة العربيَّة سياسيًا ، وشرفت بالالتزام بحسن الأخلاق ، والبعد عن الرذائل ، وارتقت بالتقوى والطاعة .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

(٢) انظر : أسباب نجاح الدعوة في العهد النبوي ، ص٢٥ .

((وبعد وفاته ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، وفي بداية خلافة الصديق رجع الخلل والاضطراب الدِّينيّ والسياسي والاجتماعي في الجزيرة العربيَّة بسبب ردة بعض القبائل ، وظهور مدعي النبوة وعلم الغيب .

فكان موقف أبي بكر الصديق ﷺ حازمًا ورادعًا للردة وأهلها وقامعًا لمدعي النبوة ، وحافظًا للدعوة الإِسلاميَّة ومنجزاتها .

ولقد بذل الصديق ﷺ هو والصحابة الكرام كل الوسائل والأساليب الدعوية البيانية والعملية من خطب ووعظ ومناصحة ومن تجييش الجيوش وعقد الألوية لحفظ الدَّولة والدعوة وإرجاع النَّاس إلى الدِّين الحنيف وضبط المجتمع بالدين والأخلاق والأمن)) (١) .

وبهذا فقد نجح أبو بكر الصديق والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في الامتحانين اللذين قدرهما الله في بداية العصر الراشدي .

وقد كان الامتحان الأَوَّل : اختيار الخليفة .

والامتحان الثَّاني : ردة بعض القبائل العربيَّة .

ولقد كان من أهم فوائد هذين الامتحانين :

١ ـ ترابط مجتمع الجزيرة العربيَّة دينيًا ، واجتماعيًا ، وسياسيًا ، والخضوع للخليفة بالسمع والطاعة .

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٢٣٩ .

٢ ـ تهيئة الجزيرة العربيَّة لتكون قاعدة انطلاق الدعوة والجهاد والفتوحات في خارج الجزيرة العربيَّة (١) .

وأما الخلل الدِّينيّ والاضطراب السياسي والاجتماعي عند غير العرب في العصر الراشدي فقد تعددت الأديان والمذاهب في دولتي فارس والروم ممَّا أدى ذلك إلى تعصب كل طائفة لرأيها وفكرها ودينها الَّذي آمنت به ، ونتج عن ذلك التنازع بين أفراد المجتمع الروماني والفارسي فضعفت قواه ، وتفككت أواصره ، وظهرت الأحقاد والكراهية والبغضاء بين أفراده .

ولقد سرت روح الفوضى والإباحية الَّتي دعت إليها أديانهم الباطلة (٢).

وسادت الشهوات الجامحة بين أفراد فارس والروم حتَّى صاروا لا يعرف الرَّجل منهم ولده ولا المولود أباه .

وانقسم المجتمع إلى طبقة رجال الدِّين ، وطبقة الرأسمالية ، وكان الصراع قائمًا على قدم وساق على الملك والسلطان ، وبلغ ذروته أن تحاسد الأخوان على السلطة ، وأصبح كل واحد منهم يكيد لأخيه للوصول للملك والسلطة ، حتَّى ولو أدى ذلك إلى قتله ، وقد نتج عن هذا الصراع أن وصل إلى سدة الحكم تسعة ملوك خلال أربع سنوات (٣) .

---

(١) انظر : أبو بكر الصديق ﷺ شخصيته وعصره ، ص٢٦٨ ، د. علي الصلابي ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(٢) انظر : الدعوة الإِسلاميَّة بين سياسة عمر وعثمان ، ص١٦٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٦١ .

ولا شك أن هذا قد أدى إلى الضعف النفسي ، والأنانية المقيتة ، والعبث السياسي بين أفراد الأسرة المالكة ، بل لقد شاع الظلم ، وظهر المنكر بأجلى معانيه ، وارتكبت الكبائر والجرائم الأخلاقية [١] .

ـ ولا غرابة أن يتدهور الوضع الاجتماعي والسياسي في أي أمة إذا تدهور حالها الاعتقادي ، فإن التدهور في الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي يعتبر استجابة حتمية لواقع الأمة الاعتقادي ، نظرًا للتلازم الوثيق بين عقيدة المجتمع الدِّينيَّة ، وطبيعة نظمه الاجتماعيَّة والأخلاقية والاقتصادية والفكرية والسياسية [٢] .

ـ وهكذا كان أفراد المجتمع الفارسي والروماني بحاجة ماسة لوصول الدعوة الإِسلاميَّة إليه ، وقد بذل الخلفاء الراشدون كل الوسائل لإيصالها إليهم وانتشالهم من مستنقعات الكفر والفسق والزندقة والموبقات والجرائم الأخلاقية ، وكان من أبرز الوسائل الَّتي استعملها المسلمون في العصر الراشدي هي الجهاد الَّذي به استطاعوا إزاحة العوائق الحسية والفكرية والاعتقادية لترى الشّعوب المقهورة نور الإيمان ، وسماحة الإسلام ، واستتباب الأمن على العرض والنفس والأوطان [٣] .

ثانيًا : العوامل الداخلية الَّتي أدت إلى نجاح الدعوة في العصر الراشدي .

---

(١) انظر : الدعوة الإسلامية بين سياسة عمر وعثمان ، ص١٦٥ .
(٢) انظر : أسباب نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، ص٥٠ .
(٣) انظر : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، ص١٦٢ .

وهي العوامل اللصيقة بالدعوة من حيث ذاتها المتعلقة بالمبادئ والأحكام والأصول ، وكذلك العوامل اللصيقة بالدعاة الَّذين قاموا بواجب الدعوة من حيث صفاتهم ، وأخلاقهم ، واهتماماتهم العلميَّة والعملية [(١)] .

أ/ العوامل الذاتية في الدعوة الإسلاميَّة :

وهي أَنَّها ربانية ، فطرية ، شاملة لجميع أمور الحياة ، تخاطب العقل ، سهلة الفهم ، تقوم على الجهاد .

هذه العوامل الَّتي اختصت بها الدعوة الإسلاميَّة جعلت منها دعوة مستقلة متفردة تختلف عن كل الدعوات سواء كان فيما تدعو إليه من المعتقدات والمناهج والأعمال ، وذلك لأنَّها ربانية دستورها القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة ، واتفاقها مع الحق الَّذي ينشده ويبحث عنه كل إنسان ، مع عدم مخالفتها للفطرة البشرية الَّتي فطر الله عليها النَّاس [(٢)] .

قال الله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [(٣)] .

فالدعوة الإسلاميَّة دعوة ثابتة في مناهجها ومعتقداتها ومتسمة باليسر والسهولة في مبادئها وتشريعاتها وأحكامها ، وفي طريقة تبليغها ونشرها ، بحيث تتفق مع الفطرة ، وتصلح لكل

---

(١) انظر : أسباب نجاح الدعوة الإسلاميَّة في العهد النبوي ، ص١٣٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٣٥ .

(٣) سورة الروم ، الآية (٣٠) .

زمان ومكان ، فلا تحتاج إلى التبديل، والتغيير ، والتطوير ، لأنَّهَا ربانية شرعها رب السماوات والأرض الَّذي يعلم بمصالح البشر وبمآلات حياتهم (١) .

وهي محفوظة بحفظه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

فالدعوة الإِسلاميَّة بهذه الخصائص والسمات تتميز عن كل الدعوات البشرية ، الَّتي يلحقها النقص والعيب ، والغفلة ، وعدم الشمول ، والظلم ، والطبقية .

فدعوة تتسم بهذه الصِّفات والمميزات لا تتفق مع الدعوات والمناهج الأخرى ، وفي المقابل فهي لا ترضى بوقوع ما يخالف ما تدعو إليه من العدل ، والأمن ، والحرية ، والحياة السعيدة ، وعدم الظلم (٣) .

وهذا بلا شك يستعدي عليها جميع الدعوات والمناهج الباطلة الَّتي هدفها التسلط على البشرية اعتقاديًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا .

ولهذا فقد شرع الله تعالى الجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام لحماية هذه الدعوة الإِسلاميَّة ومنجزاتها مع وعده سبحانه وتعالى بحفظه لها ولكنه سبحانه وتعالى أتاح الفرصة لأهل الدعوة الإِسلاميَّة ببذل الأسباب الجهادية لحفظ أنفسهم ، وحفظ الدعوة الَّتي يدعون لها، قال الله

---

(١) انظر : أسباب نجاح الدعوة في العهد النبوي ، ص١٣٥ .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٩) .

(٣) انظر : أسباب نجاح الدعوة في العهد النبوي ، ص١٨٢ .

تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الله الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَالله لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ، وكذلك لإزالة العوائق الَّتي تحول دون وصولها إلى البشرية كلها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٢) (٣).

ب/ العوامل الذاتية في الدعاة :

وكان من أهم نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العصر الراشدي الصَّحابة الكرام وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ فقد كان لهم أعظم الأثر في نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، وقد واصلوا إنجاحها في العصر الراشدي .

ولا غرابة في ذلك فهم الَّذين تربوا بين يدي النَّبيِّ ﷺ وعدَّلهم الله تعالى وعدَّلهم رسوله ، فعدالتهم ثابتة لا نقاش فيها ، فقد أثنى الله تعالى عليهم في قوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٤) ، وامتدحهم النَّبيُّ ﷺ بقوله : « **لا تسبوا أصحابي ، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه** » (٥) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٠) .

(٢) سورة النِّساء ، الآية (٧٥) .

(٣) الدعوة الإِسلاميَّة بين سياسة عمر وعثمان ، ص٢٠١ .

(٤) سورة براءة ، الآية (١٠٠) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول النَّبيّ ﷺ : ((لو كنت متخذًا خليلاً)) . رقم الحديث (٣٦٧٣) .

ـ وقد حرص النَّبيُّ ﷺ على الاهتمام بتربية الصَّحابة على العلم والعمل وقد شاهدوه صورة حية وهو يحرص على العلم ومراجعة ما يتنزل به جبريل ـ عليه السَّلام ـ بالوحي ويُتْبِعُ ذلك بالعمل في تبليغه .

ولهذا فقد تميز الصَّحابة في حمل لواء الدعوة في العهد النبوي والراشدي لأن المصدر الَّذي يستقون منه هو القرآن والسُّنَّة .

ولذلك فقد حازوا قصب السبق في العلم والعمل ، والتقوى ، والزهد والورع ، والعدل ، والحزم ، والرحمة والشفقة ، وعلو الهمة وطلب المعالي ، وسمو القيِّم والأخلاق [١] .

وقد كان للخلفاء الراشدين الأربعة الدور البارز في تفعيل النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعملي لمصلحة الدعوة الإِسلاميَّة وفي سبيل الحفاظ عليها [٢] .

وقد سبق الكلام في الفصل الأَوَّل عن الأعمال الَّتي قام بها الخلفاء الراشدون من الحسبة ، والجهاد ، والتعليم ، والإنفاق ، والحزم في النواحي الماليَّة ، والشدة والحزم على العابثين بالأمن والأخلاق ومنجزات الدعوة .

---

(١) انظر : تربية النَّبيِّ ﷺ لأصحابه في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، ص١٩٠ ، د.خالد القرشي . وأسباب نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، ص٣١٧ .

(٢) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين وأثرها في الدعوة إلى الله ، ص٢٦٩ .

ـ ولقد تأثر المجتمع الراشدي بهذه الجهود الَّتي قام بها الخلفاء الراشدون وكبار الصَّحابة [١] ما جعلهم قدوة ، وخير مثال لجميع المجتمعات ، بل كان ذلك من أقوى أسباب دخول النَّاس في دين الله أفواجًا .

❁❁❁

(١) انظر : الدعوة الإِسلاميَّة بين سياسة عمر وعثمان ، ص٢٢٤ .

المطلب الثَّاني

المجال الاقتصادي

تعريف الاقتصاد :

لغة : مأخوذ من القصد وهو استقامة الطَّريق والعدل ، والقصد في الشيء خلاف الإفراط ، وهو ما بين الإسراف والتقدير [١] .

اصطلاحًا : هو الأحكام والقواعد الشَّرعيَّة الَّتي تنظم كسب المال وإنفاقه ، وأوجه تنميته [٢] .

نشأة علم الاقتصاد الإسلامي :

ـ لقد كان الاقتصاد معروفًا عند جميع الأمم من حيث الاهتمام بالمال وتنميته ووضع الضَّوابط والأسس في الإنفاق والادخار ، ولكن تميز الاقتصاد الإسلامي أن النَّبيَّ ﷺ هو الَّذي اهتم بوضع قواعده ومنع وسائله ومسائله النافذة للفساد .

ـ فقد كان ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، خبيرًا بالتجارة ، وخاصة وأَنَّهُ نشأ في مجتمع تجاري ، فقد كانت مكة ملتقى القوافل التِّجاريَّة ، وكان أهل مكة أكثر أهل الجزيرة تجارة وغنى ،

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام ، ص١ ، د.مسفر القحطاني .

(٢) المرجع السَّابق ، ص١ .

بالإضافة إلى ممارسته ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، للتجارة في مال زوجه خديجة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ ، واهتمامه بالإنفاق وتنمية المال والتجارة للإنفاق على الدعوة ، وتحرير العبيد الَّذين أسلموا في العهد المكي بالإضافة إلى تحليه بالأمانة الَّتي جعلت بيته مستودعًا لحاجيات النَّاس وأموالهم حتَّى وهو في أصعب الأوقات ، ونشوب الخصام بينه وبين قومه على التوحيد ، كان ﷺ محل التقدير والثقة والأمانة عند قومه [١] ، وقد ذكرت لنا كتب السيرة أَنَّه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، أبقى عليًا ﵁ بمكة عندما أراد الهجرة ليرد الأمانات والودائع الَّتي في بيته إلى أهلها [٢] .

ـ ولكنه ﷺ ظهر اهتمامه الاقتصادي جليًا عند انتقاله للمدينة وتأسيسه للدولة ، فقد قام ببناء المسجد الجامع للناس ، ثمَّ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الأغنياء والفقراء ، وما ترتب على ذلك من تقاسم الثروات ثمَّ إقامة سوق للمسلين ، وإبرام المعاهدات مع اليهود الَّذين يسكنون المدينة ، وبالإضافة إلى ذلك وهو الأهم وضع الضَّوابط والقواعد الاقتصاديّة الَّتي تضبط المعاملات الاقتصاديّة [٣] .

وكان من أهم هذه القواعد والَّتي ليست على سبيل الحصر :

أولاً : إتقان العمل :

---

(١) انظر : التعاليم الاقتصاديّة في السُّنَّة النَّبويَّة ، ص١٢ ، د.كمال حطاب ، المكتبة الشاملة .

(٢) انظر : الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص٨٥ ، لابن عبد البر ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٣هـ .

(٣) انظر : التعاليم الاقتصاديّة في السُّنَّة النَّبويَّة ، ص١٣ .

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » [١] .

فقد حث عليه الصَّلاة والسَّلام على الإتقان في العمل الَّذي يؤدي إلى تحقيق وافر الجهد والوقت مع مراعاة الجودة النوعية والكمية ، والَّذي يؤدي إلى الإخلاص في العمل ، والبعد عن إنتاج السِّلع الضارة [٢] .

ثانيًا : لا ضرر ولا ضرار :

قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ الله بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ الله عَلَيْهِ » [٣] .

وهذا الحديث يدل على قاعدة شرعيّة اقتصادية يمكن أن يندرج تحتها كل سلوك اقتصادي أو صيغة مستجدة تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع [٤] .

ثالثًا : تحريم أكل أموال الناس بالباطل :

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « لا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَنَاجَشُوا ، وَلا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يَخْذُلُهُ ، وَلا يَحْقِرُهُ ، .... كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته ، ١/ ٣٨٣ . وقال عنه الشيخ الألباني : حديث حسن .

(٢) انظر : التعاليم الاقتصادية في السنة ، ص١٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأقضية ، باب من القضاء ، رقم الحديث (٣٦٣٥) .
وحسنه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير ، ٢/ ١٠٨٩ .

(٤) انظر : التعاليم الاقتصادية في السنة النبوية ، ص١٣ .

دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ » [١] .

فهذا الحديث يدل على تحريم كل أشكال أكل المال بالباطل ، لأن الأصل حرمة مال المسلم ، فأية طريقة يتم من خلالها الاعتداء على مال المسلم تعتبر طريقة محرمة يجب منعها [٢] .

رابعًا : المسؤولية :

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ، وَمَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ » [٣] .

خامسًا : تحريم الاحتكار :

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « من احتكر فهو خاطئ » [٤] .

((والمحتكر هو الَّذي يعمد إلى شراء ما يحتاج إليه النَّاس من الطَّعام فيحبسه عنهم ويريد

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، رقم الحديث (٢٥٦٤) .

(٢) انظر : التعاليم الاقتصادية في السنة النبوية ، ص١٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث (٨٩٣) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الاحتكار ، رقم الحديث (١٦٠٥) .

إغلاءه عليهم وهو للمشترين)) (١) .

ـ ولم يقتصر اهتمامه ﷺ على هذه التوجيهات بل إنَّه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، سد المنافذ المؤدية للفساد في المعاملات الاقتصاديّة ، وقد ذكر العلماء أن أسباب المفاسد العامَّة وفي المعاملات الاقتصاديّة خاصة تنحصر في أربعة أمور (٢) :

وهي الرِّبا ، والغرر (٣) ، والشروط الفاسدة ، والسلع والأنشطة المحرمة .

هذه بعض القواعد والأسس والمعالجات والضوابط الَّتي وضعها النَّبيُّ ﷺ في المعاملات الاقتصاديّة ولا يمكن التطرق لجميعها ، ولكن يمكن القول أن هذه القواعد والضوابط والمعالجات للمعاملات الاقتصاديّة الَّتي قام بها النَّبيُّ ﷺ ، بالإضافة إلى مشروعيته للزكاة ، ومصارفها ، والجزية ، والفيء، والغنيمة ، والخراج ، وتشجيعه للتجارة والزراعة والصناعة استطاع عليه الصَّلاة والسَّلام من خلال ذلك أن يؤسس اقتصادًا إسلاميًا قويًا كان من آثاره ما آلت إليه دولة الخلافة الراشدة في عهد الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ من القوة والمنعة والبركة في الأرزاق والكثرة في الأموال .

خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي :

١ ـ أنَّه نظام رباني : لأن منطلقاته من الله ، وغاياته إلى الله ووسائله لا تحيد عن شرع الله .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٨/ ٧٥ ، لابن تَيْمِيَّة .

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ٣/ ١٤٥ ، لابن رشد ، دار الحديث ـ القاهرة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٣) الغرر : ((هو كل ما فيه مخاطرة ، كبيع الثمار قبل بدو صلاحها ، وبيع الأجنة في البطون ، وغير ذلك)) ، مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة ، ١٩/ ٢٨٣ .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (١) .

فالاقتصاد في الإسلام ليس هدفًا في ذاته ، ولكنه ضرورة للإنسان ، ووسيلة لازمة له ليحيا ويعمل لغاياته العليا وهي خدمة العقيدة ورسالة الإسلام (٢) .

فمصادر النظام الاقتصادي : القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهرة ، والإجماع ، والقياس ، والمصالح المرسلة ، وسد الذَّرائع ، والعرف ما لم يخالف نصًا شرعيًا (٣) .

٢ ـ رقابة مزدوجة :

النشاط الاقتصادي في الإسلام يخضع لرقابتين : رقابة بشرية ، ورقابة ذاتية .

فالرقابة البشرية عُرفت من واقع سيرة النَّبيِّ ﷺ الَّذي كان يراقب الأسواق بنفسه ، وهكذا كان الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ يراقبون الأسواق (٤) .

وأمَّا الرقابة الذاتية فقد ظهرت من خلال تربية النَّبيِّ ﷺ للناس التربية الإيمانية وذلك لتوجيه الاقتصاد الوجهة الَّتي يريدها الإسلام ، فلا يشتري إلاَّ حلالاً ولا يبيع إلاَّ حلالاً ، والرقابة الذاتية مقدَّمةً على الرقابة البشرية لأن المسلم يكون بذلك متعبدًا لله تعالى في بيعه

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٧٥) .

(٢) انظر : دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ص٢٩-٣٢ ، د.يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبه ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٣) انظر : المرجع السَّابق ص٤٢ .

(٤) انظر : الطبقات الكبرى ، ٣/ ٤٣ ، ٢٥١ ، لابن سعد . وانظر : الحسبة ، ص٣٦٨ ، لابن تيمية .

وشرائه [١] .

٣ـ الجمع بين الثبات والتطور :

أحكام الاقتصاد الإسلامي تمتاز بأنّها ثابتة ومتغيره فهي نوعان :

أحكام ثابتة بأدلة قطعية أو راجعة إلى أصل قطعي في الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع كحرمة الرِّبا ، وحل البيع ، قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [٢] ، وكحرمة مال المسلم كما في حديث « **إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم** » [٣] .

والنوع الثَّاني : الأحكام المتغيرة ، وهي الَّتي تتغير أحكامها تبعًا لمقتضيات المصلحة ، وذلك باختلاف أحوال النَّظر فيها ، فهي خاضعة لاجتهاد العلماء بحسب ما يرونه مناسبًا لمستجدات الحياة وفق مقاصد الشَّريعة المعتبرة .

مثل إيقاف عمر رضي الله عنه صرف سهم المؤلفة قلوبهم من الزَّكاة معللاً ذلك بأن النَّبيَّ ﷺ إنما كان يعطيهم ليتألف قلوبهم والإسلام ضعيف ، أمَّا وقد أعزَّ الله دينه فلا حاجة لتأليفهم ، وقد أقره الصَّحابة على ذلك فكان إجماعًا [٤] .

---

(١) انظر : القيِّم الإِسلاميَّة في السلوك الاقتصادي ، ص٨٠ ، د.أحمد يُوسف ، دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م . ودور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ص٣٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٧٥) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب ظهر المؤمن حمى إلاَّ في حد ، رقم الحديث (٦٧٨٥) .

(٤) انظر : النظام الاقتصادي في الإسلام ، ص٢ ، د.مسفر القحطاني . والقيِّم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨ .

٤ ـ الجمع بين المصلحتين العامَّة والخاصة فهو اقتصاد وسطي :

لم يهدر الإسلام مصلحة الفرد على حساب مصلحة الجماعة ، وإنما كان ينفرد بسياسة اقتصادية معتدلة متزنة تجمع بين المصلحتين العامَّة والخاصة .

فالإسلام شجع على العمل ومقت البطالة ، وأجاز للفرد التملك ، وجعل مصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة الجماعة ومعينة لها ، ولهذا فلا يحل لفرد من أفراد الأمة استغلال المصلحة العامَّة لحسابه الخاص لأن في ذلك ضياعًا للأموال واحتكارًا للأقوات ، وإضرارًا بالناس ، واستغلالًا لمصالحهم العامَّة [(١)] .

الحياة الاقتصاديّة في عصر الخلفاء الراشدين :

ـ التحق النَّبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى وقد أسس اقتصادًا منظمًا ومنضبطًا بالضوابط والأسس الشَّرعيَّة الَّتي تحفظ حقوق الفرد وحقوق الجماعة ، وتساهم في تنمية المال وإحلال البركة فيه سواء كان في إيرادات مالية الدَّولة الإِسلاميَّة أو في نفقاتها .

وعندما جاء الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ ساروا على الخطا الَّتي سار عليها النَّبيُّ ﷺ واجتهدوا في ذلك ، وأصبح الوضع الاقتصادي في عصرهم أحسن حالاً وأكثر أموالاً بسبب الفتوحات الَّتي أسس لها النَّبيُّ ﷺ وحثهم عليها ، والَّتي كانت سببًا في رفع وزيادة إيرادات الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة ، فمالية الدَّولة الإِسلاميَّة تنقسم إلى قسمين :

---

(١) انظر : خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي ، ص٢٠٧ ، محمَّد برناوي ، نشر مجلة الجامعة الإِسلاميَّة بالمدينة المنورة ، في ١٤٠١هـ . ودور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ص٢٥١ .

أ / الإيرادات .

ب / النفقات .

القسم الأَوَّل : إيرادات الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة :

١ ـ الغنائم :

الغنيمة من الغُنْم وهو الربح ، وهي ما أخذ من مال حربي قهرًا بقتال (١) .

وتقسم الغنيمة خمسة أسهم ، سهم منها لله ولرسوله ﷺ ولمن سمى الله تعالى في قوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٢) ، وأَمَّا أربعة أخماس الغنائم الأخرى فإنَّها توزع على المقاتلين الَّذين شهدوا القتال ، وهذا بلا شك ممَّا يرفع مستوى معيشتهم (٣) .

ولقد غنم المسلمون في عهد أبي بكر الصديق في حروب الردة من القبائل المرتدة الخيل والإبل والسِّلاح والذهب والفضَّة (٤) ممَّا كان له الأثر في إضعاف المرتدين وقوة الدَّولة الراشدة الَّتي تفرغت بعد ذلك لتوجيه الجيوش الإِسلاميَّة لفتح فارس والروم والَّتي كان من آثارها كثرة الغنائم في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه وزادت زيادة كبيرة لاتساع المناطق المفتوحة ، وكان القادة الفرس والروم يخرجون إلى ميدان القتال بكامل أبهتهم فيقع سلبهم للمسلمين ، وقد فتحت

---

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ص٢٩٧ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٢٣) .

(٣) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٢٣ .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٠٣ .

المدن العظيمة كالمدائن وهمدان والري وغيرها ، فحاز المسلمون أموالاً عظيمة من الذَّهب والفضَّة والمجوهرات ، وكان من أعظم الغنائم هي أرض السوادين الَّتي أوقفهما عمر ﷺ للدولة [١] .

وفي خلافة عثمان توسعت الفتوحات فشملت خراسان وأفريقيه وبلغ سهم المقاتل ألف دينار [٢] ، وهكذا كانت الفتوحات الإِسلاميَّة وسيلة من وسائل كثرة الرزق ونشر الدِّين وإدخال النَّاس في دين الله أفواجًا .

٢ ـ الفيء :

هو ما أخذ من الكفَّار بغير قتال ، لأن ايجاف الخيل والركاب هو معنى القتال ، وسمي فيئًا لأن الله أفاءه على المسلمين أي رده عليهم من الكفَّار [٣] .

وهو الَّذي ورد في قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [٤] .

وهكذا فإن أموال الفيء كلها للدولة تتصرف في إنفاقها في التكافل الاجتماعي والتقريب

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

(٣) السِّياسة الشَّرعيَّة ، ص٦٢ ، ابن تَيْمِيَّة ، دار المعرفة .

(٤) سورة الحشر ، الآية (٧) .

بين فئات المجتمع الاقتصاديّة ، ولما تولى أبو بكر ﷺ الخلافة جعل سهم الرَّسول ﷺ من الخمس في الجهاد في سبيل الله ، وأمَّا سهم ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فولى عليه عليًا ﷺ ليقوم بقسمته [١] .

وقد ظهرت قضية ميراث الرَّسول ﷺ ، وكان يتصرف في حياته بأموال الفيء وفق التوجيه القرآني ، فلما توفي ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، طالبت فاطمة - رَضِي الله عَنْهَا - بنصيبها ممَّا ترك من سهامه من خيبر وفدك وصدقاته بالمدينة ، وقد أوضح أبو بكر الصديق ﷺ أن هذه الأموال لا تورث وفق وصية النَّبيِّ ﷺ : « **لا نورث ، ما تركنا صدقة** » ، فكان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق على أهل الرَّسول ﷺ من الفيء وما بقي يضعه في المصالح الأخرى ، ولم تطالب أزواج الرَّسول ﷺ بميراثهن بعد أن ذكرتهن عائشة - رَضِي الله عَنْهَا - بحديث : « **لا نورث ، ما تركنا صدقة** » ، وقد سار الفاروق عمر ﷺ في النفقة على أزواج النَّبيِّ ﷺ من فيء أرض بني النضير سنتين من خلافته ثمَّ دفعهما للعباس وعلي - رضي الله عنهما - بشرط إمضاء سياسة النَّبيِّ ﷺ فيها وهي إعطاء أهله نفقة سنة كاملة ، والباقي ينفقه في صالح الدَّولة [٢] .

٣- الجزية :

الجزية هي : الخراج المضروب على رؤوس الكفَّار إذلالاً وصَغَارًا [٣] .

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٢٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢٢٦، ٢٢٧ .

(٣) أحكام أهل الذمَّة ، لابن القيِّم ، ١/ ١١٩ .

وجمعها : الجِزى ، مثل : لحية ولحى (١) .

وهي مشتقة من الجزاء ، إمَّا جزاءً على كفرهم لأخذها منهم صغارًا ، أو جزاءً على أمننا لهم لأخذها منهم رفقًا (٢) .

والأصل في الجزية : الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، أمَّا الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالله وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣) .

وأمَّا السُّنَّة فروى المغيرة أَنَّه قال لجند كسرى بنهاوند : أمرنا نبينا ﷺ أن نقاتلكم حتَّى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية (٤) .

وأجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية في الجملة (٥) .

ـ وهي تؤخذ من أهل الذمَّة الَّذين فتحت بلادهم عنوة أو صلحًا ، وتؤخذ في نهاية الحول من الرِّجال البالغين دون الأطفال والنِّساء ، وتسقط عن الفقير ، والعاجز ، والمريض ، والشَّيخ

---

(١) لسان العرب ، ١٤/ ١٤٧ .

(٢) المرجع السَّابق ، ١/ ١١٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٢٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب الجزية ، رقم الحديث (٣١٥٩) .

(٥) انظر : العدة شرح العمدة ، ٢/ ٢١٨ ، عبد الرَّحمن المقدسي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

الهرم ، والذمي إذا أسلم [١] .

والحكمة في مشروعية الجزية :

إشعارهم بالذل عند دفع الجزية مع تهيئة الجو الإسلامي لهم من خلال مخالطتهم بالمسلمين ، وإطلاعهم على محاسن الإسلام ، رجاءً في دخولهم إلى الإسلام باختيارهم [٢] .

ولهذا فقد أوجب الإسلام حسن معاملتهم والإحسان إليهم وعدم الإساءة لهم ، قال الله تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِين ﴾ [٣] .

إضافة إلى اشتراكهم في السكنى مع المسلمين في وطن واحد ينعمون به وبخيراته وأمنه ، فلزم من ذلك أن يتحملوا شيئًا من تبعاته الماليَّة فقط [٤] مع عدم إلزامهم بالأعمال العسكرية أو الانضمام للجيش الإسلامي الَّذي هدفه الجهاد ، والجهاد فريضة دينية لإعلاء كلمة الله ، فلا يجب إلزام غير المسلمين بالالتحاق به [٥] .

---

(١) موسوعة الفقه الإسلامي ، ٥/ ٥١٤ ، محمَّد التويجري ، نشر بيت الأفكار الدُّوليَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

(٢) انظر : فتح الباري ، ٦/ ٢٥٩ ، لابن حجر .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية (٨) .

(٤) انظر : موسوعة الفقه الإسلامي ، ٥/ ٥١٣ . وانظر : الإدارة في عصر الرَّسول ﷺ ، ص١٥٥ ، أحمد عجاج ، دار السَّلام ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ .

(٥) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٨٨ .

الجزية في عصر الخلفاء الراشدين :

تعد الجزية موردًا مهمًا من موارد بيت المال ، الَّتي تصرف في المصالح العامَّة للمسلمين [(١)] .

فعندما انطلقت الفتوح الإِسلاميَّة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ نحو العراق والشام حقق المسلمون نجاحًا فائقًا ، حيث عقدت معاهدات الصلح مقابل مبالغ مالية تدفع للدولة الإِسلاميَّة من المدن والقرى الَّتي صالحت المسلمين ، مثل الحيرة الَّتي صالحت على سبعين ألف درهم ، وقيل مائة ألف درهم ، وحُمل الخمس من ذلك إلى المدينة فكان أوَّل مال يُحمل إلى المدينة من العراق [(٢)] .

ثمَّ صالحت مدن وقرى أخرى كالأنبار وعين التمر ، وبصرى الشَّام ، وقد بعث خالد بن الوليد بالأخماس لأبي بكر الصديق ، ثمَّ جاءت الفتوحات العظيمة بعد وفاة أبي بكر الصديق في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ففتحت بلاد الشَّام والعراق ، ومصر [(٣)] ، فأصبحت الجزية في خلافة عمر الفاروق ﷺ موردًا فياضًا بالأموال عزز بيت المال ولذلك فقد اهتم به الفاروق ووضع له بعض التنظيمات الَّتي تحفظه وتيسر على الجباة القيام بمهمة الجباية ، وقد روي أن عمر ابن الخطاب ﷺ كان يأخذ في الجزية أهل كل صناعة من صناعتهم بقيمة ما يجب عليهم ، وكذلك كان عثمان ﷺ ، وكذلك كان علي ﷺ فقد كان يأخذ من أصحاب الإبر الإبر ، ومن

---

(١) انظر : الأحكام السُّلطانيَّة ، ص١٥٣ ، لأبي يعلى الفراء ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، الطبعة الثَّانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) انظر : الحياة الاقتصاديّة في العصور الإِسلاميَّة الأولى ، ص٦٩ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٦٩ .

أصحاب الحبال الحبال [١] .

وقد استمرت جباية الجزية في خلافة عثمان ﷺ على طريقة عمر بن الخطاب ﷺ نفسها إِلاَّ أن حصة إيرادات الجزية زادت في خلافته بسبب توسع الفتوحات الَّتي وصلت إلى بلاد سجستان وخراسان وبلاد أفريقية [٢] .

وفي خلافة علي ﷺ انخفض مستوى جباية الجزية بسبب الفتن الداخلية وتوقف الفتوحات وعدم توسعها ، وانتقاض بعض المناطق المفتوحة [٣] .

وللفائدة فإن هناك فرقًا بين البلاد المفتوحة عنوة والبلاد الَّتي فتحت صلحًا ، فالمصادر التاريخية والفقهية عند حديثها عن البلاد المفتوحة تصنفها إلى بلاد فتحت عنوة وبلاد فتحت صلحًا ، والتمييز الَّذي يتضمنه هذا التصنيف أن البلاد الَّتي فتحت عنوة وُضعت عليها ضريبة مالية على الرِّجال وتسمى جزية ، وضريبة مالية على الأرض وتسمى خراجًا ، ويكون بمقدور ولاة الأمر أن يعدِّلوا في وضع هذه الضَّرائب الماليَّة وفق المعطيات المتجددة ، أمَّا البلاد الَّتي فتحت صلحًا وضعت عليها ضريبة مالية إجمالية واحدة وفق العهود والمواثيق الَّتي أَبرمت معهم [٤] .

وقد تشتمل هذه العهود والمواثيق إضافة على الجزية تقديم بعض الخدمات مثل : إصلاح

---

(١) انظر : الحياة الاقتصاديّة في العصور الإِسلاميَّة الأولى ، ص٨٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٦٩ .

(٣) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٩٦ .

(٤) انظر : الحياة الاقتصاديّة في العصور الإِسلاميَّة الأولى ، ص٧٠ .

الطرق ، والجسور ، والقناطر ، وإرشاد الضال من المسافرين ، والضيافة لابن السبيل من المسلمين يومًا وليلة [١] .

٤ ـ الخراج :

لغة : الخراج هو الإتاوة ، وجمع الخراج أَخْرِجَةٌ ، كزمان وأزمنة [٢] ، وهو اسم للغلة [٣] .

اصطلاحًا : هو ما يُفرض على الأرض الَّتي فتحها المسلمون عنوة .

والأصل في قسمتها أن تقسم بين المجاهدين الغانمين ، ولكن يخير الإمام بين قسمتها بين المجاهدين وبين إيقافها على المسلمين .

فيكون نصيب الدَّولة الخمس ، بينما يكون نصيب المقاتلين أربعة أخماس الأرض [٤] .

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجزية والخراج [٥] :

أوجه الاتفاق بينهما :

١ ـ أن الجزية والخراج تؤخذان من المشرك صغارًا له وذلة .

٢ ـ أنهما مالٌ فيءٍ يصرفان في أهل الفيء .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٨٢ .

(٢) مختار الصحاح ، ص٨٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ٢٠/ ٥٥٧ ، لابن تَيْمِيَّة .

(٤) انظر : الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ص٢٩٨ ، للبهوتي .

(٥) انظر : الأحكام السُّلطانيَّة ، ص١٥٣ ، لأبي يعلى .

٣ ـ أنهما يجبان بحلول الحول ، ولا يستحقان قبله .

أوجه الاختلاف :

١ ـ أن الجزية ثبتت بالنَّصِّ القرآني ، قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [(١)] ، والخراج ثبت بالاجتهاد .

٢ ـ أن أقل الجزية مقدر بالشرع ، وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، والخراج أكثره وأقله مقدر بالاجتهاد .

٣ ـ أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر ، وتسقط باعتناق الإسلام ، والخراج قد يؤخذ مع الكفر والإسلام .

الخراج في عصر الخلفاء الراشدين :

في خلافة عمر ﷺ بعد فتح أرض السواد ـ العراق ـ جمع عمر ﷺ الصَّحابة الكرام ليستشيرهم في أرض العراق من حيث قسمتها بين المجاهدين أو إيقافها على المسلمين مع إقراره ﷺ أن الأرض المفتوحة عنوة تقسم بين المجاهدين لفعل النَّبيِّ ﷺ بأرض خيبر حيث أعطى النَّبيُّ ﷺ خيبر بعد أن فتحها لليهود يعملون بها ويزرعونها ولهم شطر ما يخرج منها [(٢)] ، وقد استمر ذلك في عهد الصديق أبو بكر وصدرًا من خلافة عمر [(٣)] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٢٩) .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب إذا استأجر أرضًا ، رقم الحديث (٢٢٨٥) .

(٣) انظر : المرجع السَّابق ، كتاب الإجارة ، باب إذا استأجر أرضًا ، رقم الحديث (٢٢٨٦).

ولكن عمر ﷺ كان رأيه عدم تقسيمها بل إيقافها على المسلمين مراعاة لحقوق الأجيال التَّالية ، وحرصه على تعزيز الجيش الإسلامي الفاتح، وحفاظًا على الثغور والنفقة عليها ، ومراعاة لمصالح المسلمين ، وليكون موردًا ثابتًا مستمرًا لبيت المال [(١)] .

وقد استند الفاروق عمر ﷺ بقوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ ﴾ [(٢)] إلى قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [(٣)] ثمَّ عقب ﷺ على هذه الآية الأخيرة بقوله : والله ما من أحد من المسلمين إِلاَّ وله حق من هذا المال أعطي منه أو منع ، حتَّى راعٍ بعدن [(٤)] .

وقد غلب هذا الرأي على المجتمعين ، وعزم عمر بن الخطاب ﷺ على وقفها على المسلمين ، وكان من فائدة هذا الإجراء عدم تحول الفاتحين إِلاَّ فلاحين ممَّا يضعف قدراتهم القتالية وخاصة وهم يواجهون الفرس والروم ، كما ربط الفلاحين القدامى بأرضهم وكسب ولاءهم ، وساعد على استمرار ازدهار الزراعة في السواد وخاصة وأن الفاتحين تنقصهم الخبرة الزراعية ، وكذلك

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٩٦ .

(٢) سورة الحشر ، الآية (٧) .

(٣) سورة الحشر ، الآية (١٠) .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب قسم الفيء والغنيمة ، حديث رقم (١٣٣٨٤) . وحسنه الشَّيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٥/ ٨٤ .

أوجد موردًا سنويًا كبيرًا لبيت المال ، خاصة وأن الأراضي المفتوحة في الشَّام ومصر عوملت وفق نظام الخراج أيضًا ، وهذا المورد مكَّن للدولة من تجهيز الجيوش الكبيرة ، والقيام بالإصلاحات المتنوعة وخاصة الارتقاء بالمستوى المعيشي للناس عن طريق نظام العطاء ، إضافة إلى الحد من نشوء الملكيات الإقطاعية الكبيرة ممَّا يولد تباينًا اقتصاديًا شاسعًا ويحصر تداول الثروة بأيد قليلة ، وهذا ما وعاه عمر رضي الله عنه وما جعله يصر على رأيه (١) .

ـ ونظرًا لأن الخراج ضريبة على الأرض خلافًا للجزية ، فإنَّه لا يسقط بإسلام صاحب الحق في استثمار الأرض سواء كان رجلاً أو امرأة عبدًا أو حرًا (٢) .

ـ وكان عمر رضي الله عنه ينهج في سياسته الرفق مع أهل الخراج خوفًا من المشقَّة عليهم وإجهادهم فكان يسأل عماله على مسح السواد ويقول لحذيفة بن اليمان ، وعثمان بن حنيف : كيف فعلتما ، أتخافان أن تكونا قد حمَّلتما الأرض ما لا تطيق ؟ قالا : حملناها أمرًا هي له مطيقة ، ما فيها كبير فضل ، قال : انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق ، قالا : لا ، فقال عمر : لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا . قال عمرو بن ميمون (٣) راوي الحديث : فما أتت عليه رابعة حتَّى أصيب (٤) .

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٩٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٩٩ .

(٣) عمرو بن ميمون الأودي ، أسلم في حياة النَّبيِّ ﷺ على يد معاذ وصحبه ، وهو تابعي ثقة ، مات سنة أربع وسبعين . انظر : الإصابة ، ٥/ ١١٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ، رقم الحديث (٣٧٠٠) .

وقد نهى الفاروق عمر ﷺ عن شراء أرض الخراج لأنَّهَا وقف للأمة جميعًا [١] .

وقد تميز عصر عمر ﷺ بالدقة في الإحصاء للسكان ومسح أراضي السواد وتمييز الأراضي بعضها عن بعض [٢] .

وفي خلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ استمرا على نهج سياسة عمر ﷺ الخراجية الَّتي كان لها الأثر البالغ في الازدهار الاقتصادي الَّذي تحقق في خلافة عثمان ﷺ وخاصة مع كثرة الخراج في عهده بسبب توسع الفتوحات ، فأغدق على النَّاس بالأموال الكثيرة ، ونعم النَّاس برغد العيش [٣] .

٥ ـ التِّجارة في عصر الخلفاء الراشدين :

ـ لقد استمرت التِّجارة الداخلية والخارجية في عهد الصديق ﷺ حتَّى مع وجود الفتوحات الإِسلاميَّة ، بل كان للفتوحات الإِسلاميَّة دور في زيادة طرق التِّجارة أمنًا واستقرارًا .

وقد امتدت خطوط التِّجارة لمسافة طويلة دون عائق ، حيث كانت قبل الفتح تتوقف التِّجارة الخارجية عند حدود فارس والروم ولكن بعد الفتح امتدت الخطوط التِّجاريَّة إلى داخل المدن الفارسية والرومية المفتوحة ، وأخذت التِّجارة بالنشاط والتنوع [٤] .

---

(١) انظر : عصر الخلافة ، ص١٩٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢٠١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٢٠١ .

(٤) انظر : الحياة الاقتصاديّة في العصور الإِسلاميَّة الأولى ، ص١١٢ .

وكذلك في عهد الفاروق عمر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ نشطت التِّجارة داخليًا وخارجيًا ، وممَّا ساعد على ذلك استقرار الأمن ، واطمئنان القوافل على الطرق التِّجاريَّة في جميع أنحاء البلاد [(١)] .

ـ وقد امتاز سوق المدينة بالنشاط التِّجاري عن بقية الأسواق لأَنَّهُ سقف العاصمة الإِسلاميَّة ، ولم تقتصر التِّجارة والبيع والشراء في الأسواق ، بل لقد نشطت حركة البيع والتجارة في أرض المعركة بعد الانتهاء من المعركة وأخذ الغنيمة ، فيتبايع النَّاس الغنائم ، ويقوم التّجَّار بنقلها والتكسب بها في أسواق المسلمين [(٢)] .

وكان الخلفاء الأربعة يولون التِّجارة الاهتمام والتشجيع ، وذلك لأهميتها وحاجة النَّاس لها .

ولذلك كانوا يطوفون في الأسواق ، ويراقبون حركة البيع والشراء ، وينصحون النَّاس بالالتزام بالمعاملة المشروعة ، وعدم الغش والاحتكار [(٣)] .

ـ وكذلك كانوا يهتمون بتعيين عامل السُّوق الَّذي يقوم بمراقبته وقبض العشور من تجار أهل الذمَّة والنبط .

بل كان الخلفاء الراشدون يعقدون المعاهدات مع بعض المدن والقرى كالمعاهدة الَّتي أبرمها

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص١١٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١١٦ .

(٣) انظر : صفة الصفوة ، ١/ ١١٩ ، لابن الجوزي ، دار الحديث ـ القاهرة ، طبع في ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

أبو عبيدة بن الجراح في خلافة الصديق ﷺ مع أهل بعلبك ، والَّتي نصت على الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها ، ولتجارهم على أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد الَّتي صالح المسلمون عليها (١) .

وفي خلافة عثمان ﷺ هادن عبد الله بن أبي السرح أهل النوبة من جنوب مصر ، وقد نصَّ عقد الهدنة معهم على التبادل التِّجاري ، فقد ذكر الليث بن سعد (٢) قال : إنما الصلح بيننا وبين النوبة على أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا ، وأن يعطونا رقيقًا ونعطيهم بقدر ذلك طعامًا (٣) .

وهكذا كانت التِّجارة موردًا مهمًا لبيت المال من خلال العشور الَّتي تؤخذ من تجار أهل الذمَّة إضافة إلى النشاط التِّجاري الَّذي يقوم به المسلمون والَّذي يستلزم إخراج زكاته بعد توفر شروط الزَّكاة .

٦ ـ عشور التِّجارة :

هي الرسوم الَّتي تؤخذ على تجارة أهل الذمَّة والمشركين المارين ببلاد المسلمين (٤) .

لم تفرض العشور على التِّجارة في عصر النبوة وخلافة أبي بكر ، بل فرضها عمر ﷺ لأول مرة على التجَّار الأجانب إذا دخلوا ببضاعتهم ديار المسلمين ، وذلك لأن دولهم كانت تأخذ

---

(١) انظر : معجم البلدان ، ١/ ٤٥٤ ، للحموي .

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرَّحمن الفهمي المصري ، ثقة ثبت فقيه ، إمام مشهور ، مات سنة خمس وسبعين . انظر : تقريب التَّهذيب ، ص٤٦٤ .

(٣) انظر : فتوح البلدان ، ص٢٣٥ ، للبلاذري .

(٤) انظر : الخراج ، ص١٤٦ ، لأبي يُوسف .

ضريبة عشرية من التّجّار المسلمين، فاتبع سياسة المعاملة بالمثل ، وتؤخذ من التَّاجر مرة واحدة في السَنَةِ ، ويعطى إيصالاً بذلك لئلا يتكرر أخذها كلما عبر الحدود [١] .

وكان مقدار الضريبة العشرية درهمًا واحدًا من كل عشرة دراهم [٢] .

وقد شمل ذلك تجار النبط ، ولكنه جرى التَّخفيف عليهم إذا جلبوا الحنطة والزيت فأخذ منهم نصف العشر لحاجة النَّاس إليهما ، وأمَّا غيرهما من البضائع فيؤخذ منهم العشر وتدفع العشور لعامل السُّوق ، وأمَّا التّجَّار المسلمون فلا يدفعون سوى الزَّكاة وهي ربع العشر [٣] .

٧ـ الزراعة :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ باستصلاح الأراضي وزراعتها وزيادة الرقعة الزراعية وتنميتها ، وتشجيع أهلها على الزراعة ؛ وإعانتهم بحفر الآبار ، وشق الترع ، وبناء القنوات المائية [٤] .

وخاصة وأن الزراعة في المنظور الإسلامي عبادة وعمل يثاب عليها المسلم ، قال ﷺ : « **ما من مسلم يغرس غرسًا ، أو يزرع زرعًا ، فتأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة ، إلاَّ كان له صدقة** » [٥] .

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢١٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢١٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٢١٧ .

(٤) انظر : الحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٧٨ ، سعود يحيى ، جامعة أم القرى .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع ، رقم الحديث (١٥٥٣)

ـ وقد اتجهت سياسة الدَّولة الراشدة وبخاصة في البلاد المفتوحة في عصر عمر ﷺ إلى إبقاء الأرض في هذه البلاد بيد من كان يعملها ، ومنع المسلمين أن يشتغلوا بها ، وينصرفوا عن الجهاد لكي لا تخور قواهم وتضعف إمكاناتهم القتالية ، ولهذا أمر عمر ﷺ مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون الرعية أن عطاءهم قائم ، وأن رزق عيالهم سائل ، فلا يزرعون ولا يزارعون (١) .

ـ وكاد عمر بن الخطاب أن يعاقب شريك الغطيفي (٢) الَّذي كان من مقاتلة مصر لأَنَّهُ زرع من غير علم عمرو بن العاص ، فكتب فيه عمرو إلى عمر بن الخطاب ، ثمَّ عفا عنه الفاروق ﷺ (٣) .

ـ وكان الخلفاء الراشدون يُقطعون الأراضي تشجيعًا للناس على الاهتمام بالزراعة واستغلال الأراضي والاستفادة منها (٤) .

فقد أقطع أبو بكر الصديق ﷺ الزُّبير بن العوام أرضًا قريبة من المدينة (٥)، وأقطع عمر بن الخطاب ﷺ سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وغيرهم أرضًا بالعراق ، وأقطع عثمان بن

---

(١) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص١٨٩ .

(٢) شريك بن سميّ الغطيفي المرادي ، وفد على رَسُول الله ﷺ ، وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح مصر . انظر : الإصابة ، ٣/ ٢٧٩ .

(٣) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص١٨٩ .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٤٠ . وانظر : الخراج ، ص٧٤ ، لأبي يوسف .

(٥) انظر : الخراج ، ص٧٣ ، يحيى القرشي ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثَّانية ١٣٨٤هـ .

عفان ﷺ عمار بن ياسر قرية أستينيا عند الكوفة ، وأقطع علي بن أبي طالب ﷺ سويد الجعفي أرضًا [١].

وشجع الخلفاء الراشدون إحياء الأرض الموات ، عملاً بقول النَّبيِّ ﷺ : « **من أعمر أرضًا ليست لأحدٍ فهو أحق** » قال عروة : ((قضى به عمر ﷺ في خلافته)) [٢] .

ـ وقد أدى اهتمام النَّاس بالزراعة إلى اهتمامهم بتربية الأغنام والإبل والبقر والدواجن والخيل [٣] .

وقد حمى أبو بكر الصديق ﷺ النقيع [٤] على ما حماه الرَّسول ﷺ فكان يحميه للخيل الَّتي يُغزى عليها [٥] .

وحمى عمر بن الخطاب ﷺ الربذة وغيرها ، وجعل هذا الحمى للخيل وإبل الصدقة إذا أُخذت من النَّاس عجافًا أرسلت إلى الربذة لترعى فيها [٦] .

٨ ـ الصناعة :

لقد استمرت الأعمال الصِّناعيَّة على نحو ما كانت عليه في عصر الرَّسول ﷺ ، وعلى نحو ما

---

(١) انظر : الخراج ، ص٧٤ ، لأبي يُوسف .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضًا مواتًا ، رقم الحديث (٢٣٣٥) .

(٣) انظر : الحياة الاقتصاديّة في العصور الإسلاميَّة ، ص١٠٤-١١٠ .

(٤) النقيع موضع معروف بالمدينة . انظر : الأموال ، ص٣٧٥ ، للقاسم بن سلام .

(٥) انظر : الأموال ، ص٣٧٥ ، للقاسم بن سلام .

(٦) انظر : المرجع السَّابق ، ص٣/ ٢٤ . وعصر الخلافة الراشدة ، ص٢٤٦ .

كانت عليه في البلاد المفتوحة ، وقد اشتهرت بعض البلدان ببعض الصناعات المهمَّة مثل اليمن اشتهرت بصناعة الأسلحة من السيوف والدروع والخناجر وغيرها ، وكان هناك مصانع حديدية في الشَّام والبلاد المفتوحة ، وكذلك اشتهرت نجران بصناعة المنسوجات والحلل، واشتهرت مصر بصناعة السفن والحبال والإبر والأصبغة وغيرها .

وكل هذه الصناعات في العهد الراشدي كانت تعتبر بسيطة ولا تفي بحاجات السُّوق ، وقد نافستها الزراعة ، وكانت هي عماد الاقتصاد الإسلامي في هذه الفترة [١] .

٩ ـ الزَّكاة :

تعريفها لغة : من الزكاء ، وهو النماء والزِّيادة [٢] .

وشرعًا : حق واجب في مال مخصوص ، لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص [٣] .

والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة ، وهي واجبة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة [٤] ، قال تعالى : ﴿ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ [٥] ، وقد أمر النَّبيُّ ﷺ بأداء الزكاة وقال : « **تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم** » [٦] .

---

(١) انظر : الحياة الاقتصاديّة في العصور الإسلاميَّة الأولى .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ، ١/ ١٨٤ ، مطبعة العاني ـ بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ.

(٣) الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ص١٩٥ ، منصور البهوتي ، دار المؤيد ـ مؤسسة الرِّسالة .

(٤) انظر المغني لابن قدامة ، ٤/ ٥ .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٨٣) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الزَّكاة ، باب وجوب الزَّكاة ، رقم الحديث (١٣٩٥) .

فالزكاة إنما شرعت لسد حاجة الفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل ، ولإقامة المصالح العامَّة للمسلمين كالجهاد في سبيل الله ، وتأليف القلوب على الإسلام ، والولاء لأهله ، وإعانة كل غارم لإصلاح ذات البين ونحو ذلك ممَّا يعز به دين الإسلام ودولته [١] .

وهي كذلك علاج لمشكلات البطالة ، والفقر ، والكوارث ، والديون، والتفاوت الاقتصادي الفاحش ، ومشكلة حبس الأموال وكنزها [٢] .

فالزكاة لها فوائد مهمة في تحسين الأوضاع الاجتماعيَّة والأوضاع الاقتصاديّة بل هي وسيلة من وسائل زيادة الحركة التِّجاريَّة والنماء الاقتصادي .

ولذلك اهتم أبو بكر الصديق بأمر الزكاة وأجمع معه الصَّحابة الكرام على قتال مانعي الزَّكاة [٣] .

ولما انتصر عليهم ورجع النَّاس للطاعة ، صار عمال الزَّكاة يخرجون إليهم يأخذون منهم الزَّكاة عند مياههم وبأفنيتهم ، ولا يكلفونهم الانتقال من موضع إلى موضع ، وقد أرشد النَّبيُّ ﷺ إلى ذلك بقوله : « **تؤخذ صدقات المسلمين على مياههم** » [٤] .

---

(١) انظر : دور الزَّكاة في علاج المشكلات الاقتصاديّة ، ص٦١ ، د.يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

(٢) انظر : دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية ، ص٧ .

(٣) انظر تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزَّكاة في البداية والنهاية ، ٦/ ٣٤٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (٦٧٣٠) ، ٢/ ١٨٤. وصححه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير وزيادته ، ص٥٦١ .

واستمر العمل على ذلك في عهد الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ، وكانوا يوصون عمال الزَّكاة ألا يأخذوا خيار الأموال وكرائمها لما يؤدي ذلك إلى الإضرار بصاحب المال وحصول الضغينة .

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ((مرَّ على عمر بن الخطاب بغنم من الصدقة فرأى فيها شاة حافلاً [(١)] ذات ضرع عظيم ، فقال عمر : ما هذه الشاة ؟ فقالوا : شاة من الصدقة . فقال عمر : ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون ، لا تفتنوا الناس ، لا تأخذوا حزرات [(٢)] المسلمين ، نكِّبوا عن الطعام [(٣)])) [(٤)] .

ـ وكانت الصدقة بعد أن تُجمع ، تقسم في فقراء القوم الَّذين أخذت منهم الزَّكاة ، فإن فضل شيء ففي فقراء القوم الَّذي يلونهم وهكذا [(٥)] .

فإذا بقي شيء من أموال الزَّكاة ولم يكن هناك من يأخذها حملت إلى المدينة ، وهذا ما حصل

وفي رواية عند الهيثمي في مجمع الزوائد ، ٣/ ٧٩ ((تؤخذ صدقة أهل البادية على مياههم وبأفنيتهم)) ، وقال الهيثمي : اسناده حسن .

(١) حافلاً : مجتمعًا لبنها . انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، ٢/ ١٨٢ .

(٢) حَزَراتْ : بفتح الحاء والزاي ، جمع حَزْرة بسكون الزاي ، يطلق على الذكر والأنثى من خيار أموال المسلمين ، وقيل سميت بذلك لأن صاحبها يُحرِزُها أي : يصونها عن الابتذال . انظر : المرجع السابق ، ٢/ ١٨٢ .

(٣) معنى (نكِّبوا عن الطعام) : أي ذوات الدُّرِّ . انظر : المرجع السابق ، ٢/ ١٨٢ .

(٤) موطأ الإمام مالك ، حديث (٩١٥) ، ٢/ ٣٧٦ .

(٥) انظر : الأموال ، ص٧٠٩ ، للقاسم بن سلام .

من معاذ رضي الله عنه عندما كان في اليمن في خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه ، فقد أرسل بثلث صدقة النَّاس إلى عمر رضي الله عنه في المدينة ، فأنكر ذلك عمر وقال : لم أبعثك جابيًا ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء النَّاس فتردها على فقرائهم ، فقال معاذ : ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدًا يأخذه مني ، فلما كان العام الثَّاني بعث إليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك ، فلما كان العام الثَّالث بعث إليه بها كلها فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ، فقال معاذ : ما وجدت أحدًا يأخذ مني شيئًا (١) .

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه جرى تعديل على جباية الزَّكاة ، حيث ترك للناس إخراج زكاة الأموال الظاهرة العين وهي الذَّهب والفضَّة دون تسليمها للدولة ، ويعلل ذلك بأنّه أراد رفع المشقَّة والحرج عن النَّاس ، وفوض النَّاس بإخراجها ، أمَّا زكاة المواشي والنخل فاستمرت الدَّولة بجبايتها (٢) .

القسم الثَّاني : نفقات الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الراشدين :

النفقات هي : مبلغ من النقود تنفقه الدَّولة في سبيل تحقيق النفع العام للمجتمع (٣) .

وهي تشمل : العطاء ، ومصارف الزَّكاة ، والغنيمة ، والفيء ، والإصلاحات ، وقد سبق الكلام عنها في الفصل الأوَّل من الرِّسالة (٤) .



---

(١) الأموال ، ص٧١٠ ، للقاسم بن سلام .

(٢) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢١٦ . بتصرف .

(٣) انظر : الفكر الاقتصادي عند الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ص١٠ ، د.عبد الله الجابري .

(٤) انظر : عصر الخلافة ، ص٢١٩ . والنظم الماليَّة في الإسلام ، ص٢٧٣ ، قطب إبراهيم ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٦م .

المطلب الثَّالث

المجال السياسي في عصر الخلفاء الراشدين

السِّياسة في اللُّغة : بتتبع كلمة السِّياسة في اللُّغة فإنها لا تخرج عن المعاني التَّالية : الولاية ، والرياسة ، والقيادة ، والأمر والنَّهي ، والرعاية ، وتدبير أمور النَّاس وإصلاحها ، والقيام على الشيء بما يصلحه .

وبهذه المعاني وردت كلمة السِّياسة ، كما هو مبين في القواميس والمعاجم اللغوية الرئيسة (١) .

ويظهر ذلك في قول صاحب لسان العرب وغيره : السوس : الرياسة ، يقال : ساسوهم سوسًا ، وساس الأمر ، سياسة : قام به .. وسست الرعية سياسة ، وسوس الرَّجل أمور النَّاس .. إذا ملك أمرهم (٢) .

وفي الحديث : « **كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم** » (٣) ، أي تتولى أمورهم .

اصطلاحًا : أورد ابن القيِّم تعريف ابن عقيل للسياسة بقوله : ((السِّياسة ما كان فعلاً

---

(١) النظام السياسي في الإسلام ، ص١١ ، إحسان سمارة ، دار يافا العلميَّة ـ عمان ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) لسان العرب ، ٦/ ١٠٧ ، مادة سوس .

(٣) شرح مشكل الآثار ، ١/ ١٢٦ ، لأبي جعفر الطحاوي ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

يكون معه النَّاس أقرب إلى الصَّلاح ، وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرَّسول ﷺ ولا نزل به وحي)) [١] .

ويمكن القول بأن السِّياسة هي : ((فن الحكم برعاية شؤون النَّاس العامَّة والخاصة في الدَّولة على الصعيد الداخلي ، والصعيد الخارجي ، بتنظيم علاقات الدَّولة ورعاياها بالدول الأخرى)) [٢] .

نشأة النظام السياسي في الإسلام :

إن نشأة النظام السياسي في الإسلام كان مع بعثة النَّبيِّ ﷺ الَّذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويحكمهم ويسوسهم بما أنزل الله إليه من الآيات البينات .

وقد رسم النَّبيُّ ﷺ معالم السِّياسة المثلى الراشدة [٣] في أدق تفاصيلها في بداية دعوته في مكة عندما اجتمع أشراف قريش ليعرضوا على النَّبيِّ ﷺ أمورًا فإن قبل بها كفوا عنه أذاهم حيث قال لهم ﷺ : « **... كلمة واحدة تعطونيها ، تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم** » فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال الرَّسول ﷺ : « **تقولون : لا إله إلاَّ الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه ...** » [٤] .

وفي رواية الطَّبريّ : ((... وإلام تدعوهم ؟ قال : « **أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة**

---

(١) الطرق الحكمية ، ص١٢ ، لابن القيِّم .

(٢) النظام السياسي في الإسلام ، ص١٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٢١ .

(٤) السيرة النَّبويَّة ، ٢/ ١٢٤ ، لابن كثير .

تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم .. »))[١] .

ـ فطلب النَّبيُّ ﷺ من قومه أن يشهدوا لله تعالى بالوحدانية ، وعلى أثر ذلك تدين لهم العرب والعجم ، وهذا يدل على أن النظام السياسي نشأ منذ بداية الدعوة ، وأن السِّياسة جزء من العقيدة الإِسلاميَّة .

وقد اتضح هذا في بيعة العقبة الأولى والَّتي جاءت في أعقاب طلب النَّبيِّ ﷺ النصرة من القبائل العربيَّة ومن أشراف العرب في قريش وخارجها ولم يجبه أحد سوى الأوس والخزرج ولذلك سماهم النَّبيُّ ﷺ بالأنصار لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره وبايعهم النَّبيُّ ﷺ بيعتان البيعة الأولى بيعة الطاعة ، وبعد عام جاءه سبعون رجلاً وامرأتان في موسم الحج وبايعهم بيعة الحرب وهي بيعة العقبة الثَّانية [٢] ، وبهذا دخلت الدعوة الإِسلاميَّة مرحلة سياسية جديدة لأَنَّهَا كانت توطئة وتمهيدًا لإقامة الدَّولة الإِسلاميَّة الَّتي يأمن فيها المسلمون ، ويعز فيها الإسلام [٣] .

ـ وكان من شروط بيعة العقبة الثَّانية : أن النَّبيَّ ﷺ قال للأنصار : « **أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم** » [٤] ، وعلى ضوء هذا فبيعة العقبة كانت ثمرة الصراع الفكري والكفاح السياسي وبداية ممارسة النَّبيِّ ﷺ للحكم والسلطان في قيادة المدينة ليقيم فيها للإسلام دولته

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٣٢٤ .

(٢) انظر : السيرة النَّبويَّة ، ٢/ ١٩٢ ، لابن كثير .

(٣) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٢٤-٢٥ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٣٦٣ .

وفق شروطها الَّتي اشتملت على السمع والطاعة في كل الظروف والأحوال ، والنفقة في سبيل الله في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وعلى احتضان الدعوة الإِسلاميَّة وأن تكون المدينة دار الإسلام والمسلمين ومنطلق الجهاد في سبيل الله [١] .

وبهذا يتعين شكل الدَّولة الإسلاميَّة ، وتحدد معالم النظام السياسي الإسلامي المنبثق من الكتاب والسُّنَّة ، قال الله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ .. [٢] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [٣] .

فالنظام السياسي في الإسلام نظام حددت معالمه بالوحي سواء في مجال الحكم ، والقضاء ، وتوزيع المال وقسمته على النَّاس ، وتنفيذ الحدود ، وتسيير الجيوش ، وعقد المعاهدات ، ولم يكن النَّبيُّ ﷺ مجرد مبلغ لهذه الآيات في جميع المجالات السَّابقة بل كان ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، مبلِّغًا وقائمًا بعملية الحكم والسلطان ، ويدبر مصالح النَّاس ويرعى شؤونهم [٤] .

فكانت أمته موحدة في مشاعرها ، وأفكارها ، ومفاهيمها ، ومتميزة عن كل شعوب الأرض حيث إنها كانت تخضع لرسول الله ﷺ في حياتها الروحية وأمورها الدنيويَّة ، فكانوا

---

(١) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٢٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١٣) .

(٣) سورة الحديد ، الآية (٢٥) .

(٤) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٣١ .

بذلك خير أمة أخرجت للناس [١] .

السِّياسة في عصر الخلفاء الراشدين :

عندما قُبِض النَّبيُّ ﷺ في السَنَةِ العاشرة للهجرة ظهرت مشكلةٌ سياسيةٌ في موضوع خلافة النَّبيِّ ﷺ ، فالنبيُّ ﷺ بلا شك لم يوصِ بالخلافة تصريحًا لأحد من أصحابه ، إِلاَّ أَنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام أمر أبا بكر الصديق أن يصلي بالناس في مرضه ، وكأن هذا إيماءٌ منه عليه الصَّلاة والسَّلام بأحقية الصديق بالخلافة والتقديم ، وخاصة وأن مكانة أبي بكر الصديق ﷺ من النَّبيِّ ﷺ وحسن سيرته ، وجميل عمله في نصر الدِّين ، كل ذلك ممَّا يؤهله لاستحقاقه بالخلافة [٢] .

وقد حصل حوار بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فيمن تكون له الخلافة ، وكان حوارهم ونقاشهم لمصلحة الأمة ، وذلك لإدراكهم بأهمية تعيين خليفة الأمة دراً للفتنة وحفاظًا على الدَّولة الإِسلاميَّة .

وقد تميز الحوار الَّذي دار في سقيفة بني ساعدة بالعقلانية والإقناع والحرص من الجميع على مصلحة الأمة ولمِّ شملها ، وقد أجاد الصديق أبو بكر ﷺ عندما تكلم وأقنع الأنصار بقوله ﷺ : ((نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، فقال الحباب بن المنذر [٣] وهو من الأنصار : لا

---

(١) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٣٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٣٣ .

(٣) الحباب بن المنذر بن الجموح ، الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرًا ، مات في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ . انظر : الإصابة ، ٢/ ٩ .

والله ! لا نفعل منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب دارًا ، وأعربهم أحسابًا فبايعوا عمر ، أو أبا عبيدة بن الجراح ، فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا ، وخيرنا ، وأحبنا إلى رَسُول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه ، وبايعه النَّاس)) (١) .

وبإجماع الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على تنصيب أبي بكر الصديق اتضحت عدة أمور في مجال السِّياسة من أهمها (٢) :

١ ـ وجوب تنصيب خليفة للأمة حفاظًا على الأمة ودحرًا للفتنة ، وهذا ما أجمع عليه الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في سقيفة بني ساعدة ، وقبل دفن النَّبيِّ ﷺ (٣) .

٢ ـ البيعة هي الطَّريقة الشَّرعيَّة في تنصيب الخليفة وإن تعددت طرقها بين الوصية والشورى ، فقد بايع الصَّحابة أبا بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة ، ثمَّ بايعه النَّاس في المسجد (٤) ، وأمَّا عمر بن الخطاب فقد أوصى له أبو بكر ﷺ بالخلافة لاستحقاقه للخلافة (٥) ، وأمَّا عثمان ﷺ فقد جعل عمر ﷺ خَلافَتَهُ شورى في الصَّحابة الستة (٦) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب لو كنت متخذًا خليلاً ، رقم الحديث (٣٦٦٨).

(٢) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٤٥ .

(٣) انظر الأقوال في مسألة الإمامة والترجيح بينها في منهاج السُّنَّة ، ١/ ٥٢٥ ، لابن تَيْمِيَّة . والإمامة العظمى ، ص١٣٤ د. عبد الله الدميجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، رقم الحديث (٣٦٦٨) .

(٥) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص٩٧ .

(٦) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ١٥٥ .

وأمَّا علي ﷺ فقد بايعه النَّاس بعد مقتل عثمان لأهليته واستحقاقه للخلافة (١) .

٣ـ وجوب الحفاظ على وحدة الدَّولة وترابط الأمة .

٤ ـ ليس للخليفة قدسية إذا حاد عن الحكم بما أنزل الله ، وأن للأمة أحقية تقويمه ومحاسبته (٢) .

وهذا ما كان يطالب به الخلفاء الراشدون عند مبايعة النَّاس لهم .

فعندما بويع أبو بكر الصديق ﷺ قال : أمَّا بعد : أيها النَّاس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، .. إلى أن قال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم (٣) .

٥ ـ مدة خلافة الخليفة غير مقيدة بزمن ما دام الخليفة قائمًا بواجباته حتَّى موته ، ويدل على ذلك واقع خلافة أبي بكر الصديق ومن بعده من الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٢٤٩ .

(٢) انظر : النظام العام للدولة المسلمة ، ص٧٢ ، د.عبد الله العتيبي ، دار كنوز ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ١/ ٥٧ .

الهيكل العام للدولة الإسلامية

أولاً : القواعد الَّتي تقوم عليها الدَّولة [١] :

١ ـ السيادة للشرع .

٢ ـ السلطان للأمة .

٣ ـ للمسلمين خليفة واحد مطاع ضمن الأحكام الشَّرعيَّة .

٤ ـ للخليفة صلاحية تبني الأحكام الشَّرعيَّة الَّتي في الكتاب والسُّنَّة أو المستنبطة من الأدلّة الشَّرعيَّة .

ثانيًا : أركان الدَّولة [٢] :

١ ـ الخليفة .

٢ ـ الولاة .

٣ ـ القضاة .

٤ ـ الجيش .

٥ ـ مجلس الشورى .

---

(١) انظر : الوجيز في المبادئ السِّياسيّة في الإسلام ، ص٤٥ ، سعدي أبو حبيب ، دار البلاد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م . والنظام السياسي في الإسلام ، ص٣١.

(٢) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٣١ .

٦ ـ الجهاز الإداري .

أهم أهداف الخلفاء الراشدين السياسية في إدارة الدولة الراشدة :

لقد حرص الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ على الاقتداء بسيرة النَّبيِّ ﷺ في تحقيق الأهداف السِّياسيّة الَّتي تضمن للدولة الراشدة الأمن والاستقرار ، والقيام بالواجبات المناطة بها ، وتهيئة الحياة السعيدة المطمئنة للناس ، ومن أهم هذه الأهداف السِّياسيّة [(١)] :

١ ـ الحفاظ على الدِّين والشريعة قرآنًا وسنة .

٢ ـ الاهتمام بدعوة النَّاس لدين الله ونشره في أسقاع الأرض .

٣ ـ الحفاظ على الدَّولة والأمة من الفتن ومخاطر الأعداء المتربصين بها .

٤ ـ تحصين الثغور والحفاظ على الدَّولة الراشدة .

٥ ـ استمرار الجهاد في سبيل الله لرفع الظلم وإيصال الحق .

❁❁❁

---

(١) انظر : النظام السياسي في الإسلام ، ص٧٨ .

المبحث الثَّاني

آثار مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين

وفيه مطلبان

المطلب الأول: آثار مجالات الواقع الثقافي داخليًا .

المطلب الثاني: آثار مجالات الواقع الثقافي خارجيًا .

المطلب الأوَّل

آثار مجالات الواقع الثقافي داخليًا

أولاً : تعريف الأثر :

لغة : الأثر : العلامة ، ولمعان السيف ، وأثر الشيء بقيته [1] .

والتأثير : إبقاء الأثر في الشيء [2] .

واصطلاحًا : هو التغيير الجذري والشامل في حياة الفرد والمجتمع ، وصبغها بكل جوانبها بصبغته .

ثانيًا : آثار مجالات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين داخليًا :

ـ لقد كان لمجالات الواقع الثقافي الأثر الواضح في رسوخ العقيدة وانتشارها وثباتها في نفوس النَّاس .

وكان لعامل حسن الاقتداء بما كان عليه النَّبيُّ ﷺ ، والتعامل العادل بين أفراد المجتمع الراشدي ، وكذلك مع الطوائف الأخرى غير الإسلاميَّة ، أثرًا بارزًا سياسيًا ، واقتصاديًا ،

---

(١) المعجم الوسيط ، ١/ ٥ .

(٢) مختار الصحاح ، ص١٣ .

واجتماعيًا ، ودينيًا ، ويمكن أن أجمل هذه الآثار في عدة نقاط [١] :

١ ـ الترابط الوثيق بين مجالات الثقافة الإِسلاميَّة لتحقيق الأهداف السامية للأمة الإِسلاميَّة في العصر الراشدي ، فمثلاً الهدف الاقتصادي الإسلامي في العصر الراشدي من وراء تحقيق طيب العيش للناس ، والإنفاق عليهم ، وإغداق العطاء لهم للرقي بأنفسهم ، والسمو بأرواحهم إلى الله تعالى ، وليتفرغوا للعلم والاهتمام بالتعليم ، والدعوة ، والجهاد ، وحسن العبادة ، لتصل الأمة إلى العزة والرفعة [٢] .

٢ ـ التصور الصَّحيح لمجالات الثقافة الإِسلاميَّة السياسية والاقتصادية في كونها جزءًا من نظام الإسلام الَّذي يقوم على الوسطية والتوازن بين الدنيا والآخرة .

وأن النَّاس بهذا التصور الإسلامي الصَّحيح يتفاوتون ويتفاضلون بالأعمال لا بالأموال ، ولذلك كان توجيه الإسلام لصرف الأموال في تنمية القِيَم المعنويَّة ، كزيادة الإيمان ، والاهتمام بالعلم والقرآن ، والجهاد ، فالقيم المعنويَّة خير وأبقى [٣] .

٣ ـ الدور المهم الَّذي قامت به مجالات الثقافة الإِسلاميَّة دعويًا واقتصاديًا وسياسيًا من خلال الفتوحات الإِسلاميَّة في العصر الراشدي ، والَّذي كان من آثاره الدعوية كثرة الداخلين في الإسلام ، ومن آثاره الاقتصاديّة : كثرة واردات الدَّولة من الجزية والغنيمة والفيء ،

(١) انظر : دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٠٧ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٠٧ .
(٣) انظر : المرجع السَّابق ، ص٨٤ .

والخراج .

ومن آثاره السِّياسيّة : تحقيق النموذج الأمثل في التاريخ للأجيال عن إمكانية وجود دولة إسلاميَّة عادلة متقدمة في جميع المجالات .

٤ ـ حسن السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، وأثرها في الجانب الدعوي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والفكري [(١)] .

٥ ـ الاهتمام بمنهج التدابير الوقائية من وقوع الجريمة ، عن طريق التحصين العقدي والعبادي والأخلاقي ضد الجريمة ، وذلك بغرس العقائد الإيمانية والقيم الإِسلاميَّة في النّفوس ، وترسيخ مفهوم أن فقدان الوازع الدِّينيّ في المجتمع عاملاً من عوامل ظهور سلوك الانحراف والإجرام في المجتمعات .

وأيضًا الاهتمام بشعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في الجانب الاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي ، ممَّا أدى ذلك إلى الوصول إلى المنهج المتكامل في الوقاية من الجريمة ، وتحقيق الأمن في أعلى درجاته [(٢)] .

٦ ـ سياسة الحزم الَّتي اهتم بها الخلفاء الراشدون للحفاظ على منجزات الدعوة الاجتماعيَّة ، والاقتصادية ، والسياسية ، وظهر ذلك جليًا في عهد الفاروق عمر ﷺ الَّذي كان حازمًا في

---

(١) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين وأثرها في الدعوة إلى الله ، ص٢٦٩ .

(٢) انظر : سياسة الوقاية والمنع من الجريمة في عهد عمر بن الخطاب ، ص٦٢-٦٣ ، إبراهيم بن عمار، رسالة علميَّة من جامعة نايف العربيَّة للعلوم الأمنية .

الأمور الماليَّة ، والسياسية ، والقضائية ، والإدارية [١] .

٧ ـ محبة النَّاس لدولة الخلافة الراشدة ، وذلك بسبب حسن اقتدائها بما كان عليه النَّبيُّ ﷺ ، وتحريها للعدل ، وسد احتياجات النَّاس الدعوية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

٨ ـ تحقيق الاكتفاء الذاتي للفرد والمجتمع في العصر الراشدي عن طريق استغلال جميع الإمكانات والوسائل ، وتفعيل كافة القدرات والخبرات الَّتي تفي بحاجة الأمة المادية والمعنوية ، وتسد ثغراتها المدنية والعسكرية [٢] .

٩ ـ الاهتمام بالزكاة ومحاربة مانعيها لكونها الركن الثَّالث من أركان الإسلام ، ولأنها أول ضمان اجتماعي في التَّاريخ ، ولكونها وسيلةً علاجيَّة لكثير من المشاكل الاجتماعيَّة والاقتصادية الَّتي كانت تعاني منها الجزيرة العربيَّة ، ودولتا فارس والروم ، وهي مشكلة الفقر ، والبطالة ، والديون ، والكوارث ، والتفاوت الاقتصادي الفاحش ، وكثرة الأموال وحبسها على عدد من الأفراد [٣] .

١٠ ـ اهتمام المجتمع الراشدي بالدعوة إلى الله تعالى ، وعدم اقتصارها على الرِّجال فقط ، بل حمل لواءها كذلك المرأة المسلمة [٤] .

❁❁❁

---

(١) انظر : سياسة الوقاية والمنع من الجريمة في عهد عمر بن الخطاب ، ص٦٣ .

(٢) انظر : دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٧٨ .

(٣) انظر : دور الزَّكاة في علاج المشكلات الاقتصاديّة ، ص٣٤ .

(٤) انظر : دور المرأة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، ص٧٧٠ ، لولوة القويفلي ، رسالة علميَّة ، جامعة أم القرى ، عام ١٤٠٩هـ .

المطلب الثَّاني

آثار مجالات الواقع الثقافي خارجيًا

والمقصود من ذلك تأثير الواقع الثقافي بمجالاته في المجتمعات غير الإسلامية دينيًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا .

وكان من أبرز الوسائل الَّتي تعامل بها المسلمون في العصر الراشدي مع أهل البلدان المفتوحة هو عامل السماحة .

والَّتي تعني : السهولة ، والمسامحة ، والمساهلة .

قال الخطابي : سمح وأسمح إذا جاء وأعطى عن كرم وسخاء ، ... والمسامحة : المساهلة [1] .

لقد جاء الإسلام باليسر والسماحة ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **إن الدِّين يسر ، ولن يشاد الدِّين أحد إلاَّ غلبه** » [2] ، والسماحة مضبوطة بضوابط الشَّريعة ومحكومة بالنَّصِّ الَّذي يحفظ أصول الدِّين وفروعه من التنازلات والضياع ، وفي هذا الدِّين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته ، وصلاحيته لكل زمان ومكان لسائر الأمم

---

(١) النِّهاية في غريب الحديث ، ٢/ ٣٩٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدِّين يسر ، رقم الحديث (٣٩) .

والشعوب [١] ، قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ ﴾ [٢] .

((فالأصل في العلاقة بين النَّاس في شريعة الإسلام أن تكون علاقة سلم ودعوة إِلاَّ إذا اضطروا إلى الحرب دفاعًا عن أنفسهم أو إتقاءً للفتنة في الدِّين أو لنصرة المظلومين المضطهدين ، فالحرب عندئذ تكون واجبة على المسلم ، ومع وجوبها فالمسلم مأمور بأن يكتفي من الحرب بالقدر الَّذي يكفل له دفع الأذى ، ومأمور بتأخيرها ما بقيت له وسيلة إلى الصبر والمسالمة)) [٣].

ولقد شهدت العصور الإِسلاميَّة ما نعم به غير المسلمين في البلاد الإِسلاميَّة من التسامح والأمن والرخاء ، وذلك بما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ من قواعد وأسس وتشريعات لتنظيم العلاقة بينهم وبين المسلمين ، فكان من الأسس المهمَّة في معاملة غير المسلمين في البلاد الإِسلاميَّة المفتوحة هو البر ، الَّذي هو أعلى درجات حسن الخلق ، وهو يعني أن المسلم لا يكذب ولا يخون ولا يغدر ولا يغش ولا يسرق ، ويلتزم مع جميع النَّاس مسلمين وغير مسلمين بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصّالحة [٤] ، قال تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

---

(١) انظر : سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين ، ص٨ ، د.عبد الله اللحيدان ، مصدر الكتاب : موقع وزارة الأوقاف ـ السعودية .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

(٣) انظر : حقوق غير المسلمين في الدَّولة الإِسلاميَّة ، ص١٢٧ ، د.علي الطيار ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ١٢٧ .

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

ومن الأسس كذلك العدل والوفاء بالعهد ، قال تعالى : ﴿ إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٣) .

ولقد حرص الخلفاء الراشدون والمجتمع الراشدي على تطبيق أسس الإسلام وقواعده ، والاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ في التعامل مع غير المسلمين ، وذلك لتحقيق الهدف السامي للفتوحات الإِسلاميَّة وهو دخول النَّاس في دين الله تعالى .

وقد شهد عصرهم صورًا من السماحة في معاملة غير المسلمين وإعطائهم الحرية في أموالهم وأنفسهم ومعاملاتهم وحقوقهم المدنية والقضائية وإلزامهم بدفع الجزية مقابل هذه الحقوق (٤) .

قال الماوردي : ((ويلزم لهم ببذل الجزية حقان : أحدهما : الكف عنهم، والثَّاني : الحماية

(١) سورة الممتحنة ، الآية (٨، ٩) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٤) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٨) .

(٤) انظر : حقوق غير المسلمين في الدَّولة الإِسلاميَّة ، ص١٣٠-١٣١ .

هم ، ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين)) [١] .

ولا تؤخذ الجزية إِلاَّ من الرِّجال القادرين الأحرار فقط ، وقد تسقط عن بعضهم لعذر شرعي كالفقر وعدم الاستطاعة .

قال أبو يُوسف : ((ولا تؤخذ الجزية من المسكين الَّذي يُتصدق عليه ، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا من ذمي يُتصدق عليه ، ولا من مقعد ... وإذا كان لهما يسار أُخذ منهما ، وكذلك الأعمى ، وكذلك المترهبون الَّذين في الأديرة إذا كان لهما يسار أخذ منهم)) [٢] .

ـ وقد كان الخلفاء الراشدون يوصون الجيوش الإِسلاميَّة بالرحمة والشفقة بالمعاهدين وأهل الذمَّة ، والوفاء لهم ، وترك الرهبان أحرارًا في أديرتهم وصوامعهم [٣] .

فكان أبو بكر الصديق يوصي الجيش الإسلامي بقوله : وستمرون على قوم في الصوامع رهبانًا يزعمون أَنَّهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم [٤] .

وأوصى عمر بن الخطاب ﷺ من بعده بأهل الذمَّة أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من

---

(١) الأحكام السُّلطانيَّة ، ص٢٢٣ ، للماوردي .

(٢) الخراج ، ص١٣٥ ، لأبي يُوسف.

(٣) انظر : حقوق غير المسلمين ، ص١٣٢ .

(٤) انظر : فتوح الشَّام ، ١/ ٨ .

ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم [١] .

ـ وكتب خالد بن الوليد ﷺ في عقد الذمَّة لأهل الحيرة بالعراق ، وكانوا من النَّصارى في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ : ((وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طُرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)) [٢] .

ـ ومر عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم عليه شيخ كبير ضرير البصر يسأل ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودي ، قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، قال : فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فرضخ له بشيء من المنزل ، ثمَّ أرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه ، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ، ثمَّ نخذله عند الهرم : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [٣] والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه [٤] .

ـ كل هذه الأعمال الفاضلة ، والشفقة والرحمة الَّتي قام بها المجتمع الراشدي تجاه غير المسلمين من أهل العهد والذمة ، كانت بمثابة وسائل إعلامية ودعوية للشعوب النَّصرانيَّة وغيرها من الشّعوب الكافرة المنضوية تحت الحكم الإسلامي أو الخارجة عنه ، والَّتي جعلتهم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النَّبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر ، حديث رقم (١٣٩٢) .

(٢) انظر : الخراج لأبي يُوسف ، ص١٥٧ .

(٣) سورة براءة ، الآية (٦٠) .

(٤) الخراج ، ص١٣٩ ، لأبي يُوسف .

يقارنون بين حكم الإسلام العادل ، وحكم الأنظمة الظالمة الَّتي كانت تحكمهم ؛ كالحكم اليوناني ، والحكم الروماني .

وكان من فوائد هذه المقارنة دخول كثير منهم في دين الله ، عن رضى وقناعه ، وقبول الآخرين بحكم الإسلام ، ودفع الجزية عن رضى وطاعه .

يدل على ذلك ما قاله أهل حمص من النَّصارى للمسلمين قبيل معركة اليرموك ، قالوا : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا ممَّا كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم (١) .

وقال رستم ملك الفرس لقومه عند مسيره لمعركة القادسية وقد مروا بقرية ، فغصب جنوده النَّاس أبناءهم وأموالهم ، ووقعوا على النِّساء ، وشربوا الخمور ، فضجّ أهلها إلى رستم ، فقال : يا معشر فارس : والله إن العرب مع هؤلاء وهم لهم حربٌ أحسنُ سيرةً منكم (٢) .

بل إن المصريين النَّصارى استقبلوا الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص ﷺ بالترحاب والإعانة وتقديم الطَّعام بسبب ما كان يقع عليهم من ظلم الروم (٣) .

ـ وعندما عزل عثمان ﷺ عمرو بن العاص عن ولاية مصر تجرأ الروم لاسترداد الإسكندرية ، فطلب أهل مصر وهم نصارى من أمير المؤمنين عثمان ﷺ أن يُقرَّ عمرو بن

---

(١) انظر : فتوح البلدان ، ص١٣٩ ، للبلاذري .

(٢) انظر : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٢٩٥ .

(٣) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص٨٠ ، عبد الرَّحمن المصري .

العاص على ولاية مصر حتَّى يفرغ من قتال الروم ، لأن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ، فأجاب طلبهم [١] .

ومن ذلك يتبين لنا مدى تسامح المسلمين في المجتمع الراشدي مع غير المسلمين ، وكيف كان لهذا التسامح أثر واضح في الدعوة وانتشار الإسلام بين تلك الشّعوب الكافرة .

❁❁❁

(١) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٠٢ .

الفصل الثالث

الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين بين المؤثرات الإيجابية والسلبية

وفيه مبحثان

المبحث الأول : الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين والمؤثرات الإيجابية .

المبحث الثاني : الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين والمؤثرات السلبية .

المبحث الأَوَّل

الواقع الثقافي والمؤثرات الإيجابية

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: التَّعريف بالمؤثرات ، وبأقسامها .

المطلب الثاني: تربية النَّبيِّ ﷺ للصحابة .رضوان الله عليهم ..

المطلب الثالث: عدالة الصَّحابة وفضلهم .

المطلب الرابع: وجود الخلفاء الراشدين الأربعة في سدة الحكم

المطلب الخامس: حاجة النَّاس للدعوة الإِسلاميَّة .

المطلب الأوَّل

تعريف المؤثرات وأقسامها

أولاً : تعريف المؤثرات لغة ، واصطلاحًا .

لغةً : المؤثرات جمع للفعل أثَّر .

يقال أثرَّ عليَّ ، وأثَّر فيَّ ، ويؤثِّر ، تأثيرًا ، فهو مؤثِّر ، والمفعول مؤثَّر به [1] .

يقال : أثر الحادث بصحته ، أثر الحادث على صحته ، أثر الحادث في صحته ، أي ترك أثرًا فيها ، قال تعالى : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ [2] .

اصطلاحًا : هي العوامل المؤثرة في الواقع الثقافي للمجتمعات إيجابًا أو سلبًا ، والتي يكون لها الأثر في تشكيل المعالم والسمات بتقدير الله وحكمته .

ثانيًا : المؤثرات الإيجابية :

لقد أثر في الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين مؤثرات إيجابية كثيرة كان لها دور في اتسام الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين بالثبات ، والواقعية ، والشمول ، والعالمية . ممَّا كان له دور عظيم في نشر هذا الدِّين واتضاح معالمه .

---

(١) معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة ، ١/ ٦١ .

(٢) المرجع السَّابق ، ١/ ٦١ .

وكان من أبرز هذه المؤثرات :

١ ـ تربية النَّبيِّ ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم .

٢ ـ عدالة الصَّحابة وفضلهم .

٣ ـ وجود الخلفاء الراشدين الأربعة في سدة الحكم .

٤ ـ حاجة البشرية لدعوة الإسلام .

وهذه الآثار هي الَّتي تناولتها بالبيان والتفصيل ، مع أن هناك آثارًا أخرى كان لها دور مؤثر في الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين مثل :

نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، وقرب العصر الراشدي من عهد النبوة بل هو امتداد له .

وكذلك حسن إدارة الخلفاء الراشدين الاقتصاديّة والاجتماعية والسياسية داخليًا وخارجيًا في إدارة الدَّولة الراشدة وتحقيق مصالح الدعوة الإِسلاميَّة ، والتزامهم بالمنهج الصَّحيح ، والنيَّة الصّالحة ، بالإضافة إلى المقومات العلميَّة والعملية الَّتي كان يتميز بها الخلفاء الراشدون والصحابة ودعاة التَّابعين ، وشدة اهتمامهم بالعلم والتعليم ، وحسن الاقتداء ، وتمثل القدوة ، واستعدادهم لتحمل المسؤولية .

كما كان للفتوحات الإِسلاميَّة المباركة واتساعها ، ومراكز العلم ، ووفرة علماء الصَّحابة تأثيرٌ واضحٌ في الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين .

وكل هذه المؤثرات سبقت الإشارة عنها في الفصول السَّابقة إمَّا إجمالاً أو تفصيلاً ممَّا أغنى الحديث عنها هنا .



المطلب الثَّاني

تربية النَّبيِّ ﷺ للصحابة - رضوان الله عليهم -

يتضمن مصطلح التربية في اللُّغة عدة معانٍ :

فهو يشمل الإصلاح ، والنماء ، والزِّيادة ، والترعرع ، وتولي أمره ، والتعليم .

وكل هذه المعاني تبين معنى التربية وهي : القيام بأمر المتربي وتعهده ورعايته بما ينميه (١) .

فالتربية في المفهوم الإسلامي هي نظام تربوي متكامل يقوم كل جانب فيه على تعاليم الإسلام ومفاهيمه ومبادئه ومقاصده (٢) .

ولهذا فقد امتن الله تعالى على هذه الأمة بأن أرسل أفضل خلقه محمَّدًا ﷺ ليكون رسولاً إلى العالمين كافة ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) .

ولقد قام النَّبيُّ ﷺ بتبليغ ما أُمر به على أكمل وجه ، وأحسن سيرة ، وكان يعمل على إعداد

---

(١) انظر : أصول التربية الإِسلاميَّة ، ص١٧ ، د.خالد الحازمي ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) مدخل إلى أصول التربية الإِسلاميَّة ، ص١٢ ، د.محمد الدخيل ، دار الخريجي للنشر ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٦٤) .

الأفراد الَّذين استجابوا له إعدادًا عقديًا وجسميًا ونفسيًا .

ولقد استمر هذا الإعداد في العهد المكي والعهد المدني حتَّى تَكَوَّن خلالهما أفرادٌ هم أفضل الخلق بعد رَسُول الله ﷺ ، فكانت بهم انطلاقة التربية الإِسلاميَّة دعوةً للإسلام والخلق والقيم العالية ، حتَّى استتب لها التمكين ، وأصبحوا قدوة للعالمين [١] .

والأصول الَّتي اعتمد عليها النَّبيُّ ﷺ في تربية أصحابه ، والَّتي كان لها الأثر الواضح في حياة المجتمع الراشدي ، هي :

أ/ الاهتمام بالتوحيد الذي هو المحور الأساس ، والمنطلق والمرتكز المهم في التربية الإِسلاميَّة ، لأَنَّهُ يستلزم إخلاص العبادة لله تعالى [٢] .

ب/ الاتعاظ والاعتبار من السنن الإلهية في الخلق من خلال العرض التاريخي في القرآن الكريم عن حال الأمم الغابرة مع أقوامهم ، وكيف كان مصيرهم الَّذي آل إلى الهلاك ، والنصر لأوليائه المؤمنين [٣] .

ولقد استفاد الصَّحابة الكرام مفهوم هذه العبر والعظات من خلال تربية النَّبيِّ ﷺ لهم ، وإن استيعابهم للمفهوم التربوي من حال الأمم السابقة ليفسر لنا سر إقدام الصَّحابة ، رضوان

---

(١) انظر : التربية في عهد الرَّسول ﷺ نشأتها وتطورها ، ص٩ ، د.حامد الحربي ، نشر رابطة العالم الإسلامي ، العدد ١٨٦ ، في ١٤١٩هـ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٣٠ .

الله عليهم ، وشجاعتهم في الدفاع عن الدعوة الإِسلاميَّة ، وبذلهم للأموال والأرواح في سبيل الله ، ويدل على ذلك ما قاله الصَّحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ في غزوة بدر عندما استشارهم في قتال أهل مكة فقال المقداد (١) : يا رسول الله امضِ لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٢) ، فو الَّذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد (٣) لجالدنا معك حتَّى تبلغه (٤) .

ج/ التدرج التربوي في أصول التربية الإِسلاميَّة ، وفي مقاصدها وتشريعاتها ، كتحريم الخمر ، ونزول القرآن منجمًا ، وذلك لتكوين الطليعة الأولى من الصَّحابة ، رضوان الله عليهم (٥) .

د/ تقرير مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، الَّذي كان تمهيدًا لفكرة إيواء المسلمين في مكان واحد استعدادًا لما سيقع في المستقبل من غير المسلمين ، ولتحقيق معنى التربية الجماعية الَّتي كانت هي الغالب في التربية لأصحابه ، رضوان الله عليهم (٦) .

---

(١) هو المقداد بن الأسود الكندي ، أسلم قديمًا ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرًا ، وكان فارسًا يوم بدر ، مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه . الإصابة ، ٦/ ١٦١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢٤) .

(٣) برك الغماد هو موضع في اليمن . انظر معجم البلدان ، ١/ ٣٩٩ ، للحموي .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ، ١/ ٦١٥ .

(٥) انظر : التربية في عهد الرسول ﷺ نشأتها وتطورها ، ص٣٣ .

(٦) انظر : التربية الجماعية في الإسلام دراسة تأصيلية ، ص١٤٠ ، نايف القرشي ، رسالة علميَّة ـ جامعة أم القرى .

هـ/ الاهتمام بالتعليم واستمراريته في العهد المدني ، ونضجه معرفيًا وعلميًا [(١)] .

و/ إكمال الدِّين بأصوله ، وتشريعاته ، وبيان محرماته ، ونزول قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [(٢)] ، فكانت هذه أعظم نعمة على هذه الأمة ، ولهذا جاء رجل من اليهود لعمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الَّذي نزلت فيه على النَّبيِّ ﷺ ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة [(٣)] .

((وقيل لم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ، ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام)) [(٤)] .

ـ وقد اهتم النَّبيُّ ﷺ بتربية الصَّحابة على محاسبة النفس ، والإخلاص لله تعالى في جميع الأعمال ، وقد استدعى هذا فضح المنافقين وكشف أسرارهم، والحذر منهم لأنَّهُم يعيشون داخل الأمة ، وهذا يستوجب معالجة هذا الداء بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولقد كان من أساليب تربيته ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، لأصحابه حثهم على الاستفادة من خبرات الأمم الأخرى المعاصرة لهم ، والانفتاح على خبراتهم ، والاتصال بهم لعرض الدعوة

---

(١) انظر : التربية في عهد الرسول ﷺ ، ص٧٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٣) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، رقم الحديث (٤٥) .

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٢/ ١٣ ، أبو محمَّد الحسين البغوي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

عليهم والإفادة والاستفادة ، ومجادلتهم بالتي هي أحسن امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا الله وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ولهذا فقد أمر النَّبيُّ ﷺ زيد بن ثابت ﷺ بتعلم اللُّغة اليهودية ، قال زيد بن ثابت : أمرني رَسُول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود ، قال : « **إني والله ما آمن يهود على كتاب** » قال زيد : فما مرَّ بي نصف شهر حتَّى تعلمته له (٢) .

ـ العوامل المؤثرة في التربية الإِسلاميَّة في العصر النبوي :

١ ـ تكامل الأصول الإِسلاميَّة وميادينها في المجتمع الإسلامي :

هذا التكامل بُني عليه الفروع لكي تستقيم حياة المسلمين على عقيدة قوية تستفيد من خبرة ماضيه ومعاصرة تغير الحياة الدنيا ، وتكون في إطار الشَّريعة الإِسلاميَّة ، متدرجة في الإصلاح الداخلي ، والعلاقات الخارجية (٣) .

٢ ـ الربط بين الهدف والسلوك :

فمقصود التربية الإِسلاميَّة ، معرفة الله تعالى وتوحيده ، ثمَّ معرفة كيفية عبادته ، والتحلي

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٦٤) .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الاستئذان والآداب ، رقم الحديث (٢٧١٥) ، وقال عنه الترمذي : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ، ٣/ ١٣٢٠ .

(٣) انظر : التربية في عهد الرَّسول ﷺ نشأتها وتطورها ، ص٧٩ .

بالآداب الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، مع التقيد بالأنظمة في المعاملات ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

وقد كان سلوك النَّبيِّ ﷺ وأصحابه الكرام يمثل التطبيق الأمثل لكل هذه الأمور (١) .

٣ـ النضج علميًا وعمليًا :

فقد كانت فترة التكوين في العهد المكي الَّذي استغرق ثلاث عشرة سنة مع مقاساة التعذيب ، والهجرة عن الدِّيار ، بالإضافة إلى ما سمعوه من اليهود والنَّصارى في المدينة ، كل هذه الأمور ساعدت على نضجهم في جميع مجالات الحياة ، ممَّا أدى ذلك إلى ظهور آثار التربية النَّبويَّة الناجعة في سلوك الصَّحابة في العصر الراشدي (٢) .

٤ ـ الحوافز :

لقد كان عامل الحوافز مهمًا للنفس البشرية ، ولهذا فقد وجده الصَّحابة ، رضوان الله عليهم ، في آيات القرآن الكريم ، وفي أسلوب النَّبيِّ ﷺ ، فكان أعظم جزاء يناله من يسلم لله تعالى هو دخول الجنة (٣) ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُون ﴾ (٤) .

---

(١) انظر : التربية في عهد الرَّسول ﷺ نشأتها وتطورها ، ص٨١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٨١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٨٣ .

(٤) سورة الروم ، الآية (٤٤) .

٥ ـ التدريب على الدعوة خارج المدينة :

وذلك لترسيخ مفهوم عالمية الدعوة لدى الصَّحابة رضوان الله عليهم ، ولهذا أرسل معاذًا إلى اليمن لتعليم النَّاس (١) ، وأرسل عليًا إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم (٢) .

أهم السمات الَّتي اتسمت بها التربية النَّبويَّة في العهد النبوي :

لقد اتسمت بالاستمرارية في غرس العقيدة وترسيخها في النّفوس ، مع الاستمرار في التكوين الَّذي كان في العهد المكي وذلك للوصول إلى التمكين من خلال المؤسسة التربوية الَّتي بناها النَّبيُّ ﷺ ، وهي المسجد الَّذي تقام فيه العبادات ، والمشاورات ، والمواعظ والمناصحات ، ورسم الخطط وإعداد الجيوش للغزوات (٣) .

وبسبب التربية النَّبويَّة الَّتي رعاها الله تعالى بحفظه وتسديده ، أصبح للأمة كيان ومنطلق وعاصمة ، وهدف واحد واضح المعالم لا ازدواجية فيه ، وهو نشر دين الله تعالى للعالمين وإقامة العدل ، ورفع الظلم ، وتطهير النّفوس من المعاصي والنفاق (٤) .

---

(١) انظر : السيرة النَّبويَّة ، ٤/ ١٩٧ ، لابن كثير .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ، ٢/ ٦٠٠ .

(٣) انظر : التربية في عهد الرسول ﷺ ، ص٩٥ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص١١٨ .

كل هذه الأصول التربوية والأسس والوسائل والسمات الَّتي اهتم النَّبيُّ ﷺ بها كان لها عميق الأثر في الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين الَّذي كان بدورهم الامتثال والنهج على سيرة نبيهم عليه الصَّلاة والسَّلام .



المطلب الثَّالث

عدالة الصَّحابة وفضلهم

تعريف العدالة :

لغة : العدل ضد الجور ، يقال رجل عدول : أي مقنع في الشَّهادة [(١)].

ومرضي مستوي الطَّريقة [(٢)] ، وهو ما قام في النّفوس أنَّه مستقيم [(٣)] .

اصطلاحًا : هي ملكة - أي هيئة راسخة في النفس - تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة ، أو مباح يُخِلُّ بالمروءة [(٤)] .

لقد كان من المؤثرات الإيجابية في الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين عدالة الصَّحابة وفضلهم ، ممَّا كان له الأثر الواضح في ثقة الأمة بصدقهم ، والوثوق بعلمهم وفضلهم ، ممَّا ساعد ذلك في أدائهم للأمانة الَّتي أنيطت بهم من تبليغ العلم والدعوة .

---

(١) مختار الصحاح ، ص٢٠٢ .

(٢) معجم مقاييس اللُّغة ، ٤/ ٢٤٦ .

(٣) القاموس المحيط ، ص١٠٣٠ .

(٤) الأشباه والنظائر ، ص٣٨٤ ، عبد الرَّحمن السيوطي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة استنادًا على الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة ، واتفاق الأمة على ثبات عدالة الصَّحابة رضوان الله عليهم [(١)]، وأنهم قوم اختارهم الله لصبحة نبيه ﷺ ونصرته ، وتبليغ شرعه وإعلاء كلمته ، وكلهم ﷺ عدول ، تحققت فيهم صفة العدالة ، وظهر فيهم معناها ، ومن صدر منه ما يخالف ذلك كوقوع في معصية مثلاً ، فإنما هو لمرة واحدة ، ولأفراد قلائل ، ثمَّ لم يلبث من وقع منه ذلك أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا تغسل حوبته ، وتحقق أوبته [(٢)] ، ويكفي في فضلهم ما ورد في كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)] ، وقول الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [(٤)] ، وقول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ الله وَرِضْوَانا ﴾ [(٥)] ، وغيرها من الآيات .

---

(١) قد حكى الإجماع على إثبات عدالة الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ابن عبد البر في مقدِّمة كتابه الاستيعاب ١/ ١٩ . والسخاوي عن الإمام الجويني في كتابه فتح المغيث ٤/ ٩٧ ، والإمام العراقي في شرح التبصرة والتذكرة ـ ألفية العراقي ـ ٢/ ١٣٠ دار الكتب العلمية ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م . والحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة ١/ ١٣١ . والإمام ابن الصَّلاح في مقدِّمة ابن الصَّلاح ص٢٩٥ ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. وابن تَيْمِيَّة في مجموع الفتاوى ٣٥/ ٥٤ .

(٢) انظر : صحابة رَسُول الله ﷺ في الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٧١ ، عِيَادة الكبيسي .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٦٤) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (٨٨) .

(٥) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

وأمَّا من السُّنَّة :

فقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **لا تسبوا أحدًا من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه** » [١] .

وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **خير النَّاس قرني ، ثمَّ الَّذين يلونهم ، ثمَّ الَّذين يلونهم ، ثمَّ يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته ...** » [٢] .

وقد ورد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النَّبويَّة في بيان فضلهم ومنزلتهم في الدّنيا والآخرة ، ولكن نكتفي بهذا في بيان فضلهم رضوان الله عليهم [٣] .

❁❁❁

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصَّحابة ، باب تحريم سب الصَّحابة ، رقم الحديث (٢٥٤١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب يشهد على شهادة جور .. رقم الحديث (٢٦٥٢) .

(٣) للاستزادة انظر : كتاب المناقب من صحيح البخاري ، ٤/ ١٧٧ . وكتاب الفضائل من صحيح مسلم ، ٤/ ١٧٨٢ .

المطلب الرَّابع

وجود الخلفاء الراشدين الأربعة في سدة الحكم

الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ((الفاروق)) ، وذو النورين عثمان بن عفان ، وأبو السبطين علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاهم .

ولقد كان وجودهم في المجتمع النبوي والراشدي بركة عظيمة ، ونعمة مسداة من رب الأرض والسماء .

وهذا من إرادة الله تعالى بهذه الأمة الخير العظيم وتوفيقه ، فقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، وحباهم بصفات خلقية ، ونفسية ، وعقلية ، واجتماعية ممَّا جعل الأمة لا تتردد في اختيارهم لقيادة هذه الأمة ، وخلافة رسولهم ﷺ .

ـ وقد أمر النَّبيُّ ﷺ باتباعهم ، والتمسك بهديهم كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية ﷺ الَّذي جاء فيه أن النَّبيَّ ﷺ قال : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ** » [1] .

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب العلم ، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، رقم الحديث (٢٦٧٦) ، وقال ←

وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أن التَّفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة [(١)] ، ولقول ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ((كنا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ : أبو بكر وعمر وعثمان)) [(٢)] .

فأبو بكر الصديق أولاً الَّذي أجمع عليه الصَّحابة في تقديمه ومبايعته لاستحقاقه الخلافة لفضله ، وسابقته ولتقديم النَّبيِّ ﷺ له في الصَّلاة على جميع الصَّحابة ، رضوان الله عليهم .

ثمَّ عمر بن الخطاب ﷺ لفضله ، وعهد أبي بكر الصديق إليه بالخلافة.

ثمَّ عثمان بن عفان ﷺ لتقديم أهل الشورى له .

ثمَّ علي بن أبي طالب ﷺ لفضله ، وإجماع أهل عصره عليه [(٣)] .

وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة نورد حديثًا واحدًا منها لكل واحد منهم :

ـ فمما جاء في فضل أبي بكر الصديق ﷺ ما قاله النَّبيُّ ﷺ وهو على منبره : ((**لو كنت متخذاً**

عنه الترمذي : حسن صحيح . وصححه الشَّيخ الألباني في الجامع الصَّغير وزيادته ، ٢/ ٨٠٥ .

(١) انظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، ص٢٨٣ ، نخبة من العلماء ، الناشر : وزارة الشؤون الإِسلاميَّة والأوقاف ـ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .

(٢) سنن الترمذي ، باب في مناقب عثمان ، رقم الحديث (٣٧٠٧) ، وقال عنه الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وصححه الشَّيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، ٣/ ١٧١٧ .

(٣) انظر : لمعة الاعتقاد ، ص٣٦ ، موفق الدِّين المقدسي ، الناشر : وزارة الشؤون الإِسلاميَّة والأوقاف ـ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ... » [(١)] .

ـ وممَّا جاء في فضل عمر رضي الله عنه قوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ : « **لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون** [(٢)] **، فإن يك في أمتي أحد فإنَّه عمر »** [(٣)].

ـ وممَّا جاء في فضل عثمان رضي الله عنه ، ما روته عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ عندما دخل أبو بكر ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، وعندما رآه الرَّسول ﷺ جلس وسوى ثيابه فسألته عائشة ، فقال : « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »** [(٤)] .

ـ وممَّا جاء في فضل علي رضي الله عنه ، ما قاله النَّبيُّ ﷺ يوم خيبر : « **لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله** » فبات النَّاس ليلتهم أيهم يعطى ، فغدوا كلهم يرجوه ، فقال : « **أين علي ؟** » [(٥)] .

ـ وقد نصر الله بهم الأمة ، وجمع بهم الكلمة ، ففي عهد الصديق رضي الله عنه قُمعت فتنة المرتدين ، واستتب أمر المسلمين ووحدتهم ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحت بلاد الشَّام والعراق ، والقدس ، والمدائن ، ومصر ، والجزيرة ، وفي عهد عثمان افتتحت أرمينية والقوقاز وخراسان

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول النَّبيِّ ﷺ سدو الأبواب ... رقم الحديث (٣٦٥٤) .

(٢) معنى محدَّثون بفتح الدال وتشديدها ، قيل المراد : يجري الصَّواب على ألسنتهم من غير قصد ، وقيل المراد : الإلهام ، وهو في مسلم بلفظ ملهمون . انظر : فتح الباري ، ١/ ١٠٣ ، لابن حجر .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، رقم الحديث (٣٦٨٩) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصَّحابة رضوان الله عليهم ، باب من فضائل عثمان ، رقم الحديث (٢٤٠١) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، رقم الحديث (٣٠٠٩) .

وكرمان وسجستان وقبرص وأفريقية [١] .

ـ لقد كان الخلفاء الراشدون أئمَّة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه [٢] يتلقف النَّاس فتاويهم وأحكامهم وسننهم واجتهاداتهم بكل حرص واطئمنان وعلى وجه الخصوص أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ .

لقد أثرى الخلفاء الراشدون عصرهم بحسن اتباعهم للنبي ﷺ وشدة حرصهم على العلم والعمل ، والتعليم والدعوة وتبليغ دين الله لجميع النَّاس، ورفع راية الجهاد ، وامتثال أوامر الله في جميع مجالات الحياة الاجتماعيَّة والسياسية والاقتصادية .

وقد سبقت الإشارة لأعمالهم المباركة في هذه المجالات في الفصل الثَّاني من هذه الرِّسالة .

ولكن الجدير بالإشارة هنا ، أن الخلفاء الراشدين كانوا على معرفة واسعة بمقاصد الشريعة الإسلامية ، وغاياتها المفيدة ، والتي من أهمها جلب المصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها [٣] .

قال الإمام الغزالي : ((ومقصود الشَّرع من الخلق خمسة : أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم

---

(١) انظر : الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم ، ص٦٤ وما بعدها ، إسماعيل التيمي ، مطبعة دار الكتب المصريَّة ، ١٩٩٩م .

(٢) انظر : إحياء علوم الدِّين ، ١/ ٤١ ، لأبي حامد الغزالي ، دار المعرفة ـ بيروت .

(٣) انظر : فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة ، ص٧ ، د.عبد السَّلام الكربولي ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

وعقلهم ونسلهم وماهم)) [١] .

ـ وقال العز بن عبد السَّلام : ((لو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسُّنَّة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله ، وزجر عن كل شر دقه وجله ، فالخير يعبر به عن جلب المصالح ، ودرء المفاسد والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح)) [٢] .

فالمعرفة الواسعة بمقاصد الشريعة وغاياتها ، يفيد في معرفة واستيعاب قاعدة فقه الأولويات **والتي تعني في اللغة** : الأَوْلَى : بالفتح واحد الأوليان ، والجمع الأولون ، والأنثى الوليا، والجمع الوليات .

والأَوْلى يستعمل في مقابلة الجواز ، كما أن الصَّواب في مقابلة الخطأ [٣] .

اصطلاحًا : ((وضع كل شيء في مرتبته بالعدل ، من الأحكام والقيم والأعمال ، ثمَّ يُقدِّم الأولى فالأولى ، بناء على معايير شرعيّة صحيحة يهدي إليها نور الوحي ، ونور العقل نور على نور)) [٤] .

---

(١) المستصفى ، ص١٧٤ ، للغزالي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

(٢) قواعد الأحكام ، ٢/ ١٨٩ ، العز بن عبد السَّلام ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ، طبعة جديدة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م .

(٣) انظر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، ص٢٠٨ ، أيوب الكفوي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت .

(٤) فقه الأولويات دراسة جديدة ، ص٩ ، د.يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

لقد استوعب الخلفاء الراشدون قاعدة فقه الأولويات من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النَّبويَّة .

فمثلاً أولية التَّخفيف والتيسير في الشَّريعة مقدَّمة على التَّشديد والتعسير ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر ﴾ (١) ، وقول الله تعالى : ﴿يريدُ الله أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٢) .

وقول عائشة ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ : ((ما خُيِّر رَسُول الله ﷺ بين أمرين إِلاَّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه)) (٣) .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين أرسلهما إلى اليمن : « **يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا** » (٤) .

وقد استفاد الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم من خلال ملازمتهم للنبي ﷺ وتلقيهم للأحكام الشَّرعيَّة معنى فقه الأوليات بصورة تطبيقه في الأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر ، وفي الجهاد ، والدعوة والتدرج فيها ، وأولويات العهود والمصالحة مع العدو ، والأولويات في الحياة العامَّة كذلك .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

(٢) سورة النِّساء ، الآية (٢٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النَّبيّ ﷺ ، رقم الحديث (٣٥٦٠) .

(٤) المرجع السابق ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من التنازع ، رقم الحديث (٣٠٣٨) .

فعندما انتقل النَّبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، كان المجتمع الراشدي في أشد الحاجة إلى تطبيق فقه الأولويات وإظهار مقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة على المستجدات والحوادث والظروف الَّتي يعيشها المجتمع الراشدي .

وقد اعتمد الخلفاء الراشدون وعلماء الصَّحابة في ذلك على مصادر الشَّريعة الإِسلاميَّة الأصليَّة القرآن والسُّنَّة ، واتخاذهما أساسًا للتشريع في جميع الحالات ، وعدم الميل أو الحيد عنها ، أو تغيير تطبيقاتها بالتأويل أو التغيير مع مراعاة الالتزام بقرارات الشورى فيما لا نص فيه ، أو فيما يحتمل وجوهًا عدة ، وذلك لتحقيق مصلحة الأمة [1] .

فحقق المجتمع الراشدي بذلك ثبات الأصل والحفاظ عليه من خلال الاعتماد والرجوع إليه ، وأيضًا إظهار مرونة الشَّريعة المتسمة باليسر والسماحة وفق مقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة .

فكان الخلفاء الراشدون ، رضوان الله عليهم ، خير من أبرز هذا الفقه واستعان به في النَّظر للظروف المستجدة ، والحوادث والملمات الجسام .

ولا يمكن هنا استيعاب هذا الموضوع وذكر تفاصيله وأمثلته ، ولكن حسبي أن أُشير إلى بعض الأمثلة الَّتي حدثت في عصر الخلفاء الراشدين لإيضاح جوانبه .

أولاً : فقه الأولويات في سيرة أبي بكر الصديق ﷺ :

١ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال : لما توفي رَسُول الله ﷺ ، وكان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : كيف تقاتل النَّاس وقد قال رَسُول الله ﷺ : « **أمرت**

(١) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٤٦٥ .

أن أقاتل النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله ، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلاَّ بحقه وحسابهم على الله » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرَّق بين الصَّلاة والزكاة ، فإن الزَّكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رَسُول الله ﷺ لقاتلهتم على منعه ، فقال عمر : فو الله ما هو إلاَّ أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنَّه الحق (١) .

لقد كان رأي أبي بكر الصديق ﷺ في قتال أهل الردة رأيًا ملهمًا ، وأي موقف غير هذا الموقف الَّذي قام به الصديق سوف يكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهليَّة (٢) ، فكان العمل بالأولى وهو قتال أهل الردة هو الأولى .

٢ ـ عند وفاة أبي بكر الصديق ﷺ كتب العهد بخلافة عمر الفاروق ﷺ ، وأمر النَّاس بالسمع والطاعة له . لأنَّهُ ﷺ فكر في أمر الأمة من بعده وإلى أي شيء سيؤول : هل يستشير الصَّحابة وأهل الرأي والشورى في اختيار الخليفة للأمة من بعده مع أن هذا شيء لم يفعله الرَّسول ﷺ أم أنَّه يترك الأمة من بعده بدون خليفة ممَّا قد يتسبب في خلاف من بعده ؟ وقد نظر إلى هذه الأمور ووازن بينها ثمَّ أعطى الأولوية لاختيار الخليفة على يديه ، لما في ذلك من مصالح راجحة تحفظ على الأمة كيانها ووحدتها ، وتدرأ عنها مفاسد التفرق والاختلاف (٣) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، باب الاقتداء بسنن رَسُول الله ﷺ ، رقم الحديث (٧٢٨٤) .

(٢) انظر : فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة ، ص١٩٧ . ونظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ، ص٣٨ ، محمَّد المدني ، نشر وزارة الأوقاف المصريَّة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

(٣) انظر : المرجع السَّابق ، ص٢٠١ .

ثانيًا : فقه الأولويات في سيرة عمر الفاروق ﷺ :

قصة غلمان عبد الرَّحمن بن حاطب الَّذين سرقوا بعيرًا ، فانتحروه ، فرفع أمرهم إلى عمر بن الخطاب ﷺ فأمر بقطعهم ، ثمَّ مكث ساعة فقال عليَّ بهم ، ثمَّ قال لعبد الرَّحمن بن حاطب : والله إني لأراك تستعملهم ثمَّ تجيعهم وتسيء إليهم ، حتَّى لو وجدوا ما حرم الله عليهم حلَّ لهم ، ثمَّ قال لصاحب البعير : كم كنت تُعطى لبعيرك ؟ قال : أربع مائة درهم ، قال لعبد الرَّحمن : قم فاغرم لهم ثمان مائة درهم [١] .

ـ من المعلوم أن الأصل في السرقة إذا تيقن حدوثها ، فإن عقوبتها القطع لقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ الله وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢] .

وعمر ﷺ عندما رفع إليه هؤلاء الغلماء الَّذين سرقوا تراجع عن قطع أيديهم وهو الأولى ، مع أن الأصل في ذلك القطع ، وذلك لوجود الشبهة وهي الضَّرورة الَّتي ألجأتهم للسرقة بسبب عام المجاعة [٣] .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : لا قطع في المجاعة ، يعني أن المحتاج إذا سرق ما يأكله فلا قطع عليه لأنَّهُ كالمضطر ، وروى الجوزجاني عن عمر أنَّه قال : لا قطع في عام سنة [٤] .

---

(١) مصنف عبد الرزاق ، باب سرقة العبد ، رقم الحديث (١٨٩٧٨) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٣٨) .

(٣) انظر : فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة ، ص٢١١. ونظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ، ص٧٠ .

(٤) المغني لابن قدامة ، ١٢/ ٤٦٢ .

ثالثًا : فقه الأولويات في سيرة عثمان ﷺ :

ـ الأصل في ضوال الإبل أن تترك لأنَّهَا تختلف عن بقية ضوال البهائم الأخرى ، وقد نهى النَّبيُّ ﷺ عن أخذها وذلك لأنَّهَا تمتاز باحتفاظها بالماء ، ولاستطاعتها مواصلة السير لمسافة طويلة ، وهي ترد الماء وتأكل الشجر [١] .

وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام لمن سأله عنها : « **مالك ولها ، معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء ، وتأكل الشجر حتَّى يلقاها ربها** » [٢] .

وهكذا بقيت في عهد النبوة وعهدي أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ حتَّى إذا كان عهد عثمان ﷺ أمر بأن تعرَّف ثمَّ تباع فإذا جاء صاحبها أُعطي ثمنها .

قال ابن شهاب الزُّهريّ [٣] : كانت ضوال الإبل في زمان عمر إبل مؤبَّلة [٤] ، حتَّى إذا كان زمان عثمان بن عفان أمر بتعريفها ثمَّ تباع ، فإذا جاء صاحبها أُعطي ثمنها [٥] .

وسبب ذلك والله أعلم لما كثر في النَّاس من لم يصحب النَّبيَّ ﷺ من كان لا يعف عن أخذها ، فرأى أن الاحتياط والأولى أن ينظر فيها الإمام فيبيعها ويبقي التَّعريف فيها ، فإذا جاء

---

(١) انظر : فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص٢٣١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المساقاة ، باب شرب النَّاس والدواب من الأنهار ، رقم الحديث (٢٣٧٢) .

(٣) هو محمَّد بن مسلم بن شهاب القرشي الزُّهريّ ، فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة ، تقريب التَّهذيب ، ص٥٠٦.

(٤) مؤبَّلة : يعني أَنَّها كانت لا يأخذها أحد . المنتقى شرح الموطأ ، ٦/ ١٤٣ .

(٥) موطأ الإمام مالك ، ٤/ ١٠٩٩ .

صاحبها أُعطي ثمنها ، وفي بيعها حفظ لمال صاحبها ، لأَنَّهُ بذلك ينقلها إلى الأثمان الَّتي لا يخاف عليها [١] .

رابعًا : فقه الأولويات في سيرة علي ﷺ :

قال علي ﷺ : حدثوا النَّاس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله [٢].

وفي رواية : ودعوا ما ينكرون ، ويشتبه عليهم فهمه [٣] .

قال ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامَّة [٤] .

ومثله قول ابن مسعود ﷺ : ما أنت محدثًا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إِلاَّ كان لبعضهم فتنة [٥] .

فعلي ﷺ رأى أن من فقه الدعوة وأولوياتها ، ومن فقه تعليم النَّاس وأولوياته هو تحديثهم بما يفهمون لتتحقق المصلحة من دعوتهم وتعليمهم ، ولدرء المفسدة في ذلك وهي خشية أن

---

(١) انظر : المنتقى شرح الموطأ ، ٦/ ١٤٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم ، رقم الحديث (١٢٧) .

(٣) فتح الباري ، ١/ ٢٢٥ ، لابن حجر .

(٤) المرجع السَّابق ، ١/ ٢٢٥ .

(٥) صحيح مسلم ، المقدمة باب النَّهي عن الحديث بكل ما سمع ، ١/ ١١ .

يُكذب الله ورسوله [١] .

وهكذا كان وجود الخلفاء الراشدين الأربعة في سُدة الحكم نعمة مسداة وبركة عظيمة ، حتى أصبح عصرهم معلمًا بارزًا ، وأنموذجًا متكاملاً ، ومحلاً للتأسي والقدوة لكل من نشد الإصلاح ، ولجميع الأجيال الإسلامية .

❁❁❁

(١) انظر : فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة ، ص٢٣٥ .

المطلب الخامس

حاجة النّاس للدعوة الإسلاميّة

كانت الفترة السَّابقة لمبعث النَّبيِّ ﷺ من أحلك الظروف في تاريخ البشرية وأكثرها ضلالاً وضياعًا ، ولهذا استحقوا المقت من الله تعالى [1] كما أخبر النَّبيُّ ﷺ في الحديث : « **إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب** » [2] .

فالعالم الأرضي كله يتخبط في ظلمات الأديان المحرَّفة والوثنيات الكالحة والأنظمة الطاغوتية ، وكان هذا العالم ينقسم قسمين كبيرين :

١ ـ القسم البدائي .

٢ ـ القسم المتحضر .

أمَّا القسم الأَوَّل : وهو يشمل الشّعوب الهمجية الَّتي تقطن غرب أوربا ووسط آسيا وشرقها ومعظم أفريقية فهو إلى حياة السوائم أقرب منه إلى حياة البشر.

وأمَّا القسم الأخير : فأبرز من يمثله الدولتان ((فارس ، والروم)) .

---

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص٢٧ ، د.سفر الحوالي ، دار الكلمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة ، باب الصِّفات الَّتي يعرف بها ... رقم الحديث (٢٨٦٥).

وكلاهما كان يخضع لنظام طاغوتي استبدادي ، ويدين بدين باطل محرف [١] .

فالفرس يدينون بالمجوسية ، والروم يدينون بالمسيحية ، والنظام الاجتماعي في الدولتين كلتيهما من أبشع النظم في التَّاريخ من حيث التميز العنصري ، والتفاوت الطبقي [٢] .

وكذلك النظام الاجتماعي في الهند والصين أسوأ حالاً من نظام المجوسية والمسيحية ، فإِنَّه لا يُعرف في أُمة نظام طبقي أشد قسوة وأعظم ظلمًا بين الطبقات منه في الهند ، وكان أشد ما يكون استهانة بالإنسان وكرامته .

ولقد ساد الظلم في هذه الأمم لجميع أفراد المجتمع ، وعلى وجه الخصوص المرأة الَّتي كانت عندهم بمنزلة الدابة الَّتي تباع وتشترى [٣] .

وكان أعظم مظاهر الانحطاط في هذه الأمم ، بل هو أصل الفساد كله هو عبودية البشر للبشر ، سواء العبودية لطواغيت الخرافة والتدين ، أو طواغيت الحكم والتسلط .

فالطبقات السفلى تعبد العليا والكل يعبد الإمبراطور ، والدين يشرعه السدنة والأحبار والرهبان ، والقوانين يسنها الأباطرة والنبلاء ، والجيوش الجرارة تحمي هذه الأنظمة الجائرة والأوضاع الظالمة [٤] .

---

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء ، ص٢٧.

(٢) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٣٢٩ .

(٣) انظر : أسباب نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، ص٦١ .

(٤) انظر : ظاهرة الإرجاء ، ص٢٨ . وانظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص٤٣ ، أبو الحسن الندوي ، ←

أمَّا الشّعوب الخاضعة لحكم هاتين الدولتين ومنها سكان العراق والشام ومصر فقد كانت ترزح تحت نار الاستبداد الغاشم ، والجبروت القاهر ، وحسبك أَنَّهم كانوا كالعبيد لعبيد الإمبراطورية (١) .

أمَّا عقائدهم الدِّينيَّة فيجب أن تكون تبعًا لما تقرره مجامع روما أو القسطنطينة ، وإلاَّ فالإبادة والاستئصال ، أو قرارات اللعن والحرمان من الجنة !! .

وأمَّا عرب الجزيرة خاصة فهم في حياتهم القبلية وعاداتهم أقرب إلى حال الشّعوب الهمجية المذكورة في القسم الأَوَّل ، لولا ما خصهم الله به من ميزات إرهاصًا لحمل الرِّسالة العظمى إلى أمم الأرض قاطبة .

والحاصل أن العالم البشري كله كان يعيش واقعًا عصيبًا لا يتصور بأي حال من الأحوال إصلاحه من داخله أي من خلال حضارته وثقافته وحكمته.

لقد كان العالم في أشد الحاجة إلى رحمة إلهية تنقذه من براثن الانهيار المحتوم (٢) .

وجاءت هذه الرحمة في النور المبين الَّذي نزل على النَّبيِّ ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

مكتبة الإيمان ـ مصر .

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء ، ص٢٨ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢٨ . وانظر : الدعوة بين سياسة الفاروق وعثمان ، ص١٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧) .

نزل هذا النور ليزيح ذلك الواقع ...

ولقد جاء النَّبيُّ ﷺ الرحمة المهداة ، فجاهد في الله حق جهاده ، وبلغ الرِّسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وأخرج النَّاس من ظلمات الكفر والفسوق ، إلى نور الإسلام والعدل والرحمة .

واستطاع عليه الصَّلاة والسَّلام أن يخضع الجزيرة العربيَّة ويوحدها ، ويذهب عنها رجس الجاهليَّة ، ويرفع من قدرها ويهيئها لحمل الرِّسالة العالميَّة للعالمين [١] .

وقد اجتهد في مطلع السَنَةِ السَّابعة للهجرة على إيصال دعوته خارج الجزيرة العربيَّة حينما أرسل رسله بكتبه إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم إلى الإسلام ، وعلى رأسهم قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس [٢] .

ثمَّ بدأ بعد ذلك الاحتكاك بالروم البيزنطيين في غزوة مؤتة ، وتبوك على مشارف بلاد الشَّام ، والَّتي تُعد هذه بداية الخطوات الموفقة للدعوة الإِسلاميَّة للوصول إلى التبليغ العالمي [٣] .

وبعد وفاته عليه الصَّلاة والسَّلام كاد يرجع غالب أهل الجزيرة إلى الجاهليَّة ، ويرتدون على

(١) انظر : جزيرة العرب بين التشريف والتكليف ، ص١-٢٧ ، د. ناصر العمرو ، مركز البحوث والدراسات ـ قطر ، نشر في ١٤٢٣هـ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٦٤٤ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة ومؤتة ، رقم الحديث (٤٢٦١) .

أعقابهم ، وتخسر الدعوة منجزاتها الَّتي قام بها النَّبيُّ ﷺ .

لولا توفيق الله ورحمته ولطفه بهذه الأمة ، وحفظه لهذا الدِّين .

فقد ألهم الله أبا بكر الصديق ﷺ ، وأيده بالرأي السديد لقتال أهل الردة ، وإرجاعهم لحوزة الإسلام ، وحمل راية الدعوة العالميَّة .

ولقد دانت لأبي بكر الصديق ﷺ الجزيرة العربيَّة ، وكان من حكمة الله تعالى في حدوث حروب الردة تهيئة المسلمين نفسيًا وجسديًا وإيمانيًا لحرب فارس والروم ، ودعوتهم إلى الإسلام ، بالإضافة إلى جعل الجزيرة العربيَّة قاعدة انطلاق الفتوحات الإِسلاميَّة لكل الدنيا [١] .

وهكذا ألقيت مهمة التبليغ العالمي للدعوة الإِسلاميَّة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ على كاهل الخلفاء الراشدين ، وكانت الفتوحات الإِسلاميَّة هي الوسيلة العظمى لتبليغ الرِّسالة ، وإنقاذ الشّعوب من الاستبداد السياسي والاستغلال المالي ، والتفكك الاجتماعي ، والفساد الأخلاقي .

وقد قام الخلفاء والصحابة الكرام باتخاذ كافة الاستعدادات المادية ، والمعنوية لتبليغ الرِّسالة العالميَّة بمعالم واضحة ومنطلقات فكرية وعملية قوية، ممَّا جعلها تلقى القبول لدى الأهالي في البلدان المفتوحة ، وقد وجدوا في الدعوة الإِسلاميَّة ضمانًا لحقوقهم وواجباتهم وفق شريعة الإسلام ، وتحقق لهم من خلالها العدل والمساواة في الحقوق والواجبات ، ووجدوا فيها الدعم المعنوي والمادي للإبداع والإتقان ، والحرص على العلم والتعلم وتنمية القدرات وتفجير

(١) انظر : تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، ص٦١ .

الطاقات لمواصلة التقدم والرقي الإنساني [١] .

۞۞۞

(١) انظر : مجلة البيان ـ موضوع الدلجة بين منظورين ، د.محمد أمحزون، العدد (١٤٥).

المبحث الثاني

الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين والمؤثرات السلبية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التحول الاجتماعي في عهد عثمان رضي الله عنه

المطلب الثاني: الرخاء وأثره على المجتمع الإسلامي .

المطلب الثالث: حدوث الفتنة وآثارها .

المطلب الأوَّل

التحول الاجتماعي في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ

شهدت خلافة عثمان ﷺ تطورات خطيرة في حياة الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة ، فقد حكم الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة بعد أن تحولت من دولة محدودة النطاق تقوم في المدينة المنورة وتحكم شبه جزيرة العرب ، إلى دولة عالمية يمتد سلطانها ليشمل إلى ذلك ممالك العراق والشام ومصر وإفريقية وأرمينية وبلاد فارس وبعضًا من جزر البحر الأبيض المتوسط .

وقد ظهر نتيجة هذا التحول في طبيعة الدَّولة ، وأجناس الخاضعين لها ، والمنتمين إلى دينها ، جيل جديد من المسلمين يعتبر في مجموعه أقل من الجيل الأَوَّل الَّذي حمل على عاتقه عبء بناء الدَّولة وإقامتها ، فقد تميز الجيل الأَوَّل من المسلمين بقوة الإيمان ، والفهم السليم للعقيدة ، والالتزام لشرائع الإسلام (١) .

وكانت هذه الميزات أقل ظهورًا في الجيل الجديد الَّذي وُجد نتيجة للفتوحات الواسعة ، وظهرت فيه المطامع الفردية ، وبعثت فيه العصبية للأجناس والأقوام ، وهم يحملون رواسب كثيرةً من رواسب الجاهليَّة الَّتي كانوا عليها ، ولم ينالوا من التربية الإِسلاميَّة مثل ما نال الرعيل

---

(١) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٥٥ ، د.محمد أمحزون ، مكتبة الكوثر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

الأَوَّل من الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، وذلك لكثرتهم ، وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوحات الجديدة (١) .

وهذه الظاهرة يدل عليها كتاب عثمان ﷺ إلى أمرائه : أمَّا بعد : فإن الرعية قد طعنت في الانتشار ، ونزعت إلى الشر ، وأعداها على ذلك ثلاث : دنيا مؤثرة ، وأهواء متشرعة ، وضغائن محمولة (٢) .

ـ وكتب أمير الكوفة إلى عثمان ﷺ يقول : إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغَلَب أهلُ الشرَّفِ منهم والبُيُوتاتِ والسَّابِقَةِ والقِدْمَةِ ، والغالبُ على تلك البلاد روادِفٌ رَدِفَتْ وأعرابٌ لِحقَت حتَّى ما يُنْظرُ إلى ذي شَرَفٍ ولا بَلاءٍ من نازِلَتِها ولا نابِتَتِهَا (٣) .

وكان لاختلاط القبائل العربيَّة وامتزاجها في البلدان المفتوحة أثره في خلق مجتمع له صفات وتوجهات معينة ، وخاصة إذا لم ينل حظًا وافرًا من التربية على مبادئ الإسلام وقواعده بسبب عدم القدرة على استيعاب الأفواج الكبيرة منهم واحتوائها (٤) .

وهذا ما حدث أيضًا في البلاد المفتوحة ودخول الموالي في الإسلام ، فإنَّهم لم يتخلصوا من كل الأفكار والعادات الَّتي كانوا عليها في جاهليتهم ، وقد يكون سبب هذا في عدم التوازن في حركة التوسع في فتح البلدان وبين عدم القدرة الاستيعابية لتعليم النَّاس وتفقيههم بمبادئ

---

(١) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٥٦ .

(٢) انظر : تاريخ دمشق ، ٣٩/ ٢٤٦ ، لابن عساكر .

(٣) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٧٩ .

(٤) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٥٧ .

الدِّين ، رغم وجود البذل الواسع والكبير في ميدان التَّعليم والتربية الإِسلاميَّة ، إلاَّ أن التوسع السريع والواسع في الأرض أدى إلى ضعف المقدرة البشرية في ميدان التَّعليم والتربية على استيعاب هذه الأعداد الهائلة ، بالإضافة إلى عامل الزمن الَّذي لم يكن كافيًا لترسيخ التعاليم الإِسلاميَّة في نفوس كثير منهم .

كل هذه العوامل وغيرها ساعد على وجود خلخلة فكرية وظواهر سلبية دخيلة على المنهج الإسلامي ، ممَّا كان له الأثر السلبي في عدم استقرار الدَّولة الراشدة ، وظهر ذلك جليًا في السنوات الأخيرة من عهد عثمان رضي الله عنه [(١)] .

❁❁❁

(١) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٥٨، ٣٥٩ .

المطلب الثَّاني

الرخاء وأثره على المجتمع الإسلامي

إن الرخاء في العيش ، والسعة في الرزق ، كما أن له آثارًا إيجابية على المجتمعات من ناحية سعادتها ، وطيب عيشها ، وممارستها للحياة الكريمة الَّتي لا ينغصها هم الفقر ، ولا بذل الجهد ، وإهدار الوقت في طلب الرزق، فإن له آثارًا سلبية يترتب عليها انشغال المجتمعات بالدنيا ، والافتتان بها ، والتنافس والبغضاء فيها ، وخاصة بين أفراد المجتمعات الَّذين لم يصقل الإيمان نفوسهم ، ولم يحظوا بقسط كبير من التربية الإِسلاميَّة على الزهد في الدّنيا والتعلق بالآخرة .

وهذا ما حدث لبعض أفراد المجتمع المسلم عندما أقبلت الدّنيا بسبب كثرة الفتوحات ، فكثرت واردات بيت المال من الغنائم والأسلاب ، فضلاً عمَّا يخص المجاهدين [١] .

وكان من هؤلاء الَّذين افتتنوا بالرخاء وكثرة المال أعراب البادية وحفاتها ، ومسلمة الفتوحات ، وأبناء الأمم المترفة الدخلاء في الإسلام الَّذين تمادوا بعيدًا في زخارف الدّنيا وبهجتها ، واتخذوها غاية يتنافسون فيها [٢] .

---

(١) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٥٩ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ١/ ٣٦٠ .

وقد ظهر الثراء بشكل واضح زمن عثمان ﷺ حيث أدرك هو نفسه هذه الظاهرة منذرًا بما سيؤول إليه أمر الأمة من التبدل والتغيّر والافتتان بها، وتحريك الفتن [١] .

ولهذا فقد كان آخر خطبة لعثمان ﷺ وهو يعظ المسلمين بعد أن فتحت الدنيا عليهم ، قال : ألا لا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ... واحذروا أحداث الدهر المغير ، والزموا جماعتكم ، ولا تتفرقوا شيعًا وأحزابًا [٢] .

❁❁❁

---

(١) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٦٠ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٣٨٤ .

المطلب الثَّالث

حدوث الفتنة وآثارها

ـ بعد أن تآمر الهرمزان [١] الفارسي المجوسي ، وجفينة [٢] النصراني الصليبي [٣] على قتل الخليفة الفاروق عمر ، ونفذ هذا التآمر أبو لؤلؤة[٤] ـ عليه من الله ما يستحق ـ وانكسر الباب الَّذي هو عمر [٥] والَّذي أخبر عنه حذيفة بن اليمان في حديث الفتن الَّتي تموج كموج البحر ، وفيه قال عمر لحذيفة : أفيكسر الباب أم يفتح ؟ قال حذيفة : لا بل يكسر ! قال : ذلك أحرى ألا يغلق أبدًا [٦] .

---

(١) الهرمزان الفارسي صاحب تستر ، وهو من جملة الملوك الَّذي تحت يزدجرد ، أسلم في عهد عمر بن الخطاب . انظر : سير أعلام النبلاء ، قسم الراشدون / ١٣٩ .

(٢) جفينة كان نصرانيًا من أهل الحيرة ، أقدمه سعد بن مالك المدينة ليعلم بالمدينة الكتابة . انظر : تاريخ دمشق ، ٣٨/ ٦١ .

(٣) انظر بتوسع : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأَوَّل الهجري ، ص٢١٥ ، د.جميل المصري ، مكتبة الدَّار ـ المدينة المنورة .

(٤) أبو لؤلؤة من سبي نهاوند ، وهو غلام المغيرة بن شعبة ، واسمه : فيروز . انظر : طبقات ابن سعد ، ٣/ ٢٥٩، ٢٦٦ .

(٥) انظر قصة قتل عمر بن الخطاب في أسد الغابة ، ٤/ ١٥٦ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رقم الحديث (٣٥٨٦) .

ـ وانكسر الباب الَّذي دون الفتن بمقتل عمر بن الخطاب ﷺ ، ولم يقف التآمر الصليبي المجوسي عند مقتل عمر بن الخطاب فقط ، فغايتهم ليست قاصرة على مقتل عمر ﷺ ، وإنما غايتهم هدم الإسلام كله .

ولذلك فقد انضم إليهم شر الثَّلاثة ((المكر اليهودي)) ممثلاً في عبد الله ابن سبأ [(١)] وخلاياه السرية الَّتي أضرمت نار الفتنة والَّتي ذهب ضحيتها الخليفة ذو النورين عثمان ﷺ ثمَّ تتابعت الفتن كقطع اللَّيل المظلم وما تزال [(٢)] .

ـ كان مقتل ذي النورين فاجعة كبرى ، ليس لأن الأمة فقدت خليفتها، ولكن لأن هذه الأمة المباركة المصطفاة بدأت تتزحزح عن قمتها الشاهقة الَّتي لم تبلغها قبلها أمة من الأمم .

لقد كان ذلك إيذانًا بانقضاء عصر الجماعة الإنسانية الفذة الَّتي تعيش كالملائكة المطمئنين في الأرض .

ولا شك أن لله تعالى حِكَمًا بالغة جرت بها مقاديره .

ومع هذه المواقف الحالكة والفتن المتتابعة فقد تجلى الاصطفاء الرباني لهذه الأمة الَّتي أثبتت أَنَّها أفضل الأمم خصومة ، وأسماها وفاقًا واتفاقًا [(٣)] .

---

(١) عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء من أمة سوداء ، أسلم زمن عثمان بن عفان ﷺ ثمَّ تنقل في بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم ، وقد ألب على عثمان ﷺ وتآمر على قتله ، وهو الَّذي تنسب فرقة السبئية الضالة إليه . انظر : تاريخ دمشق ، ٢٩/ ٤ .

(٢) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٢٥ .

(٣) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٦٢ .

ـ لقد خطط خصوم الدعوة والحاقدين على قتل الخليفة الراشد الثَّالث عثمان ﷺ ، وليس قتله منتهى غايتهم ، فغايتهم هدم الإسلام واستئصال جذوره [١] .

ولذلك فقد استغلوا فتنة مقتل عثمان ﷺ لبث الاضطراب بين النَّاس ، والتلاعب بمشاعرهم ، فانتهى مقتل عثمان ﷺ بآراء متضاربة ووجهات متباينة .

١ ـ فقد رأت طائفة أن أوَّل واجب على الأمة هو الثأر لخليفتها الشهيد والقصاص من الخونة السفاحين [٢] .

٢ ـ ورأى آخرون أن أوَّل ما ينبغي هو اجتماع الكلمة واستتباب الأمور والتجلد حتَّى تنكشف ذيول المؤامرة ثمَّ يكون استئصال شأفتها ، وقطع دابرها [٣] .

٣ ـ ورأت طائفة ثالثة أن الخليفة المظلوم لم يتحمل ذلك الحصار الآثم، وفيه أتباعه المؤمنين عن فكه إلاَّ حرصًا على ألا تراق قطرة دم أو تثور أدنى فتنة بين أمة الإسلام ، فالأولى بمن بعده ألا يكونوا طرفًا في أي نزاع [٤].

وكان بعض من رأى هذا الرأي قد خرج من المدينة منذ أن أطلت الفتنة برأسها ، وآثروا الابتعاد حتَّى تسكن العاصفة.

---

(١) انظر : تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ١/ ٣٢٥ .

(٢) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٦٣ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص١٦٣ .

٤ ـ ونبتت فئة أخرى من أحداث الأسنان وضيقي الأفق الَّذين ترعرعوا في البداوة ، وولدوا من سلالة الأعراب ، ونشؤوا على الجلافة ، واستباحوا دم عثمان ﷺ لنزوله عن مرتبة الشَّيخين [١] .

ـ أمَّا الفئة الآثمة المتآمرة فقد اندست في صفوف الأمة تستجمع قوتها وتخطط للمرحلة التَّالية مدفوعة بيقينها أن أي اجتماع للأمة فإِنَّه سيتقاضى رؤوسها الفاجرة [٢] .

وأدرك بعض من شارك في الفتنة وخدع بمطلب المتآمرين صدق قول عبد الله بن مسعود في خطبته ((عليكم بالجماعة ، فإن ما تكرهونه في الجماعة خير ممَّا تحبون في الفرقة)) [٣] .

لقد كان غاية ما نقموا على أمير المؤمنين عثمان ﷺ أَنَّه حمى الحمى ، وأتم الصَّلاة في السفر بمكة ، وآثر أقرباءه ، وتوسع في الإنفاق من بيت المال والفيء .

وهذه الأمور إمَّا أن الحق فيها معه ﷺ صرفًا ، وإما أَنَّها مسائل اجتهادية فليس اجتهاد غيره بأولى من اجتهاده ، ولاسيما وهو خليفة الأمة وطاعته ترفع الخلاف ، وإما أَنَّه قد حصل منه بعض التجاوز في شيء من هذه الأمور الفرعية ، وهذا لا يبرر لأهل الفتنة قتله ، فتجاوزه لو ثبت حقًا ماذا يساوي إلى جانب سابقته وفضله وعظيم قدره عند الله ، وقد ارتكب حاطب بن

---

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٦٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ، رقم الحديث (٨٩٧١) ، ٩/ ٢٢٤ .

وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٨ : رواه الطبراني بأسانيد ، وفيه مجالد ، وقد وثق وفيه خلاف ، وبقية رجال إحدى الطرق ثابتة .

أبي بلتعة ﷺ ما هو أكبر من ذلك ، ومع هذا ثبت النَّصّ في عذره ، وعدم مؤاخذته لأَنَّهُ من أصحاب بدر ، وأين حاطب من عثمان ـ رضي الله عنهما ـ [١] .

فماذا كانت نتيجة الفتنة ، ومآل الأمة في الآجل والعاجل ؟

لقد ثلم حمى الإسلام نفسه ، وهدمت مساجد وثغور ، وتولى الأمور من لا يساوي بالنسبة لأولئك الأقرباء شيئًا ، وأصبح بيت المال مال الملوك والسلاطين [٢] .

ـ ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نتج عن الفتنة الأولى الَّتي كان ضحيتها أمير المؤمنين عثمان ﷺ : نشوء جرثومة الإرجاء الأولى والَّتي أصبحت بعد الفتنة الثَّانية منهجًا من المناهج الفكرية المنحرفة .

لقد كانت الفتنة الثَّانية امتدادًا طبيعيًا للفتنة الأولى ، ولكنها تتميز بأن وجهات النَّظر المختلفة الَّتي انتجتها الفتنة الأولى أصبحت منذ هذه الفتنة عقائد متميزة ومناهج متفرقة [٣] .

ويمكن اعتبار واقعة ((صفين)) [٤] المنطلق التاريخي لهذه الفتنة ، بل إن حادثة التحكيم

---

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٦٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٦٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٩٠ .

(٤) صفين : هي الحرب الَّتي كانت بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ بصفين ، وصفين بلد معروف بين العراق والشام ، وقد أقام الفريقان بها عدة أشهر ، وكان بينهما وقعات كثيرة ، وقد قُتل بين الفريقين عدة آلاف في ليلة الهرير ، وأصبحوا وأشرف علي ﷺ على النصر ، فرفع معاوية وأصحابه المصاحف فكان ما كان من الاتفاق على التحكيم ، وانصراف كُلٍّ منهم إلى بلاده ، سنة سبع وثلاثين ، وخرج الخوارج على علي ﷺ بعد التحكيم ←

خاصة هي الشرارة الَّتي فجرت بركانها .

لقد انتجت هذه الحادثة وذيولها منهجين كبيرين يحوي كل منهما فرقًا كثيرة ـ كانت وما تزال ـ لها وجودها الملموس وانحرافها البعيد .

هذان المنهجان هما : ((التشيع ، والخروج)) وكلاهما ناشئ عن علة واحدة ، وهي ((الغلو)) ولكنه غلو متضاد [1] .

ـ إن معركة صفين نشبت والأمة على منهج اعتقادي واحد يدين به كلا المعسكرين المتحاربين ، وهو منهج أهل السُّنَّة والجماعة الَّذي كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ .

ولكن معركة صفين انتهت بظهور معسكر ثالث ذي بدعة اعتقادية ضالة ، وهو معسكر المارقة الخوارج ، وفي الوقت نفسه كان مثيروا الفتنة الأولى قد أحكموا الخطة لتأسيس دين جديد لهدم الإسلام ، وهو دين التشيع الَّذي أسهم ظهور الخوارج في تبرير خروجه وانتشاره حيث كان غلو إحدى الطائفتين مبررًا لغلو الأخرى في الاتجاه المعاكس [2] .

وإذ أصبحت المعسكرات المتحاربة ثلاثة : أهل العراق ، أهل الشَّام ، الخوارج ، فقد

في أوَّل سنة ثمان وثلاثين ، وقتلهم علي رضي الله عنه في النهروان . فتح الباري ، لابن حجر ، ١١/ ١٢٣ . بتصرف يسير .

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٩٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٩١ .

أصبحت المناهج الاعتقادية ثلاثة : السُّنَّة ـ وعليها المعسكران المتحاربان ، الخروج ، التشيع .

وهذا التفرق وما صحبه من صراع أدى إلى نمو بذرة الإرجاء ، الَّتي تكونت في الفتنة الأولى ، ونشأت بعد ذلك في أحضان الخوارج ، وهو الأعم الأغلب حتَّى أصبحت منهجًا رابعًا فيما بعد [١] .

ـ كل هذه الفتن المتتابعة ، وانقسام الأمة إلى سنة وشيعة وخوارج ومرجئة ، لا يعني أبدًا تكافؤ هذه المناهج والفرق ، سواء من جهة الحكم أو الكيف كما يزعم المستشرقون وأشياعهم .

فهذه الأقسام النَّظريَّة شيء ، والواقع شيء آخر ، وذلك أن الخارجين عن السُّنَّة والجماعة لم يكونوا إلاَّ شرذمة شاذة وأفرادًا معدودين لاسيما في أوَّل الأمر ، ولم يكن فيهم ذو فضل أو سابقة قط ، بل كانوا كلهم من الأعراب وحديثي العهد بالإسلام ، أو المنافقين من أبناء الأمم المفتوحة وأشباههم .

وعلى امتداد الثَّلاثة القرون المفضلة لم يكن أصحاب البدع إلاَّ مستنقعات جانبية على ضفتي تيار الإسلام الضخم ، ولم يكن فيها أحد من أئمَّة الإسلام المتبوعين ورجاله المعدودين قط [٢] .

بل إن البدع مهما نمت أو طفرت تظل كالشجرة الخبيثة ، لا تكاد تهب عليها ريح السُّنَّة حتَّى تجتثها إلى قرار سحيق ، ومن أعظم الأدلّة على ذلك ما جرى في فتنة الإمام أحمد وبعدها

---

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٩١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٩٣ .

من تبديل تام في موقف الدَّولة والعلماء حتَّى ذلَّ المبتدعة واندحروا بعد الظهور والتمكين [١] .

ـ ومهما يكن من ظهور البدع في بعض العصور ، ومؤثراتها السلبية ، فإن الحقيقة الثابتة هي أن نقاء المنهج السلفي في ذاته لم يتكدر قط ، وأن الطائفة المنصورة القائمة عليه لم تزل وستظل إلى أن يأتي أمر الله [٢] .

❁❁❁

---

(١) انظر : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ص١٩٣ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ص١٩٤ .

الفصل الرَّابع

تحديات الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين وسبل مواجهتها

وفيه مبحثان

المبحث الأول : التحديات الداخلية وسبل مواجهتها .

المبحث الثاني : التحديات الخارجية وسبل مواجهتها في عصر الخلفاء الراشدين .

المبحث الأوَّل

التحديات الداخلية ، وسبل مواجهتها

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول : تنصيب الخليفة .

المطلب الثاني : الحرص على إقامة العدل بين الرعية .

المطلب الثالث : الخوف على مصادر الشَّريعة من الضياع والتحريف في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الرابع : الأزمات الاقتصاديّة ، وسبل معالجتها في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الخامس : اتساع الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة ، وسبل حمايتها .

المطلب الأوّل

تنصيب الخليفة

تعتبر دولة الخلافة الراشدة امتدادًا للدولة الأولى الَّتي أسسها الرَّسول ﷺ والَّذي انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم ينص نصًا صريحًا على الخليفة من بعده .

وقد تنبه الصَّحابة ، رضوان الله عليهم ، لهذا الأمر الخطير فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، ولحق بهم بعض المهاجرين .

وكان هدف الجميع ألا تترك الأمة بدون إمام يؤمهم ، أو خليفة يقوم على شؤونهم ، والحرص على وحدة الأمة ، وتماسك كيان الدَّولة [(١)] .

وبتأمل الرِّوايات الَّتي ذكرت أمر الخلافة [(٢)] نجد بأنّه لم يحدث صراع على السلطة في سقيفة بني ساعدة ، ولم يتطور الأمر إلى نزاع بينهم ، بل انتهى الأمر سريعًا ونصب الخليفة الصديق أبو بكر ﷺ بانتهاء المشاورات الَّتي استغرقت جلسة واحدة تقدر بساعة أو أقل من ساعة [(٣)] ، وكان هذا أعظم اجتماع تاريخي والَّذي قرر مصير الخلافة والدولة الإِسلاميَّة بحزم وترفع

---

(١) انظر : السِّياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٣٩ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول النَّبيّ ﷺ : ((لو كنت متخذًا خليلاً)) ، رقم الحديث (٣٦٦٨) .

(٣) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٥١ . والسياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، ص٤١ .

وإحساس كبير بالمسؤولية [١] .

ثمَّ كانت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ عن ترشيح من الصديق بعد مشاورة كبار الصَّحابة ، وتأييد أهل الحل والعقد وجمهور الصَّحابة على خلافته [٢] .

وجاءت خلافة عثمان ﷺ عن مشاورات بين أعضاء مجلس شورى عمر ﷺ والَّذي أقر مبدأ الالتزام برأي الأكثرية [٣] .

وأمَّا خلافة علي ﷺ فإن الصَّحابة بايعوه إثر غلبة المعارضين لعثمان على المدينة ، ولم يحظ بالإجماع بسبب معارضة أصحاب الجمل في البصرة ، ومعاوية في الشَّام ، ولم تكن معارضتهم لبيعة علي ﷺ في عدم استحقاقه بالخلافة ، بل جميعهم يقر ويعترف باستحقاق علي ﷺ وأولويته بالخلافة .

ولكن كان محل الخلاف وسبب المعارضة هي مسألة القصاص من قتلة عثمان ﷺ .

ورغم هذه الظروف فقد حظي علي ﷺ بمبايعة أكثرية المسلمين [٤] .

وهكذا كان تنصيب الخليفة من أولى التحديات الَّتي واجهت المجتمع الراشدي ، والَّذي استطاع بفضل توفيق الله تعالى وحسن تربية النَّبيِّ ﷺ لأصحابه ووضوح الهدف من الخلافة

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٥١ . والبداية والنهاية ، ٦/ ٣٣٢ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٢٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٧/ ١٦٣ .

(٤) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٩٩ .

والزهد فيها أن يتجاوز هذا التحدي مع استغلال الحدث في وضع القواعد والأسس لمنصب الخلافة والبيعة لمن بعدهم في تنصيب الخليفة عن طريق الترشيح والشورى .

❁❁❁

المطلب الثاني

الحرص على إقامة العدل بين الرعية

أولاً : تعريف العدل :

العدل لغة : هو ما قام في النّفوس أَنَّه مستقيم ، وهو ضد الجور [(١)] .

اصطلاحًا : هو ما تحرى به الحق من غير ميل إلى طرف من الطرفين المتنازعة فيه .

وهو يشمل الاستقامة التامة قولاً وفعلاً وحكمًا [(٢)] .

ثانيًا : مكانة العدل في الإسلام :

لقد أولى الإسلام الاهتمام بالعدل مالم يوله لأي مبدأ أخلاقي آخر ، وخصه بالعناية والاهتمام لأَنَّهُ ضرورة إنسانية في انتظام العلاقات الاجتماعيَّة والسياسية والاقتصادية .

وهو أساس الأحكام ، وميزان التَّشريع ، وقسطاطه المستقيم ، ولذلك أكد الله تعالى الأمر به ، والمساواة فيه بين النَّاس ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [(٣)] ، وقال الله

---

(١) لسان العرب ، ١١/ ٤٣٠ .

(٢) انظر : حوار الحضارات دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، ص١٤٣ ، فهد السنيدي ، رسالة علميَّة من قسم الثقافة ـ جامعة الملك سعود . والعدل وتطبيقاته في التربية الإِسلاميَّة ، ص٢٠ ، يُوسف العجلاني ، رسالة علميَّة ـ جامعة أم القرى .

(٣) سورة النحل ، الآية (٩٠) .

تعالى : ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [١] ، ووصف الله تعالى أمة محمَّد ﷺ بأنّها أمة العدل ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [٢] .

ولقد اهتم النَّبيُّ ﷺ بمبدأ العدل ، وربى أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ على الاهتمام به والقيام به ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرَّحمن ﷻ وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** » [٣] .

وقد روى الصَّحابة ، رضوان الله عليهم ، نماذج كثيرة من سيرة النَّبيِّ ﷺ وعدله الَّذي شمل كافة الفئات البشرية مؤمنها وكافرها ، قريبها وبعيدها ، صديقها وعدوها ، رفيعها ووضيعها لا تتغير موازين العدل عنده لقرابة قريب أو عداوة عدو [٤] ، ويدل على ذلك قصة المرأة المخزومية الَّتي سرقت ، وقد أهمت قريشًا فقالوا : من يكلم فيها رَسُول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إِلاَّ أسامة بن زيد ، حب رَسُول الله ﷺ فكلمه أسامة ، فقال رَسُول الله ﷺ : « **أتشفع في حد من حدود الله ؟!** » ثمَّ قام فاختطب ، ثمَّ قال : « **إنما أهلك الَّذين قبلكم ، أَنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحد ،**

---

(١) سورة النِّساء ، الآية (٥٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، رقم الحديث (١٨٢٧) .

(٤) انظر : العدل وتطبيقاته في التربية الإِسلاميَّة ، ص٢٥ .

وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمَّد سرقت لقطعت يدها » [١] .

وهكذا ساد العدل في عهد النَّبيِّ ﷺ حتَّى أصبح العدل سمة المجتمع المسلم النبوي ، لا يتأثر بالحب أو البغض ، ولا يُفرق بين مسلم وغير مسلم ، به تؤخذ للضعيف حقه ، وينصف للمظلوم من ظالمه [٢] .

ـ ولقد سار صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ على هدي سيد المرسلين يمتثلون طريقه ويسيرون على منهجه خوفًا من الانزلاق في دروب الظلم ، ولهذا قال علي ﷺ : والله لأن أبيتن على حسك السعدان [٣] مسهدًا ، أو أُجر في الأغلال مصفدًا ، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد [٤] .

ولقد كان الخلفاء الراشدون ينظرون لمبدأ العدل نظرة عميقة على أَنَّه قاعدة دستور الحياة ، ومنهج التَّشريع ، وذلك ليحيا أفراد المجتمع عزيزي النفس ، محفوظي الكرامة ، مصاني الحق [٥] .

ولهذا كان أوَّل تصريح يلقيه الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ عند توليهم مقاليد

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، رقم الحديث (٣٤٧٥) .

(٢) انظر : حوار الحضارات ، ص١٤٧ .

(٣) حسك السعدان هو : نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل . انظر : المعجم الوسيط ، ١/ ١٧٣ .

(٤) انظر : العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية ، ص٢٥ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص٢٦ .

الخلافة هو القيام بشرع الله والعدل بين النَّاس ، وممَّا قاله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ في خطبته : ... الصِّدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتَّى أرد عليه حقه إن شاء الله ، والقوي منكم ضعيف عندي حتَّى آخذ الحق منه إن شاء الله [١] .

((وكان آخر كلام قاله الفاروق عمر ﷺ عند موته مارواه المسور بن مخرمة [٢] ﷺ قال : سمعت عمر وإن إحدى أصابعي في جرحه وهو يقول : يا معشر قريش ، إني لا أخاف النَّاس عليكم ، إنما أخافكم على النَّاس ، إني قد تركت فيكم ثنتين لن تبرحوا بخير ما لزمتموهما : العدل في الحكم ، والعدل في الغنم)) [٣] .

لقد استفاد الخلفاء الراشدون من تربية النَّبيِّ ﷺ لهم على العدل والقسط ، ومن خبرتهم الاجتماعيَّة العالميَّة في أن العدل أساس الحكم ، وأن من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه [٤] .

وأن الملك يدوم في الدَّولة العادلة ، وإن كانت كافرة ، ولا يدوم ملك الدَّولة الظالمة ، وإن كانت مسلمة [٥] .

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢١٠ .

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي ، روى بعض الأحاديث ، وكان ملازمًا لعمر بن الخطاب ﷺ ، توفي ﷺ في سنة أربع أو خمس وستين للهجرة . انظر : الإصابة ، ٦/ ٩٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، ٨/ ٥٧٩ .

(٤) انظر : درر السلوك في سياسة الملوك ، ص٩٣ ، لأبي الحسن الماوردي ، دار الوطن ـ الرياض .

(٥) انظر : الاستقامة ، ٢/ ٢٤٧ ، لابن القيِّم ، الناشر : فرع جامعة الإمام محمَّد بن سعود ـ المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

وأن من حسنت سياسته دامت رياسته [١] .

وأن تحقيق العدل لا يكون بمجرد الدعوة إليه بل لا بُدَّ مع ذلك من القيام على أمره ، ومباشرة تنفيذه ، لأن العدل قيمة جماعية بين طرفين ، والقيم الجماعية لا تتحقق إِلاَّ بإلزام الجماعة وسياستهم بقصد تطبيق العدل [٢] .

ولهذا فقد حسنت سياسة الخلفاء الراشدين الأربعة في الداخل والخارج ، حتَّى كانوا الأنموذج الفريد لمن بعدهم وإلى يومنا هذا في العدل وإقامة الشَّرع ، ودحر الظلم ، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، حتَّى كان العلماء وعامة النَّاس يبايعون الخلفاء من الأمويين على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وسنة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ [٣] .

ولم يصل الخلفاء الراشدون لهذه المرتبة من تحقيق العدل إِلاَّ من خلال اهتمامهم ببعض الأمور والَّتي تعتبر من أهم ميادين الحكم وتحقيق العدل ومرتكزات العدل **ومن أهمها** :

أ/ الولاة :

لقد اقتضت السِّياسة الشَّرعيَّة المستمدة من السيرة النَّبويَّة استعمال الأصلح في الولاية من

---

(١) انظر : المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، ص١٦٩ ، عبد الرَّحمن الشَّافعيّ ، مكتبة المنار ـ الزرقاء .

(٢) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص٢١٤ ، محمَّد البهي ، مكتبة وهبة ، الطبعة العاشرة .

(٣) انظر : توجيهات في العدل والاهتمام بالمسؤولية ، ص١٢ ، ٥٦ ، د.عبد العزيز الحميدي ، دار الدعوة ، الطبعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

حيث القوة والأمانة والخبرة والعلم بالعدل ومعرفة أحكام الشَّرع والقدرة على تنفيذها [١] .

ولم يدع الخلفاء الراشدون أثرًا لعواطفهم في تعيين الولاة من أقاربهم بل راعوا المصلحة العامَّة ، وإن كان عثمان وعلي - رضي الله عنهما - عينا الأكفاء من أقاربهما وغيرهم [٢] .

وكان الخلفاء الراشدون يناصحون ولاتهم ، ويوجهونهم ويذكرونهم بالقيم الإِسلاميَّة الرفيعة ، وأن لا يتخذوا الولاية مغنمًا ، وأن يحافظوا على مصالح النَّاس الدِّينيَّة والدنيوية [٣] .

وكان الولاة خاضعين لمراقبة الخلفاء ومحاسبتهم ، فعمر ﷺ كان يرسل محمَّد بن مسلمة الأنصاري مفتشًا عليهم ، وكذلك فعل عثمان ﷺ ، وكانت المراسلات متصلة بين الخلفاء والولاة في شؤون الإدارة والقضاء والخطط العسكرية ، وكان موسم الحج يجمعهم سنويًا ، وكان الخليفة يباغت ولاته بالزيارة دون إعلامهم ، فقد زار عمر بن الخطاب الشَّام عدة مرات [٤] .

وكان الخلفاء يحاسبون ولاتهم إذا ظلموا أحدًا من الرعية وهذا ما ساعد في تحقيق العدل والأمن من الظلم .

وكان الولاة يخضعون للرقابة على أموالهم عند الولاية والعزل حيث شاطر عمر بن

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١١٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١١٨ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص١١٨ .

الخطاب ﷺ كلاً من سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعمرو بن العاص أموالهم لأَنَّهُ يرى أَنَّهم استفادوا في تنميتها من مراكزهم في الولاية [١] .

كل هذه الإجراءات الَّتي قام بها الخلفاء الراشدون مع ولاتهم كانت لتحقيق العدل بين الرعية ، مع أن معظم الولاة في عصر الخلافة الراشدة كانوا من الصَّحابة وذلك لتحليهم بصفات ومؤهلات من ناحية ، ولثقة الخليفة بهم ، واحترام النَّاس لهم ، ممَّا يجعلهم يطيعونهم ويؤازرونهم في تحقيق العدل [٢] .

ب/ القضاء :

لقد كان منهج الخلفاء الراشدين في القضاء ألا يُعيَّن إلاَّ من هو كفؤ لمنصب القضاء ، وقد يُختبر فترة من الزمن ، وقد يَتَنَبَّه من يستحق القضاء لأمر في قضية عرضت على الخليفة ، ولم يتنبه لها الخليفة ، كما حصل من كعب بن سور عندما جاءت امرأة تشكو زوجها أَنَّه يقوم اللَّيل ويصوم النَّهار ، فكأن عمر بن الخطاب ﷺ لم يفهم عنها ما تريد ، فأخبره كعب بن سور أَنَّها تشكو أَنَّها ليس لها من زوجها نصيب ، ثمَّ أمره عمر بن الخطاب بأن يقضي بينهما ، فقضى للمرأة بيوم من أربعة أيَّام ، فسأله عمر عن ذلك فذكر له أن الله أحلَّ لزوجها أربع نسوة ، فلها ليلة من أربع ليال ، فأعجب ذلك عمر ﷺ فجعله قاضيًا على البصرة [٣] .

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٩ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ص١١٦ . وتاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السِّياسيّة ، ص٣٣٣ .

(٣) انظر : الإصابة ، ٥/ ٤٨١ .

ـ وكان مرجعهم في الحكم والقضاء كتاب الله تعالى ، فإن لم يوجد فسنة رسوله ﷺ ، فإن لم يوجد فيهما فالاجتهاد والقياس .

وفي خلافة عمر رضي الله عنه كان المنهج في القضاء إضافة إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الأخذ بقضاء أبي بكر الصديق في بعض القضايا ، وأصبح فعله هذا سنة لمن بعده من الخلفاء في اعتماد قضاء من قبلهم في الحكم [(١)] .

ويتضح ذلك من كتابات عمر رضي الله عنه لقضاته ، والَّتي فيها الكثير من الأسس والقواعد والفوائد القضائية والَّتي استفاد منها الخلفاء من بعده ، والَّتي دلت على اهتمام الخلفاء الراشدين بالقضاء لتحقيق العدل والمساواة بين الرعية [(٢)] .

ج/ الاهتمام بالشورى :

لقد اهتم الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ بالشورى الفردية والجماعية ، ولكنهم لم يؤسسوا مجلسًا دائمًا لها ، بل كانت في الغالب تنحصر في الصَّحابة من ذوي السَّابقة والخبرة ، وكان الجمهور يعترف لهم بهذه المكانة [(٣)] .

وكانوا يستشيرونهم في الأمور الَّتي تحتاج إلى مشورة والَّتي تتعلق بمصالح النَّاس ، وقضايا

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ، ١/ ٤٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٦٧ . وانظر : مقومات العدل في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وأثرها في القضاء ، ص٣٤ ، سعود الطريفي ، رسالة علميَّة من جامعة نايف العربيَّة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٣) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٨ .

الأمة ، ومواقف الدَّولة من السلم والحرب ، وتوزيع الغنائم ، ومعاملة المناطق المفتوحة [١] .

وقد يخفى على الخلفاء الراشدين وجود نص من السُّنَّة أو دلالة نص من الكتاب والسُّنَّة فيحتاجون إلى المشورة للوصول إلى حكم الشَّرع فإِنَّهم يكثرون من استشارة فقهاء الصَّحابة ورؤوس المسلمين ، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضوا به [٢] .

وقد توسع نطاق الشورى في عهد عمر بن الخطاب ﷺ لكثرة المستجدات والأحداث ، وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة ، فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل تنظيم العطاء ، ومعاملة الأرض المفتوحة ، ونوازل المسائل مثل وقوع الطاعون بأرض الشَّام وغيرها من النوازل الَّتي جعلت عمر ﷺ يجمع للشورى فيها أكبر قدر ممكن من كبار الصَّحابة ، وقد يستشير الفتيان يبتغي حدة عقولهم ، وكان من كثرة استشارته أَنَّه كان يستشير المرأة فلربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به [٣] .

ـ وقد ختم عمر ﷺ حياته حين طُعن بتكوين مجلس الشورى من ستة من كبار الصَّحابة لاختيار الخليفة من بعده .

وهكذا كان الخليفة الراشد عثمان بن عفان وكذلك علي ـ رضي الله عنهما ـ يتبعان نهج من

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٩٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٠١ .

قبلهما في الأخذ بالشورى مع أهل الحل والعقد الَّذين هم أهل مشورته ومناصحته [١] .

❁❁❁

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٠٣ .

المطلب الثَّالث

الخوف على مصادر الشَّريعة من الضياع والتحريف في عصر الخلفاء الراشدين

ـ المقصود بمصادر الشَّريعة : القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة .

أولاً : القرآن الكريم :

لقد اعتنى الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالقرآن الكريم غاية العناية لأَنَّهُ المصدر الأَوَّل في التَّشريع وهو دستور الأمة ومرجعها في الأحكام والعبادات والمعاملات .

وقد بدأت عنايتهم بالقرآن منذ بداية نزوله على النَّبيِّ ﷺ فكانوا كلما نزلت آية مفردة أو آيات حفظتها صدورهم ووعتها قلوبهم ، وكانوا يتنافسون في استظهار القرآن وحفظه ، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه ، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه ، وكانوا يهجرون لذة النوم والراحة للقيام به في اللَّيل وتلاوته في الأسحار ، فيسمع المار ببيوتهم دويًا بالقرآن كدوي النحل [1] .

ولذلك كان الاهتمام بجمع القرآن من خلال أمرين :

---

(١) انظر : جمع القرآن ـ دراسة تحليلة لمروياته ـ ، ص٢٥ ، أكرم الدليمي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

أ ـ حفظه واستظهاره في الصدور :

فقد حفظ النَّبيُّ ﷺ كل ما نزل عليه من الوحي في صدره الشريف ، بدلالة قوله الله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾ [١] ، وفي الآية الأخرى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (٦) إِلا مَا شَاءَ الله ﴾ [٢] ، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يعارض جبريل بالقرآن في كل عام مرة ، وفي العام الَّذي انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى عارضه مرتين [٣] .

ولم يقتصر حفظ القرآن كاملاً على النَّبيِّ ﷺ ، بل كان عليه الصَّلاة والسَّلام يحث أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ على حفظه والعمل به فكان يربيهم بالقرآن ، وعلى القرآن ، ويقول لهم كما جاء في الحديث : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » [٤] .

ولذلك فقد حفظ القرآن جمع غفير من الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يصعب حصره ، فقد ثبت في الصَّحيح أَنَّه قُتل في بئر معونة سبعون من القراء [٥] ، وقُتل في وقعة اليمامة [٦] عدد كثير من القراء ، ورجح بعض الباحثين أن مجموع من قُتل من القراء في هاتين الوقعتين مائة وأربعين

---

(١) سورة القيامة ، الآية (١٧) .

(٢) سورة الأعلى ، الآية (٦) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النَّبيّ ﷺ ، رقم الحديث (٤٩٩٨) .

(٤) المرجع السابق ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، رقم الحديث (٥٠٢٧) .

(٥) المرجع السابق ، كتاب الجهاد والسير ، باب العون بالمدد ، رقم الحديث (٣٠٦٤) .

(٦) اليمامة : هي أرض من نجد ، قُتل فيها مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، انظر : معجم البلدان ، ٥/ ٤٤٢ .

على أرجح الرِّوايات [١] .

ولكن كان من أشهر من حفظ القرآن عن ظهر قلب وأخذه مباشرة من النَّبيِّ ﷺ هم : الخلفاء الأربعة ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وهؤلاء هم الَّذين دارت أسانيد قراءات الأئمَّة العشرة عليهم [٢] .

وكان من أهم العوامل الَّتي ساعدت الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على حفظ القرآن وتعلمه هو : وجود الرَّسول ﷺ بين ظهرانيهم يعلمهم ويحفظهم ، ويربيهم عليه ، ويأخذونه عنه مشافهة [٣] .

وساعدهم أيضًا نزول القرآن منجمًا ومفرقًا ، مع حرص الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على عدم الاقتصار على حفظ ألفاظ القرآن فحسب، بل جمعوا إلى حفظ اللَّفظ فهم المعنى وتدبر المراد به ، والعمل بمقتضاه .

قال أبو عبد الرَّحمن السلمي [٤] : حدّثنا الَّذين يقرئوننا القرآن .. أنَّهم كانوا إذا تعلموا من

---

(١) انظر : جمع القرآن ، ص٢٩ ، للديلمي .

وقد استند على رواية الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، رقم الحديث (٤٠٧٨) ، وفيها أن أنس بن مالك قال : قتل يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون .

(٢) انظر : الاتقان في علوم القرآن ، ١/ ٢٤٤ . ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، ص٢٠ ، لأبي عبد الله الذَّهَبيّ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٣) انظر : جمع القرآن ، للديلمي ، ص٣٠ .

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي المقرئ المشهور بكنيته ، ولأبيه صحبه ، ثقة ثبت . تقريب التَّهذيب ، ١/ ٢٩٩ .

النَّبيّ ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتَّى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا [(١)] ، ولهذا روي أن ابن عمر - رضي الله عنهما - مكث في حفظ سورة البقرة ثمان سنين [(٢)] .

وأيضًا ممَّا ساعدهم على حفظ القرآن ما تميزوا به من قوة الحفظ .

فكل هذه العوامل ساعدت في حفظ القرآن في الصدور ، والَّذي أُعتبر أساسًا في جمع القرآن [(٣)] .

ولهذا كان الاعتماد الأَوَّل في نقل القرآن وجمعه على حفظ القلوب والصدور ، وهذه أشرف خصيصة منَّ الله تعالى بها على هذه الأمة [(٤)] .

ب - جمع القرآن كتابة :

وقد حدث ذلك في الصدر الأَوَّل ثلاث مرات :

الجمع الأَوَّل : في عهد النَّبيِّ ﷺ حيث كان النَّبيُّ ﷺ ينادي واحدًا من كتاب الوحي فيأمره بكتابة ما نزل عليه من الوحي ، وكان ﷺ يرشدهم إلى مواضع الآيات من السور ، ولم ينتقل الرَّسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلاَّ والقرآن كله مكتوب مرتب الآيات في سورها ، غير أَنَّه لم يكن

---

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (٢٣٨٧٨) ، ٥/ ٤١٠ .

(٢) موطأ الإمام مالك ، ٢/ ٢٨٧ .

(٣) انظر : جمع القرآن للديلمي ، ص٣٠ . وجمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، د.فهد الرومي ، ص٧ .

(٤) انظر : النشر في القراءات العشر ، ١/ ٦ ، لابن الجزري ، دار الكتب العلميَّة .

مرتب السور ، ولا مجموعًا في مصحف واحد ، ولا موجودًا في مكان واحد ، بل كان مفرقًا لدى الصَّحابة ، وكان ذلك لما كان يتوقع من نزول ناسخ لآية حكمًا أو تلاوة [(١)] .

الجمع الثَّاني : في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ :

بعد تولي أبي بكر ﷺ إمارة المسلمين واجهته أحداث جسيمة وخصوصًا ما كان من قِبَلِ أهل الردة ، وما دار بعد ذلك من حروب طاحنة ومعارك عنيفة ، خصوصًا ما كان في موقعة اليمامة حيث استشهد فيها عدد كبير من الصَّحابة منهم أكثر من سبعين من قراء الصَّحابة ، فاشتد ذلك على الصَّحابة ، ولاسيما على عمر بن الخطاب ﷺ فأشار على أبي بكر الصديق بجمع القرآن خشية ضياعه بموت الحفاظ وقتل القراء ، فشرح الله صدر أبي بكر الصديق فكان أول من جمع القرآن بين اللوحين [(٢)] .

ولذلك فقد أمر زيد بن ثابت [(٣)] للقيام بهذه المهمَّة العظيمة وفق خطة معتمدة على مصدرين هامين ، وهما :

---

(١) انظر : جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ص١١، د.فهد الرومي . وانظر : جمع القرآن للديلمي ، ص٤٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٣ .

(٣) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ، أوَّل مشاهده الخندق ، من كتاب الوحي ، وهو من علماء الصَّحابة ، وهو الَّذي جمع القرآن في عهد أبي بكر، وهو ممَّن نسخ الصحف في المصاحف في خلافة عثمان ، مات سنة خمس وأربعين للهجرة ، وقال أبو هريرة حين مات : اليوم مات حبر هذه الأمة ، وعسى الله أن يجعل في ابن عبّاس منه خلفًا . انظر : الإصابة ، ٢/ ٤٩٢ .

١ ـ ما كان محفوظًا لدى الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ .

٢ ـ ما كتب أمام الرَّسول ﷺ وبإملاء منه ويكون بشهادة شاهدين عدلين ، وأَنَّهُ ممَّا ثبت في العرضة الأخيرة ، ولم تنسخ تلاوته .

ويدل على ذلك قول زيد بن ثابت ﷺ : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب [١] ، واللخاف [٢] ، وصدور الرِّجال [٣] .

وما قاله أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهما ـ : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه [٤] .

وقال عمر ﷺ : من كان تلقى من رَسُول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتَّى يشهد شهيدان [٥] .

وليس المقصود بالشهادة هنا على قرآنية المكتوب ، فقرئانيته بلا شك ثابتة متواترة بحفظ المئات من الصَّحابة ، وإنما على أَنَّه كتب بين يدي الرَّسول ﷺ [٦] ، وهذا ما ذهب إليه الإمام

---

(١) العسب : جريد النخل ، وهي السعفة . النِّهاية في غريب الحديث ، ٣/ ٢٣٤ .

(٢) اللخاف : جمع لخفة ، وهي حجارة بيض رِقاق . النِّهاية في غريب الحديث ، ٤/ ٢٤٤.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، رقم الحديث (٤٩٨٦) .

(٤) كتاب المصاحف ، ص٥١ ، لابن أبي داود السجستاني ، الناشر : مؤسسة الفاروق الحديثة ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٢م .

(٥) المرجع السَّابق ، ص٦٢ .

(٦) انظر : جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة ، ص٣٨ ، د.علي العبيد ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ←

السخاوي [١] في كون الشاهدان رجلين عدلين يشهدان على أنَّه كتب بين يدي رَسُول الله ﷺ [٢] .

واستغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ خمسة عشر شهرًا حيث بدأ بعد معركة اليمامة الَّتي وقعت في أواخر السَنَةِ الحادية عشرة وأوائل الثَّانية عشرة ، وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصديق ﷺ ، وكانت في الشَّهر السَّادس من السَنَةِ الثالثة عشرة [٣] .

سمات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

اتسم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ بعدة سمات من أبرزها [٤] :

١ ـ أن كتابته قامت على أدق وسائل التثبت والاستيثاق .

٢ ـ أنَّه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور .

٣ ـ موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة .

الشريف . وجمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ص١٦، للرومي .

(١) السخاوي : هو علم الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الصمد الهمداني ، المقرئ النحوي ، قرأ القراءات على الشَّاطبيّ ، وفاق أهل زمانه في القراءات ، له تصانيف كثيرة منها : جمال القراء وتاج الإقراء ، وشرح الشاطبية ، توفي في دمشق سنة ٦٤٣هـ . انظر : شذرات الذَّهب ، ٧/ ٣٨٥ .

(٢) انظر : جمال القراء ، ص١٦١ ، للسخاوي ، دار المأمون ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

(٣) انظر : جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة ، ص٣٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص٣٩ . وانظر : جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ص١٩ ، للرومي .

٤ ـ اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته .

٥ ـ اشتماله على الأحرف السبعة الَّتي ثبتت في العرضة الأخيرة .

٦ ـ إجماع الصَّحابة على صحته ودقته ، وعلى سلامته من الزِّيادة والنقصان .

وعلى هذا النظام الرشيد تم جمع القرآن بإشراف أبي بكر الصديق ، واقتراح عمر الفاروق ، وتنفيذ زيد بن ثابت ، ومعاونة وإقرار الصَّحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد حفظ الصحف الَّتي جمعها زيد بن ثابت أبو بكر الصديق عنده مدة حياته ثمَّ حفظها عمر الفاروق بعده حتَّى شهادته ، ثمَّ حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ بعد وفاة والدها حتَّى طلبها منها عثمان ﷺ ليستنسخ منها المصاحف وهو الجمع الثَّالث [1] .

الجمع الثَّالث : في خلافة عثمان ﷺ .

وعندما تولى الخلافة عثمان ﷺ بعد عمر الفاروق ﷺ ، وقد اتسعت الفتوحات في زمنه ، وانتشر القراء في البلاد المفتوحة يعلمون النَّاس القرآن ، فكان كل صحابي يُعلِّم بالحرف الَّذي تلقاه من الأحرف السبعة الَّتي نزلت على رَسُول الله ﷺ .

فكان أهل الشَّام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب ﷺ .

وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ .

(١) انظر : فضائل القرآن ، ص٢٨١ ، للقاسم بن سلام ، دار ابن كثير ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

وأهل البصرة يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري ﷺ .

وعندما يجمع هؤلاء النَّاس على اختلاف بلدانهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو يعجب بعضهم من وجود الاختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءات فينكر بعضهم على بعض ويتنازعون في ذلك ، وقد يكون سبب هذا الاختلاف والتنازع نشوء جيل جديد بعيدًا عن المدينة ، ومجمع حفاظ الصَّحابة ، وبسبب الامتزاج اللغوي سواء بين العرب أنفسهم أو بينهم وبين غيرهم من الداخلين في الإسلام ، وعدم وجود فيصل بينهم يطمئنون إلى حكمه ، ويصدرون جميعًا عن رأيه ، واستفحل الداء حتَّى خطأ بعضهم بعضًا ، وحتى كادت تحدث فتنة عظيمة (١) .

وممن لاحظ هذا الاختلاف في الأمصار حذيفة بن اليمان ﷺ (٢) حيث شارك في فتح أرمينية وأذربيجان سنة ٢٥هـ الَّذي اشترك فيه أهل الشَّام وأهل العراق ، قال أنس بن مالك : إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغزي أهل الشَّام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك الأمة

---

(١) انظر : جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة ، ص٤٢ . وجمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٣١ ، لأبي طاهر السندي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . وجمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، للرومي ، ص٢٦ . وجمع القرآن دراسة تحليلية للديلمي ، ص١٧٥ .

(٢) هو حذيفة بن حسل ، وكني أبوه باليمان لأَنَّهُ أصاب دمًا فهرب للمدينة فحالف الأنصار وهم من اليمن فسماه قومه اليمان ، روى كثيرًا من الأحاديث ، وهو عالم بأحاديث الفتن ، وشارك في فتوح العراق ، مات سنة ست وثلاثين للهجرة .

انظر : الإصابة ، ٢/ ٣٩ .

قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنَّصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثمَّ نردها إليك ... [١] .

وقد شاور عثمان ﷺ كبار الصَّحابة في هذا الأمر ، وقد أجمعوا على نسخ الصحف الَّتي كتبت في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ الَّتي كانت كل صحيفة تحوي سورة مرتبة بآياتها على حِدَة ، ولم تكن السور مرتبة بعضها إثر بعض .

وعندما نسخت هذه الصحف في خلافة عثمان ﷺ رتب السور بعضها إثر بعض فصارت مصحفًا [٢] .

واتفقوا على أن تنسخ الصحف على حرف واحد ، وأن ترسل نسخة إلى كل مصر من الأمصار لتكون مرجعًا للناس ، وأن يحرق ما عدا هذه النسخ [٣] .

وكان من نتائج الجمع ما يلي [٤] :

١ ـ القضاء على الفرقة والخلاف بين المسلمين في وجوه قراءة القرآن الكريم .

٢ ـ اتحاد الأمة على مصحف واحد بصورة نهائية يوثق فيه ويعتمد عليه .

٣ ـ توزيع المصاحف المجمع عليها رسميًا من قبل خليفة المسلمين .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، رقم الحديث (٤٩٨٧) .

(٢) فتح الباري ، ٩/ ١٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٩/ ٢٠ .

(٤) انظر : جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٤٧ ، د. لأبي طاهر السندي .

٤ ـ الخلاص من الصحف والمصاحف الَّتي لم تكن لها صفة رسميَّة وجماعية [١] .

وهكذا استطاع عثمان ﷺ بهذا العمل العظيم أن يزيل جذور الخلاف ، ويجمع الأمة عبر كل العصور ، منذ عهد الصَّحابة ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، على التزام المصحف الَّذي أجمعوا عليه وحمد له المسلمون ذلك العمل [٢] .

ثانيًا : السُّنَّة المطهرة :

لقد كان الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتلقون الحديث عن النَّبيِّ ﷺ إمَّا بطريقة المشافهة ، وإما بطريقة المشاهدة لأفعاله وتقريراته ، وإما بطريق السماع ممَّن سمع منه ﷺ ، أو شاهد أفعاله وتقريراته [٣] .

وكانوا يعتمدون في ضبط الحديث على قوة حفظهم الَّذي هو الطَّريق الوحيد لحفظ الحديث حيث أَنَّهم نهوا عن كتابة الحديث في بدء الأمر خوف اختلاطه بالقرآن الكريم [٤] .

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النَّار** » [٥] .

---

(١) انظر : جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٣٩ ، للرومي .

(٢) انظر : جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة ، ص٥٢ .

(٣) انظر : تدوين السُّنَّة ومنزلتها ، ص٣٥ ، عبد المنعم نجم ، الناشر : الجامعة الإسلاميَّة ـ المدينة المنورة ، الطبعة الحادية عشر ، ١٣٩٩هـ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص٣٥ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث .. رقم الحديث (٣٠٠٤) .

ولهذا انصرف الصَّحابة رضوان الله عليهم إلى القرآن جمعًا له في الصدور والسطور ، وانشغلوا به عن كل شيء ، فكان نهي النَّبيِّ ﷺ عن كتابة الحديث في بدء الأمر مراعاة للزمان والأشخاص .

وعندما نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون ، وأمن اختلاطه بسواه ، أذن عليه الصَّلاة والسَّلام إذنًا عامًا ، وبعضهم كتب صحفًا تحوي كثيرًا من الأحاديث في أثناء حياته عليه الصَّلاة والسَّلام مثل صحيفة سمرة بن جندب (١) ، والصحيفة الصادقة (٢) الَّتي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص (٣) .

ثمَّ جاء عصر الخلفاء الراشدين ، واستمر الورع عن الكتابة والاعتماد على الحفظ والرواية مشافهة هو الغالب (٤) .

ولكن امتاز عصرهم بالتثبت والاحتياط في قبول الأخبار ، وكان أبو بكر الصديق أوَّل من احتاط في قبول الأخبار ، فقد جاءت الجدة لأبي بكر الصديق تلتمس أن تورث ، فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئًا ، وما علمت أن رَسُول الله ﷺ ذكر لك شيئًا ، ثمَّ سأل النَّاس ، فقام

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، روى أحاديث عن رَسُول الله ﷺ ، وكان شديدًا على الخوارج ، مات سنة ثمان وخمسين ﷺ . الإصابة ، ٣/ ١٥٠ .

(٢) انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ١/ ٣٠٥ .

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي ، روى عن النَّبيّ ﷺ كثيرًا ، وكان عالمًا ، ومشهورًا ، مات بالشام سنة خمس وستين للهجرة . انظر : الإصابة ، ٤/ ١٦٦.

(٤) انظر : تدوين السُّنَّة ومنزلتها ، ص٣٨ .

المغيرة ، فقال : حضرت رَسُول الله ﷺ يعطيها السدس ، فقال له : هل معك أحد ؟ فشهد محمَّد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر [(١)] .

ولم يكن ورع الخلفاء الراشدين عن كتابة السُّنَّة لسد باب الرِّواية ، وإنما كان باب الرِّواية مفتوحًا لمن اتقن وتوثق ممَّا حفظ ، وكذلك لم يكن من منهجهم منع الكتابة بالكلية ، وإنما ورعهم من الكتابة الرَّسميَّة العامَّة .

ومع هذا فقد همّ الفاروق عمر رضي الله عنه كتابة السنن فاستشار أصحاب النَّبيِّ ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر رضي الله عنه يستخير الله فيها شهرًا ، ثمَّ أصبح يومًا وقد عزم الله له ، فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدًا [(٢)] .

لقد كان منهج الخلفاء الراشدين التثبت في الرِّواية ، والتوقف في خبر الواحد عند الريبة حتى يثبت ، ويدل على ذلك أن أبا موسى الأشعري سلَّم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستأذنه ثلاثًا ، فلم يؤذن له ، فرجع ، فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت ، وقال رَسُول الله ﷺ : « **إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فليرجع** » ، فقال : والله لتقيمن عليه بينة ، أمنكم أحد سمعه من النَّبيِّ ﷺ ؟ قال أبو سعيد الخدري : فكنت أصغر القوم فقمت معه

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الفرائض ، باب في الجدة ، رقم الحديث (٢٨٩٤) . وقد ضعفه الشَّيخ الألباني في ضعيف أبي داود ، ٢/ ٣٩٤ .

(٢) انظر : جامع بيان العلم ، ١/ ٢٧٤ .

فأخبرت عمر .. [١] الحديث ، ومن هنا بدأ علم أصول الحديث ، وأَنَّهُ نشأ مع الرِّواية فكانا توأمين ولدا وعاشا معًا [٢] .

ـ وقد بلغ من شدة اهتمامهم بالسنة أَنَّهم سلكوا مجالات أخرى للحفاظ عليها وحفظها ، فكانوا يحرصون على سؤال بعضهم وإن اقتضى الأمر الرحلة أو السفر ، فكان الواحد منهم يرحل للحديث الواحد مسافة شهر ليتثبت من حفظه ، وكذلك كتابتها في الصحف والأجزاء ، ثمَّ نشرها بين النَّاس ، وذلك وفق استشعارهم بمسؤولية تبليغ أحكام هذا الدِّين وآدابه [٣] .

فقد رحل أبو أيوب [٤] إلى عقبة بن عامر [٥] وهو في مصر يسأله عن حديث واحد ثمَّ رجع من ساعته ولم يحل رحله [٦] .

ـ وكان ابن عبّاس ﷺ يقول : كان يبلغني الحديث عن الرَّجل من أصحاب النَّبيِّ ﷺ فلو أشاء أن أرسل إليه حتَّى يجيء فيحدثني فعلت ، ولكني أذهب إليه فأقيل على بابه حتَّى يخرج إلي

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التَّسليم والاستئذان ثلاثًا ، رقم الحديث (٦٢٤٥) .

(٢) انظر : تدوين السُّنَّة ومنزلتها ، ص٣٩ .

(٣) انظر : تدوين السُّنَّة النَّبويَّة نشأتها وتطورها ، ص٢٩ ، د.محمد الزهراني ، دار الهجرة ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ، أحد المكثرين عن النَّبيّ ﷺ ، شهد العقبة ، شهد تسع عشرة غزوة ، مات سنة أربع وسبعين . انظر : الإصابة ، ١/ ٥٤٦.

(٥) عقبة بن عامر بن عبس الجهني ، صحابي مشهور ، روى عن النَّبيّ ﷺ كثيرًا ، شهد الفتوح ، وكان هو البريد لعمر بن الخطاب ، مات في خلافة معاوية ـ رَضِي الله عَنْهَا ـ . انظر : الإصابة ، ٤/ ٤٢٩ .

(٦) انظر : الرحلة في طلب الحديث ، ص١٠٩ .

فيحدثني [١] .

ـ وكان سعيد بن المسيب يقول : إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد [٢] .

ـ وكانوا يلتزمون باللَّفظ النبوي إِلاَّ عند الضَّرورة ، وهي كذلك من لوازم الحفظ والتثبت الَّتي تُعْرَف عند علماء الحديث بالتحمل والأداء ، ولهذا كان أبو الدرداء [٣] ﷺ إذا حدث بالحديث عن رَسُول الله ﷺ فإذا فرغ منه قال : هذا أو نحو هذا [٤] .

وكان أنس [٥] ﷺ إذا حدث حديثًا عن رَسُول الله ﷺ ففرغ منه قال : أو كما قال رَسُول الله ﷺ [٦] .

ولهذا فقد وسع الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام طريق الطلب للأمة فاعتنوا بجمع السُّنَّة على قدر عناية كل واحد في نفسه ، فصارت السنن عندهم مضبوطات فمنها ما أصيب في

---

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ١/ ٣٩٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٣٩٥ .

(٣) هو عامر ، وقيل عويمر ، الخزرجي الأنصاري ، شهد أحدًا ، روى عن النَّبيّ ﷺ ، ومات في خلافة عثمان ﷺ . الإصابة ، ٤/ ٦٢١ .

(٤) الكفاية في علم الرِّواية ، للخطيب البغدادي ، المكتبة العلميَّة ـ المدينة المنورة ، ص٢٠٥ .

(٥) هو أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي ، خادم رَسُول الله ﷺ ، أحد المكثرين من الرِّواية ، مناقبه كثيرة ، مات سنة ثلاث وتسعين للهجرة . انظر : الإصابة ، ١/ ٢٧٥ .

(٦) الكفاية في علم الرِّواية ، ص٢٠٦ .

النقل حقيقة الألفاظ المحفوظة عن رَسُول الله ﷺ ، وهي السنن السالمة من العلل ، ومنها ما حفظ معناها ونسي لفظها ، ومنها ما اختلفت الرِّوايات في نقل ألفاظها ، واختلف رواتها في الثقة والعدالة ، وهي تلك السنن الَّتي تدخلها العلل فاعتبر صحيحها من سقيمها أهل المعرفة بها على أصول صحيحة وأركان وثيقة لا يخلص منها طعن طاعن ، ولا يوهنها كيد كائد [١] .

❁❁❁

(١) انظر : تدوين السُّنَّة ومنزلتها ، ص٤٠ .

المطلب الرَّابع

الأزمات الاقتصاديّة وسبل معالجتها في عصر الخلفاء الراشدين

ـ كلمة ((أزمة)) في **اللُّغة** تعني الشدة .

ولهذا سميت السنة أزمة إذا أصابتهم فيها مجاعة وشدة ، يقال : قد أَزَمتْ تأزِم أزمًا ، فأراد بالأزم الإمساك عن المطعم [1] .

والشدة هي الَّتي يستعصي حلها إِلاَّ ببذل جهد وإفراغ وسع .

ـ والأزمة الاقتصاديّة تعني : الاضطراب الشَّديد في تدبير أمور الدَّولة الماليَّة الَّذي يحتاج لبذل جهد وإفراغ وسع لإزالته ، وإعادة الوضع إلى الاستقامة والاعتدال [2] .

وليس المقصود بالأزمة الاقتصاديّة الخلل البسيط في الأمور الماليَّة الَّذي يمكن معالجته بالوسائل العادية ، فمثل هذا الخلل يتوقع حدوثه عادةً في جميع شؤون الحياة ويمكن معالجته وقبوله في الحدود المسموح بها [3] .

---

(١) انظر : غريب الحديث ، ٣/ ٣٣٠ ، للقاسم بن سلاّم ، دائرة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

(٢) الأزمات الاقتصاديّة واقعها ومعالجتها من وجهة نظر الإسلام ، عطاء أبو الرشته ، ص٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٢ .

والدولة الَّتي تسير على مبدأ صحيح ووجهة نظر سليمة لا يمكن أن يحدث عندها خلل بسيط ثمَّ تسكت عن علاجه في الوقت المناسب حتَّى يتراكم ويصبح خللاً مركبًا ينقلب إلى أزمة ، ولكن تعالجه في بدايته ، وفي هذه الحالة يكون العلاج سهلاً ميسورًا (١) .

ولقد تعرض المجتمع الراشدي كغيره من المجتمعات للتقلبات الاقتصاديّة بين الرخاء والشدة وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة : قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣).

ـ ولكن المجتمع الراشدي وإن تعرض للتقلبات والأزمات الاقتصاديّة ، إلاَّ أنَّه تميز عن بقية المجتمعات غير المسلمة من حيث سبل المعالجة ، ومن حيث النتائج النهائية ، وسوف يتضح ذلك بعد عرض الأزمة الاقتصاديّة وهي عام الرمادة الَّتي عصفت بالمجتمع الراشدي (٤) .

ـ عام الرمادة :

ذكر أهل التَّاريخ أن المجتمع الراشدي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ في سنة ثمان عشرة أصابته مجاعة شديدة ، وجدب وقحط ، حتَّى أصاب النَّاس من ذلك الجهد الشَّديد وهلكت

---

(١) انظر : الأزمات الاقتصاديّة واقعها ومعالجتها من وجهة نظر الإسلام ، ص٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٣٥) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٥٥) .

(٤) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣١٨ ، د.جريبه الحارثي ، دار الأندلس الخضراء ـ جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

الماشية ، وجاع النَّاس ، حتَّى أخذا بحفر نُفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها [١] ، وكان سبب تسمية هذا العام بعام الرمادة لأن الأرض أسودت من قلة المطر حتَّى عاد لونها شبيهًا بالرماد ، وكانت الريح تسفي ترابًا كالرماد ، وهو عام هلك فيه كثير من النَّاس بسبب الجوع [٢] .

وقد شملت هذه الأزمة معظم أراضي الحجاز وما حولها .

وقد اختلفت الرِّوايات في مدة استمرار الأزمة فبعض الرِّوايات تذكر أَنَّها استمرت لعامين ، وثلاثة ، وخمسة أعوام [٣] ، وبعض الرِّوايات تذكر أَنَّها استمرت تسعة أشهر [٤] .

ويمكن الجمع بين الرِّوايات السَّابقة بأن طبيعة أزمة الرمادة تقتضي أن تكون لها مقدمات امتدت فترة زمنية ، كما أن آثارها امتدت فترة زمنية كذلك ، فلم تكن بدايتها توقف لحركة الحياة الاقتصاديّة دفعة واحدة ، فانقطاع المطر وما يترتب عليه من الجفاف ، ثمَّ انقطاع الكلأ والمرعى والزرع ، وما يترتب عليه من آثار في النَّاس وفي الثروة الحيوانية والزراعية يظهر تدريجيًا ، وبالمثل فإِنَّه بعد نزول المطر لا تعود الحياة الاقتصاديّة لطبيعتها دفعة واحدة ، فحتى ينبت الكلأ

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٩٨، ٢١١ . وتاريخ المدينة لابن شبه ، ٢/ ٧٣٨ . والبداية والنهاية ، ٧/ ١٠٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٤/ ٩٨ . والبداية والنهاية ، ٧/ ١٠٣ . والنهاية في غريب الحديث ، ٢/ ٢٦٢ .

(٣) انظر : الاستذكار ، ٨/ ٣٨٠ ، لابن عبد البر ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م . والجامع لأحكام القرآن ، ١٨/ ١٥ ، لأبي عبد الله القرطبي .

(٤) انظر : الطبقات ، ٣/ ٢٣٩ ، لابن سعد .

ويعود بالنفع على الماشية ثمَّ على النَّاس فإن ذلك يستغرق فترة زمنية ، كما أن شدتها ستختلف من وقت إلى آخر ، ولعل ذروتها تلك الفترة الَّتي حصل فيها النزوح إلى المدينة ، وتحدثت عنها المصادر التاريخية بالتفصيل والَّتي تشير أن مدتها تسعة أشهر (١) .

والَّتي كان لها آثار سيئة على النشاط الزراعي والتجاري والاجتماعي والصحي حتَّى إن كثيرًا من النَّاس ماتوا بسبب هذه الأزمة ، وقد قيل : إن ثلثي النَّاس ماتوا وبقي الثلث (٢) .

ـ أسباب أزمة الرمادة :

كان لأسباب أزمة الرمادة أسباب مادية ، وأسباب معنوية :

أولاً : الأسباب المادية :

وهي العوامل والظروف الَّتي أثرت على النشاطات الاقتصاديّة الرئيسة الَّتي يزاولها العرب في الجزيرة العربيَّة وهي النشاط التِّجاري ، والنشاط الزراعي بشقيه : النباتي والحيواني .

وأهم هذه الأسباب المادية :

أ/ الشح الشَّديد في الموارد المائية بسبب توقف نزول المطر الَّذي أثر تأثيرًا بالغًا في النشاط الزراعي .

ب/ ظهور طاعون عمواس (٣) في بلاد الشَّام ، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : ((المشهور

(١) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٢٢ . بتصرف .

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ، ٣/ ٢٤١ .

(٣) عَمَوَاس بالفتح : بلدة بالشام بقرب القدس ، وقع فيها الطاعون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ . انظر : المصباح

الَّذي عليه الجمهور أن طاعون عمواس كان بها [١] . أي في عام الرمادة ، وقد مات في ذلك الطاعون خلق كثير ، فانشغل النَّاس بأنفسهم ، كما أن التّجَّار الَّذين يترددون على الشَّام توقفوا بعد سماعهم بانتشار هذا المرض في الشَّام [٢] ، بل إن النَّبيَّ ﷺ نهى عن دخول أرض وقع فيها الطاعون أو الخروج منها)) [٣] .

ثانيًا : الأسباب المعنويَّة :

وهي المتعلقة بسلوكيات أفراد المجتمع ، ومدى التزامهم بتعاليم الدِّين الإسلامي .

فالمسلم يعتقد أن للطاعات والمعاصي آثارًا مادية محسوسة في الدّنيا والآخرة [٤] .

وهكذا كان الخلفاء الراشدون وأفراد المجتمع الراشدي يتحسسون أنفسهم ، ويراقبون أعمالهم ، ويستحضرون أقوال النَّبيِّ ﷺ وتحذيراته في الفتن وعند حصول المصائب والنقم .

ومن ذلك قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « **يا معشر المهاجرين : خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتَّى يعلنوا بها إلاَّ فشا فيهم**

المنير في غريب الشَّرح الكبير ، ٢/ ٤٢٩ ، أحمد الحموي ، المكتبة العلميَّة . وتاج العروس من جواهر القاموس ، ١٦/ ٢٨٦ .

(١) البداية والنهاية ، ٧/ ١٠٣ .

(٢) الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر ؓ ، ٣٢٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، رقم الحديث (٥٧٢٨) ، ونصه : عن أسامة بن زيد عن النَّبيّ ﷺ ((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها لا تخرجوا منها)) .

(٤) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٢٧ .

الطاعون والأوجاع الَّتي لم تكن في أسلافهم الَّذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاَّ أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاَّ مُنعوا القطر من السَّماء ... » [١] .

ولذلك قال عمر بن الخطاب ﷺ : إن الرجف من كثرة الزِّنا ، وإن قحوط المطر من قضاة السوء وأئمة الجور [٢] .

وعندما زُلزلت الأرض في عهده قام خطيبًا في النَّاس ، وحضهم على الصدقة ، وأمرهم بالتوبة [٣] .

أساليب معالجة الأزمة :

لقد تبين ممَّا سبق أن أزمة عام الرمادة كان لها آثارٌ سيئة على المجال الاقتصادي والاجتماعي والصحي ، ولذلك فقد اجتهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ من أجل احتواء هذه الأزمة ومعالجتها ، واتخاذ التدابير الوقائية ، والخطوات الأولية ، والوصول إلى تحقيق أقصى درجات التفاعل والتعاون بين أفراد المجتمع الراشدي لمواجهة الأزمة [٤] .

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب العقوبات ، رقم الحديث (٤٠١٩) . وصححه الشَّيخ الألباني في صحيح الجامع الصَّغير وزيادته ، ٢/ ١٣٢١ .

(٢) التبصرة ، ٢/ ٢١٤ ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٣) معرفة السنن والآثار ، للبيهقي ، ٥/ ١٥٦ .

(٤) انظر : نماذج من إدارة الأزمات في عهد الخلفاء الراشدين وتطبيقاتها في مجال الإدارة ، ص١٠٣ ، ١٠٤ ، جميل القثامي ، رسالة علميَّة من جامعة أم القرى .

وكانت الوسائل الَّتي قام بها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﵁ شاملة لمعالجة جميع آثار هذه الأزمة ، وهي كما يلي :

أولاً : السلوك الذاتي للخليفة الراشد عمر ﵁ في عام الرمادة :

لقد كان للسلوك الذاتي لعمر ﵁ في تلك الأزمة آثارٌ مهمة في معالجتها ، والتَّخفيف من آثارها ، وقد كان ﵁ مثالاً رائعًا للحاكم المسلم في مثل هذه الأزمات من حيث الشعور بكامل المسؤولية تجاه الأزمة [(١)] .

ولقد كان يقول ﵁ : اللهم لا تجعل هلاك أمة محمَّد ﷺ على يديَّ وفي ولايتي [(٢)] .

بل إنَّه شارك الأمة في تحمل أضرار الأزمة ، فقد امتنع عن أن يأكل شيئًا لا يدرك النَّاس مثله ، لئلا يستأثر عن رعيته أو يؤثر نفسه [(٣)] .

ولقد حلف أن لا يأكل سمنًا ولا لحمًا حتَّى يحيا النَّاس [(٤)] .

ووصفت بعض الرِّوايات حال عمر ﵁ في عام الرمادة انه أسود لونه من شدة اقتصاره على أكل الزيت وترك السمن واللبن [(٥)] .

---

(١) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٣٤ .

(٢) انظر : الطبقات ، لابن سعد ، ٣/ ٢٣٧ .

(٣) انظر : الاستذكار ، ٨/ ٣٨١ ، لابن عبد البر.

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ٨/ ٣٨٠ .

(٥) انظر : الطبقات ، ٣/ ٢٣٩ ، لابن سعد .

لقد كان الخليفة الراشد بهذا السلوك الحسن يسن القدوة الحسنة لحكام المسلمين ولأفراد الأمة ، ممَّا كان له الأثر في إيجاد قدوات في مجال التقشف ، والصبر ، وتحمل الأعباء ، والإيثار ، ومساعدة المحتاجين ، ممَّا يسهم ذلك في تخفيف آثار الأزمة وعلاجها [١] .

لقد كان عمر ﷺ يدرك أهميَّة السلوك الذاتي لولي الأمر وأهله وعماله في مثل تلك الأزمة ، فالناس ينظرون إليهم ويتأثرون بأحوالهم [٢] ، ولذلك قال ﷺ : إن النَّاس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم [٣] .

ثانيًا : استغل عمر ﷺ كل الإمكانات المادية المتاحة في عصره لمعالجة تلك الأزمة بالخطوات التَّالية :

أ/ اتباع سياسة التقشف ، وترشيد الإنفاق ، وتوجيه الموارد نحو معالجة الأزمة ، وتموين القريب والبعيد من المتضررين بالأزمة ، ومراسلة الأقاليم الأخرى لإرسال المدد لتربية الأمة على التكافل في الشدائد والأزمات وإن تباعدت أوطانهم .

ومن جهة ثانية ، فإن عمر ﷺ كان يعد الأمة لتحمل الأزمات ، وذلك عن طريق نهيه الشديد عن مداومة التنعم ، والتعود على التقشف وشظف العيش [٤] .

---

(١) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٣٥ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ص٣٣٦ .

(٣) انظر : الطبقات ، لابن سعد ، ٣/ ٢٢٢ .

(٤) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٤٠ .

ب/ اتخذ عمر ﷺ حلولاً آنية لرفع آثار الأزمة عن الأمة ، كما أَنَّه وضع حلولاً دائمة لمواجهة الأزمات في المستقبل ، فقد أمر بحفر الخليج للربط بين مصر وبين الحجاز لتسهيل جلب المواد الغذائيَّة إلى منطقة الحجاز [١] .

ج/ كما أن عمر ﷺ اجتهد في معرفة الأسباب المعنويَّة للأزمة الَّتي هي الذنوب والمعاصي ، كما اجتهد في اتخاذ الوسائل المعنويَّة الَّتي تتمثل في التوبة والاستغفار ، والتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصّالحة ، والتوجه إليه بالدعاء لكشف البلاء عن الأمة [٢] .

ولقد اهتم عمر ﷺ بتلك الوسائل ، وجعلها الأساس في معالجة الأزمة ، فاستجاب الله دعاء المسلمين ، ورفع عنهم الجدب ، وأنزل عليهم المطر والرحمة [٣] .

د/ تميزت معالجة عمر ﷺ لتلك الأزمة بالمرونة ومراعاة الظروف الَّتي أحدثتها الأزمة ، فقد اتخذ بعض الإجراءات الاستثنائية للتكيف مع تلك الظروف ، مثل تأخير جباية زكاة الماشية المتضررة بالأزمة ، ودرء حد السرقة ما لم يتبين عدم حاجة السارق [٤] .

---

(١) انظر : الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٤٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٣٤٣

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٣٤٣ .

(٤) انظر : المرجع السَّابق ، ص٣٤٥ .

هـ/ لقد كانت معالجة عمر رضي الله عنه لهذه الأزمة بعيدة عن العشوائية ، لقد تمت بطريقة منظمة ، اتبع فيها أرقى الأساليب الإدارية المعروفة في عصره ، والَّتي سبق ذكر شيءٍ منها ، والَّتي تعتبر من أهم المبادئ الإدارية الَّتي عرفتها الإنسانية في العصر الحديث [١] .

❁❁❁

(١) انظر : نماذج من إدارة الأزمات في عهد الخلفاء الراشدين ، ص١٠٥ .

المطلب الخامس

اتساع الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة وسبل حمايتها

كانت الدَّولة الإِسلاميَّة في عصر النبوة مقتصرة على المدينة خلال السنوات الأولى ، ثمَّ توسعت لتمتد إلى معظم جزيرة العرب في نهاية ذلك العهد ، ممَّا اقتضى تنظيم المناطق إداريًا ، فعين النَّبيُّ ﷺ ولاة على الوحدات الإدارية الَّتي تتكون عادة من مدينة رئيسة وما حولها ، وأمَّا مناطق الحجاز خارج المدن الرئيسة ، وهضبة نجد ، فكان فيها عدد من القبائل الكبيرة والصغيرة يتولاها رؤساء منها ، ولما دخلت في الإسلام أبقى النَّبيُّ ﷺ رؤساءها القدامى ولم يغيرهم ، وكان ذلك يرضي الرؤساء وقبائلهم ، ويعزز سيادة الدَّولة على البقاع النائية عن العاصمة [(١)] .

وأمَّا المناطق الَّتي حافظت على رسالتها السماوية القديمة فقد خضعت للدولة الإِسلاميَّة بعقد الذمَّة مثل نصارى نجران ويهود تيماء .

ومن الواضح أن عصر الخلافة الراشدة ورث هذه الأوضاع الإدارية عن عهد النبوة ، ولكن حركة الفتح أضافت مساحات جديدة واسعة كالهلال الخصيب وإيران ومصر ممَّا اقتضى

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١١، ١١٣ .

تنظيم المناطق المفتوحة وربطها بالدولة .

وكان لسير الفتوح أثر رئيسي في تحديد الأقسام الإدارية ، وكان التنظيم الإداري من ولايات وأمصار يتأثر باعتبارات جغرافية واستراتيجية ، وبالتراث الإداري فيها ، وبانتشار القبائل (١) .

وكانت الدَّولة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ مقسمة إلى سبع ولايات وهي : الحجاز ، والبحرين ، وعمان ، ونجد ، واليمن ، وحضرموت ، والعراق ، والشام ، وأمَّا المدينة فهي عاصمة الدَّولة يتولى الخليفة إدراتها مباشرة (٢) .

ـ ثمَّ زاد عدد الولايات في عهد عمر بن الخطاب ﷺ وعثمان ﷺ وذلك مع اتساع الفتوحات ، وكان لعمر ﷺ الدور الرئيسي في تنظيم معاملة البلاد المفتوحة ، ووضع الدواوين (٣) وأنظمة القضاء ، ومال الخراج وغير ذلك من الأنظمة الَّتي استطاع الخلفاء ـ رضوان الله عليهم ـ أن يتجاوزوا هذا التحدي بوضع الحلول المناسبة له (٤) .

❁❁❁

---

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١١٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١١١ .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السِّياسيّة ، ص٣٣٧ .

(٤) انظر : جولة في عصر الخلفاء الراشدين ، ص٩١ ، ٩٢ .

المبحث الثَّاني

التحديات الخارجية ، وسبل مواجهتها في عصر الخلفاء الراشدين

وفيه أربعة مطالب

المطلـــــب الأول : تقوية هيبة الدَّولة الإسلاميَّة الراشدة عند الأمم الأخرى .

المطلـــب الثـــاني : الحرص على مواصلة الجهاد في سبيل الله .

المطلـــب الثالـــث : إنشاء الثغور ، وحمايتها ، وجعلها قاعدة عسكرية لنشر الحضارة الإسلامية

المطلـــب الرابـــع : تحقيق العدل في البلاد المفتوحة .

المطلب الأوَّل

تقوية هيبة الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة عند الأمم الأخرى

إن الدُّول تَعْظُم وتسمو مكانتها على قدر هيبتها بين الأمم الأخرى وبخاصة إذا كانت تلك الهيبة ناشئة عن حق تحرسه قوة يقوم بها رجال صادقون ترى فيهم الأمم الشجاعة والصدق والبر والهداية [1] .

وقد قام الخلفاء الراشدون **ببعض الطرق لتقوية رهبة وهيبة الدَّولة الإِسلاميَّة** في نفوس الأمم الأخرى ومن هذه الطرق :

أ ـ حرص الخلفاء الراشدين على حسن سيرتهم ، وحنكتهم السِّياسيّة الَّتي امتازوا بها ، وكذلك المؤهلات الشَّخصيَّة ، والصفات الخلقية الَّتي هيئتهم للوصول إلى سدة الحكم ، وتسلم السلطة ، ممَّا استلزم حب النَّاس لهم ، وطاعتهم والاطمئنان لسياستهم .

وكان من أبرز هذه المؤهلات والصفات :

علو النسب ، وقوة العلاقات الاجتماعيَّة ، والسابقة للإسلام ، والتضحية في سبيل الله بالمال والنفس ، وشدة محبتهم لرسول الله ﷺ وملازمته ، وسرعة الاستجابة لأمر الله تعالى

---

(١) انظر : تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٢٥٩ .

ونصرة دينه ، ومحبة رَسُول الله ﷺ ورضاه عنهم .

وكانوا يمتازون بالخبرة الميدانية الجهادية ، والقوة والجرأة في الحق ، والحنكة السِّياسيّة في المعارك والحروب ، والتعاملات السِّياسيّة .

وكان لهم باع طويل بالمعرفة والخبرة الاجتماعيَّة والجغرافية بأحوال النَّاس والبلدان (١) .

ـ بالإضافة إلى حسن اختيارهم للولاة والقضاة وقواد الجيوش وأعوانهم ، والذين امتازوا في اختصاصاتهم الَّتي عينوا فيها مع حرص الخلفاء الراشدين على توجيههم وإعانتهم للقيام بواجب المهمَّة الَّتي أنيطت بهم (٢) .

كل هذه الامتيازات والصفات الَّتي امتاز بها الخلفاء الراشدون وولاتهم وقوادهم ، كان لأخبارها صدىً عند الأمم الأخرى ، بل قد رأوها واقعًا وحقيقة من خلال الاحتكاكات الميدانية والدعوية ، ويكفي الاستدلال على ذلك بما قاله رستم قائد الفرس في معركة القادسية ، وكان قائد الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص ﷺ ، فعندما اصطف الجيشان رأى رستم قوة المسلمين ، وحسن تنظيمهم ، وشدة اندفاعهم للقتال ، وقد عهدهم من قبل أعرابًا يعيشون على هامش الحياة بلا تنظيم ولا تحقيق هدف .

عندها شعر رستم بالهزيمة النفسية قبل الهزيمة الحسية ، قال : أكل عمرُ كبدي ، أحرق الله

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات ، ص٢٩٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٣٣٣ .

كبده ، علَّم هؤلاء حتَّى علموا (١) .

ب ـ إرسال جيش أسامة بن زيد ﷺ :

لقد دل إرسال جيش أسامة ﷺ في الوقت العصيب الَّذي كانت تمر به دولة الخلافة الراشدة من الردة العامَّة في الجزيرة العربيَّة ، وتظافر الدُّول الكبرى من الفرس والروم مع المرتدين في الداخل على سياسة حكيمة وطدت أمر الإسلام في الداخل والخارج ، وأرهبت أهل الردة والمشركين الَّذين قالوا : لو لم يكن أبو بكر على بصيرة من أمره ، وقوة جيشه ، وكثرة من جنده لما بعث هذا البعث في مثل هذه الظروف الخطيرة (٢) .

وقد صرف الله تعالى بسبب هذا الجيش عن المسلمين كثيرًا من الفتن الَّتي كان أهل الردة والمشركون وأهل الكتاب يعدونها للفتك بالإسلام وأهله (٣) .

كما كانت الغارة الَّتي قام بها أسامة ﷺ ذات أثر كبير على هرقل ومتنصرة العرب والفرس ، فقد بلغ هرقل الخبر وهو بحمص ، فاستشار بطارقته ، فأشار عليه أخوه أن يبعث رابطة تكون بالبلقاء ، ولم تزل هذه الرابطة مقيمة بالبلقاء حتَّى قدمت البعوث الفاتحة إلى الشَّام (٤) .

ج ـ وصول أخبار انتصار الخلفاء الراشدين على الفتن الداخلية الَّتي كان من أخطرها ردة

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٣٢ .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ، ٢/ ١٩٦ . والبداية والنهاية ، ٦/ ٣٣٥ .

(٣) انظر : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ، ص١٧٥ .

(٤) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/ ١٤٧ .

غالب أهل الجزيرة العربيَّة ، وظهور المدعين للنبوة كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي وغيرهم [١] .

ومثل هذه الأخبار تصل إلى الدُّول المجاورة ، وبخاصة وهي تتابع أخبار الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة لشعورها بخطرها على ملكها ، ولقد أدركت الدولتان فارس والروم من خلال وصول هذه الأخبار إليها ثبات المسلمين على دينهم ، وقوة الدَّولة الراشدة الَّتي بفضل الله تستعصي على المؤامرات والمكائد والمحن والابتلاءات ، ولاشك أن هذا كله ممَّا يسهم في نشر هيبة ورهبة دولة الإسلام [٢] .



(١) قد سبق الحديث عنها في المبحث الأول من الفصل الأول .

(٢) انظر : تاريخ الدعوة الإِسلاميَّة في عهد الخلفاء الراشدين ، ص٢٥٩.

المطلب الثاني

الحرص على مواصلة الجهاد في سبيل الله

لقد حرص الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ والمجتمع الراشدي على مواصلة الجهاد ، والفتوحات الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ بكل عزيمة وإصرار ، سواء كان **الجهاد بالمفهوم الخاص** والَّذي يعني بذل الجهد في قتال الكفَّار بالمال واللسان والنفس والسنان (1) .

أو بمفهومه العام والَّذي يشمل مجاهدة النفس والشيطان ، والفساق ، بالعلم والعمل والدعوة والبيان ودفع الشبهات والشهوات (2) .

ويرجع الفضل في ذلك كله لله تعالى ثمَّ لرسوله ﷺ الَّذي اهتم بتربية الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ التربية الإيمانية ، والتربية الجهادية ، والتي كان لها الأثر الكبير في استمرار قيامهم بالدعوة والجهاد بعد وفاته ﷺ بل كان لها الأثر في ثباتهم لمجابهة الفتن والمخاطر الَّتي كانت تترصد بالدولة الإِسلاميَّة الراشدة .

لقد وضع النبي ﷺ الخطة التمهيدية ، ووضع الخطوط العريضة للفتوحات الإِسلاميَّة الَّتي كانت في العصر الراشدي فقد بشَّر ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بفتح فارس والروم (3)، وقال

---

(1) انظر : فتح الباري ، ٦/ ٣ .

(2) انظر : المرجع السَّابق ، ٦/ ٣ .

(3) انظر : أبو بكر الصديق ، شخصيته وعصره ، ص٢٨٠ .

لعدي بن حاتم : « **فو الَّذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتَّى تخرج الظعينة من الحيرة حتَّى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز** » (١) ، قال عدي رضي الله عنه : وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز (٢) .

ولذلك اهتم النَّبيُّ ﷺ في آخر حياته بفتح الشَّام ، وقام ببعض الأعمال الَّتي كانت تمهيدًا لفتح الشَّام وإسقاط دولة الروم ؛ فقد أرسل رسالة لهرقل عظيم الروم يدعوه للإسلام (٣) ، وكتب رسالة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ـ ملك الغساسنة بالبلقاء من أرض الشَّام وهو عامل قيصر على العرب ـ يدعوه للإسلام (٤) .

وأرسل جيشًا بقيادة زيد بن حارثة في معركة مؤتة (٥) .

بل وقاد جيش العسرة بنفسه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في غزوة تبوك (٦) .

وعقد لواء جيش أسامة رضي الله عنه ولكن عاجلته المنية قبل إنفاذه (٧) .

كل هذه الأعمال الجليلة الَّتي قام بها النَّبيُّ ﷺ إنما هي لهز هيبة دولة الروم في قلوب العرب

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رقم الحديث (٣٥٩٥) .

(٢) المرجع السابق ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رقم الحديث (٣٥٩٥) .

(٣) المرجع السابق ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النَّبيّ ﷺ إلى الإسلام ... ، رقم الحديث (٢٩٤١) .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٦٤٤ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة مؤتة من أرض الشَّام ، رقم الحديث (٤٢٦١) .

(٦) المرجع السابق ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، رقم الحديث (٤٤١٥) .

(٧) المرجع السابق ، كتاب المغازي ، باب بعث النَّبيّ ﷺ أسامة بن زيد ... رقم الحديث (٤٤٦٩) .

والمسلمين ، وتحميسًا للمسلمين للاستعداد المعنوي ، والمادي ، لإتمام بقية أعمال فتح الشَّام وإسقاط دولة الروم الكافرة [١] .

وبعد وفاة النَّبيِّ ﷺ ارتدت عرب الجزيرة العربيَّة ، وأظهر الفرس والروم طمعهم في القضاء على دولة الإسلام الَّتي خافوها على ملكهم وشهواتهم .

ولذلك كان لا بُدَّ للخليفة الراشد أبي بكر الصديق من اتخاذ المواقف الصارمة والسياسة الحكيمة لمعالجة هذا الخطر الزاحف .

ولهذا فقد أمر بإنفاذ جيش أسامة الَّذي عقد لواءه النَّبيُّ ﷺ مع اعتراض بعض الصَّحابة على إنفاذه في ذلك الوقت بسبب ردة العرب وتفاقم الخطر من الداخل والخارج [٢] ، ولكن الصديق رضي الله عنه أمر بإنفاذه وكأنه يريد إرسال رسالة إعلامية للروم والفرس والعرب الموالين للروم في الشمال ولأهل الردة بأن المسلمين قادرون بتوفيق من الله تعالى على حماية دولة الإسلام، وإن تكانفها الأعداء من كل جانب .

وعندما وصل جيش أسامة على مشارف حدود دولة الروم في الشَّام جاء الخبر لهرقل فقال لبطارقته : هذا الَّذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوا مني !! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم ، ثمَّ تخرج من ساعتها ولم تَكْلَمْ [٣].

---

(١) انظر : أبو بكر الصديق شخصيته وعصره ، ص٣١١ .

(٢) انظر : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ١٩٥ .

(٣) انظر : المغازي للواقدي ، ٣/ ١١٢٤ ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

وتعجب الروم وقالوا: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثمَّ أغاروا على أرضنا (١).

ولذلك قد استفاد المسلمون من إنفاذ جيش أسامة ﷺ إعلاميًا الحفاظ على مهابة الدَّولة الراشدة في داخل الجزيرة العربيَّة وخارجها ، وبسبب ذلك تم تأمين الحدود الشمالية ، وصد هجمات الروم والفرس ، وردع القبائل المجاورة لهم ، والموالية للروم ، وتفويت الفرصة عليهم من الإنقضاض على الدَّولة الإِسلاميَّة الراشدة (٢) .

أضف إلى ذلك أن من فوائد إنفاذ جيش أسامة تفرغ الصديق ﷺ لأهل الردة، وإرسال الجيوش الإِسلاميَّة لقمعهم في جميع أنحاء الجزيرة العربيَّة .

وبعد أن دانت له الجزيرة العربيَّة ، وخضعت لحكمه ، أمر الصديق ﷺ بعدم الاستعانة بالمرتدين في الفتوحات الإِسلاميَّة (٣) .

وكان هذا أسلوبًا تربويًا ودعويًا وإعلاميًا وتحذيريًا لأبناء الجزيرة العربيَّة بعدم التفكير أو التخطيط للعودة لأسباب الردة مرة أخرى .

ولذلك فقد كان الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ يكتب إلى عمَّاله : ألا يستعينوا بمرتد في جهاد العدو ، ويؤكد على خالد بن الوليد وعياض بن غنم (٤) ألا يغزو منهم أحد قد ارتد حتَّى يرى

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٤/ ٥٠ .

(٢) انظر : انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية زمن الراشدين ، ص٧٩ ، جميل المصري ، الناشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة ١٤٠٩هـ .

(٣) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣١٩ .

(٤) عياض بن زهير بن أبي شداد الفهري ، هاجر الهجرة الثَّانية إلى أرض الحبشة ، وشهد بدرًا وما بعدها ، فتح ←

رأيه فيهم فلم تشهد معركة اليمامة مرتدًا (١).

ولذلك كان بعض من ارتد ، ثم حسن إسلامهم بعد ذلك يستحيون من مواجهة أبي بكر ﷺ ، فكان طليحة بن خويلد يذهب إلى مكة معتمرًا ولا يقابل أبا بكر حتَّى مات ، وفي خلافة عمر ﷺ تغير شيئًا من السِّياسة تجاه المرتدين ، فندب الفاروق عمر أهل الردة ليرمي بهم الشَّام والعراق لإسقاط دولتي الفرس والروم (٢) .

ولكن هذا التجاوز عن سياسة أبي بكر الصديق ﷺ عند عمر يصحبه نوع من الحذر والحيطة ، فعمر الفاروق يشترط على أهل الردة أن لا يولوا على مائة رجل (٣) .

وفي خلافة عثمان تجاوز سياسة التقييد والحذر والحيطة مع المرتدين الَّتي مر فيها الخليفتان قبله فيجعل بعض من سبق أن ارتد قوادًا ممَّا كان ذلك سببًا من أسباب ظهور الفتنة في عهد عثمان ﷺ (٤) .

لقد كان من فوائد حروب الردة تثبيت دعائم الحكم الإسلامي الراشدي ، وتقوية مركز أبي بكر الصديق ، وإظهار نجاح إدارته وحسن رأيه ، ونفاذ بصيرته بل وزادته بصيرة ، وجعلته

بلاد الجزيرة ، وكان يقال له : زاد الراكب لأنَّهُ كان يطعهم رفقته ما كان عنده وإذا كان مسافرًا آثرهم بزاده ، مات بالمدينة سنة عشرين وليس له عقب . انظر : الإصابة ، ٤/ ٦٣٠ .

(١) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص٢٠٣ ،٣٥٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٣٥٨ .

(٣) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٥٧ .

(٤) انظر : تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ، ص٢٥١ .

قائدًا استراتيجيًا يقود العمليات الحربية على جميع الجبهات ، بل ورسخت حقيقة عامة لدى المقاتلين المسلمين بأن النصر بيد الله ، وأن الجيوش الجرارة لن ترهبهم ، وأن تقنية سلاح عدوهم لن تثنيهم عن عزيمتهم وهدفهم السامي ، فكانوا فيما بعد يقاتلون جيوش الفرس والروم المتفوقة عليهم في العدة والعدد (١) .

لقد كانت حروب الردة تمهيدًا ربانيًا لتوحيد الجزيرة العربيَّة وجعلها قاعدة الانطلاق لاستكمال الفتوحات المباركة الَّتي كان هدفها نشر دين الله تعالى في جميع الأرض (٢) .

ولقد انطلقت الجيوش الإِسلاميَّة لفتح العراق والشام ومصر ، وإيصال دعوة الإسلام للشعوب المظلومة المقهورة تحت حكم الروم والفرس لتدين بدين الإسلام .

ولقد حرص الخلفاء الراشدون والجيوش الإِسلاميَّة أفرادًا وقوادًا على القيام ببعض الأمور الدعوية والإعلامية والتعليمية والتدريبية والاقتصادية والسياسية الَّتي كان لها الأثر الكبير في قوة الجيوش الإِسلاميَّة الفاتحة ماديًا ، ورسوخها إيمانيًا ، وخبرتها العميقة سياسيًا وميدانيًا ممَّا كان له الفضل بعد توفيق الله تعالى في معرفة كثير من شعوب البلدان المفتوحة بحقيقة الإسلام ومصداقيته ، ودخول كثير منهم في دين الله عن رضىً وقناعة .

---

(١) انظر : الريادة في حروب وفتوحات أبي بكر الصديق ، ص١١٦-١١٧ .

(٢) انظر : أبو بكر الصديق شخصيته وعصره ، ص٢٦٨ .

ومن أبرز هذه الأمور ما يلي :

أولاً ـ التعبئة الإيمانية والمعنوية للجيش الإسلامي :

لقد حرص الخلفاء على الاهتمام بالتعبئة الإيمانية ورفع الروح المعنويَّة لدى الجيش الإسلامي الفاتح .

وكان من أهم الوسائل ، وأعظمها تأثيرًا في النّفوس ، التذكير بالآيات القرآنية ، والأحاديث النَّبويَّة المتعلقة بالجهاد ، والثبات ، والجزاء المترتب على الجهاد والشهادة .

كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١] .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢] .

وقول النَّبيّ ﷺ : « **ما اغبرّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسه النّار** » [٣].

وقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ : « **والذي نفسي بيده ، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا**

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١١١) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٦٩-١٧٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله ، رقم الحديث (٢٨١١) .

تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والَّذي نفسي بيده ، لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثمَّ أحيا ، ثمَّ أقتل ثمَّ أحيا ، ثمَّ أقتل ثمَّ أحيا ، ثمَّ أقتل » (١) .

وقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ « **من مات ولم يغزُ ، ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من نفاق »** (٢) .

كل هذه الآيات القرآنية والأحاديث النَّبويَّة وغيرها كان لها الأثر التربوي في أفراد الجيش الإسلامي والمجتمع الراشدي ، بل ربَّت في نفوسهم الثقة المطلقة بموعود الله تعالى الأخروي ، واليقين الجازم بنصر الله تعالى .

ولهذا لا يُستغرب قول من قال من أهل العلم : إن الجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ، ولا قوام لشرائعه إلا به (٣) .

ولقد أدت التربية المعرفية عن أهمية الجهاد إلى بناء القوة الروحية والمعنوية عند المسلمين الَّتي هي أساس الانتصارات في المعارك والغزوات حتَّى مع قلة العدد وضعف العتاد (٤) .

ففي يوم أجنادين أقبلت الروم في جمع كثير ومعهم آخرون من نصارى العرب، فقال بعض

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب تمني الشَّهادة ، رقم (٢٧٩٧) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو ، رقم (١٩١٠) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ٨/ ٢٣ ، علماء نجد ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

(٤) انظر : أبو بكر الصديق شخصيته وعصره ، ص٣٣٧ .

النَّاس لبعض : إنه قد حضركم جمع عظيم ، فإن رأيتم أن تكتبوا إلى أبي بكر فيمدكم ، فقال هشام بن العاص [(١)] : إن كنتم تعلمون إنما النصر من عند العزيز الحكيم فقاتلوا القوم ، وإن كنتم تنتظرون نصرًا من عند أبي بكر ركبت راحلتي حتَّى ألحق به ، فقال بعض القوم : ما ترك لكم هشام بن العاص مقالاً . فقاتلوا قتالاً شديدًا ، فقتل من المسلمين بشر كثير ، وقتل هشام بن العاص ، وهزم الله الروم ، فمرَّ رجلٌ بهشام بن العاص وهو قتيل فقال : رحمك الله هذا الَّذي كنت تبغي [(٢)] .

إن هذا هو الَّذي يفسر لنا ما نقرأه في سيرة المجتمع النبوي والراشدي من مواقفهم البطولية ، وعدم مبالاتهم لهيبة السيوف ، ولا رهبة ملاقات الموت في ساحات القتال .

بل إن بعضهم ليحزن حزنًا شديدًا إذا ما فاتته فرصة الخروج إلى الجهاد .

قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ((عرضني رَسُول الله ﷺ يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني ، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني)) [(٣)] .

وفي رواية بلفظ آخر قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ((فلم يقبلني فأتت عليَّ ليلة لم يأتِ

---

(١) هشام بن العاص بن وائل القرشي ، أخو عمرو بن العاص ، وهو أصغر منه سنًا ، أسلم قديمًا بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، ثمَّ رجع إلى مكة ، ثمَّ قدم بعد الخندق على النَّبيّ ﷺ ، قتل في الشَّام يوم أجنادين في خلافة أبي بكر الصديق سنة ثلاث عشرة . انظر : الاستيعاب ، لابن عبد البر ، ٤/ ١٥٣٩ .

(٢) انظر : الجهاد ، ص٩٤ ، عبد الله بن المبارك ، الدار التونسية ـ تونس ، تاريخ النشر : ١٩٧٢م .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب بيان سن البلوغ ، حديث (١٨٦٨) .

عليَّ ليلة قط مثلها من السهر والحزن والبكاء ، إذ لم يقبلني رَسُول الله ﷺ ، فلما كان من العام المقبل عرضت عليه فقبلني ، فحمدت الله على ذلك)) (١) .

لقد خالط حب الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى دماءهم وأرواحهم حتَّى باتوا يؤثرون الجهاد على راحتهم وملذاتهم .

قال خالد بن الوليد ﷺ : ما من ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام ، أحبَّ إليَّ من ليلة شديدة البرد ، كثيرة الجليد ، في سرية أُصبِّح فيها العدو (٢) .

بل أصبحت الشَّهادة من أعظم الأمنيات في حياتهم ، حتَّى أصبحوا يلهثون بدعاء الله ليلاً ونهارًا سرًا وجهرًا للحصول عليها ، لأنَّهُم علموا بقول النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ : « **مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** » (٣) .

ولذلك كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول في دعائه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ (٤) .

وقد مات ﷺ في المدينة شهيدًا تصديقًا لما أخبر به عليه الصَّلاة والسَّلام في قصة خطابه عليه

---

(١) معرفة الصَّحابة ، ٣/ ١٧١١ ، لأبي نعيم ، دار الوطن للنشر ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م . و انظر : فتح الباري ، لابن حجر ، ٥/ ٢٧٨ .

(٢) انظر : الجهاد ، لابن المبارك ، ١/ ٩١ . وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٠ : (رجاله رجال الصحيح) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب استحباب طلب الشَّهادة في سبيل الله تعالى ، رقم (١٩٠٩) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الحج ، باب كراهية النَّبيّ ﷺ أن تُعرى المدينة ، رقم (١٨٩٠).

الصَّلاة والسَّلام لجبل أحد عندما اهتز فعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَر وَعُثْمَان فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ : « اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ » [١] .

ومع حصول هذا التأثير المعنوي والإيماني في الجيش الإسلامي الراشدي من خلال معرفة الآيات القرآنية ، والأحاديث النَّبويَّة المتعلقة بالجهاد والشهادة ، إلاَّ أن الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ لم يكتفوا بذلك فقد كانوا يحرصون على الاهتمام بالتعبئة الإيمانية ، ورفع الروح المعنويَّة لدى الجيش الإسلامي الفاتح بوسائل أخرى .

ـ فكان الخلفاء الراشدون يخرجون مع الجيش لتشييعه خارج المدينة المنورة اقتداء بالنَّبيِّ ﷺ عندما كان يخرج في تشييع الجيوش والسرايا ، والقيام بوصيته ببعض الوصايا الَّتي يكون لها الأثر في التعبئة الإيمانية والمعنوية ، كخروجه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في تشييع جيش معركة مؤتة [٢] ((ووصيته لهم بالوصايا العظيمة والآداب الحربية ، ودروس في الشرف العسكري ، وأسس راسخة في المعاملة الإنسانية ، والرأفة بغير المحاربين من النِّساء والشيوخ والأطفال ، وتربية عالية شريفة ما سمعت ولا وعت أمة مثلها منذ فجر التَّاريخ حتَّى اليوم)) [٣] .

ـ ولقد كان الخلفاء الراشدون أهل البيان والفصاحة والتأثير العاطفي الجياش الَّذي يحرك

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب قول النَّبيّ ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً ، رقم (٣٦٧٥) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، ٢/ ٩ .

(٣) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النَّبويَّة الشمالية ، ص٢٧١ ، بريك العمري ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .

القلوب ويستثير الهمم ، ويحرك المشاعر للإقدام والصبر على المصاعب والمتاعب واللأواء ، يخرجون مع جيوشهم ويناصحوهم بالثبات والصبر والمصابرة ، ولقد كان خليفة رَسُول الله ﷺ أبو بكر الصديق من أكثرهم تأثيرًا في وصاياه ومواعظه وأساليبه التربوية للجيوش الفاتحة ، فعندما أنفذ جيش أسامة خرج مع الجيش وأسامة راكبًا وعبد الرَّحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنه، فقال له أسامة رضي الله عنه : يا خليفة رَسُول الله، والله لتركبن أو لأنزلن ، فقال : والله لا تنزل ووالله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة (١) .

ـ وكان الصديق رضي الله عنه يحرض المجاهدين على القتال ، ويقوي نفوسهم بما يشعرهم من الظفر ، ويذكر لهم أسباب النصر ، ليقل العدو في أعينهم فيكونوا عليه أجرأ ، وبالجرأة يسهل الظفر (٢) ، وكان يحض خالد بن الوليد على القتال بقوله : احرص على الموت توهب لك الحياة (٣) .

ـ وشيع عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش سعد بن أبي وقاص المتجه للعراق ، وخطب فيهم وقال : إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول ، ليحيي به القلوب ، فإن القلوب ميتة في صدورها حتَّى يحييها الله ، من علم شيئًا فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات : فالحياء والسخاء والهَيْن واللِّين ، وأمَّا التباشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر بابًا ، ويسَّر لكل باب مفتاحًا ، فباب العدل : الاعتبار ، ومفتاحه : الزهد ،

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٢٢٦ .

(٢) انظر : أبو بكر الصديق سيرته وعصره ، ص٣٥٩-٣٦٠ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزَّمان ، ٣/ ٦٧.

والاعتبار: ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد : أخذ الحق من كل أحد قَبْلَهُ حَقٌّ ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تصانع في ذلك أحدًا ، واكتف بما يكفيك من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء ، وإني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، ... ، فأنْهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فإلى من يُبْلغناها نأخذ له الحق غير مُتَعْتَع [١] .

ـ ولم يكتف الخلفاء الراشدون بمواعظهم ووصاياهم للجيش والقواد ، بل كانوا يرسلون مع الجيش الفاتح : القاضي الَّذي يقضي بين الجنود عند الاختلاف ، والواعظ الَّذي يذكرهم بالله والدار الآخرة ، وحقيقة الدّنيا وحقارتها .

وكانوا يرسلون القراء الَّذين يقرؤون القرآن بين يدي الجيش الفاتح قبيل التلاحم مع العدو في أرض المعركة ، وكانوا يحرصون على قراءة شيءٍ من سورة الأنفال الَّتي فيها الحث والحض على القتال ، والتذكير بالأجر المترتب على الجهاد ، وكانوا يحثون الجنود على كثرة التكبير [٢] .

ففي معركة القادسية خطب في النَّاس قائد الجيش سعد بن أبي وقاص ، وأمر القراء أن يشرعوا في سورة الأنفال ، فقرئت ، ولمَّا أتموا قراءتها هشت قلوب النَّاس وعيونهم ، ونزلت السكينة ، وصلى النَّاس الظهر ، وأمر سعد جيشه أن يزحفوا بعد التكبيرة الرابعة ، وأن يقولوا :

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٤٨٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٥٣٥ .

لا حول ولا قوة إلاَّ بالله [١] ، وأمر جنوده بأن يتحاسدوا ويتغايروا على الجهاد [٢] .

ـ وكانوا يرسلون الشعراء ، وأصحاب الرأي والشرف ، وخاصة إذا كانت المعركة من المعارك المهمَّة الفاصلة كمعركة القادسية الَّتي قال عمرﷺ فيها : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسًا ، ولا ذا رأي، ولا ذا شرف ، ولا خطيبًا ، ولا شاعرًا إلاَّ رماهم به ، فرماهم بوجوه النَّاس وغَرَّرهم [٣] وجمع سعد بن أبي وقاص ﷺ وجهاء النَّاس وقادته في بداية اليوم الأَوَّل من معركة القادسية ، وقال لهم : انطلقوا فقوموا في النَّاس بما يحق عليكم ويحق لهم عند مواطن البأس ، فإنكم من العرب بالمكان الَّذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم ، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في النَّاس فذكروهم وحرضوهم على القتال [٤] .

ـ وكان من الأساليب الإجرائية الَّتي قام بها الخلفاء الراشدون لرفع معنويات الجيش الإسلامي اختيار القواد الأكفاء ، وتقوية الجيش ماديًا وتقنيًا، واستخدام الأسلوب الإعلامي الوصفي لبعض القواد وبيان مكانتهم، وترسيخ هيبتهم بين أفراد الجيش الإسلامي .

فعندما أرسل الفاروق عمر ﷺ المدد لعمرو بن العاص ﷺ في فتح مصر ، قال له الفاروق : إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف ، الزُّبير بن

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٣٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٥٣٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٤٨٧ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٥٣٣ .

العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلَّد ـ وقال آخرون : بل خارجة ابن حذافة ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ : اعلم أن معك اثني عشر ألفًا ، ولا يُغلب اثنا عشر ألفًا من قِلَّة (١) .

وحرص الخلفاء الراشدون وقوادهم على أسلوب المبارزة قبل نشوب المعركة ـ والمبارزة فن من فنون الحرب لا يتقنه إِلاَّ الأبطال من الرِّجال ـ وهي ترفع من شأن المنتصرين ، وتزيد من حماسهم ، وتضعف من شأن المنهزمين ، وتحط من معنوياتهم ، والمسلمون في العهد النبوي والراشدي كانوا متفوقين في هذا الفن على غيرهم دائمًا ، ولذلك هم المستفيدون من المبارزة (٢) .

ولذلك لمَّا رأى رستم قائد الفرس في معركة القادسية تفوق المسلمين على جنوده في المبارزة والمطاردة لم يمهلهم حتَّى يكملوا المبارزة بل أمر جانبًا من قواته بالهجوم العام ، وذلك لقطع المبارزة (٣) .

كل هذه الأساليب والإجراءات الَّتي كان يحرص على تطبيقها الخلفاء الراشدون وقوادهم لتطوير الجيش الإسلامي ماديًا وتقنيًا ومعرفيًا بأساليب الحروب وتحقيق الأهداف ، كان لها الأثر في توالي الانتصارات المتتابعة ، والروح المعنويَّة العالية للجيش الإسلامي ، وفي المقابل

---

(١) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص٨٣ . والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٨/١ ، يُوسف أبو المحاسن ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد ، دار الكتب ، مصر .

(٢) انظر : فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٣٧٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٣٧٨ .

ضعف الروح المعنويَّة لدى الأعداء والانهزامية النفسية ممَّا يرونه من حال المسلمين وقوتهم المعنويَّة والعسكرية ، والتقنية ، حتَّى قال رستم في معركة القادسية : أكل عمر كبدي ! عَلَّم هؤلاء حتَّى علموا [١] .

ثانيًا : القوة الجسدية والوسائل القتالية :

لقد اهتم المجتمع الراشدي بالقوة القتالية واللياقة البدنية للمجاهدين في سبيل الله . عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ ﴾[٢] .

ولذلك فقد اهتم الخلفاء الراشدون بتهيئة الجند عسكريًا وتدريبهم على حمل السِّلاح واستخدامه بمهارة عالية ، وحثهم على تعلم جميع أساليب القتال من رمي ، وركوب الخيل ، والرباط في سبيل الله ، وتربية الأبناء على الرجولة والخشونة ، وعدم مشابهة العجم الَّتي يورث الليونة والنعومة في الأجسام فيجعلها غير قادرة على مواجهة ظروف القتال والجهاد الَّتي تستلزم قدرًا كبيرًا من القوة والغلظة والشدة [٣] .

قال عمر ﷺ : أتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا ، والقوا الخفاف والسراويلات ، وألقوا الرُكُب ، وانزوا على الخيل نزوًا ، وعليكم بالمعدية ، وراموا الأغراض ، وذروا التنعم وزي

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٣٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

(٣) انظر : دراسات نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ، ص١٠٦٩-١٠٧١ .

العجم ، وإياكم والحرير [١] .

وحث الفاروق أيضًا على تعلم السباحة والعوم ، فقد كتب لأبي عبيدة بن الجراح : أن علموا غلمانكم العوم ، ومقاتلتكم الرمي . فكانوا يختلفون إلى الأغراض [٢] .

وقال أيضًا : لن تخور قوىً ما كان صاحبها ينزع وينزو .

يعني ينزع في القوس ، وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب [٣] .

ولهذا فقد أعدَّ الفاروق عمر ﷺ في كل مصر من أمصار المسلمين خيلاً كثيرةً معدةً للجهاد . فقد جعل في الكوفة أربعة آلاف فرسٍ وفي بقية الأمصار قريبًا من هذا العدد ، وهي على أتم الاستعداد في حال مباغتة العدو [٤] .

واهتم الخلفاء الراشدون بأمر الجند ، فأنشأ عمر بن الخطاب ﷺ ديوانًا خاصًا للإشراف على شئونهم ، ومختلف أمورهم من بيان أسمائهم وأعمالهم وأرزاقهم [٥] .

بل وجعل لهم الحصون ، والمعسكرات الدائمة لصد هجمات العدو ، ولإراحة الجنود في أثناء سيرهم إلى عدوهم كالحصون والثغور الَّتي في البصرة ، والكوفة ، والفسطاط .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، حديث (٣٠١) ، ١/ ٤٣ . وقال عنه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشَّيخين . انظر : مسند الإمام أحمد ، ١/ ٤٣ ، مؤسسة قرطبة، القاهرة .

(٢) المرجع السابق (٣٢٣) ، ١/ ٤٦ . وقال عنه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط محقق الكتاب : إسناده حسن ، ١/ ٤٦ .

(٣) انظر : عيون الأخبار ، ١/ ٢١٦ .

(٤) انظر : أسد الغابة ، ٢/ ٥٠٨ .

(٥) انظر : عصر الخلافة الراشدة ، ص١٤٦ .

وكان لمعاوية بن أبي سفيان في عهد أمير المؤمنين عثمان ﷺ الدور البارز في التخطيط الاستراتيجي لتقوية الأسطول البحري ، والتغلب على البيزنطيين في معركة ذات الصواري (١) .

والَّتي كان من أهم نتائجها إظهار قوة المسلمين البحرية ، وإضاعة آخر فرصة للبيزنطيين في استعادة مواقعهم في بلاد الشَّام ، ومصر ، حيث كان اعتمادهم على التفوق البحري (٢) .

لقد غيرت هذه المعركة مجرى تاريخ البحر المتوسط الَّذي كان يوصف ببحر الروم ، فأصبح يدعى ببحر المسلمين ، لأن المسلمين استطاعوا أن ينتزعوا سيادته البحرية ، وفرض سيطرتهم الكاملة على سواحله من طرابلس الشَّام ، وأفريقية وقبرص (٣) .

ـ لقد كان المجتمع الراشدي يربي الشباب على أن الإعداد للقتال قُربةٌ وعبادة لله تعالى كالصَّلاة والصِّيام والصدقة (٤) .

ولهذا فإن ممَّا يميز المجتمع الراشدي عن المجتمعات الَّتي جاءت بعده : أن جميع أفراد

---

(١) معركة ذات الصواري وقعت بين المسلمين والروم في البحر المتوسط سنة أربع وثلاثين للهجرة ، وكان قائد الجيش عبد الله بن أبي السرح ﷺ في عهد أمير المؤمنين عثمان ﷺ ، وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة الحاسمة . انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٢٩١ .

(٢) انظر : تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السِّياسيّة ، ص٣٨٤ ، د.محمد طقوش ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(٣) انظر موجز عن الفتوحات الإِسلاميَّة ، ص٢٧ ، د.طه عبد المقصود ، دار النشر للجامعات ـ القاهرة .

(٤) انظر : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، ص٧٢ ، الشيخ محمد قطب ، دار الشروق .

المجتمع الراشدي ممَّن يطيقون الجهاد يكونون على أهبة الاستعداد ، لمنافسة ومشاركة المجاهدين لنيل الشَّهادة وإعزاز دين الله .

روى النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلامِ إِلاَّ أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ ، وَقَالَ آخَرُ : مَا أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلامِ إِلا أَنْ أَعْمُرَ الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَقَالَ آخَرُ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ الله وَالله لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) (٢).

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ : ((فتبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف والإحسان إلى الحجاج بالسقاية ، ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه : « **لأن أرابط ليلة في سبيل الله ، أحب إليَّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود** » (٣) ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٩) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الشَّهادة في سبيل الله . رقم (١٨٧٩) .

(٣) هذا الحديث عن النَّبيِّ ﷺ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ولم أجده موقوفًا عليه ، قال أبو هريرة سمعت رَسُول الله ﷺ يقول : ((موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)) .

رواه ابن حبّان في صحيحه : كتاب السير ، باب فضل الجهاد ، حديث (٤٦٠٣) ، ١٠/ ٤٦٢ . وصححه الألباني في السلسلة الصَّحيحة رقم (١٠٦٨) ٣/ ١٤٢ .

فالرباط في الثغور أفضل من المجاورة بمكة والمدينة ، والعمل بالرمح والقوس في الثغور أفضل من صلاة التطوع ، وأمَّا في الأمصار البعيدة من العدو فهو نظير صلاة التطوع)) [(١)] .

ومن هذا يتبين اهتمام الخلفاء الراشدين والمجتمع الراشدي بالوسائل القتالية ، والقوة الجسدية ، واعتبار ذلك نوعًا من أنواع العبادة الَّتي يُتقرَّب بها إلى الله تعالى .

ثالثًا : تحلي أفراد الجيش الإسلامي بالصفات الجهادية :

لقد تحلى الجيش الإسلامي في العصر النبوي والراشدي بصفات جهادية كان لها أثرٌ في قوة الجيش معنويًا من الداخل ، وترسيخ هيبته ومكانته في نفوس الأعداء خارجيًا .

وكان من أبرز هذه الصفات الجهادية :

عدم الخوف من الموت ، وحب الجهاد ، وصناعة البطولات ، والطاعة للقائد في غير معصية الله تعالى .

والشواهد على ذلك يطول ذكرها ، ولكن نذكر بعضها :

أ / في ميدان معركة القادسية يبرز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل وينادي : من يبارز ؟ فيخرج له علباء بن جحش العجلي فيضربه على صدره فيشق رئته ، ويصاب علباء بضربة على بطنه فتنتشر أمعائه ، ويسقطان معًا إلى الأرض ، أمَّا المجوسي فيموت من ساعته ، وأمَّا علباء فلا يستطيع القيام ، وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يستطع ، ومرّ به رجل من المسلمين ، فقال له علباء : يا هذا أعني على بطني ، فأدخل له أمعاءه ، ثمَّ زحف نحو صف

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة ، ٢٨/ ١٢ .

العجم دون أن يلتفت إلى المسلمين وراءه فأدركه الموت وهو يقول :

أرجـــو بهـــا مـــن ربنـــا ثوابًـــا ❁ قـــد كنـــت ممَّـــن أحســـن الضـــرابا [(١)]

ب/ عندما سجن سعد بن أبي وقاص أبا محجن الثقفي بسبب شربه للخمر في المقر الَّذي يشرف على ساحة القادسية .

اشتاق أبو محجن للقتال فترجى واستعفى سعد بن أبي وقاص ، ولكن سعد بن أبي وقاص ﷺ زجره ونهره ، فرجع حتَّى لقي سلمى بنت حفص زوجة سعد بن أبي وقاص فترجاها أن تطلق سراحه وتعيره خيل سعد بن أبي وقاص البلقاء ليقاتل مع المسلمين فإن سلم رجع في قيده ، وكان يقول من شدة لوعته وشوقه للجهاد :

كفـى حزنًـا أن تطـرد الخيـل بالقنـا ❁ وأتـــرك مشـــدودًا علـــيّ وثاقيـــا

إذا قمـــتُ عنَّـــاني الحديـــدُ وأُغلقـــت ❁ مصـاريع مـــن دونـــي تصـم المناديـا

وقـــد كنـــت ذا مـــال كثيـــر وإخـــوة ❁ فقـــد تركـــوني واحـــدًا لا أخـــا ليـــا

ولله عهــــــدٌ لا أخــــــيسُ بعهــــــده ❁ لــــئن فُرجَــــتْ ألا أزور الحوانيــــا

وقد أطلقته سلمى زوجة سعد ، وركب البلقاء وأبلى بلاءً حسنًا ورجع أبا محجن إلى قيده ، فلما أصبح الصباح قامت سلمى فأخبرت سعد بن أبي وقاص بخبر أبي محجن فدعا به فأطلقه وحسنت توبته [(٢)] .

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٤٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٣/ ٥٤٨ . والبداية والنهاية ، ٧/ ٥٢ .

ج/ النعمان بن مقرِّن [١] والي مدينة كسكر ، يكتب لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ويقول : مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب وإلى جانبه مومسة تلوِّن له وتعطِّر ، فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر ، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين . فكتب إليه عمر : أن ائت النَّاس بنهاوند فأنت عليهم ، وجعله قائد الجيش بنهاوند [٢] .

كل هذه البطولات والصفات الجهادية ، والبحث عن الشَّهادة وملاقاة الموت ، كان لها زخم إعلامي في صفوف الجيوش الرومية والفارسية ، ممَّا كان له الأثر في إحباطها معنويًا ونفسيًا قبيل ملاقاتها بالجيوش الإِسلاميَّة ميدانيًا .

رابعًا : الحرص على تقصي أخبار العدو :

كان الخلفاء الراشدون يهتمون بتقصي أخبار العدو عن طريق العيون الَّتي تراقب الأوضاع والأحداث ، والَّتي بدورها تأتي بالأخبار التفصيلية عن العدو وخططه الاستراتيجية وعدته وعتاده .

وكانوا يتابعون الأحداث بدقة متناهية ، ويتقصون أخبار مسيرة الجيوش الإِسلاميَّة وأحوالها .

فعند حدوث معركة القادسية كان عمر ﷺ يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النَّهار ، ثمَّ يرجع إلى أهله ومنزله ، فلما لقي البشير سأله : من أين ؟ فأخبره ،

---

(١) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني ، له ذكر كثير في فتوح العراق ، وهو الَّذي بشر عمر بن الخطاب بفتح القادسية ، وهو الَّذي فتح أصبهان ، واستشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين . انظر : الإصابة ، ٦/ ٣٥٧ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ١٢٦ .

قال : يا عبد الله حدثني ، قال : هزم الله العدو ، وعمرُ يَخُبُّ معه ويستخبره ، والآخير يسير على ناقته ولا يعرفه ، حتَّى دخل المدينة ، فإذا النَّاس يُسلِّمون عليه بإمرة المسلمين ، فقال: فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ! وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخي (١) .

ولكن الجديد في تقصي الأخبار في العهد النبوي والعهد الراشدي هو استخدام بعض الوسائل الَّتي تعتبر في ذلك الوقت وسائل إعلامية في معرفة أخبار العدو ، أو إيصال بعض أخبار المسلمين الَّتي يريد المسلمون وصولها لعدوهم إمَّا لهدف دعوي ، وإما لبث الهزيمة النفسية ، وإضعاف الروح المعنويَّة لدى العدو .

وهي وسيلتان :

أ / الوسيلة الأولى : تقصي الأخبار عن طريق أهل الذمَّة :

فقد كان المسلمون يشترطون على أهل الذمَّة النصح لهم ، والإنذار بتحركات عدوهم ، وعدم غشهم وخيانتهم ، وعدم إيواء جواسيس أعداء المسلمين في بيوتهم أو كنائسهم (٢) .

وممَّا يدلُّ على ذلك : ما قام به المصريون النَّصارى من إعانة الجيش الإسلامي الَّذي كان بقيادة عمرو بن العاص ﷺ لدحر الروم والانضواء تحت حكم الإسلام العادل (٣) .

ب / الوسيلة الثَّانية : إيصال أخبار المسلمين عن طريق رسل الأعداء الَّذين أُرسلوا

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٨٣ .

(٢) انظر : أحكام أهل الذمَّة ، ٣/ ١٢٣٣ .

(٣) انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص٨٠ .

للمسلمين :

فعندما أرسل المقوقس رجالاً من أصحابه لعمرو بن العاص في محاولة للتوصل إلى الصلح ، أبقاهم عمرو بن العاص ﷺ عنده يومين وليلتين ، حتَّى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أَنَّهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ، يستحلون ذلك في دينهم ! . وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فرد عليه عمرو مع رسله : أن ليس بيني وبينك إِلاَّ إحدى ثلاث خصال : الإسلام أو الجزية أو القتال .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه ، قال : كيف رأيتموهم ؟ قالوا : رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدّنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحدٍ منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا لسيدٍ فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصَّلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون في صلاتهم . فقال عند ذلك المقوقس: والَّذي يُحلف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد [١] .

وهذه طريقة ناجحة كما كان يفعل رَسُول الله ﷺ مع الوفود [٢].

خامسًا : عرض الدعوة على المخالف قبل تلاحم الصفوف :

لقد كان من المبادئ الأخلاقية الَّتي تعامل بها المسلمون مع المخالفين لدينهم مبدأ الإبلاغ

---

(١) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ١/ ١١٠ ، عبد الرَّحمن السيوطي ، دار إحياء الكتب العربيَّة ، عيسى البابي ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

(٢) انظر : انتشار الإسلام بالفتوحات الإِسلاميَّة زمن الراشدين ، ص٨٨ .

بالدعوة للإسلام قبل القتال .

وهو مبدأ عرفوه من خلال تربية النَّبيِّ ﷺ علمًا وتطبيقه واقعًا في المعارك والسرايا الَّتي كان يبعث بها .

فقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه إذا بعث سرية قال لأميرها : « إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ... ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ... ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ » .. الحديث [(١)] .

وقال طليحة رضي الله عنه : ((كان رَسُول الله ﷺ لا يقاتل المشركين حتَّى يدعوهم)) [(٢)] .

هكذا كان الخلفاء الراشدون يوصون قوادهم بعرض الدعوة على المخالف قبل قتاله وفتح باب الحوار والجدال بالتي هي أحسن ، والبيان والإيضاح للمخالف سبب قتالهم وأنَّهُ ليس من أجل الغلبة وأخذ الأموال وسبي النِّساء والأطفال ، وإنما القتال لهذا الدِّين ولإسقاط الأنظمة الَّتي تحول دون معرفة النَّاس بهذا الدِّين ودفع الظلم عنهم ، وإعطائهم حقوقهم من الحرية والحياة الكريمة في كنف تعاليم الإسلام وأسسه سواء دخلوا في الدِّين عن رضى وطواعيه ، أو أنَّهم بقوا على معتقداتهم الكافرة مع دفعهم للجزية مقابل حمايتهم [(٣)] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء ، رقم الحديث (١٧٣١) .

(٢) شرح السير الكبير ، ١/ ٥٨ ، محمد السرخسي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٣) انظر : افتراءات حول غايات الجهاد ، ص٢٧–ص٧٩ .

ـ ولقد كان من أهم الوسائل الَّتي استخدمها المسلمون في العهد النبوي والراشدي لدعوة المخالف لدينهم هي إرسال الرسل والوفود ، فقد كانوا يتخيرون منهم من يتميز بالعلم والقوة والوضوح في الحجة وثبات الجأش ، وذلك لعرض دعوة توحيد الله تعالى بأسلوب واضح ومقنع وحجة داحضة، وقد يختارون رجالاً من ذوي المهابة في الأجسام والهيئات وذلك لبث الرعب والهزيمة النفسية بين صفوف العدو .

وإليك بعض هذه الوفود والرسل الَّذين كان لهم دور بارز في بيان رسالة الإسلام وإقامة الحجة على الخصم المخالف قبل تلاحم الصفوف :

أ/ الوفد المناظر لملك الفرس بزدجرد :

أمر عمر بن الخطاب ﷺ سعد بن أبي وقاص ﷺ أن يرسل وفدًا لملك الفرس يزدجرد يعرض عليه دعوة الإسلام وذلك قبيل معركة القادسية ، وقال لسعد بن أبي وقاص : ((لا يكربنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النَّظر والرأي والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهينًا لهم وفلجًا عليهم ، واكتب إليَّ في كل يوم)) (١) .

وقد أرسل سعد بن أبي وقاص أربعة عشر داعية إلى ملك الفرس .

وكان هذا الوفد على درجة عالية من الكفاءة والقدرة لما أوفد له ، بالإضافة إلى ما يتمتعون به من جسامة وقوة ومهابة وحسن رأي ، فلهم أيضًا سبق معرفة بالفرس ، فقد كان منهم من

(١) البداية والنهاية ، ٧/ ٤٥ .

عاركهم ومارس معهم الحروب في حملات سابقة ، ومنهم ممَّن وفد في الجاهليَّة على ملوك الفرس ، ومنهم من يعرف اللُّغة الفارسية ، لقد كان الوفد يتمتع بميزتي الرغبة والرهبة الَّتي تتوفر في جسامتهم ومهابتهم وجلدهم وشدة ذكائهم (١) .

ـ وقد تحاور الوفد مع ملك الفرس يزدجرد واستخدموا معه أسلوب الترغيب والترهيب ، ولكنه كان فيه من الكبر ممَّا جعله يستنقصهم ويتهددهم حتَّى قال لهم : لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي . وقال ائتوني بوِقْرٍ (٢) من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثمَّ سوقوه حتَّى يخرج من أبيات المدائن ، وأرجعوه إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليه رستم حتَّى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد (٣) .

وقد وصل وِقرُ التراب للقائد سعد بن أبي وقاص ﷺ فلما رآه قال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ، وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم (٤).

ب/ الرسل الَّذين أرسلهم سعد بن أبي وقاص بطلب من رستم :

عندما عسكر رستم بجيشه في أرض القادسية طلب من سعد بن أبي وقاص أن يرسل إليه برجل عاقل عالم بما يسأله عنه ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، وفي اليوم الثَّاني طلب منه رجلاً آخر فأرسل إليه حذيفة بن محصن ﷺ ، ثمَّ في اليوم الثَّالث بعث إليه المغيرة بن شعبة ، وقد تعجب

---

(١) انظر : فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣٧٠ .

(٢) الوِقْرُ بالكسر : الحِمْلُ ، وأكثر ما يستعمل الوِقر في حِمْلِ البغل والحمار . مختار الصحاح، ١/ ٣٤٣ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٤٩-٥٠ .

(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٥٠١ .

رستم من الرسل الثَّلاثة في اتفاقهم في الإجابة والمحاورة والنتيجة ، حتَّى قال رستم لقومه : أين هؤلاء منكم ! هؤلاء والله الرِّجال صادقين كانوا أم كاذبين ، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا ، فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم ، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء [١] .

ويتضح من خلال لقاء رستم بالرسل الثَّلاثة الأبطال أَنَّه أصيب بهزيمة نفسية حتَّى إنه أصبح يشاور ويراود قومه خوفًا عليهم الهلاك [٢] .

ولكن الفرس لم ينتفعوا بدعوة الوفود ، وأجمعوا على القتال فكان أمر الله قدرًا مقدورًا في هلاك الفرس وهزيمتهم في معركة القادسية .

وهكذا كان في مواصلة الجهاد فوائدٌ كثيرة من أهمها : انتشار دعوة الإسلام ، وهزيمة أهل الردة ، وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية الإسلام ، وجعلها منطلق الفتوحات المباركة التي كان من آثارها هزيمة دولتي فارس ، والروم ، وفتح مصر ، وشمال أفريقيا ، وهذا كله كان في عهد الخليفتين : أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ [٣].

ثم توسعت الفتوحات في أيام خلافة عثمان رضي الله عنه ، إلا أن الفتوحات توقفت في عهد علي رضي الله عنه بسبب انشغاله بالفتن الداخلية ، ولكن هذا لم يمنع المحافظة على الحدود ، والثغور حتى عاد

---

(١) انظر : الكامل في التَّاريخ ، ٢/ ٣٠٠ .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ٢/ ٣٠٠ .

(٣) انظر : الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ، ص١٠١ ، د. عبد الرحمن الراشد ، رسالة علمية ـ جامعة الإمام محمَّد بن سعود ، ١٤٠٢هـ .

المسلمون لمواصلة الجهاد في عصر الدَّولة الأموية ، فاتسعت حدود الدَّولة الإسلامية ، وشملت بلاد الترك والسند شرقًا ، وأذربيجان وأرمينية شمالاً ، وبلاد الروم وأفريقية والأندلس غربًا [(١)].

فكان في استمرار الجهاد بنوعيه ، سواء كان جهاد الدفع ، أو جهاد الطلب ، في العصر الراشدي وما بعده ، من أخطر تحديات أعداء الدعوة الإسلامية الذي يكيدون لها ، ويتمنون فنائها [(٢)] .

ولكن فضل الله عظيم ، وعهدِهِ بحفظ دينه يقين ، وتوفيقه للقائمين بأمره إلى يوم الدين ، مصداقًا لقول النبي ﷺ : « **لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك** » [(٣)] .

❁❁❁

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ١٠٢ .

(٢) انظر بالتفصيل حول جهاد الدفع ، وجهاد الطلب : كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، ص٣١٨ . وانظر : الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ، ص٧٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، رقم الحديث (٣٦٤١) .

المطلب الثالث

إنشاء الثغور وجعلها قاعدة عسكرية

لنشر الحضارة الإسلامية

الثغر هو : الموضع الَّذي يكون حدًا فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد [1] .

لقد اهتمت الدَّولة الإِسلاميَّة في عهد الفاروق ﷺ ببناء المدن على الثغور ، وتسهيل المواصلات ، وإصلاح الأراضي ، وتشجيع الهجرة إلى مراكز التجمعات الجهادية ، والتحول إلى البلدان المفتوحة لنشر الإسلام وإمداد المجاهدين بالرِّجال والعتاد [2] .

وأهم الأمصار الَّتي أنشئت هي : البصرة ، والكوفة ، والموصل ، والفساط [3] ، والجيزة [4] ، وسرت [5] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث ، ١/ ٢١٣ ، لابن الأثير . ولسان العرب ، ٤/ ١٠٣ .

(٢) انظر : فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٢٠٠ .

(٣) الفسطاط : المقصود بها مصر . انظر : معجم البلدان ، ٤/ ٢٦١ .

(٤) الجيزة : بمعنى الوادي ، وهي بلدة في غرب فسطاط مصر . انظر : معجم البلدان ، ٢/ ٢٠٠ .

(٥) سُرْت : بضم أوله وسكون ثانيه ، وهي مدينة على ساحل البحر ، بين برقة وطرابلس الغرب بدولة ليبيا . انظر : معجم البلدان ، ٣/ ٢٠٦ .

وقد خططت ووزعت بين الجيوش بحسب قبائلهم ، وأنشئت فيها المرافق العامَّة كـ : المساجد ، والأسواق ، وأنشيء لكل مدينة حمى لرعي خيل وإبل المجاهدين ، وشجع النَّاس على إحضار أهليهم وذراريهم من مدن الحجاز وأطراف الجزيرة العربيَّة للإقامة في هذه المدن ، وإمدادها للتوغل في أرض العدو ، ونشر دعوة الإسلام فيها [١] .

وما زال خيار المسلمين من الصَّحابة والتابعين ومن بعدهم من الأمراء والمشايخ يتناوبون الثغور لأجل الرِّباط ، وكان هذا على عهد أبي بكر وعمر وعثمان أكثر ، وكان عمر ﷺ من يسأله عن أفضل الأعمال إنما يدلُّه على الرباط والجهاد [٢] .

وكان من شدة اهتمام الفاروق عمر ﷺ بالثغور أن اقترح عدم تقسيم السوادين من أرض العراق والشام ، ليستفيد من ذلك في إمداد الثغور بالمال والجند والسِّلاح [٣] .

وقد ارتفع شأن البصرة والكوفة بعد تمصيرها وعظم أمرهما وأصبح لهما شهرة عظيمة في قيادة الجيوش وحمل لواء العلم والأدب في العالم الإسلامي كله ، وانتقلت إليهما القوة من الحجاز ، فاتخذ علي ﷺ الكوفة مقرًا لخلافته بعد أن انتقل مركز الثقل الإسلامي إلى الأمصار

---

(١) انظر : فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٢٠٠ .

(٢) جامع المسائل ، ٥/ ٣٥٧ ، لابن تَيْمِيَّة ، دار عالم الفوائد للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

(٣) مسألة تقسيم السوادين مسألة اختلف فيها الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على عمر الفاروق ﷺ ، وكان القول السديد ما اختاره الفاروق ﷺ .

انظر : السِّياسة الشَّرعيَّة في الشئون الدستورية والخارجية والمالية ، ص١١٥ ،.

على وجه الإجمال [١] .

((وبالجملة إن السكن بالثغور والرباط والاعتناء بها أمر عظيم ، وكانت الثغور معمورةً بخيار المسلمين علمًا وعملاً ، وأعظم البلاد إقامة بشعائر الإسلام وحقائق الإيمان ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وكان كل من أحب التبتل للعبادة والانقطاع إلى الله ، وكمال الزهد والعبادة والمعرفة يدُلُّونه على الثغور)) [٢] .

ولهذا كان السَّلف يفتون بأفضلية الرباط في الثغور على المجاورة في المساجد الثلاثة .

والرباط من جنس الجهاد ، وجنس الجهاد مقدم على جنس الحج [٣] ، وكما ورد عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قيل له : أي العمل أفضل ؟ قال : « **الإيمان بالله ورسوله** » قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : « **جهاد في سبيل الله** » قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : « **حج مبرور** » [٤] .

ـ وكان أبو هريرة ﷺ مع المرابطين ففزعوا فخرجوا إلى الساحل ثمَّ قيل: لا بأس ، فانصرف النَّاس وأبو هريرة واقف ، فمرَّ به إنسان فقال : ما يوقفك يا أبا هريرة ؟ فقال : سمعت رَسُول الله ﷺ يقول : « **موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر**

---

(١) انظر : فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص٢٠٤ .

(٢) جامع المسائل لابن تَيْمِيَّة ، ٥/ ٣٥٨ .

(٣) انظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، ٢٧/ ٢٤ ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن قاسم ، مكتبة ابن تَيْمِيَّة .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من قال أن الإيمان هو العمل ، رقم الحديث ٢٦ .

الأسود »[١] .

وهكذا استطاع المسلمون في العصر الراشدي أن يتجاوزوا جميع التحديات ، بإيمان راسخ ، وعقيدة ثابتة ، وهدف واضح ، وتعلق بالآخرة ، وعلم يصاحبه العمل ، وشجاعة في الحق ، وحكمة في الدعوة ، فكانوا هداةً مهديين لجيلهم ، وقدوة لمن بعدهم ـ رضوان الله عنهم أجميعن ـ .



(١) سلسلة الأحاديث الصَّحيحة للألباني ، ٣/ ٥٧ . وقال عنه الشيخ الألباني : حديث صحيح .

المطلب الرابع

تحقيق العدل في البلدان المفتوحة

لقد كان من أعظم الأعمال الدعوية الَّتي قام بها الخلفاء الراشدون بعد الفتوحات الَّتي شملت الشَّام والعراق ومصر وغيرها هو التزامهم بالمبادئ الإِسلاميَّة الَّتي رباهم عليها النَّبيُّ ﷺ ، والَّتي من أهمها التمسك بعقيدة الإسلام وأحكامه وحسن عرضها لأهل البلاد المفتوحة قولاً وعملاً وسلوكًا ، مع تحري إقامة العدل ، وعدم ممارسة أي نوع من أنواع الإكراه عليهم للدخول في دين الإسلام ، والرفق والسماحة بهم ، وقد أوصى النَّبيُّ ﷺ بأهل الذمَّة خيرًا ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **ألا من ظلم معاهدًا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة** » [١] .

وكان الخلفاء الراشدون يوصي بعضهم بعضًا بالرفق بأهل الذمَّة وعدم ظلمهم ، قال عمر ابن الخطاب ﷺ عند موته : أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرًا ... وأوصيه بذمة الله ، وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يُكلفوا فوق طاقتهم [٢] .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الخراج ، باب في تعشير أهل الذمَّة .. رقم الحديث (٣٠٥٢) .
وصححه الألباني في السلسلة الصَّحيحة ، ١/ ٨٠٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النَّبيّ ﷺ ، رقم الحديث (١٣٩٢) .

وكان أبو بكر الصديق ﷺ يوصي جند المسلمين وقوادهم بمعاملة أهل البلاد المفتوحة المعاملة الحسنة ، وأمر خالد بن الوليد ﷺ أن يتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم (١) .

ولهذا فقد ضمن الخلفاء الراشدون وقوادهم لأهل الذمَّة في البلاد المفتوحة عدة أمور تتضمن ؛ إقامة العدل ، وحسن الرفق بهم ، ودعوتهم للدخول في الإسلام بالحسنى ، ومن أهمها :

أ/ ضمان حرية التدين ، وعدم الإكراه في الدِّين ، فعندما فتح عمرو بن العاص ﷺ الإسكندرية خيَّر الأسرى بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أنَّ من دخل الإسلام كان للمسلمين أخًا ، فكانوا يكبرون كلما أسلم أسيرًا مثل تكبيرة الفتح وأشد (٢) .

لقد كان هدف الجهاد إزالة العقبات ، وتحطيم الحواجز الَّتي تعترض الدعوة ، وتحول دون وصول الإسلام إلى النَّاس ، فإذا عرف النَّاس الدِّين فلا إكراه فيه ، لأَنَّهُ دين الفطرة ، وسوف ينجذب النَّاس إليه ، وتتجاوب معه الفطر السليمة وتعتنقه وهذا سر عظمة هذا الدِّين (٣) .

أمَّا الإكراه فإِنَّه قد يخضع النَّاس ظاهرًا ، ولكنه لا يمكن أن يكون عاملاً مؤثرًا في تغيير أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم وقيمهم ولغتهم .

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٤٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٤/ ١٠٦ .

(٣) انظر : انتشار الإسلام بالفتوحات الإِسلاميَّة زمن الراشدين ، ص٩٧ .

إن المؤثر في التغيير هو القول الجميل والدعوة بالحسنى [١] .

ب/ ضمان وتحقيق الأمن والاستقرار ، وحمايتهم والدفاع عنهم .

فالدولة الإِسلاميَّة مطالبة برعاية المسلم وغير المسلم الَّذي يعيش تحت ظل حكمها إذا التزم بما عليه من واجبات لزم أن تؤدى له الحقوق ، ويدل على ذلك أن أهل حمص فتحت بلادهم في أوَّل الأمر وأخذ المسلمون منهم الجزية ، ثمَّ تتابعت الأخبار أن الروم قد جمعوا للمسلمين جيشًا لم يُر مثله ، فأمر أبو عبيدة بن الجراح أمراءه أن يردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوه من الجزية منهم ، فردوها وقالوا لأهل البلاد : إنما رددنا عليكم أموالكم لأَنَّهُ قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وإنكم قد اشترطتم أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك الآن ، وقد رددنا ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشَّرط وما كان بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم ، فكان جواب أهل هذه البلاد : ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء ، لولايتكم وعدلكم أحب إلينا ممَّا كنا فيه من الظلم والغشم [٢] .

ج/ ضمان العدل في القضاء ، وحرية التملك والتجارة ، وإقرار أهل الذمَّة في بلادهم بعد دفع الجزية .

كما فعل خالد بن الوليد مع الفلاحين في العراق ، وإقراره لهم بالجلوس في أرضهم بعد أن

---

(١) انظر : افتراءات حول غايات الجهاد ، ص٥٤ .

(٢) انظر : الخراج ، لأبي يُوسف ، ص١٥٣ .

كانوا خدمًا للفرس [١] .

وألغى الإسلام الامتيازات الطبقية ، ونظمت ضريبة الأرض الخراجية على أسس عادلة مراعية مبدأ طاقة النَّاس ومقدار تحملهم ، وأعفي النَّاس من بعض الضَّرائب الَّتي كانت تؤخذ منهم في عهد الفرس والروم ، وأسقطت الجزية عن العاجز والشَّيخ الكبير [٢] .

كل هذه الضمانات وغيرها الَّتي قام بها الخلفاء الراشدون لأهل البلدان المفتوحة كانت سببًا في هروب كثير منهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدّنيا إلى سعة الدّنيا والآخرة .

وأصبحت تلك البلاد المفتوحة وافرة بالمسلمين ، والعلماء والدعاة والمجاهدين ، فتجمع في تلك البلاد المفتوحة تجمع فريد لا تحكمه عصبية ، ولا تعاليم جاهلية ، ولا سلطات إمبراطورية ، وإنما يحكمه نور الإسلام وعدله وشموله وعالميته [٣] .

❁❁❁

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٥٠ .

(٢) انظر : انتشار الإسلام بالفتوحات الإِسلاميَّة زمن الراشدين ، ص٩٢ . وتاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السِّياسيّة ، ص٣١٥ .

(٣) انظر : رؤية إسلاميَّة لأحوال العالم المعاصر ، ص١٦٣ .

الفصل الخامس

كيفية الاستفادة من هذه الدِّراسة في العصر الحاضر

وفيه مبحثان

المبحث الأول : سبل الاستفادة من الدِّراسة علميًا .

المبحث الثاني : سبل الاستفادة من الدِّراسة عمليًا .

المبحث الأوَّل

سبل الاستفادة من الدِّراسة علميًا

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : الحفاظ على مصادر الشَّريعة .

المطلب الثاني : النظم الإسلامية وعلاقتها بالشريعة .

المطلب الثالث : اقتضاء العلم للعمل .

المطلب الرابع : أهمية النقد البناء .

المطلب الأوَّل

الحفاظ على مصادر الشَّريعة

ـ وجوب الحفاظ على مصادر التَّشريع وهي : القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهرة علمًا وعملاً لأنهما روح الحياة ، ونور الطَّريق ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الله نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِى بِهِ الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١] .

ولهذا فقد أولى المجتمع النبوي والراشدي القرآن والسُّنَّة جلّ اهتمامهم ، لأن القرآن والسُّنَّة لا ينفكان عن بعضهما ، فالسنة شارحة للقرآن مبينة له ، وهما مصدرا التَّشريع ، فالكلام عن القرآن هو كلام عن السُّنَّة المطهرة .

ولقد كان المجتمع النبوي والراشدي يحيا بالقرآن ، تلاوة وتعلمًا وتعليمًا وعملاً ، فالصغير ينشأ بتعليم القرآن ، والأسرة تربى بالقرآن ، والعلم يفتتح بتعلم القرآن وحفظه ، ومدارس العلم كلها أساسها وعمادها القرآن ، ومساجدهم معمورة بالقرآن ، وعباداتهم ، ومجالسهم ، وسمرهم ، وأسفارهم ، وجهادهم ، وفتوحاتهم متعلقة بالقرآن [٢] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (١٥-١٦) .

(٢) انظر : قضايا منهجية ودعوية ، ص١٦-١٨ ، د.عبد الرَّحمن المحمود ، دار الفضيلة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

ـ وكان مقياس الرِّجال عندهم ومعرفة أقدارهم تبدأ بمدى معرفتهم وحفظهم للقرآن ، فقد كان مجلس عمر بن الخطاب ﷺ ومشاورته القراء كهولاً كانوا أو شبابًا [١] .

وكانوا يتنادون في المعارك إذا حمي الوطيس بالقرآن كما حدث في معركة حنين ، واليمامة ، فقد تنادوا عندما اشتدت الحرب يا أصحاب سورة البقرة [٢].

لقد كان المجتمع النبوي والراشدي لا يُعْرفُ إِلاَّ بالقرآن ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار** » [٣] .

وعن أبي الأحوص الجشمي [٤] قال : إن كان الرَّجل ليطرق الفسطاط طروقًا ـ أي يأتيه ليلاً ـ فيسمع لأهله دويًا كدوي النحل ـ أي بالقرآن ـ قال : فما بال هؤلاء يأمنون ، ما كان أولئك يخافون [٥] .

فإذا أرادت الأمة الرفعة والعزة ، فلتنظر لحالها مع القرآن ولتتسائل ما منزلته في نفوسها

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، باب الاقتداء بسنن النَّبيّ ﷺ، رقم الحديث (٧٢٨٦) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٦/ ٣٠٠ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، رقم الحديث (٤٢٣٢) .

(٤) هو عمرو بن الأحوص الجشمي ، من بني جشم من بني سعد ، له حديث في السنن الأربعة ، شهد حجة الوداع ، ومعركة اليرموك . انظر : الإصابة ، ٤/ ٤٩٢ .

(٥) الزهد ، ص٣٨٩ ، لوكيع بن الجراح ، مكتبة الدَّار ـ المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

وحياتها ، إيمانًا وتصديقًا علمًا وعملاً ، حكمًا وتشريعًا ، دواءً وشفاءً [١] .

لكي لا يتحقق فيها شكوى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [٢] ، فالسعادة في الدنيا والآخرة مرتبطة بالقرآن والإيمان ، والاستقامة على الإسلام .

❁❁❁

(١) انظر : قضايا منهجية ودعوية ، ص١١ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٣٠) .

المطلب الثاني

النظم الإسلامية وعلاقتها بالشريعة

لقد كان المجتمع النبوي ، والراشدي يلتزم بنظام عام مقيد بتعاليم الإسلام الَّذي هو دين للواقع والحياة ، والحركة ، والعمل ، والإنتاج والنماء ، فهو دين يواكب فطرة الإنسان ، ويأخذ بالمجتمع إلى مراقي الصعود والسعادة ، فالنظم في العهد النبوي والراشدي مصدرها الوحيد هو الإسلام منه تنهل أحكامها ، وقوانينها ، وثقافتها .

فمصدر النظام السياسي ، والاقتصادي ، والإداري ، والاجتماعي ، والتعليمي ، الثقافة الإِسلاميَّة وتعاليمها ومبادئها [1] .

والأمة الإِسلاميَّة في هذا الزَّمان بحاجة ماسة إلى مراجعة هذه الأنظمة ، والنظر في مدى تعلقها بالإسلام والتزامها بتعاليمه .

فالخلل الَّذي نراه في النظام السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والتعليمي ، وغيرها من النظم إنما سببه مزاحمة المناهج الغربيَّة والنظم الوضعيَّة للإسلام في أحادية المصدر [2] .

---

(١) انظر : أضواء حول الثقافة الإِسلاميَّة ، ص٧٤ ، د.أحمد السائح ، الدَّار المصريَّة اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

(٢) انظر : النظم الإسلامية ، ص١٥٣ ، د. حسين الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م .

فأصبحت النظم تتلقى أحكامها ، وقوانينها ، وثقافتها ، ومبادئها من مصادر متعددة لا يراعى فيها فطرة الإنسان ، أو المصلحة العامَّة للناس والمجتمعات .

بل كان من نتاجها الطبقية ، والعصبية ، والتسلط ، والعمل بقانون الغاب ، وجعل المصلحة تسود كل اعتبار ، وأصبح هدف تربية الأجيال إغراقهم في ملذات الدنيا وحثهم على السعي وراءها ، وتناسي الآخرة [١] .

ولذلك فمن أهم الواجبات على الأمة جعل الإسلام هو المصدر الوحيد لكل الأنظمة ، ليكون أساسها صحيحًا موافقًا للشريعة الإِسلاميَّة ، مع الاستفادة من خبرات الأمم الأخرى وأفكارها الَّتي لا تعارض منهج الإسلام ومبادئه .

لكي تسمو الأمة الإِسلاميَّة في أهداف نظمها وغاياتها ، ولكي تكون مخرجات هذه النظم مفيدة للفرد والمجتمع .

❁❁❁

(١) انظر : أضواء حول الثقافة الإسلامية ، ص١١٤ .

المطلب الثالث

اقتضاء العلم للعمل

إن الثقافة الإِسلاميَّة في العصر الراشدي ليست قضايا نظرية ، ولا تجريدية فقط ، وإنما هي نمط من التصور والسلوك معًا .

وإذا ظل الفكر حبيس العقل والوجدان ، غير مترجم عمليًا في واقع الحياة الاجتماعيَّة ، والاقتصادية ، والسياسية ، فإِنَّه يفقد فعاليته وتأثيره ، ويصبح أقرب إلى الخيال [1] .

ـ والمتأمل في الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين يجد أن العمل ملازمٌ للعلم ، لا ينفكان عن بعضهما ، فكان حرصهم على العمل والتطبيق كحرصهم على العلم والاستفادة .

ـ ونحن بحاجة إلى تربية أنفسنا وأبنائنا ومجتمعاتنا على ثقافة تلازم العلم بالعمل والتطبيق .

❁❁❁

(١) انظر : أضواء على الثقافة الإِسلاميَّة ، ص٢٦٩ .

المطلب الرابع

أهميَّة النقد البناء

كان الخلفاء الراشدون يلقون خطبة عند مبايعة النَّاس لهم بالخلافة ، وكان من منهجهم طلب العون عند الإحسان في العمل ، والتقويم والنقد والتعديل عند الإساءة .

وكأنهم بذلك يعترفون بعدم العصمة ، ويربون أفراد الأمة على تفعيل النصيحة والنقد ، والتعديل ، والأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر .

فعندما خطب أبو بكر الصديق عند مبايعته بالخلافة قال : أمَّا بعد : أيها النَّاس فقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصِّدق أمانة ، والكذب خيانة (1) .

ـ ويمكن أن نستفيد من هذا أن الأمة الإِسلاميَّة بحاجة إلى بيان المعروف والأمر به ، وبيان المنكر والنَّهي عنه ، وهذا هو النقد البناء الَّذي يشمل النصيحة ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر .

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **الدين النصيحة** » قلنا لمن ؟ قال : « **لله ، ولكتابه ،**

---

(1) البداية والنهاية ، 5/ 269 .

ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [(١)] .

فلا بُدَّ إذًا من شيوع ثقافة قبول النقد الهادف البناء بين أفراد الأمة على اختلاف طبقاتها ، واعتباره صورة إيجابية للمحافظة على الأمة ، وإعانتها لتجاوز الأخطاء والعيوب .

ومن الأخطاء التربوية الَّتي تلحق بالأمة أفرادًا ، وجماعات ، ومؤسسات ، وحكومات أَنَّهم يخافون من النقد ويرفضونه ، إمَّا بسبب اعتباره نوعًا من التنقص ، والبحث عن العيوب ، وإما بالنظر لشخص الناقد ، وعدم التنازل لقبول نقده ، والتعالي عليه ، وإما باعتباره مصدر خطر وفضح أهل الهفوات والجرائم الاقتصاديّة ، والسياسية ، والعسكرية ، والاجتماعية ، وغير ذلك [(٢)] .

ولهذا فهم يرفضون النقد ويخافونه ويعتبرونه صورة وظاهرة سلبية يجب الحذر منها وتقليصها وإقصاء أهلها والحكم على نياتهم ، واتهامهم بالطمع للوصول لمآرب دنيوية [(٣)] .

ولهذا فإن من الأخطار المترتبة على تغييب النقد الهادف الناصح للأمة ، ظهور المديح والثناء والإطراء عبر وسائل الإعلام المتنوعة ، وذلك للتمادي في ارتكاب الأخطاء واستمرائها ، وتزوير الحقائق وإخفائها عن الشّعوب ، وفتح المجال لأهل الزيف والبهتان لنقد ثوابت الشَّريعة ومصادرها ، واستنقاص علماء الأمة ، وزعزعة عقيدة الإسلام ومؤسساته في قلوب

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن النصيحة .. ، رقم الحديث (٥٥) .

(٢) انظر : لماذا نخاف من النقد ، ص٣٣ ، د.سلمان العودة .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٣٣ .

النَّاس للوصول إلى هيمنة النظم الاستبدادية أيًا كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية [١] .

ولذلك فإن الأمة بمجموع فئاتها حكامًا ، وعلماءً ، ودعاةً ، وعوامًا بحاجة لقبول النقد البناء الَّذي يراعى فيه البعد النفسي والزمني ، والَّذي يكشف الأخطاء لعلاجها ، ويبين العيوب والهفوات ليشارك الجميع في إصلاحها [٢] .



(١) انظر : لماذا نخاف من النقد ، ص٥٤ ، ٥٧ .

(٢) انظر : قوة النقد البناء ، ص٢١، هندري ويسينجر ، مكتبة جرير ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م . ولماذا نخاف من النقد ، ص٤٤ .

المبحث الثَّاني

سبل الاستفادة من الدِّراسة عمليًا

وفيه أربعة مطالب

المطلـــــب الأول : الحاجة للتربية .

المطلـب الثـــاني : أهميَّة الحسبة .

المطلـب الثالـــث : الإدارة الناجحة .

المطلـب الرابــع : تسهيل التواصل بين الأمة وولاة أمرها .

المطلب الأول

الحاجة للتربية

إن واقع المسلمين اليوم وحاجتهم للتربية الإِسلاميَّة يحتم علينا دراسة واقع التربية الَّتي تلقاها المجتمع الراشدي والَّتي أدت إلى تقدمه وحضارته في الجانب الفكري ، والاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي ، والعسكري ، والخلقي وغيرها .

فالتربية البناءة هي الَّتي تقوم على العملية التوجيهية لبناء الإنسان لما يصلح من حاله ، وحال مجتمعه ، مع تصحيح فكره وآرائه وفقًا لمنهج الله تعالى [(١)] .

والأمة الإِسلاميَّة اليوم بجميع فئاتها ومستوياتها أفرادًا وجماعات ، وهيئات ، وحكومات ، بحاجة ماسة إلى هذه التربية البناءة [(٢)] .

لأن واقع المجتمعات الإِسلاميَّة اليوم مريرٌ متخلفٌ بسبب أمور كثيرة من أهمها :

أ ـ عدم فهم العقيدة الإِسلاميَّة فهمًا صحيحًا كما تقتضيه حقيقة لا إله إلا الله الَّتي تستلزم الإقرار والعمل والرضى بالشريعة الإِسلاميَّة .

---

(١) انظر : مبادئ مختارة للإدارة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النَّبويَّة ، ص٥٠-٥٢ ، علي الزهراني ، رسالة علميَّة ـ كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ .

(٢) انظر : تربية النَّبيِّ ﷺ لأصحابه ، ص١٣ عن أهميَّة التربية والفرق بينها وبين التَّعليم .

ب ـ عدم تحكيم شريعة الله في مجالات الحياة ، أو الاقتصار على الأخذ من الشَّريعة بعض الأحكام فيما يتعلق بالجوانب الأخلاقية ، والاجتماعية ، والعبادية .

ج ـ الإنهزامية والرضوخ وعدم المقاومة للغزو الفكري ، والثقافي والعلماني ، والتنصيري في البلاد الإِسلاميَّة ، والَّذي أدى إلى توسيع دائرة التَّعليم اللاديني واللَّوَثْ الفكري .

ولقد أدى عدم اهتمام الأمة بالتربية الإِسلاميَّة إلى آثارٍ سلبية أدت إلى إخفاق الأمة في مجالات الحياة .

ففي المجال الاجتماعي ، تفتت الأسرة ، وتراجعت عن القيام بدورها الرائد في تربية النشأ على المعالي ، والفضائل ، والالتزام بالدين ، ونصرته .

وفي المجال السياسي أصبحت الأمة ذليلة مهانة مغتصبة الحقوق ، ومهمشة القدر والمكانة من أعدائها في الداخل والخارج .

وفي المجال الإعلامي أصبح الإعلام موجهًا لهدم الأخلاق ، والفضائل ، والعقيدة ، والشريعة [(١)] .

وفي المجال الاقتصادي نجحت الرأسمالية المستقلة ، والاشتراكية المتطرفة في نشر مساوئها في المجتمعات الإِسلاميَّة ، وأغرت النَّاس بالسعي الحثيث للحصول على الأموال بطرق ربوية متنوعة كان من نتائجها ضياع التكافل والتعاون الإجتماعي بين أفراد الأمة .

---

(١) انظر : مقال د.موسى البُر ، أهداف نظام الإعلام الإسلامي ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإِسلاميَّة ، العدد السَّادس عشر ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

وفي المجال التعليمي ظهرت الازدواجية في المناهج التعليمية المتعلقة بالعلوم الدنيوية ، والعلوم الدِّينيَّة ، وكأن كل علم منفصل عن الآخر ، ولا علاقة تربط بينهما من قريب ولا بعيد ، وأصبح الاهتمام في العلوم الدِّينيَّة منصبًا على النَّاحية الفطرية ، وأهمل العمل والتطبيق ، بل وأهمل في جميع العلوم الجانب التخصصي الَّذي تحتاجه الأمة الإِسلاميَّة في جميع مجالات الحياة [(١)] .

ـ إذن فالأمة الإِسلاميَّة لن يعود لها مجدها وعلو مكانتها إِلاَّ باستقامتها على دينها ، واقتدائها بسلفها في المجتمع النبوي والراشدي ، في تربية أبنائها ومجتمعاتها ، لتحقيق أهدافها ، والوصول إلى غاياتها .

❁❁❁

---

(١) انظر : التربية في العهدين المكي والمدني ، ص٢٧٥ ، عبد المعين الحربي ، رسالة علميَّة ، قسم التربية ـ جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م . والتطور والثبات في حياة البشرية ، ص١٤٢ ، الشَّيخ محمَّد قطب ، دار الشروق . ومفاهيم ينبغي أن تصحح ، ص٨٤ .

المطلب الثَّاني

أهميَّة الحسبة

تحتاج الأمة في هذه الأيَّام إلى بث الوعي الثقافي لأهميَّة الحسبة ، والَّتي عرفها العلماء بأنّها : سلطة تخول صاحبها حق مباشرة الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنَّهي عن المنكر إذا ظهر فعله بتفويض من الشَّارع أو تولية من الإمام ، وإيقاع العقاب على المخالفين بمقتضى أحكام الشَّريعة في حدود اختصاصه [(١)] .

فالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أصل جامع لكل أعمال الحسبة في الإسلام ؛ يشمل الجوانب المختلفة في العقيدة والتشريع والأخلاق والاقتصاد والسياسة والاجتماع [(٢)] .

والحسبة في هذه المجالات تستلزم أن يكون المحتسب مختصًا فيها عالمًا بما يتعلق بها من جوانب الصَّلاح والفساد [(٣)] .

فالحسبة أصل من أصول الإسلام ، تعتبر حافظًا ، ومانعًا ، وصمامًا لأمان المجتمعات

---

(١) انظر : ولاية الحسبة في الإسلام ، ص٥٧ ، د.عبد الله محمَّد ، المجلس الوطني للثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

(٢) انظر : المرجع السَّابق ، ص٦٨ .

(٣) انظر : محاضرة بعنوان ((مجالات الحسبة في عصرنا الحاضر)) ، ص٩ ، د.الهادي الحسين ، الشبكة العنكبوتية .

المسلمة ، الَّتي تحول دون وقوعها في الرذائل ومهاوي الردى ، والطرد والإبعاد من رحمة الله ، ومن عموم العقاب على المجتمعات ، وانتكاسة القلوب ، ومشابهة المنافقين [١] .

ـ ولذلك فإنَّه لا بُدَّ من التوعية العامَّة لأفراد المجتمع المسلم بواجبهم تجاه الحسبة .

لأن الله تعالى جعلها واجبًا دينيًا على كل فرد من أفراد المجتمع بحسب موقعه وقدرته ، قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢] .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « **كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ...** » [٣] .

وكذلك جعل الله تعالى الحسبة مهمة أساسية للدولة المسلمة تتوقف صلاحيتها للاستمرار في قيادة الأمة على القيام بهذا الواجب [٤] ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [٥] ، فالمجتمع الَّذي يريد العزة يلزمه القيام بواجب الحسبة ليقوى جانبه ، وتجتمع كلمته ، وتعلو مكانته .

ومن فرَّط في ذلك انحسرت دولته ، وضعف جانبه ، وهوت مكانته لحضيض الفواحش

---

(١) انظر : الحسبة ، ص٧٣ ، لابن تَيْمِيَّة . وولاية الحسبة في الإسلام ، ص٦٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث (٨٩٣) .

(٤) انظر : الحسبة ، ص٧٥ ، لابن تَيْمِيَّة . وولاية الحسبة في الإسلام ، ص٦٩ .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٥١) .

والمنكرات ، وتسلط عليه المنافقون وأهل الموبقات [١] .

❁❁❁

(١) انظر : ولاية الحسبة في الإسلام ، ص٧٤-٧٦ .

المطلب الثَّالث

الإدارة الناجحة

ـ لقد حبى الله المجتمع الراشدي بالإدارة التربوية الإِسلاميَّة الراشدة ، الَّتي قامت بالعملية الإشرافية لتحقيق الأهداف التربوية الإِسلاميَّة في جميع مجالات الحياة الدعوية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

ـ ولقد تميزت هذه الإدارة بشعور كامل المسؤولية تجاه المجتمع على اختلاف طبقاته ، من خلال القيام بوظائف الإدارة وأعمالها التنظيمية والتوجيهية والرقابية بنوعيها الذاتية والإدارية والتقويم والمحاسبة [(١)] ، والَّذي ساعد الخلفاء الراشدين في تحقيق هذه الأهداف والمسؤوليات هو اعتمادهم على مبادئ الإدارة الإِسلاميَّة والَّتي من أهمها ربط مجالات الحياة السِّياسيّة ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والدعوية وغيرها بشريعة الإسلام ، والاقتصار على مصدريتها في تأسيس مسار المجالات وتصحيحها مع تفعيل مبدأ الشورى ، والعدل والإنصاف ، والمساواة بين الرعية ، واختيار الأصلح من الولاة والقضاة والقواد وغيرهم ، مع مراعاة فتح المجال أمام الكفاءات الشابة ، مع حث الرعية على الالتزام بالسمع والطاعة ونشر ثقافة الطاعة في المعروف

---

(١) انظر : مبادئ مختارة للإدارة في ضوء مواقف من السيرة النَّبويَّة ، ص٥٠ ،٨٥ . والإدارة في عصر الرَّسول ﷺ ، ص٥٩ .

وفي غير معصية الله [١] .

ـ كل هذه المبادئ الإِسلاميَّة الَّتي اعتمد عليها الخلفاء الراشدون في إدراتهم للدولة الراشدة ، جعلت الباحثين والدارسين لهذه الإدارة الراشدة في عصر الخلفاء الراشدين يستنتجون بعض الخصائص الَّتي اتصفت بها ، ومن أهمها [٢] :

١ ـ أَنَّها إدارة تربوية أخلاقية .

٢ ـ أَنَّها تمتاز بمراعاتها للفروق الفردية في المجتمع .

٣ ـ أَنَّها تمتاز بالشمول والمعرفة .

٤ ـ أَنَّها تحقق الاعتدال والتوازن .

٥ ـ أَنَّها لا تتقوقع على نفسها بل تقتبس عن الآخرين من الدُّول الكافرة وغيرها كل ما هو صالح ومفيد في مجالات الحياة بشرط عدم تعارضه مع الشَّريعة والدين ، ويشهد لذلك اقتباس الدواوين الَّتي كانت معروفة في أجهزة دولتي فارس والروم قبيل ظهور الإسلام مع التعديل عليها ، والإضافة والاستغناء عن بعضها .

٦ ـ كانت تمتاز بروح المبادرة في الإنشاء والتصنيع والاختراع ، وعدم الاعتماد كليًا على الآخر ، وتحرص على الممارسة والتطبيق .

---

(١) انظر : مبادئ مختارة للإدراة التربوية ، ص٢٤٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص١٦٧ وما بعدها .

٧ ـ أَنَّها تمتاز بالعمل الجماعي والتعاوني في تحقيق الأهداف والعمل بالمسؤوليات .

ـ ولا شك بأن هذه الإدارة الَّتي امتاز بها الخلفاء الراشدون حريٌّ بأمة الإسلام دراستها والاقتداء بها علمًا وعملاً إذا أرادت أن تحمي مجتمعاتها من المذاهب والمناهج والمصطلحات الغربيَّة ؛ كالديمقراطية والعقلانية والنظريات النفعية والمثالية الَّتي تجعل الإنسان يعيش بعيدًا عن الواقع ، مرتبطًا بالدنيا ، غافلاً عن الآخرة ، والَّتي جميعها يصور الدِّين والأخلاق كعائق لعملية التطوير والنهضة [١] .

نعم نحن بحاجة إلى إعادة النَّظر والمراجعة في إدارة مجالات حياتنا السِّياسيّة والاقتصادية والاجتماعية ، وجعل الدِّين هو المرجع والحاكم عليها .

❁❁❁

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص١٧٨ ، ٤١٠ .

المطلب الرابع

تسهيل التواصل بين الأمة وولاة أمرها

ـ كان عمر بن الخطاب ﷺ يتابع ولاته ويحاسبهم لتحقيق العدالة بين الرعية ، وكان يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار ، وكان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادي في النَّاس : من الَّذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين حتَّى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد ، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئًا من هذه الرسائل ، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف ويقرؤها عمر ويرى ما فيها من شكاوى ومظالم وحاجات للناس [1] .

ـ ومرة بعث عمر بن الخطاب ﷺ محمَّد بن مسلمة ليحرق باب قصر سعد بن أبي وقاص الَّذي في الكوفة ، وأمر سعدًا أن لا يغلق بابه عن النَّاس ، ولا يجعل على بابه أحدًا يمنع النَّاس عنه ، فامتثل سعد ﷺ لذلك [2] .

ـ ولهذا فإن أفراد الأمة في عصرنا الحاضر بحاجة ماسة إلى تسهيل التواصل بينهم وبين ولاة أمرهم ، ليتعرف ولاة الأمر على أوضاع النَّاس ، وعلى مشاكلهم ، ومعاناتهم ، واحتياجاتهم

---

(١) انظر : تاريخ المدينة ، لابن شبه ، ٣/ ٨١٦ . وفصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص٣١٩ ، د.الصلابي .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ٧/ ٨٧ .

الاجتماعيَّة ، والسياسية ، والاقتصادية ، من غير أن يقف بينهم وبين أفراد الأمة حائل أو واسطة .

فكم من حقوق ضاعت ، ومحارم انتهكت ، وأموال سلبت ، ونفوس أزهقت بغير حق ، وذلك بسبب بطانة السوء الَّتي تحيط بولاة الأمر ، والَّتي تحول بينهم وبين معرفتهم بحال أفراد الأمة واحتياجاتهم .

ولا شك أن ضعف التواصل بين أفراد الأمة وولاة أمرها يؤدي إلى ضعف وحدة الجماعة ، وحصول الفرقة والاختلاف الذي هو سبب رئيس في ضعف الأمة ، وضياع منجزاتها ، ومرتع خصب لتفشي الجهل ، والابتداع في الدِّين ، واتباع الهوى ، وتحكيم العقل ، وتقديمه على النقل .

وكل هذه أسباب خطيرة تؤدي إلى انحراف الأمة عن المنهج الصَّحيح الَّذي كان عليه النَّبيُّ ﷺ وخلفاؤه الراشدون .

وإذا كان المسلمون يلتمسون اليوم طريقًا للنهوض فليس لهم من سبيل إِلاَّ نبذ الفرقة ، ووحدة الجماعة ، ووحدة الجماعة ليس لها سبيل إِلاَّ باتباع المنهج الصَّحيح الَّذي كان عليه النَّبيُّ ﷺ والخلفاء الراشدون (١) .

---

(١) انظر : المنهج الصَّحيح وأثره في الدعوة إلى الله ، ص١٧١ ، د.حمود الرحيلي ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة ـ المدينة المنورة .

لأَنَّهُ كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : لا يصلح آخر هذه الأمة إِلاَّ ما أصلح أولها [١] .

والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون إلى التضامن بينهم ، واجتماع كلمتهم ، واتحاد صفوفهم لدحر قوى الشر والعدوان الَّتي اجتمعت ضد المسلمين .

ولنا عبرة في التضامن الأَوَّل الَّذي قام به النَّبيُّ ﷺ عندما هاجر إلى المدينة ، وكيف اجتمع النَّاس على المحبة والوئام ، والالتزام بالدين الواحد ، والهدف الواضح ، وقد حافظ الخلفاء الراشدون على هذا التضامن فكانوا قوة أطاحت بكل قوى الأرض من فارس والروم ، ونشروا الإسلام والسَّلام .



(١) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ص٣١٩ ، لابن تَيْمِيَّة ، مكتبة الفرقان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

الخاتمة

وبعد أن انتهيت من دراسة موضوعات البحث ، أُسجل هنا أهم النتائج والتوصيات :

أولاً : أهم النتائج

١ ـ إن عصر الخلفاء الراشدين هو امتداد لعصر النبوة ، وهو خير العصور على الإطلاق ، لأن الخلافة فيه على منهاج النبوة .

٢ ـ يعتبر عصر النبوة والراشدين معلمًا بارزًا ، ونموذجًا مكتملاً للتأسي والاقتداء .

٣ ـ عصر الخلفاء الراشدين مفخرة الأمة ، وباعث الحياة في النّفوس لمن تأمله ، ودرس سيرته ، وتحلى بأخلاقه ، واقتدى بأعماله .

٤ ـ إن الواقع الثقافي لعصر الخلفاء الراشدين ينطلق من مفاهيم راسخة ، وأصول علميَّة ثابتة .

٥ ـ دراسة الواقع الثقافي لعصر الخلفاء الراشدين يوثق الصلة بين حاضرنا اليوم ، وماضينا المجيد المشرق .

٦ ـ إن الثقافة الإِسلاميَّة هي الدرع الواقي في مجابهة الصراع الفكري العالمي .

٧ ـ أظهرت سيرة الخلفاء الراشدين في الحكم والإدارة أن سلطات الحاكم ومسؤولياته مقيدة بأحكام الشَّريعة .

٨ ـ كان الموقف الصارم في وجه الردة والمرتدين الَّذي قام به أبو بكر الصديق ﷺ هو الموقف الصَّحيح لحفظ الإسلام من المساومات والتنازلات .

٩ ـ اهتمام المرأة في العصر الراشدي ببيتها وزوجها وأبنائها جعل من بيتها القلعة والحصن الحصين لأسرتها .

١٠ ـ الخلافة العظمى شأنها عظيم في حفظ الدِّين ، وإقامة الشَّرع ، ولمِّ الشمل ، واستتباب الأمن .

١١ ـ الأمن الفكري العقدي هو أساس الأمن وقاعدته .

١٢ ـ إن الاعتصام بالدين ، وحسن الاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ والخلفاء الراشدين ، وترابط أفراد المجتمع سبب مهم في حصول الاستقرار والأمن السلوكي .

١٣ ـ من أساسيات الحكم والإدارة استعمال الأصلح في الولاية وإن كان في الرعية من هو أفضل منه في العلم والإيمان ، وذلك لتحقيق العدل .

١٤ ـ مفهوم ولاية الحسبة في العصر النبوي والراشدي يشمل الأمر بكل معروف ، والنَّهي عن كل منكر ، سواء تعلق ذلك بالعبادات ، أو بالأخلاق ، أو بالسياسة ، أو بالاقتصاد ، أو غير ذلك .

١٥ ـ المسجد رافدًا من روافد الثقافة الإِسلاميَّة دعويًا وإعلاميًا .

١٦ ـ المعرفة الثقافية بأصول الحوار وآداب المناظرة يُضفي عليهما صفة العلم والمعرفة .

١٧ ـ الاهتمام بالفصاحة والبيان ، والخطابة والشعر ، يرفع من مستوى الوعي اللغوي ،

والفهم للخطاب الشَّرعيِّ لدى المجتمعات الإِسلاميَّة .

١٨ ـ تتميز الأمة بحمل لواء الدعوة الإِسلاميَّة وذلك بتفعيل وتطويع النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمصلحة الدعوة الإِسلاميَّة .

١٩ ـ السر في انتشار الإسلام في عصر النبوة والخلفاء الراشدين موافقته للفطرة ، وصلاحيته لكل زمان ومكان .

٢٠ ـ قصة الصراع بين الحق والباطل والخير والشر ، قصة قديمة بدأت فصولها مع بداية وجود الإنسان على الأرض .

٢١ ـ المؤسس الحقيقي للنظام الإسلامي بمجالاته الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية هو النَّبيُّ ﷺ ثمَّ الخلفاء الراشدون من بعده .

٢٢ ـ العدل أساس الحكم ، فدوام الملك بالعدل ، ونهايته بالظلم ، فمن عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه .

٢٣ ـ اتسم الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين بالثبات والشمول والعالمية .

٢٤ ـ الأمة الإِسلاميَّة لن يعود لها مجدها ، وعلو مكانتها ، وتحقيق أهدافها ، والوصول إلى غاياتها إلاَّ بالاستقامة على دينها واقتدائها بما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

٢٥ ـ الاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ والصحابة الكرام ، في العقيدة الراسخة ، والخلق الأصيل ، والقيم الثابتة ، يضع الأمة في موضع القيادة والزعامة بين سائر الأمم والشعوب .

❁❁❁

ثانيًا : أهم التوصيات

١ ـ ينبغي الاهتمام بعلم الثقافة الإِسلاميَّة ، لأَنَّهُ يبحث في الأحداث ، والمستجدات ، والدراسات ، والتحديات المعاصرة ، ويؤصلها تأصيلاً شرعيًا .

٢ ـ ينبغي الاهتمام بالروايات التاريخية الصحيحة المتعلقة بالعصر النبوي والراشدي ، وذلك لاستخلاص تاريخ الأمة ، وعنوان مجدها .

٣ ـ تجب محبة الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، والرفع من قدرهم ، والذب عنهم ، والتغاضي والإمساك عن أخطائهم ، لأَنَّهُم سلف هذه الأمة ، ورجال تاريخها المجيد .

❁❁❁

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

يقول الله ﷻ :

❁❁❁

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



فهرس الآثار

❁❁❁

فهرس الأشعار



فهرس الكلمات الغريبة

❁❁❁

فهرس الأعلام

❁❁❁

فهرس المصطلحات

❁❁❁

فهرس الأماكن

❁❁❁

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة الكبرى لابن بطة ، أبو عبد الله بن بطة العكبري ، دار الراية ـ الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٢. الأبعاد السِّياسيّة لمفهوم الأمن في الإسلام ، مصطفى محمود ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

٣. أبو بكر الصديق شخصيته وعصره ، د. علي الصلابي ، دار ابن حزم ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٤. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ، ابن حجر ، مجمع الملك فهد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٥. الإتقان في علوم القرآن ، لأبي الفضل السيوطي ، مجمع الملك فهد ، الطبعة الأولى .

٦. أثر الإسلام في تكوين الشَّخصيَّة الجهادية ، محمَّد نعيم ياسين ، دار الأرقم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩١٤م .

٧. أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأَوَّل الهجري ، د.جميل المصري ، مكتبة الدَّار ـ المدينة المنورة .

٨. الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم الشيباني ، دار الراية ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٩. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة ، د. صالح الرفاعي ، دار الخضير .

١٠. الإحسان في تبويب صحيح ابن حبّان، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السُّنَّة المحمدية .

١٢. أحكام الزَّواج في الإسلام، أحمد سعيد أبو راس، الدَّار الجماهيرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .

١٣. الأحكام السُّلطانيَّة، الماوردي، دار الحديث، القاهرة .

١٤. الأحكام السُّلطانيَّة، لأبي يعلى الفراء، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت، الطبعة الثَّانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

١٥. أحكام أهل الذمَّة، لابن القيِّم، الناشر : رمادى للنشر ـ الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

١٦. أحكام جهاد المرأة في الشَّريعة الإِسلاميَّة وصوره المعاصرة، عالية أحمد، رسالة علمية، الجامعة الأردنية .

١٧. الأخبار الطوال، أحمد الدينوري، دار إحياء الكتب العربي ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م .

١٨. أخبار القضاة لوكيع، محمَّد بن خلف، المكتبة التِّجاريَّة الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .

١٩. أخبار عمر، علي الطنطاوي، دار المنارة، ١٩٥٩م .

٢٠. الإدارة في عصر الرَّسول ﷺ، أحمد عجاج كرمي، دار السلام ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ .

٢١. الأدب المفرد ، للبخاري ، مكتبة المعارف ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
٢٢. إرواء الغليل ، الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
٢٣. أساس البلاغة ، لأبي القاسم الزَّمخشريّ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
٢٤. أساسيات الثقافة الإِسلاميَّة ، د. عبد الغني الكبيسي ، مكتبة الفلاح ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .
٢٥. أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، أبو المجد سيد نوفل ، مجلة الجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة .
٢٦. أسباب نجاح الدعوة الإِسلاميَّة في العهد النبوي ، د.عبد الله الموسى ، رسالة علميَّة ، جامعة الإمام محمَّد بن سعود .
٢٧. الاستذكار ، لابن عبد البر القرطبي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
٢٨. الاستقامة ، لابن القيِّم ، الناشر : فرع جامعة الإمام محمَّد بن سعود ـ المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٢٩. الاستيعاب ، ابن عبد البر ، دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
٣٠. أسد الغابة ، أبو الحسن ابن الأثير ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
٣١. الإسلام والشعر ، د.فايز ترحيني ، دار الفكر اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

٣٢. الأشباه والنظائر، عبد الرَّحمن السيوطي، دار الكتب العلميَّة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٣٣. الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

٣٤. أصول الأحكام، ابن حزم، دار الأوقاف ـ بيروت .

٣٥. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة، نخبة من العلماء، الناشر : وزارة الشؤون الإِسلاميَّة والأوقاف ـ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .

٣٦. أصول التربية الإِسلاميَّة، د.خالد الحازمي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٣٧. أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسُّنَّة، د.حمد العثمان، مكتبة ابن القيِّم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠م .

٣٨. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

٣٩. أصول السُّنَّة، أحمد بن حنبل، دار المنار ـ السَّعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٤٠. الأصول الفكرية للثقافة الإِسلاميَّة، د. محمود الخالدي، دار الفكر ـ عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٤١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمَّد الأمين الشنقيطي، دار الفكر ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٤٢. أضواء حول الثقافة الإِسلاميَّة، د.أحمد السائح، الدَّار المصريَّة اللبنانية، الطبعة الأولى،

١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٤٣. أضواء على الثقافة الإِسلاميَّة ، د. نادية العمري ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٤٤. أطلس حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ، سامي المغلوث ، شركة العبيكان ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٤٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمَّد ابن القيِّم ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٤٦. الأعلام ، لخير الدِّين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر .

٤٧. افتراءات حول غايات الجهاد ، د.محمد نعيم ياسين : دار الأرقم - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٤٨. اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تَيْمِيَّة ، دار عالم الكتب ، الطبعة السَّابعة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

٤٩. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رَسُول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، سليمان الحميري ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

٥٠. إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، محمَّد الطائي ، نشر جامعة أم القرى - مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٥١. الأم ، للإمام الشَّافعيّ ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٥٢. الإمام العراقي في شرح التبصرة والتذكرة - ألفية العراقي - ، دار الكتب العلمية - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٥٣. الإمامة العظمى ، د. عبد الله الدميجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٥٤. الأموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، دار الفكر ـ بيروت .

٥٥. انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية زمن الراشدين ، جميل المصري ، الناشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة ١٤٠٩هـ .

٥٦. الإنصاف ، علاء الدين المرداوي ، دار إحياء التراث العربي .

٥٧. أهميَّة الجهاد في نشر الدعوة ، د.علي العلياني ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٢٥م .

٥٨. أوليات الفاروق السِّياسيّة ، غالب القرشي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٥٩. بحوث في تاريخ السُّنَّة المشرفة ، د. أكرم ضياء العمري ، نشر بساط ـ بيروت ، الطبعة الرابعة .

٦٠. بدائع السلك في طبائع الملك ، محمَّد بن الأزرق الغرناطي ، نشر وزارة الإعلام ـ العراق ، الطبعة الأولى .

٦١. البداية والنهاية ، ابن كثير ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٦٢. البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الكناني ، دار الهلال ـ بيروت ، ١٤٢٣هـ .

٦٣. بين العقيدة والقيادة ، اللواء محمود شيت خطاب ، دار القلم ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٦٤. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمَّد الزَّبيدي ، دار الهداية .

٦٥. تاريخ ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
٦٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، أبو عبد الله الذهبي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٦٧. التَّاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، د. عبد العزيز الحميدي ، دار الدعوة ـ الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
٦٨. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السِّياسيّة ، د.محمد طقوش ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
٦٩. تاريخ الخلفاء الراشدين ، د.محمد أبا الخيل ، دار الفضيلة ، ط.الأولى ، ١٤٣٠هـ .
٧٠. تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن السيوطي ، مكتبة الباز ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .
٧١. تاريخ الدعوة الإِسلاميَّة ، د.جميل المصري ، مكتبة الدَّار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
٧٢. تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين ، د.يسري هاني ، جامع معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث ، جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ .
٧٣. تاريخ الرسل والملوك ، محمَّد بن جرير الطَّبريّ ، دار التراث ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٨٧هـ .
٧٤. تاريخ المدينة ، لابن شبه ، تحقيق : فهيم شلتوت ، طبع في ١٣٩٩هـ .
٧٥. تاريخ المسجد النبوي الشريف ، محمَّد إلياس ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٧٦. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع الهجري ، طه أحمد إبراهيم ، مكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٧٧. تاريخ دمشق لابن عساكر ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٧٨. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، الشَّيخ إبراهيم اليعمري ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٧٩. التبصرة ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٨٠. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، ابن حجر العسقلاني ، المكتبة العلميَّة ـ لبنان .

٨١. التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل ، عبد العزيز الطريفي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

٨٢. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة .

٨٣. تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، د.محمد أمحزون ، مكتبة الكوثر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٨٤. التدرج في دعوة النَّبيّ ﷺ ، إبراهيم المطلق ، نشر وزارة الشؤون الإِسلاميَّة ـ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

٨٥. تدريب الدعاة على الأساليب البيانية ، د.عبد الرب آل نواب ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة بالمدينة المنورة ، الطبعة ١٤٢٥هـ .

٨٦. تدوين السُّنَّة النَّبويَّة نشأتها وتطورها ، د.محمد الزهراني ، دار الهجرة ـ الرياض ، الطبعة

الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٨٧. تدوين السُّنَّة ومنزلتها ، عبد المنعم نجم ، الناشر : الجامعة الإِسلاميَّة ـ المدينة المنورة ، الطبعة الحادية عشر ، ١٣٩٩هـ .

٨٨. تذكرة الحفاظ ، للذَّهبيّ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٨٩. التراتيب الإدراية ، للكتاني ، دار الأرقم ـ بيروت ، الطبعة الثانية .

٩٠. التربية الجماعية في الإسلام دراسة تأصيلية ، نايف القرشي ، رسالة علميَّة ـ جامعة أم القرى .

٩١. التربية العربيَّة الإِسلاميَّة المؤسسات والممارسات ، د.أكرم ضياء العمري ، مؤسسة آل البيت .

٩٢. تربية النَّبيّ ﷺ لأصحابه ، د.خالد القرشي ، دار المعالي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

٩٣. التربية في العهدين المكي والمدني ، عبد المعين الحربي ، رسالة علميَّة ، قسم التربية ـ جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٩٤. التربية في عهد الرَّسول ﷺ نشأتها وتطورها ، د.حامد الحربي ، نشر رابطة العالم الإسلامي ، العدد ١٨٦ ، في ١٤١٩هـ .

٩٥. الترغيب والترهيب ، المنذري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

٩٦. التطور والثبات في حياة البشرية ، الشَّيخ محمَّد قطب ، دار الشروق .

٩٧. التعاليم الاقتصاديّة في السُّنَّة النَّبويَّة ، د.كمال حطاب ، المكتبة الشاملة .

٩٨. التَّعريفات ، للجرجاني ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٩٩. تغليق التعليق ، لابن حجر العسقلاني ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

١٠٠. تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، دار طيبة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

١٠١. تقريب التهذيب ، دار الرشيد ـ سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

١٠٢. تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، دار الفكر للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

١٠٣. تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التَّاريخ والسير ، لابن الجوزي ، دار الأرقم ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

١٠٤. التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يُوسف بن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ـ المغرب ، ١٣٨٧هـ .

١٠٥. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ، أبو عبد الله محمَّد الأندلسي ، نشر دار الثقافة ـ الدوحة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

١٠٦. تنبيه الغافلين ، للسمرقندي ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

١٠٧. تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا النَّووي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت .

١٠٨. تهذيب التَّهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، مطبعة دائرة المعارف ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ .

١٠٩. تهذيب اللُّغة ، محمَّد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

١١٠. توثيق السُّنَّة في القرن الثَّاني الهجري أسسه واتجاهاته ، رفعت فوزي ، مكتبة الخنانجي ، الطبعة الأولى .

١١١. توجيهات في العدل والاهتمام بالمسؤولية ، د.عبد العزيز الحميدي ، دار الدعوة ، الطبعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

١١٢. التوفيق على مهمات التعاريف ، محمَّد المناوي ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

١١٣. تيسير الكريم المنان في سيرة ابن عفان ، د.علي الصلابي ، دار الفجر للتراث ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

١١٤. الثقافة الإِسلاميَّة والتحديات المعاصرة ، د. إيمان سعد الدِّين ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

١١٥. ثقافة المسلم وتحديات العصر ، د. راشد شهوان وآخرون ، دار المناهج ، الأردن ـ عمان ، الطبعة السابعة ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م .

١١٦. الثمر المستطاب في فقه السُّنَّة والكتاب ، الشيخ الألباني ، غراس للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

١١٧. جامع الأصول ، لابن الأثير ، مكتبة الحلواني ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

١١٨. جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، نشر دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

١١٩. جامع المسائل ، لابن تَيْمِيَّة ، دار عالم الفوائد للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

١٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المشهور بـ

(صحيح البخاري) ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

١٢١. جامع بيان العلم وفضله ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

١٢٢. الجامع لأحكام القرآن ((تفسير القرطبي)) ، لأبي عبد الله محمَّد القرطبي ، دار الكتب المصريَّة ـ القاهرة ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

١٢٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، مكتبة المعارف ـ الرياض .

١٢٤. الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

١٢٥. جزيرة العرب بين التشريف والتكليف ، د. ناصر العمرو ، مركز البحوث والدراسات ـ قطر ، نشر في ١٤٢٣هـ .

١٢٦. جمال القراء ، للسخاوي ، دار المأمون ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

١٢٧. جمع القرآن ـ دراسة تحليلة لمروياته ـ ، أكرم الدليمي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

١٢٨. جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة ، د.علي العبيد ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

١٢٩. جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، د.أبو طاهر السندي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

١٣٠. جمهرة اللُّغة ، أبو بكر الأزدي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

١٣١. الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ، د.عبد الرَّحمن الراشد ، رسالة علميَّة ـ جامعة الإمام

محمَّد بن سعود ، ١٤٠٢هـ .

١٣٢. الجهاد ، عبد الله بن المبارك ، الدار التونسية ـ تونس ، تاريخ النشر : ١٩٧٢م .

١٣٣. الجوانب الإعلامية في خطب الرَّسول ﷺ ، سعيد بن علي ثابت ، نشر وزارة الشؤون الإِسلاميَّة والأوقاف ، السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

١٣٤. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، أحمد الهاشمي ، نشر مؤسسة المعارف ـ بيروت .

١٣٥. جولة في عصر الخلفاء الراشدين ، د.محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

١٣٦. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، عبد الرَّحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .

١٣٧. الحدود والتعزيرات عند ابن القيِّم ، للدكتور بكر أبو زيد ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٣٨. الحسبة لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق علي الشحود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

١٣٩. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عبد الرَّحمن السيوطي ، دار إحياء الكتب العربيَّة ، عيسى البابي ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٤٠. الحضارة الإِسلاميَّة أسسها ووسائلها ، الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنكة ، نشر دار الأرقم ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

١٤١. حقوق غير المسلمين في الدَّولة الإِسلاميَّة ، د.علي الطيار ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،

الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

١٤٢. حوار الحضارات دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، فهد السنيدي ، رسالة علميَّة من قسم الثقافة ـ جامعة الملك سعود .

١٤٣. الحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية في عهد الخلفاء الراشدين ، سعود يحيى ، جامعة أم القرى .

١٤٤. حياة الصَّحابة ، محمَّد الكاندهلوي ، مؤسسة الرِّسالة ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

١٤٥. الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأَوَّل والثَّاني للهجرة ، د.عدنان الفراجي ، الدَّار العربيَّة للموسوعات ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

١٤٦. الخراج ، لأبي يُوسف الأنصاري ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ، المكتبة الأزهرية للتراث .

١٤٧. الخراج ، يحيى القرشي ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثَّانية ١٣٨٤هـ .

١٤٨. خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي ، محمَّد برناوي ، نشر مجلة الجامعة الإِسلاميَّة بالمدينة المنورة ، في ١٤٠١هـ .

١٤٩. الخطابة الإِسلاميَّة ، عبد العاطي محمَّد ، نشر المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .

١٥٠. الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم ، إسماعيل التيمي ، مطبعة دار الكتب المصريَّة ، ١٩٩٩م .

١٥١. دراسات نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ، عبد السَّلام ، الجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

١٥٢. دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ﵁ وسياسته الإدارية ، عبد السلام آل عيسى ، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ،

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

١٥٣. الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، ابن حجر ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٥٤. درر السلوك في سياسة الملوك ، أبو الحسن الماوردي ، دار الوطن ـ الرياض .

١٥٥. الدرر في اختصار المغازي والسير ، لابن عبد البر ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٣هـ .

١٥٦. الدعوة الإِسلاميَّة بين سياسة عمر وعثمان ، عبد المقصود إبراهيم ، رسالة علميَّة من جامعة الأزهر ـ كلية أصول الدِّين .

١٥٧. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، الشَّيخ عبد العزيز بن باز ، الناشر : رئاسة البحوث العلميَّة والافتاء بالمملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

١٥٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة ، للبيهقي ، ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

١٥٩. دور الزَّكاة في علاج المشكلات الاقتصاديّة ، د.يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

١٦٠. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، د.يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

١٦١. دور المرأة السياسي في عهد النَّبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين ، أسماء محمَّد زياده ، دار السَّلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

١٦٢. دور المرأة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، لولوة القويفلي ، رسالة علميَّة ، جامعة أم القرى ، عام ١٤٠٩هـ .

١٦٣. ديوان حسان بن ثابت ، مطبعة السعادة ـ مصر .

١٦٤. رؤية إسلاميَّة لأحوال العالم المعاصر ، الشَّيخ محمَّد قطب ، مكتبة السُّنَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

١٦٥. الرحلة في طلب الحديث ، الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ .

١٦٦. الردة وخطرها على المجتمع الإسلامي ، عبد الله قادري ، المكتبة الشاملة .

١٦٧. الردة ، للواقدي ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

١٦٨. الرِّسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري ، دار المعارف ـ القاهرة .

١٦٩. الروض المربع شرح زاد المستقنع ، منصور البهوتي ، دار المؤيد ـ مؤسسة الرِّسالة .

١٧٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن القيِّم ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٧١. الريادة في حروب وفتوحات أبي بكر الصديق ، د.محمد طاهر ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، ١٩٩٩م .

١٧٢. رياض الصَّالحين ، للإمام النَّووي ، مؤسسة الرِّسالة ـ لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

١٧٣. زاد المعاد ، لابن القيِّم ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة السَّابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

١٧٤. الزهد ، لابن المبارك ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت .

١٧٥. الزهد ، للإمام أحمد ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

١٧٦. الزهد ، لهناد بن السَّري ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

١٧٧. الزهد ، لوكيع بن الجراح ، مكتبة الدَّار ـ المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

١٧٨. سبل الهدى والرشاد ، محمَّد الشامي ، دار الكتب العلميَّة ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

١٧٩. السجون وأثرها في الآداب العربيَّة من العصر الجاهلي حتَّى نهاية العصر الأموي ، د.واضح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

١٨٠. سلسلة الأحاديث الصَّحيحة ، الشيخ الألباني ، مكتبة المعارف ـ الرياض .

١٨١. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين ، د.عبد الله اللحيدان ، مصدر الكتاب : موقع وزارة الأوقاف ـ السعودية .

١٨٢. السُّنَّة ومكانتها في التَّشريع الإسلامي ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ـ دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٨٣. سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله القزويني ، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل الحلبي .

١٨٤. سنن أبي داود السجستاني ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٨٥. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ، في ١٩٩٨م .

١٨٦. سنن الدارمي ، دار المغني ـ السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م .

١٨٧. السياسة الداخلية للخلفاء الراشدين ، د. أسامة أبو زيد ، دار البدر ـ مصر ، الطبعة

الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

١٨٨. سياسة الوقاية والمنع من الجريمة في عهد عمر بن الخطاب ، إبراهيم بن عمار ، رسالة علميَّة من جامعة نايف العربيَّة للعلوم الأمنية .

١٨٩. السِّياسيّة الشَّرعيَّة في الشؤون الدستورية والخارجية ، الشَّيخ عبد الوهاب خلاف ، دار القلم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٩٠. السِّياسيّة الشَّرعيَّة ، لابن تَيْمِيَّة ، وزارة الشؤون الإِسلاميَّة ، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

١٩١. سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله الذَّهَبيّ ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

١٩٢. السيرة الحلبية لعلي الحلبي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٧هـ .

١٩٣. السيرة النَّبويَّة ، لابن كثير ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م .

١٩٤. السيرة النَّبويَّة ، لابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الثَّانية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م .

١٩٥. شاعرات العرب في الجاهليَّة والإسلام ، بشير يموت ، المكتبة الأهلية ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .

١٩٦. شذرات الذَّهب ، عبد الحي ابن العماد ، دار ابن كثير ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

١٩٧. شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، للالكائي ، دار طيبة ـ السَّعوديَّة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

١٩٨. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، محمَّد الزرقاني ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

١٩٩. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٠٠. شرح السُّنَّة ، للبغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي للنشر ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٢٠١. شرح السير الكبير ، محمد السرخسي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٢٠٢. الشرح الممتع على زاد المستقنع ، الشَّيخ محمَّد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

٢٠٣. شرح مشكل الآثار ، أبو جعفر الطحاوي ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٢٠٤. شريعة الله لا شريعة البشر ، شحاتة محمَّد صقر ، دار الخلفاء الراشدين . الإسكندرية ـ مصر .

٢٠٥. شعر الفتوح الإِسلاميَّة في صدر الإسلام ، د.النعمان التاخي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٢٠٦. الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ، حسين عطوان ، دار الجيل ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٢٠٧. الشعر في ضوء الشَّريعة الإِسلاميَّة ، محمَّد الأهدل ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٢٠٨. الشعر والشعراء ، عبد الله الدينوري ، دار الحديث ـ القاهرة ، طبع ١٤٢٣هـ .

٢٠٩. الشِّيعة وأهل البيت ، إحسان إلهي ظهير ، الناشر : إدارة ترجمان السُّنَّة - باكستان .

٢١٠. الصارم المسلول على شاتم الرَّسول ﷺ ، أحمد بن تَيْمِيَّة ، الناشر : الحرس الوطني السعودي .

٢١١. صحابة رَسُول الله ﷺ في الكتاب والسُّنَّة ، عيادة الكبيسي ، دار القلم - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

٢١٢. صحاح العربيَّة للفارابي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢١٣. الصحاح ، للجوهري ، دار العلم - بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢١٤. صحيح أبي داود ، الشيخ الألباني ، مؤسسة غراس للنشر - الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٢١٥. صحيح الجامع الصَّغير وزيادته ، الشَّيخ الألباني ، المكتب الإسلامي .

٢١٦. صحيح السيرة النَّبويَّة ، الشَّيخ الألباني ، المكتبة الإِسلاميَّة - الأردن ، الطبعة الأولى .

٢١٧. صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، دار الحديث - القاهرة ، طبع في ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٢١٨. الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٢١٩. طبقات فحول الشعراء ، محمَّد بن سلام ، دار المدني - جدة .

٢٢٠. الطرق الحكمية في السِّياسة الشَّرعيَّة ، دار عالم الفوائد - مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ .

٢٢١. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، د.سفر الحوالي ، دار الكلمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٢٢٢. العدة شرح العمدة ، عبد الرَّحمن المقدسي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الثَّانية ،

١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٢٢٣. العدة في أصول الفقه ، القاضي أبو يعلى الفراء ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٢٢٤. العدل وتطبيقاته في التربية الإِسلاميَّة ، يُوسف العجلاني ، رسالة علميَّة ـ جامعة أم القرى .

٢٢٥. عصر الخلافة الراشدة ، د. أكرم ضياء العمري ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٢٢٦. العلاقات الاجتماعيَّة بين مكة والمدينة منذ ما قبل الإسلام حتَّى فتح مكة ، إلهام البابطين ، من مجلة جامعة الملك سعود ، نشر في ٢١/ ١/ ١٤٢٦هـ .

٢٢٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، الحسن القيرواني ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م .

٢٢٨. عمر نظرة عصرية جديدة ، مجموعة من طلاب العلم ، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٨٨م .

٢٢٩. عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين ، د. أحمد نور سيف ، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٢٣٠. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ابن الوزير محمَّد بن إبراهيم ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٢٣١. عيون الأخبار ، أبو محمَّد الدينوري ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، تاريخ النشر ، ١٤١٨هـ .

٢٣٢. غريب الحديث ، للقاسم بن سلاّم ، دائرة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

٢٣٣. غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النَّبويَّة الشمالية ، بريك العمري ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإِسلاميَّة ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

٢٣٤. الفتاوى الكبرى ، لابن تَيْمِيَّة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

٢٣٥. فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت ، طبع في ١٣٧٩هـ .

٢٣٦. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد ، حامد بن محمَّد ، دار المؤيد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ .

٢٣٧. فتح المغيث ، شمس الدِّين محمَّد السخاوي ، مكتبة السُّنَّة - مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٣٨. فتوح الشَّام ، محمد الواقدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٢٣٩. فتوح مصر والمغرب ، عبد الرَّحمن المصري ، مكتبة الثقافة الدينية ، عام ١٤١٥هـ .

٢٤٠. الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها ، عبد الرَّحمن الدخيل ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، جائزة نايف العلميَّة .

٢٤١. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر الاسفراييني ، دار الأوقاف - بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٧٧م .

٢٤٢. فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، د.علي الصلابي ، المكتبة العصريَّة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م .

٢٤٣. فضائل الصَّحابة ، للإمام أحمد ، مؤسسة الرِّسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٢٤٤. فضائل القرآن ، للقاسم بن سلام ، دار ابن كثير - دمشق ، الطبعة الأولى ،

١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٢٤٥. الفقه الإسلامي وأدلته ، د.وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة .

٢٤٦. الفقه الاقتصادي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، د.جريبه الحارثي ، دار الأندلس الخضراء ـ جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٤٧. فقه الأولويات دراسة جديدة ، د.يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٢٤٨. فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة ، د.عبد السَّلام الكربولي ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٢٤٩. فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الإمام مالك ، عبد الله الرسيني ، رسالة علميَّة ـ جامعة أم القرى ـ مكة .

٢٥٠. فقهاء الصَّحابة المكثرون من الفتوى ومناهجهم الاجتهادية ، د.حميدان الحميدان ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد الخامس ، ١٤١١هـ .

٢٥١. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، محمَّد البهي ، مكتبة وهبة ، الطبعة العاشرة .

٢٥٢. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ـ بيروت ، الطبعة السَّابعة عشر ، ١٤١٢هـ .

٢٥٣. فيض القدير ، لعبد الرؤوف المناوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٢٥٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لابن تَيْمِيَّة ، مكتبة الفرقان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٢٥٥. القاموس المحيط ، مجد الفيروز أبادي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٢٥٦. القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة ، د.عبد الرَّحمن الحميضي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، جامعة أم القرى .

٢٥٧. قضايا منهجية ودعوية ، د.عبد الرَّحمن المحمود ، دار الفضيلة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٥٨. قواعد الأحكام ، العز بن عبد السَّلام ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ، طبعة جديدة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م .

٢٥٩. قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية ، جودة حسنين جودة ، دار المعرفة الجامعية .

٢٦٠. قوة النقد البناء ، هندري ويسينجر ، مكتبة جرير ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

٢٦١. القيِّم الإِسلاميَّة في السلوك الاقتصادي ، د.أحمد يُوسف ، دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٢٦٢. الكامل في التَّاريخ ، ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٢٦٣. الكامل في اللُّغة والأدب ، محمَّد المبرد ، دار الفكر العربي ـ القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٢٦٤. كتاب الإسلام والدستور ، توفيق السديري ، الناشر وزارة الشؤون والأوقاف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ .

٢٦٥. كتاب المصاحف ، لابن أبي داود السجستاني ، الناشر : مؤسسة الفاروق الحديثة ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٢٦٦. كتابة السُّنَّة النَّبويَّة في عهد النَّبيّ ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السُّنَّة النَّبويَّة ، أحمد بن عمر هاشم ، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

٢٦٧. كتابه القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد ، ابن حجر ، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

٢٦٨. كتابه نظام الحكم في الشَّريعة والتاريخ الإسلامي ، الشيخ ظافر القاسمي ، الطبعة الأولى ، دار النفائس .

٢٦٩. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن قاسم ، مكتبة ابن تَيْمِيَّة .

٢٧٠. كشاف القناع عن متن الإقناع ، منصور البهوتي ، دار الكتب العلميَّة .

٢٧١. الكفاية في علم الرِّواية ، للخطيب البغدادي ، المكتبة العلميَّة ـ المدينة المنورة .

٢٧٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب الكفوي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت .

٢٧٣. كنز العمال ، المتقي الهندي ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٢٧٤. لسان العرب ، محمَّد بن منظور ، دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الثالثة .

٢٧٥. لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م .

٢٧٦. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، لابن رجب الحنبلي ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

٢٧٧. لمحات في الثقافة الإِسلاميَّة ، عمر عودة الخطيب ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة الخامسة

عشر ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٢٧٨. لمعة الاعتقاد ، موفق الدِّين المقدسي ، الناشر : وزارة الشؤون الإِسلاميَّة والأوقاف ـ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٢٧٩. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، مكتبة الإيمان ـ مصر .

٢٨٠. مبادئ مختارة للإدارة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النَّبويَّة ، علي الزهراني ، رسالة علميَّة ـ كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ .

٢٨١. المجتبى من السنن ـ سنن النسائي الصغرى ـ ، أحمد بن شعيب النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٢٨٢. مجمع الزوائد ، الهيثمي ، مكتبة القدسي ـ القاهرة ، عام النشر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٢٨٣. مجموع الفتاوى ، ابن تَيْمِيَّة ، الناشر مجمع الملك فهد ، في ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٢٨٤. مجموع الوثائق السِّياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمَّد حميد الله ، دار النفائس ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢٨٥. محاضرة بعنوان ((مجالات الحسبة في عصرنا الحاضر)) ، د.الهادي الحسين ، الشبكة العنكبوتية .

٢٨٦. المحبر ، لأبي جعفر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

٢٨٧. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، أبو محمَّد الرامهرمزي ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

٢٨٨. محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، يُوسف بن المبرد ، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإِسلاميَّة ـ المدينة النَّبويَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٢٨٩. مختار الصحاح ، أبو عبد الله الرازي ، المكتبة العصريَّة ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
٢٩٠. مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ، اختصار وتحقيق الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتبة الإسلامية ـ الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
٢٩١. المختصر في أخبار البشر ، عماد الدِّين إسماعيل ، المطبعة الحسينية المصريَّة ، الطبعة الأولى .
٢٩٢. مدخل إلى أصول التربية الإِسلاميَّة ، د.محمد الدخيل ، دار الخريجي للنشر ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
٢٩٣. المدخل إلى السنن الكبرى ، لأبي بكر البيهقي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت .
٢٩٤. مذاهب فكرية معاصرة ، الشَّيخ : محمَّد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
٢٩٥. مراتب الإجماع ، ابن حزم الظاهري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٢٩٦. المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها ، عبد الرَّحمن السيوطي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
٢٩٧. المسائل الَّتي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة ، د. محمَّد المدني ، دار البحوث والدراسات الإِسلاميَّة وإحياء التراث ، الإمارات ـ الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
٢٩٨. مستدرك الحاكم ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .
٢٩٩. المستصفى ، للغزالي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٣٠٠. المسجد النبوي عبر التَّاريخ ، د.محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

٣٠١. مسند ابن راهويه ، دراسة وتحقيق البلوشي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٣٠٢. مسند أبي يعلى الموصلي ، دار المأمون ـ جدة ، الطبعة الثَّانية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

٣٠٣. مسند الإمام أحمد ، عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٣٠٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ ـ صحيح مسلم ـ ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٣٠٥. مسند الطيالسي ، دار المعرفة ـ بيروت .

٣٠٦. مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ابن كثير ، دار الوفاء ـ المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٣٠٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، عياض السبتي ، دار التراث .

٣٠٨. مشكاة المصابيح ، الشَّيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .

٣٠٩. مصنف ابن أبي شيبة ، دار الفكر .

٣١٠. المعارف لابن قتيبة ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٩٢م .

٣١١. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمَّد الحسين البغوي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

٣١٢. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم العباسي ، عالم الكتب ـ بيروت .

٣١٣. معاوية بن أبي سفيان ، شخصيته وعصره ، د.علي الصلابي ، دار الأندلس ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٣١٤. معجم الشعراء ، لأبي عبيد الله المرزباني ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٣١٥. معجم الصَّحابة ، للبغوي ، دار البيان ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٣١٦. المعجم الكبير ، للطبراني ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٨٣م .

٣١٧. معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة ، د. أحمد مختار ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٣١٨. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النَّبويَّة ، عاتق الحربي ، دار مكة ـ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٣١٩. المعجم الوسيط المؤلف : مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة ، نشر دار الدعوة .

٣٢٠. معجم مقاييس اللُّغة ، أحمد بن فارس ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٣٢١. معرفة السنن والآثار ، أحمد البيهقي ، دار الوفاء ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

٣٢٢. معرفة الصَّحابة ، لأبي نعيم الأصبهاني ، دار الوطن ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٣٢٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، لأبي عبد الله الذَّهَبيّ ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٣٢٤. معرفة علوم الحديث ، لأبي عبد الله الحاكم ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٣٢٥. المعرفة والتاريخ ، ليعقوب الفسوي ، مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٣٢٦. المغازي لابن أبي شيبة ، تحقيق عبد العزيز العمري ، ط.الأولى ، دار إشبيليا ، الرياض ،

١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٣٢٧. المغازي للواقدي ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٣٢٨. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، محمَّد بن أحمد الشَّافعيّ ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٣٢٩. المغني ، لابن قدامة ، عالم الكتب ـ الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٣٣٠. مفاهيم ينبغي أن تصحح ، الشَّيخ محمَّد قطب ، دار الشروق .

٣٣١. المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، دار القلم ـ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

٣٣٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د.جواد علي ، دار الساقي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٣٣٣. مقال أهداف نظام الإعلام الإسلامي ، د.موسى البُر ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإِسلاميَّة ، العدد السَّادس عشر ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٣٣٤. مقال بعنوان : السلطات العامَّة في الإسلام ، د.عثمان جمعة ضميرية ، مجلة البيان ، عدد ٢١١ .

٣٣٥. مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن علي الأشعري ، المكتبة العصريَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

٣٣٦. مقدِّمة ابن الصَّلاح ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٣٣٧. مقومات العدل في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وأثرها في القضاء ، سعود الطريفي ، رسالة علميَّة من جامعة نايف العربيَّة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٣٣٨. مكة والمدينة في عهد الجاهليَّة وعهد الرَّسول ﷺ ، د. أحمد شريف ، دار الفكر العربي .

٣٣٩. الملل والنحل ، للشهرستاني ، مؤسسة الحلبي .

٣٤٠. من مخازي الرَّافضة عبر التَّاريخ ، علي بن نايف الشحود ، الطبعة الثَّانية ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

٣٤١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدِّين الجوزي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٣٤٢. المنتقى شرح الموطأ ، سليمان الباجي ، مطبعة السعادة ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٢هـ .

٣٤٣. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والقدرية ، تقي الدِّين ابن تَيْمِيَّة ، الناشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإِسلاميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٣٤٤. منهاج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة والعمل ، الشَّيخ محمَّد العثيمين ، دار الشَّريعة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٣٤٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ المشهور بشرح النَّووي لصحيح مسلم ـ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٩٢هـ .

٣٤٦. منهج التربية النَّبويَّة للطفل ، محمَّد نور ، مكتبة المنار ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ .

٣٤٧. المنهج الصَّحيح وأثره في الدعوة إلى الله ، د.حمود الرحيلي ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة ـ المدينة المنورة .

٣٤٨. المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، عبد الرَّحمن الشَّافعيّ ، مكتبة المنار ـ الزرقاء .

٣٤٩. منهج النَّبيّ ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، الطيب برغوث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٣٥٠. منهج في إعداد خطبة الجمعة ، د.صالح بن حميد ، وزارة الشئون الإِسلاميَّة والأوقاف ، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة ، ١٤١٩هـ .

٣٥١. الموافقات ، إبراهيم الشَّاطبيّ ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٣٥٢. موافقة الخبر الخبر ، ابن حجر العسقلاني ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٣٥٣. موجز عن الفتوحات الإِسلاميَّة ، د.طه عبد المقصود ، دار النشر للجامعات ـ القاهرة .

٣٥٤. موسوعة الشَّيخ الألباني في العقيدة ، نشر مركز النعمان للبحوث والدراسات الإِسلاميَّة ـ اليمن ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

٣٥٥. موسوعة الفقه الإسلامي ، محمَّد التويجري ، نشر بيت الأفكار الدُّوليَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

٣٥٦. موطأ الإمام مالك ، مؤسسة زايد آل نهيان ـ الإمارات ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٣٥٧. ميزان الاعتدال ، أبو عبد الله الذهبي ، دار المعرفة ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م .

٣٥٨. النبوات ، لابن تَيْمِيَّة ، مؤسسة أضواء السلف ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٣٥٩. نثر الدرر في المحاضرات ، منصور الرازي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

٣٦٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يُوسف أبو المحاسن ، نشر وزارة الثقافة

والإرشاد ، دار الكتب ، مصر .

٣٦١. نسب عدنان وقحطان ، محمَّد المبرد ، نشر مطبعة لجنة التأليف والتَّرجمة ، الهند ، عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م .

٣٦٢. النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، دار الكتاب العلميَّة .

٣٦٣. النظام السياسي في الإسلام ، إحسان سمارة ، دار يافا العلميَّة ـ عمان ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٣٦٤. النظام العام للدولة المسلمة ، د.عبد الله العتيبي ، دار كنوز ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

٣٦٥. النظام القضائي في الفقه الإسلامي ، محمد رأفت عثمان ، دار البيان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٣٦٦. نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب ﵁ ، محمَّد المدني ، نشر وزارة الأوقاف المصريَّة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

٣٦٧. النظم الإسلامية ، د. حسين الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م .

٣٦٨. النظم الماليَّة في الإسلام ، قطب إبراهيم ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٦م .

٣٦٩. النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرَّسول ﷺ والخلافة الراشدة ، محمَّد عارف ، نشر الجامعة الإِسلاميَّة بالمدينة المنورة .

٣٧٠. نماذج من إدارة الأزمات في عهد الخلفاء الراشدين وتطبيقاتها في مجال الإدارة ، ١٠٤ ، جميل القثامي ، رسالة علميَّة من جامعة أم القرى .

٣٧١. نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ، عبد الرَّحمن الشَّافعيّ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر .

٣٧٢. النِّهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات ابن الأثير ، المكتبة العلميَّة ـ بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٣٧٣. نيل الأوطار ، محمَّد الشوكاني ، نشر دار الحديث ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٣٧٤. هذا الدِّين ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٣٧٥. واقعنا المعاصر ، الشَّيخ محمَّد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٣٧٦. الوجيز في المبادئ السِّياسيّة في الإسلام ، سعدي أبو حبيب ، دار البلاد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٣٧٧. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، محمَّد أبو شهبة ، دار الفكر العربي .

٣٧٨. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، علي السمهودي ، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

٣٧٩. وفيات الأعيان ، أبو العبَّاس الإربلي ، دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٠م .

٣٨٠. وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري ، نشر المؤسسة الدِّينيَّة الحديثة ، الطبعة الثَّانية ، ١٣٨٢هـ .

٣٨١. ولاية الحسبة في الإسلام ، د.عبد الله محمَّد ، المجلس الوطني للثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

٣٨٢. اليمن في صدر الإسلام ، د.عبد الرَّحمن الشجاع ، دار الفكر ، دمشق .

٣٨٣. اليوم الآخر في ظلال القرآن ، أحمد فائز ، مؤسسة الرِّسالة ، الطبعة السَّابعة عشر ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٣٨٤. مجلة البيان ـ موضوع الدلجة بين منظورين ، د.محمد أمحزون ، العدد (١٤٥) .

٣٨٥. مجلة البيان ، العدد (١٥) ، مقال د. محمَّد بن صامل السلمي ، بعنوان : معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين .

❁❁❁

فهرس الموضوعات

